

الجزء الثالث

يحتوى على تأبين الجرائد و بعض الكبراء والفضلاء ونموذج
من تعازى أهل الاقطار والامصار ، ومراثى الشعراء

تأليف

السيد محمد رشيد رضا

منشئ المنار

(الطبعة الثانية — أصدرتها دار المنار بمصر ١٣٦٧ هـ)

تاريخ

الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده

[رضى الله عنه]

الجزء الثالث

يحتوى على تأبين الجرائد وبعض الكبراء والفضلاء ونموذج
من تعازى أهل الأقطار والأمصار ؛ ومراثى الشعراء

تأليف

السيد محمد رشيد رضا
منشئ المنار

(الطبعة الثانية — أصدرتها دار المنار بمصر ١٣٦٧ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ إنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِي وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لله رَبِّ العَالَمِينَ .

(الانعام ٦ — ١٦٢)

أمْ حَسِبَ الذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أنْ نَجْعَلَهُمْ كَالذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ؟ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (الجاثية ٤٥ — ٢١)

كانت حياة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى جميع أطوارها وأدوارها خالصة لله تعالى من شوائب الرياء ؛ وزعزعة الاهواء ، ومات كذلك خالصاً مخلصاً لله ، لا يرجو غيره ولا يخشى سواه ، لذلك كان فى محياه ومماته آية فى العلم والعمل لله وللناس ، وحجة على أهل الجهل والجمود والجحود من جميع الأجناس .

رأينا في عصرنا كثيراً من أهل الشهرة والظهور فى أمتنا ، من المرشدين والعلماء ، والملوك والأمراء ، والشرفاء والأغنياء ، قد حيوا مكرمين ، وماتوا مبكيين ، وما كانت حياة أحد منهم كحياته ، ولا مماته كمماته — مارأينا أحداً منهم في حداثته فطرياً زكياً ، وفي شبابه متعلماً صوفياً ، وفى كهولته فيلسوفاً اجتماعياً ، وفي شيخوخته حكيما ربانياً .

مارأينا أحداً منهم يعمل لترقية الناس فى الدين والدنيا ، من حيث لايطلب لنفسه إلا الحياة الأخرى .

ما رأينا أحداً منهم كان يرجوه الفقير لنيل نواله ، ويسترشد به الغني ليفيد ويستفيد عاله ، ويرجوه المتعلم ليقتبس من حكمته وفهمه ، ويستهديه العالم الذى يريد أن ينفع بعلمه ، ويرجوه المحكومون لما يريدون عند الحاكمين ، ويستفيد منه الحكام كيف يعدلون فى المحكومين .

ما رأينا أحداً منهم كان قبلة آمال المصلحين ، فى السياسة والعلم والدين قد أتلعت الأعناق وامتدت الأبصار من جميع الأمصار والأقطار ، ترقب آثار إصلاحه ، وتنوط فلاحها بفوزه ونجاحه ، فالمصرى فى وطنه يرجوه لمصر ، والمسلم فى كل وطن يرجوه للاسلام ، والشرقى غير المسلم يرجوه للشرق ، —

هكذا كان مرجواً فى حياته للعالمين . إذ كان محياه خالصاً لله رب العالمين . وهكذا كان مرثياً من الناس أجمعين ، إذ كان حتى مماته محباً لخير الناس أجمعين .

ثم ما رأينا منهم أحداً مات فبكاه السني السلفي وغير السلفي . وحزن عليه الشيعى والاباضى ، ورثاه اليهودى والنصرانى ، وأبنه الشرقى والغربى ، واستوى فى التعزية عنه القريب بالأجنبى .

ما رأينا أحداً منهم مات فنعته الجرائد كنعيه ، وأبنته بمثل ما أبنته به . على اختلافها فى العقائد والمذاهب ، وتباينها فى المنازع والمشارب ، وعلى ما كان له فى عالم الاجتماع من الزعامة ، وفى عالم الدين من مرتبة الامامة ، وهما المزيتان اللتان يتحاسد عليهما الكبراء ، ويتبرى لمباراة صاحبهما العظماء ، بل يسلطون الألسنة والأقلام على من يخطب واحدة منهما ، فما بالك بمن يتمكن من الجمع بينهما ، وما كانوا عن الأستاذ الامام

بغافلين ، ولا عن النيل منه بساكتين .

ما رأينا أحداً منهم مات فعد موته موتاً للفقراء ، موتاً للعلم والعلماء ، موتاً للبلاغة والبلغاء ، موتاً للصدق والوفاء ، موتاً للاخلاص والصفاء ، ورزؤه رزءاً للمصريين ، بل رزءاً للمسلمين ، بل رزءاً للانسانية ومصابا على أهلها أجمعين .

ما رأينا أحداً منهم مات فتجاوبت الأقطار بالتعزية عنه ، وتناوحت الأمصار بالرثاء فيه ، وشهد له القريب والبعيد ، والغوى والرشيد ، والذكى والبليد ، بأنه إمام الزمان ، وسدرة منتهى العرفان .

هكذا كان وقع موته في العالمين ، لأنه مات كما عاش خالصاً مخلصاً لله رب العالمين .

ليس هذا الذى أقول من خيالات الشعر ، ولا من باب الإطراء فى المدح ، ولا هو من قبيل شهادة القريب للقريب ، ولا من إعجاب الصديق والوديد ، ولا من إجلال التلميذ أو المريد ، وإنما هو الحق اليقين ، الذى دونته أقلام الكاتبين ، إملاء عن ألسنة الناطقين ، وهذا السفر بعض مادونوا ، وما دونوا إلا بعض ما علموا .

ترى فى هذا السفر إثباتاً لاعتقاد قوم من المؤبنين والمعزين والراثين ، وتصويراً لشعور طوائف من العلماء والفضلاء والشعراء والكاتبين ، قد تقاربوا بل اتحدوا على تباعد الأقطار ، واتفقوا على اختلاف اللغات والمذاهب والديار ، فى إثبات المعانى التى أثبتنا ، مع تفصيل لما أجملنا ، وذلك هو التواتر الحقيقى ، المفيد للعلم اليقينى .

تواتر لم يعهد له عندنا مثال ، دونته الطبقة الاولى فى الكتاب ، عن تواتر

سار مسير الأمثال ، به عرفه البعيدون من الشعراء والكتاب ، لا بتوارد الخواطر ، كما يقع الحافر على الحافر ، ولا بوحى من آحاد متواطئين ، الى جماعات غيرمتعارفين اذ لاسبيل الى التواطؤ ، ولا ذلك الاعتقاد والشعور مما يكون بالتوارد .

يدور الكلام فى تلك التآبين والتعازى والمراثى على أربعة أقطاب —
(١) بيان الاعتقاد الذى تتبعه الآمال ، و (٢) تمثيل الشعور و (٣) ذكر الأعمال و (٤) تخيلات الشعر ، وإن هى تخللت النثر ، وإنما يأتى توارد الخواطر ، فى هذا القسم الآخر ، كقولهم: لوكان يفدى لفديناه بكذا ، وان الحياة بعده أسى وأذى ، وأنه كان بحرا فى الجود والعلم ، وطودا فى الثبات والحلم ، فأما ماهو من قبيل الأعمال ، أو من إثبات الأخلاق والخصال ، فهو مما لايكاد يتفق فيه خاطران ، فكيف تتفق فيه خواطر الزرافات والوحدان .

ترى فى هذا السفر أقوالا للأفريقى والاسيوى ، والأمريكي (المقيم في أمريكا) والأوربى ، ولك أن تقول : للعربي والتركي ، والفارسى والملاوى ، والافرنجى والبربرى ، وإن شئت قلت للمسلم السنى والشيمى ، وللنصرانى واليهودى ، تتفق هذه الأقوال في معان يجزم كل من رآها أنها ناشئة عن اعتقاد ، سببه انتشار فضل الرجل فى جميع الأقطار والبلاد ، حتى كان جديرا بقول الشاعر :

وسار مسير الشمس فى كل بلدة وهب هبوب الريح فى البر والبحر

هذا مايؤذن مما نشر في هذا الكتاب ، وإليك كلمات مما قاله بعض المشهورين في هذا الباب ، منها ما قيل فى حياته ومنها ماقيل بعد مماته .

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية: إن الناس لايعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعنى أن كل ماظهر من اجلال الأمة له حيا وميتاً دون قدره) .

وقال لى المشير أحمد مختار باشا الغازى : اننى اعتقد أن دماغ هذا الرجل هو

أعظم دماغ عرف، وأنه لو وزن لرجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الافرنج وزن أدمغتهم . وقال : لما قرأت فى الجرائد خبر موته (وكان فى أوربا) ضاق علي المكان الذى كنت فيه لأن الخسارة بفقده لاعوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الأكبر للشيخ عبد الرحيم الدمرداش وكان ملازما لفراش الفقيد فى مرض موته : إننا كلنا شاكرون لك فانك لاتخدم رجلا وإنما أنت تخدم الأمة فى هذا الرجل — وقال: فى موته خسارة لاتعوض . وقال اللورد كرومر : إن هذا الرجل لاذنب له إلا أنه أنور أهل بلاده .وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة: إن كل أعمال جنابكم محصورة فى إصلاح الحكومة فنرغب إليكم أن تعملوا عملا لترقية المسلمين فى مصر فانهم لم يتعودوا الأعمال الاجتماعية . فقال اللورد : اعملوا أنتم وعلى أن أساعدكم فمن لايرقى نفسه لايرقيه غيره. قال المصرى إنه ليس عندنا رجال يهمهم أمر الأمة و يقدرون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجلان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوهما بالمال وهما يعملان للبلاد ماتحتاج إليه من الترقى : أو ماهذا معناه. و بلغنا أنه قال فى جواب من قال إن الشيخ محمد عبده متهاون فى بالدين : إنه بالعكس متعصب للدين ولكن بعقل .

وقال الشيخ محمد توفيق البكرى على مسمع منى: ان الفراغ الذى تركه الشيخ محمد عبده لايملؤه شىء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال : عجبت للموت كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده ، وقال : لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشتغل بنفسه للأمة لأحدث انقلاباً عظيما . وكان هذا رأى كثير من الناس

وسمعت الدكتور يعقوب افندى صروف يقول بعد أن سمع المؤبنين عند القبر يكررون: كلمة فقيد مصر وفقيد الاسلام : إننا لانرضى أن يكون فقيدكم وحدكم بل نقول انه أكبر من ذلك انه فقيد الشرق كله .

هذا بعض ماسمعناه وما روينا ، على أن الأمة لما تعرف كنه من فقدنا ، كما يقول العقلاء المنصفون ، وسيثبت الزمان حقيقة مايقولون . فائتونا بعالم نحرير ، أو ملك أو أمير ، اعترفت له الأمم بهذا الفضل الكبير .

ينقسم هذا الجزء الى أقسام (الأول) أقوال الجرائد العربية وفيه فصول (١) للجرائد اليومية المصرية و (٢) للجرائد الأسبوعية و (٣) للمجلات و (٤) للجرائد التونسية و (٥) للجرائد السورية فى أمريكا الشمالية والجنوبية . أما جرائد سورية فى سورية فقد منعت من تأبين الامام بل من ذكر خبر موته بأمر من السلطان (وهو من ص ٩ الى ١٥٠)

﴿ القسم الثاني ﴾ أقوال الجرائد الافرنجية وفيه فصلان (١) للجرائد التى تصدر فى القطر المصرى وقد ترجمنا أكثرها و (٢) للجرائد التى تصدر فى أوربا ولم يصل إلينا الاقليل منها (وهو من ص ١٥١ — ١٨٤)

﴿ القسم الثالث ﴾ أقوال الجرائد التركية والفارسية ولا تركية الا مايصدر فى مصر لأنها هى الحرية بمالها من الحرية بإظهار شعور فضلاء الترك واعتقادهم بفضل هذا الامام العظيم دون التى فى بلادها (من ص ١٨٥ — ١٩٨)

وقد فاتنا ما كتبت الجرائد الهندية اذ لم يتيسر لنا جمعها وترجمتها فى مصر وكنا رغبنا الى عظيم من عظماء من عظماء مسلمى الهند وأعلمهم بقيمة الامام وأشدهم له حباً بأن يترجم لنا أهم ما كتبته جرائدهم فحالت الموانع — من مرض وسفر — دون اتحافنا بما كان يحب من ذلك .

﴿ القسم الرابع ﴾ نموذج من تأبين بعض العلماء والفضلاء كان نشر بعضه فى الجرائد (من ص ١٩٩ — ٢٣٥) بعد الوعد به

﴿ القسم الخامس ﴾ ماقيل فى حفلة التأبين والرثاء عند القبر (٢٣٦ — ٢٧٤)

﴿ القسم السادس ﴾ التعازى وهي نموذج مما كتب بعض المصريين الذين كانوا خارج مصر ونموذج مما كتب للمسلمون من سائر الاقطار (من ص ٢٧٥ــ٣٠٠)

﴿ القسم السابع ﴾ مراثي الشعراء مرتبة على حروف المعجم وقد اختصرنا أكثرها (من ص ٣٠١ — ٢٤٢)

﴿ القسم الثامن ﴾ ملحقان فى الأول منهما استدراك شيء تابع لقسم التعازى وهو تعزية مجلس شورى القوانين لاسرة الامام وما كتبه حموده بك فى جوابه وجواب تعزيتي محكمة الاستئناف والمستر براون . وفى الثانى استدراك آخر مع تابع لتأبين العلماء والفضلاء وهو تأبين اللورد كرومر فى تقريره الرسمى عن حال مصر الادارية والمالية وتأبين المستشار القضائي فى تقريره الرسمي عن القضاء فى مصر (ص ٤٢٣ — ٤٢٨)

رتبنا تأبين الجرائد فى كل فصل على ترتيب أسمائها بحروف المعجم وكذلك رتبنا تأبين المؤبنين على حسب أسمائهم الا ما شذ . وأما المراثي فرتبناها على حروف قوافيها قصائد كل قافية على حروف ناظميها ، وما شذ عن الترتيب فالسبب فيه تأخر ورود ما حقه التقديم ، أو الخطأ من المرتبين ، وقد وردت الينا تآبين ومراث أخرى بعد الفراغ من الفصول الذى قضي الترتيب بوضعها فيها فأهملناها ، ورأينا بعضها غفلا من التوقيع المعرف لصاحبها فأغفلناها ، وقد حذفنا كثيرا من الاطراء والزهديات فى القصائد التي اختصرناها .

وانا نقدم الى الأمة هذا السفر بالنيابة عن مؤلفيه ، من ساسة العصر ومؤرخيه ، وعلمائه وفضلائه ، وكتابه وشعرائه ، احياء لذكرى نابغتها الاستاذ الامام ، عليه من الله الرحمة والرضوان .

﴿ محمد رشيد رضا ﴾
منشئ المنار

أقوال الجرائد العربية

١

(أقوال جرائد القطر المصرى اليومية مرتبة على حروف الهجاء)

قالت جريدة الاهرام الغراء فى عددها ٨٣٠٣ الصادر فى يوم الاربعاء ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ و ١٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥

موت المفتى

الشيخ محمد عبده

البقاء لله وحده

مصباح أضاء فى عالم الادب والفضل والعلم ٢٧ سنة ثم انتابته الاسقام منذ أربعة شهور حتى اطفأت منه فى الساعة السادسة من مساء أمس نورا ساطعا كان يضؤل يوماً فيوماً بضئول جسمه والناس تروع فى كل صباح ومساء بقرب انطفائه وساعة اظلامة ، ولقد كان تسقط الاخبار عن صحة الشيخ محمد عبده فى هذا الاسبوع وما قبله الشطر الاكبر من مشاغل الامة المصرية . لأن الشيخ محمد عبده رجل « والرجال قليل » فتم انطفاؤه أمس فى منزل صديقه محمد بك راسم فى رمل الاسكندرية بعد آلام تحملها بالصبر والجلد فلم تهدم عزيمته قبل انهدام بنيته ، ولم تضع رشده وارشاده قبل أن تضع نسمة الحياة منه

فمات الشيخ الكبير والاستاذ النحرير ، والعالم الشهير ، مفتي الديار المصرية و « كل ابن انثي وان طالت سلامتد يوماً على آلة حدباء محمول »

فطار نعيه بعد آخر نفس لفظه الى جميع أنحاء البلاد فعرفت مصر انها خسرت رجلا عظيما مقداماً عالماً عاملا وتردد عليه الاسف من كل لسان . ووقف الجميع

مكلومى الافئدة وانظارهم موجهة الى تلك الجثة الخامدة. ولقد كانوا يختلفون فيه وهو حى، فهم مجمعون الآن وهو ميت على أن المصاب بهمصاب اليم والخسارة بموته خسارة قد لاتعوض - والمرء مذكور بحسناته - بل كيف لاتكون الخسارة كبيرة وقد كان في الشورى صاحب الفكر النقاد والرأى الصائب المقدم على كل رأى وفى اللجنة التشريعية صاحب المقام الأول ، وفي المجلس الأعلي للاوقاف الهادى المرشد ، وفى الجمعية الخيرية الاسلامية الرئيس المحيى ، وفى مجلس إدارة الازهر المصلح الهادى ، وفى عالم الادب العلم الذى يشار اليه بالبنان ، وفى اصلاح المحاكم الشرعية والاهلية العامل المجد العاقل، وفى كل أمر كبير الرجل المقدم المفضل ، فلا يتم فى مصر عمل كبير إلا ويده فيه قبل كل يد : وسعيه فيه قبل كل سعى . فاذا كان اختلاف فى سياسته بدءا أو نهاية فلا خلاف فى فضله وعلمه وجده وقد عرك السياسة دهرا طويلا حتى سمعناه فى الأيام الأخيرة يردد عبارة مأثورة عنه : « ما دخلت السياسة عملا من الاعمال الا أفسدته »

ثم ذكرت الاهرام مجملا من تاريخ حياته نذكر منه هذه الكلمة عن شأنه فى الثورة العرابية قالت

وفي سنة ٨١ بدأت الحوادث العرابية فتولى الفقيد رئاسة المطبوعات وعلت منزلته حتى قيل ان العرابيين كانوا لايبرمون أمراً دون استشارته وكان الفقيد ينكر كثيراً من اعمالهم وهو الذى حمى سراى رياض باشا وقتئذ

ثم قالت : للفقيد آثار أدبية كثيرة تتداولها الأيدى وترددها الالسن والاقلام ويضيق عن ذكرها المقام وجل آثاره العلمية الدينية تفسير القرآن وتطبيق العلم على الدين وهو مطلب صعب نسج فيه على منوال علماء الدين فى أوروبا ردا علي الدهريين الذين يتهجمون على الدين بالعلم ولقد نقل الينا أحد مريديه أنه نظم على فراش الاسقام فى الاسكندرية قصيدة منها قوله :

ولست أبالى أن يقال محمد ... أبل أو اكتظت عليه المآتم
ولكن دينا قد أردت صلاحه ... احاذر ان تقضى عليه العمائم

وللناس آمال يرجون نيلها　　وإن مت ماتت واضمحلت عزائم
فيارب إن قدرت رجعى قريبة　　إلى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً　　رشيداً يضيء النهج والليل قاتم

ثم ذكرت ما تلقته بالتلفون من الاسكندرية عن كيفية الاحتفال بالجنازة فيها وفى اليوم التالى نشرت لمكاتبها فى الاسكندرية فى ذلك مانصه :

مشهد الامام

ابتلى الله مصر بل الانسانية والضمائر الحرة والعلم والدين الصحيح بداهية تصفر منها الأنامل . فقدت مصر بعد ظهر أمس كبير أئمتها ورئيس الافتاء فيها وواحد علمائها الأستاذ الكبير الشيخ (محمد عبده) فلما وقع القضاء واسترد الله وديعته فطارت فى نحو الساعة الخامسة بعد الظهر تلك النفس الكبيرة إلى بارئها انتشر الخبر فى الرمل والاسكندرية انتشار البرق ووقع فيهما وقوع الصاعقة لان الناس على توقعهم لهذه الفاجعة كانوا يحسبون أن بنية الاستاذ رحمه الله تسمح للرجاء أن يبقى وطيداً بأن يكون يوم نعيه بعيداً . فخاب الرجاء وما هى بأول مرة يخيب الدهر فيها الرجاء .

ولما كانت الساعة العاشرة من صباح اليوم ماجت محطة الرمل فى الاسكندرية بالمئات والالوف من الجنود والعساكر البوليس والبحارة وتلامذة المدارس والمشيعين من موظفي الحكومة وكبار العلماء والذوات والاعيان من كل عارف بفضل هذا الفقيد العظيم معترف به ثم جيء بالجثة من الرمل يحفها الوقار والهيبة والاحترام فحمل النعش على أكتاف الرجال وتألف موكب الجنازة فسار فى المقدمة العساكر والجنود والبحارة وتلامذة المدارس وكان يتقدم النعش ويحيط به عدد من خيالة البوليس والسيوف مشهورة فى أيديهم ويتلوه رجال الحكومة وموظفوها وفى جملتهم عطوفتلو فخرى باشا وعباني باشا وبينهما صاحب الدولة رياض باشا ثم مظلوم باشا وأرتين باشا وغيرهم من كبار الموظفين وأصحاب المناصب السامية وكل ذى مقام ورتبة فى المدينة ودلائل الأسف والحزن الشديد بادية على كل وجه .

وسار الموكب على هذا النظام من محطة الرمل إلى شارع النبى دانيال إلى محطة الباب الجديد فأودع النعش فى المركبة المخصصة لنقله إلى القاهرة حيث يقام المشهد الكبير الرسمى رحم الله هذا الفقيد العظيم وألهم حضرات ذويه ومحبيه وعارفى فضله الصبر الجميل على فقده اه .

ثم قالت فى الاخبار المحلية من هذا العدد مانصه :

جنازة المفتى الشيخ محمد عبده

فى الساعة الرابعة تماما سارت الجنازة من محطة مصر على النظام الذى كان يشور به الفقيد استناداً على قوله « إكرام الميت بدفنه » فسار فى مقدمة الموكب فرسان البوليس بقيادة اثنين من ضباطهم ويلى الفرسان فرقة من مشاة البوليس بقيادة ٤ من ضباطهم ويليهم نعش الفقيد محمولا على الاكتاف وهو مغطى بشال من الكشمير وإلى جانبه الأيسر شقيق الفقيد حموده بك عبده مع بعض الأصدقاء ووراءه شقيقاه الآخران وبينهما صديقه الحميم ورفيقه وزميله فى كل أدوار حياته العلمية والسياسية الشيخ عبدالكريم سلمان . فالجنازة الحقيقية كانت مؤلفة من النعش وحامليه والمحيطين به . أما الجنازة الرسمية فكانت مؤلفة من البوليس الماشى أمام النعش فرساناً ومشاة ومن الذين يسيرون وراء النعش فضيلة قاضى القضاة يحيى افندى ووراءه قضاة المحاكم الشرعية وفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الشربينى شيخ الاسلام (١) ووراءه شيوخ إدارة الازهر والاروقة ثم جمهور كبير من العلماء الاعلام من شيوخ أحنى الدهر صعدتهم وكهول تجل الامة قدرهم وعلمهم وشبان غذيت عقولهم بعلوم الفقيد ودروسه وكان عدد العلماء وطلاب العلم الذين يسيرون وراء النعش نحو ثلاثة آلاف شخص على أقل تقدير ويليهم مستشار الداخلية المستر متشل ووراءه رؤساء أقلام الداخلية والمالية وجناب اللورد سسل وكيل حكومة السودان ووكيل نظارة الحربية ووراءه الضباط الكبار ورؤساء أقلام الحربية والسودان ووكيل محافظة

(١) الشيخ الشربينى اسمه عبد الرحمن ولم يشيع الجنازة لانه كان مريضاً كما سيأتى فى المؤيد . وقد عبرت هذه الجريدة وغيرها عن أخوته بالاشقاء ، وهم إخوته لابيه

مصر وحكمدارها ورئيس الضبط وكبار العمال والكولونل كولفيل قائد جيش الاحتلال وقنصل جنرال دولة ايران ومدير مصلحة الصحة وسعادة حسن باشا عاصم وكيل الجمعية الخيرية الاسلامية التي كان الفقيد رئيسها . وكبار عمال ديوان الأوقاف وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية الخ الخ

ويليهم سعادة ناظر الحقانية ابراهيم باشا فؤاد وسعادة وكيل الحقانية اسماعيل باشا صبرى والمستر برونيت نائب مستشار الحقانية وصفوت بك الافوكاتو العمومى ووراءهم حضرات قضاة المحاكم الاهلية ومستشارى محكمة الاستئناف الاهلية بأريائهم الرسمية التي يرتدونها فى إبان عقد الجلسات ورجال النيابة وحجاب المحاكم ويليهم طائفة المحامين أمام المحاكم الأهلية وهم يتشحون أرديتهم السوداء الضافية ويليهم جمهور لايدرك الطرف آخره من كبار الأمة وأعيانها وأدبائها وأفاضلها وكان البوليس واقفاً علي ممر الموكب من محطة مصر حتى الازهر بقيادة ضباطه لحفظ النظام فكان كلما تقدم الموكب زاد عدد المشيعين حتى إذا مادخلت الجنازة الموسكي أقفلت المخازن الكبيرة أبوابها ووقف التجار أمام مخازنهم للاشتراك فى المأتم ووقفت قطورات الترمواى نحو ساعة حتي لاتقلق الموكب فى سيره

فلما وصلت الجنازة إلى الازهر أذن المؤذنون من كل المساجد دفعة واحدة فزاد الخشوع وزادت العبرة فى جنازة كبيرة لم تر مصر أكبر منها لاشتراك الشعب كله بجميع طوائفه بها ولم تسمع فيها ضجة الفقهاء والعميان ولكن ذلك السكوت الذى كان سائدا كان أدعي الى العبرة وأظهر لهيبه الموت وأوعظ للنفس

وبعد الصلاة علي الجثة فى الازهر انتظم المشهد ثانية وسار الى قرافة المجاورين حيث ألحدوا الفقيد ولم يسمع بعد اضراحه ودفنه إلا صوت واحد لأحد الشعراء إذ قال وهو ينظر مودعاً ذلك القبر

قد خططنا للمعالى مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

ولم تقم ليالى المأتم عملا بوصية الفقيد وآرائه فنسأل الله أن يجزل ثوابه وأن يلهم آله وذويه وأصدقاءه وأمته بل كل مصر عزاء عنه وان يرزقها من أبنائها خلفاً له

وذكرت فى مكان آخر من هذا العدد مانصه

عن موت المفتى — مات الشيخ محمد عبده مفتى مصر أول أمس وورد تلغراف روتر بأن السير وليم موير مات أول أمس أيضاً والسير وليم موير رجل من كتاب الانكليز كان فى كتاباته وأقواله أعدى عدو للاسلام كما كان يعد الشيخ محمد عبده أكبر مدافع عن الاسلام . وورد من بلجيكا خبر وفاة الدكتور سيدناوى سميث المثرى الاميركى أصدق صديق للاسلام ومن أكبر أصدقاء الشيخ محمد عبده

وحدثنا أحد أفاضل الايرانيين بأن فلكياً مصرياً تنبأ عن وفاة المفتى فى هذا العام فى نتيجة فلكية تعرف بنتيجة الزرقاوى وقدطبعت منذ ثمانية شهور فأخذنا تلك النتيجة الصغيرة فاذا فيها أقوال على شكل القصيد فيها هذان البيتان

ألا يارحمة الرحمن صبى ... على قبر حوى روح الامام
ويا ذا الازهر اندب ليث غاب ... فمن يفتى إذا الاستاذ نام

والمتعارف بين الكتاب الوطنيين أن المفتى كان يعرف بينهم بلفظة الامام و بالاستاذ الحكيم فما أغرب الصدف

وقالت جريدة البصير الغراء فى عددها ٢٣٧٣ الصادر ذلك اليوم

رزء عظيم

تحزن البلاد المصرية فى هذا اليوم بل العالم العربى بأسره حزناً شديداً لوفاة العلامة المفضال الشيخ محمد عبده مفتى القطر الذى عرفت روحه الطيبة بقدر عزتها ووجوب بقائها فأقامت مدة تتردد منه بين السحر والنحر حتى غلبها قضاء باريها واسترد هامنه معطيها ، فراح تندبه الصحائف والاقلام ، وتنوح عليه صحة المدارك والافهام ، وتأسى على عمره بواقى الأيام

ألمت بهذا الفقيد الحميد علة ماكان أحد يتوقع أنها تفضى إلى هذه النتيجة المحزنة وقد جاء من أجلها إلى هذا الثغر يعالجه فيه نطس الاطباء فما أغني علاجهم شيئاً ولا دفع طبهم مقدوراً فمات منتزعاً من بين آمال ألوف كانوا يرجون الله

طول البقاء وامتداد الأجل ليستفيدوا من إصلاحه ويستنيروا بارشاده . لأنه رحمه الله كان فى مقدمة العاملين على إصلاح شؤون المسلمين بالخصوص وسائر بنى الشرق بالعموم ولهذا يعد فقده خسارة حقيقية لو يدرى الغافلون

ومصيبة حمل الخليفة شطرها * والمسلمون وشطرها الاسلام

أما الشيخ محمد عبده من جهة إصلاحه الدينى والدنيوى فمشهور جدا حتى يمنع اشتهار أمره عن ذكره ثم هو مشهور أيضاً بالبلاغة والفصاحة وحسن الانشاء والترسل وصحه الإدراك وسلامة الذوق وله من قلمه على ذلك أدلة كثيرة وشواهد عديدة حتى أنه لو لم يكن يشغل منصب الافتاء لكان يشغل أسمى مركز بين أولى الآداب وحملة الأقلام ولهذا يندبه المستهدون والمسترشدون ، ويتطلعون فيرون قد بكى بكاءهم الكاتبون والمتأدبون ، وناح نواحهم الشعراء المجيدون . ذلك هو الشيخ محمد عبده الذى فيه يمترون ، نسأل الله تعالى أن يتلقى روحه الطيبة بإحسانه وكرمه فلقد كان محسناً كريماً ، وأن يتغمده بفضله ورحمته فلقد كان فاضلا رحيما ، ولا نسأل لقومه الكرام وحدهم الصبر والعزاء ، فإننا قد غدونا جميعاً فى المصيبة شركاء ، وقد تقاسمتها الأقطار العربية بالسواء ، وتألمت لها جميع المذاهب والأديان إذ ليس للفضل الصحيح مذهب ولا انتماء

أما مشهد دفنه فقد كان نادر المثال فقد حمل من رمل الاسكندرية على الكهرباء يصحبه المئات من ذوى الوجاهة ولم يبلغ محطة الاسكندرية حتى تكوف السكان جميعاً فى محطتها وفى مقدمتهم عطوفتلو فخرى باشا القائمقام الخديوى ونائب رئيس النظار مع حضرات النظار ودولتلو رياض باشا ونجله محمود باشا ورئيس محكمة الاستئناف الأهلية وقضاة محكمة الثغر الأهلية بشارة المحكمة الرسمية إذ كانت قد أوقفت الجلسة حدادا عليه ثم سعادة ناظر الأوقاف ووكيل نظارة المعارف ووكيل حضرة اللورد كرومر وبعض مستشارى محكمة الاستئناف المختلطة وغيرهم من كبار رجال الحكومة وفضيلة شيخ علماء الاسكندرية وقاضيها وجميع علمائها الأفاضل وكل ذى مقام محترم فى الاسكندرية عدا كبار القوم الذين حضروا من العاصمة وسائر جهات القطر لوداع الفقيد الوداع الأخير فحمل نعشه المجلل بالكشمير الثمين

على أكتاف القوم يتقدمه بعض رجال البوليس بين خيالة ومشاة ومن ورائه شقيقاه الأسيفان وسائر هذا الجمع الذى يعد بالألوف بين صفين من العساكر ورجال البوليس وأولاد المدارس من شارع الرمل فشارع النبى دانيـال فشارع محطة مصر حيث أودع نعشه عربة خصوصية وأخذ المشيعون يذرفون الدموع ويعزون بعضهم بعضا على هـذا المصاب الأليم ثم تفرقوا آسفين وقد شيع الفقيد إلى العاصمة وفد مؤلف من ٦٠ وجيها من وجهاء الاسكندرية يتقدمهم شيخ علماء الثغر والقاضى وبعض العلماء الكرام الخ

وقالت جريدة الشرق الغراء فى عدد ٥٥٠ الصادر يوم الأربعاء ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ و ١٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥

الامام الحكيم

ودعناه

ودعناه وقد نال منه المرض وأطبق عليه الموت وأذابت كبده الأوجاع والآلام فلا والله ماوجدنا مثل وجهه إشراقا

ودعناه والذى أصابه لو نزل بالدنيا لكانت كلها دمعاً ودماً . فما سمعنا للامام الحكيم توجعا ولا أنينا وما وجدناه إلا شجاعا بطلا

أخذ سقراط كأس السم فشربه مبتسما . فقالوا مات سقراط كريما ، وإنما أخذ سقراط السم مكرها قضى عليه قضاء محتوماً .

وأخذ الامام الحكيم كأس الهم من الأزهر لم يحكم عليه بها من شعب ولا من حكومة ولم تقدم له إلا من أيد أثيمة ذميمة فكان وهو يجود بنفسه الكريمة يستغفر للذين قتلوه ويشفع لهم عند الذين أحبوه وأكرموه فالامام مات كما عاش كريماً حكيما .

نعم مات الامام

مات العلم والعمل والهمة والاقدام . مات الاستاذ الأعظم والمصلح الأكبر

الشيخ محمد عبده فانطفأت بموته أشعة العلم والذكاء ، وباتت من بعده سوداء ظلماء ،
نبكي الامام الحكيم ماذكرناه ، ونبكي مصر مابكيناه ، إن حزننا عليك يا امام المسلمين وكبير المفكرين ، لتهون في جنبه جميع الاحزان ، وتخف بازائه كل مصائب الانسان .

نشفق على مصر لأنها فقدت بموت هذا الامام ، أغلى درة في تاج الاسلام ، نشفق عليها لأنها فقدت الرجل الذي قال عنه وكيل فرنسا السياسي في الجزائر سابقاً: إنه لو كان في المسلمين عشرون شيخاً مثل الشيخ محمد عبده لاعتز الاسلام جانباً وكبر شأناً ولرضيته لي ديناً

أضعناك يا أستاذ وأي الرجال أضعنا . أضعنا النفس الشريفة والروح العالية . أضعنا الذي كان يخرج من منزله في كل صباح وفي جيبه بيان حاجات الناس فلا يبرح عن سعيه هنا وهناك حتى يقضيها، ثم يعكف على خدمة الجمهور، فيفني نفسه بها ويفني حياته فيها

أيها الامام انك قد مت شهيداً ، ولكن يكفيك أنك قد حاربت الجهل وخدمت الأمة، فأنت تغيب اليوم في السم، مستريحاً ، فيارجيم الخطوب إن أفق العلى بغير شهاب ، ويافقيد العلم والآداب ، لقد شقت عليك مرائر العلم والآداب ، ويامن حملوك على الرقاب ، لقد كان فضلك طوق الرقاب

عليكم سلام الله ماذكر اسمكم وذلك بين الناس آخره النشر

لبى دعوة ربه في الساعة الخامسة من مساء أمس

فساوى قلوب الناس في الحزن رزؤه كان صدر الناس في حزنه صدر
فان أظلمت أرض الشآم لحزنه فلم يخل من ذاك الصعيد ولا مصر

وقد أحاط به الآسون يبغون طبه ، وراموا بأنواع العقاقير برأه ، فلم تنجع فيه حيلة وكانت وفاته بعلة استحكمت من مدة بعيدة ،وهي تورم في الكبد طغي على على البطن بكبر حجمه واختلطت علته بالدماغ بسبب تسمم الدم بما يسمونه «اسيدتونومي» أي العلة الحلية،فأصيب بالسهو والغيبوبة وسائر الاعمال العصبية، ولما فاضت روحه الكريمة أسرع عطوفة وكيل قائمقام خديوي الى نعيه للجناب العالي في ديفون

ثم عقد مجلس النظار فى سان ستفانو للمداولة فيما يجب اتخاذه من التدابير لتشييع الجنازة فى الاسكندرية ومصر وحضر جناب وكيل المالية خصيصاً لحضور هذه الجلسة فتقرر أن تكون النفقات على الحكومة وأرسل عطوفة وكيل قائمقام خديوى رسائل برقية الى محافظ العاصمة لاتخاذ التدابير التى تقررت فى جلسة النظار وللتحتيم على جميع موظفى الحكومة بحضور تشييع الجنازة وأرسل الأوامر الى المديرين لاستقبال الجثة فى المحطات التى تمر بها مع عمد البلاد ومشايخها

وفى الساعة العاشرة من صباح اليوم وصلت الجثة من الرمل الى الاسكندرية فشيعت الى محطة مصر من شارع المسلة إلى شارع النبي دانيال فالمحطة بموكب حافل مهيب يتقدمه ثلة من فرسان البوليس فتلامذة مدرسة الشبالين ففرقة من البوليس المشاة ثم النعش يتقدمه أخوة الفقيد وأصهاره ويتلوه عطوفة فخرى باشا بالنيابة عن الحكومة المصرية ودولة الوزير الخطير رياض باشا ثم أصحاب العطوفة والسعادة عبانى باشا ومظلوم باشا ويعقوب باشا أرتين وعبد الحليم باشا عاصم وابراهيم باشا نجيب وصالح باشا ثابت وجميع رجال القضاء الأهلى والشرعى والعلماء وغيرهم من كبار رجال الأمة وجميع أعيان الاسكندرية تسير وراءهم جموع لاتحصى

وكان يسير على جانبى الموكب جميع تلامذة مدارس العروة الوثقى وجنود خفر السواحل وفى آخر الموكب فرقة ثالثة من فرسان البوليس حتى وصلوا الى المحطة فنقلت الجثة إلى قطار خاص سار بها الى العاصمة وكان يتولى إدارة الموكب وكيل المحافظة

وقد ورد الى شقيقه حموده بك عبده كتاب من متولى أعمال الوكالة البريطانية أعرب فيه عن أسفه بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن جناب اللورد كرومر وأصدر سعادة ناظر الحقانية أمره إلى قضاة المحاكم الاهلية والمحامين أن يشيعوا الجنازة بكساويهم الرسمية

ترجمة الفقيد

ولد الفقيد الكريم من أبوين فقيرين من أهالى محلة نصر بالغربيـة كان يضرب بهما المثل فى الورع والشهامة واكرام الضيف حتى كان بيتهما بغير باب وكان الاستاذ يفتخر بذلك كثيرا . ومما يؤثر عن كرمهما ان ضيفا وفد عليهما صباح يوم ولم يكن عندهما شىء من الزاد لفقرهما فقدما له اللبن الذى كان معدا لغذاء الفقيد وهو صبي فى المهد فأمضى الفقيد نهاره جائعاً باكياً

ولد رحمه الله عام ١٨٤٥ . فلما بلغ السابعة من عمره ظهرت عليه علائم النجابة والذكاء فلم يشأ أبوه له أن يكون فلاحاً كاخوته بل شاء أن يعلمه فأدخله إلى كتاب فى القرية فاختلف اليه الفقيد مكرهاً ولم يدع أحداً من أهل القرية الا توسل به الى أبيه أن ينظمه فى سلك اخوته فلاحاً فـكان يأبى عليه ذلك ويصر على تعليمه إصرارا . وكانت النتيجة من هـذا وذاك الفقيد رحمه الله لبث بهذا الكتاب ثلاث سنين لايحفظ مما يلقى الفقيه حرفا

وفى عام ١٨٤٨ أدخله أبوه الجامع الاحمدى فلبث به ثلاث سنين أخرى كانت النتيجة منها مثل الأولى . فلما أعيى أباه أمره أرسله إلى الجامع الأزهر فمكث فيه عامين ولايدرى مما يلقن شيئاً

قال الاستاذ فى تعليـل ذلك : إن الذى كان يعوقنى عن تفهم المقصـود من هذه الشروح والمتون ثلاثة أمور . الأول رغبتى فى أن أكون مثل اخوتى فلاحاً وعدم وجود الوسائل التى ترغبنى فى العلم . والثانى اخلال نظام التدريس بحيث كنت أسمع الشيخ وهو يدرس فأحسبه يتكلم بلغة أجنبيـة . والثالث ما اتفق عليه الطلبة من مضايقة معدهم بالأغذية الضارة مما يكون منه اعتلال الجسم والفكر معاً

فلما لم يجد الاستاذ مناصا من إرادة أبيه خلا بنفسه واجتمع بفكره وذكائه فهان الأمر بعد ذلك عليه وأصبح مايحصله رحمه الله فى يوم واحـد من هـذه الدروس المعقدة المشوشة مثلما يحصله سواه فى عام أو عامين . ومما يروى عن ذكائه أنه لم يمر عليه شهر فى درس كتاب الكفراوى فى النحو حتى بدا له شىء من غلط

الكتاب وتناقضه فى بعض المواضع فنبه شيخه إلى ذلك فاعترف معه به ولكنه قال انما ندرس هذا الكتاب تبركا

ثم جاء السيد جمال الدين الافغانى إلى مصر فاجتمع به الفقيد وأخذ عنه كثيرا من فلسفته وعلمه وكان السيد جمال الدين يقول عنه إنه أنجب تلاميذه وإنه لمصر أقوى من اسطول وأعز من جيش . ولقد لبث السيد جمال الدين بمصر عشر سنين فكان فقيدنا ساعده الأيمن لايكتب السيد موضوعاً علمياً إلا بروح الفقيد وقلمه ولايجادل جدالا فلسفياً إلا كان فيه شيء من ذكائه وفكره . ولما طرد السيد جمال الدين قال وهو فى سجن السويس منتظراً الباخرة التى تحمله منفيا: إنى تركت الشيخ محمد عبده وكفاه لمصر عالماً

وكانت أولى الوظائف التى تولاها الفقيد رحمه الله تحرير الوقائع المصرية وكانت فى عهده آية الاعجاز فى الانشاء ثم عين مديراً للمطبوعات المصرية . ولما عزل المغفور له اسماعيل باشا وتولى رئاسة النظار دولتلو رياض باشا قرب الفقيد اليه واتخذه مستشاراً فالذى تراه الآن من آثار رياض باشا الحسان إنما هو من فكر الاستاذ رحمه الله . حتى كان ما كان من تلك الثورة العرابية فبذل جهده فى إقناع أهلها بسوء عاقبتها حتى هموا كثيرا بقتله وهو مع ذلك لم ينفك عن النصح والارشاد ومما يرويه التاريخ دليلا على جهل الذين قاموا بهذه الثورة وعلى بعض مابذله الفقيد من العناء فى سبيل الاقناع انه لما جاء الاسطولان الفرنسوى والانكليزى إلى مياه الاسكندرية اجتمع الثائرون فى منزل عرابى يضحكون من أوربا ويهزأون بقواتها فوقف الاستاذ رحمه الله خطيباً فيهم وعرفهم ماهى أوربا وماهى فرنسا وانكلترا وما هى قواتهما البرية والبحرية فقاطعه عضوان من أعضاء مجلس النواب حينئذ وهما عبد الحميد بك البطاش العضو النائب عن الاسكندرية وسائر الثغور المصرية والسيد احمد محمود النائب عن مديرية البحيرة وقالا له ان أهالى السيالة وابى حمص وحدهم ليقاومون قوات الدولتين اللتين تذكرهما فاخرج من مجلسنا أو قتلناك صبرا

ثم هدأت الثورة بعد الاحتلال فاتهم الفقيد ظلماً انه كان من رجالها فنفى

الى الشام فلبث فيها عاما ثم دعاه السيد جمال الدين الافغانى إلى مدينة باريس فاصدرا بها جريدة العروة الوثقى ثم عاد الفقيد إلى مصر بعد أن تبينت براءته للحكومة المصرية، فعين قاضيا جزئيا فى المحاكم الاهلية، ثم مستشاراً فى محكمة الاستئناف ثم عين مفتيا للديار المصريه فكان فى جميع الوظائف التى تقلدها بحراً من العلم والفضل

أما أعماله النافعة فكثيرة لا يحيط بها بيان نذكر منها تدريسه القرآن الشريف بما لم يسبقه اليه أحد حتى كان شرحه له وتفسيره شرحا علميا عصريا خاليا مما حشاه السابقون. ومنها أعماله فى مجلس الشورى وهي كل حسناته وغاية غاياته. هذا عدا الافتاء والتأليف الذى منها رسالة التوحيد الشهيرة وتفسير جزء «عم» والرد على الدهريين: ولم يقف عند هذا الحد رحمه الله من الاعمال النافعة بل وجه نظره الشريف الى الازهر فأصلح ماقدر على إصلاحه وكان والمرض يساوره يشتغل بمشروع مدرسة تخريج القضاة الشرعيين ثم انه كان فوق هذا الاشغال الكبير يكاتب المجلات باعظم الموضوعات الادبية والعلمية مما كان له شأن كبير فى العالم كله. نذكر من ذلك رده على المسيو هانوتو وعلى بعض مقالات ظهرت فى الجامعة. وله عدا ذلك كله مساع مشكورة وأعمال انسانية انتفع بها خلق كثير هم الآن يبكونه معنا ويذوبون عليه حزناً

هذه أعماله إجمالا. أما أخلاقه فاخلاق عمر. انه كان حليما واسع الصدر كريم النفس إلى درجة متناهية، فما قصده ذو حاجة الا سعى له سعيها حتى يقضيها له وما أساء اليه إنسان إلا اجتهد أن يقابل الاساءة منه بالاحسان

نذكر من ذلك أن السيد عبد الرحيم الدمرداشى جاءه يوما فقال يا أستاذ إن عدوك فلاناً حقد على لقربى منك فهو ساع للايقاع بى فاجابه المرحوم اصبر على الى غد. وأن الرجل فى منزله الساعة الحادية عشرة اذا الاستاذ يطلبه بالتليفون فلما رآه قال انك اوجدت فى نفسى شيئاً من الذى شكوته إلى ولم اتعود ان ابيت ليلة وفى نفسى السوء لاحد. ومنها ان دولة البرنس سعيد حليم زاره فى مرضه الاخير غير مرة فكان يلح عليه الاستاذ رحمه الله أن يعطى للعلماء استحقاقهم

مع أن علماء الازهر كما تعرف عاكسوا الشيخ وحاربوه بكل سلاح

ولقد كان أنجال المشايخ فى الازهر يتناولون مرتبات آبائهم بالوراثة فرأى الاستا فى ذلك غبناً للعلماء لأن هذه المرتبات إنما هى وقف عليهم فاعاده الاستاذ إليهم وعوض أنجال المشايخ عنها بما كان يجمعه لهم بسعيه فى رأس كل شهر من أمواله وأموال محبيه : ولقد شوهد وهو ساع هذا السعى عقب اعتزاله الأزهر وقيام الشيوخ فى وجهه محاربين فأعظم بهذا كرما وحلما

ولقد كان رحمه الله وطنياً بحقيقة معنى الوطنية وكان لاينى له عزم فى كل ادوار حياته عن ترقية الامة وإصلاح شؤونها . وانا رأيناه فى مرضه فما سمعناه يذكر عن مرضه شيئاً وكانه غير مريض. وما سمعناه إلا محدثاباحسن المواضيع النافعة للامة والبلاد وله حسنات غير ذلك كثيرة لاتحصى ولا تعد وهى تدل على أن الرجل رحمه الله كان كبير الهمة واسع العلم شديد الغيرة على الامةوالبلاد

وقالت جريدة الجوائب المصرية الصادرة فى ذلك اليوم (*)

هو الحي الباقى

لااغراق اليوم فى قول الرائى : قد انهد ركن للعلم ودك طود للفضل

مات الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الذى كان بلا خلاف أذكى القوم فؤاداً واشد عارضة واجمع لمعرفتى الدين والدنيا وأعمل عالم لقصده وقصده فوق مطلب زمانه

استأثرت به رحمة ربه البارحة فى نحو الستين من العمر وكان متين البنية لولا العلة العارضة لعاش دهراً طويلا ولكن لكل أجل كتاب

وكان احسن الله اليه سمح الوجه حلو الحديث جهورى الصوت جاده فى الخطبة . اذا تكلم فى الجمع رقى فى معناه ورق فى مبناه وأطرب برنته وأثر بنقاد نظراته الساطعة

(*) تأخر تأبين الجوائب عن تأبين الشرق سهوا

وكان كاتباً اذا استل القلم فى غارة شعواء كغارته الاخيرة فى الدفاع عن الاسلام ومقاتلته المتهجمين عليه لم يبق نادة من قضايا الكلام ولم يذر شاردة من مستحدثات الجدل الا استثارها من مكمنها وأرسلها على خصمه حججا دامغة وبراهين قاطعة

فأما فى الشرع الشريف فله تفسيره للقرآن العظيم وهو على كونه لم يخرج عن تفاسير المتقدمين فى مضمونه إلا أنه بلغ فيه الغاية فى سهولة التعبير مع حسنه ومن جدة الترتيب مع القرب إلى الاجتهاد

وأما فى الفقه فله من محكمات الفتيا مايدل على إلمامه باطراف المسائل المتشعبة وأخذه بالاوطد أو الارجح منها فى الغالب من الامر .

وله رسالة فى التوحيد من طالعها علم مقدار فضل الرجل ورأى آثار ذكائه وبحثه فى كل صفحة من صفحاتها

ومن غرائب عصره : أنه خرج منه على ذلك التوسع فى العلوم الشرعية وعلى ذلك الاقتدار فى التحرير والتحبير وقلما اتسقت لسواه هاتان المزيتان في الغابرين من سابقين ولاحقين

وكانت له فيما عدا الآنف ذكره مشاركات عظيمة النفع في العلوم الطبيعية كما أشرنا إلى ذلك وفي الفلسفة على ضروبها وفى القوانين الموضوعة

تعلم اللغة الفرنسويه بعد الاكتهال فلم تكن الا بضعة شهور حتى أحسنها تكلما وكتابة ولم يكن الا زمن بعد ذلك حتى كان يخيل لسامعه انه تلقن ذلك اللسان وهو رضيع فى المهد لتصريفه الخطاب فيه على أغرب وألطف ماامتاز به أهله في مكالماتهم

أما أخلاقه

فقد كان وفيا لصديقه شديداً على عدوه وعلى خصمه وكانت معه رصانة وتؤدة . وربما لان لحاجته الى الضعف وربما قسا لها الى الصلابة (١)

(١) يراجع الكلام عن أخلاقه في كل تأبين وفى جزء الترجمة . نعم ان

وكان مدفوعاً بفطرته الى العمل العظيم . بدأ بهذه الخطة منذ عهده بالسيد جمال الدين الأفغانى فى مصر معاون لسان وفي باريس معاون قلم وتابعها فى الحوادث العرابية التى كان له وحده فيها مرام أبعد من مرامى نظر الآخرين فلما عاد من المنفى وقد عظمت فيه صولته الفكرية مما لقى من اجلال أكابر الشام وأعلامها تولى منصب قاض جزئى فلم يأنف منه لعلمه انه درجة له فى سلم رقى بعيد الشأو، ثم نهض إلى أن نصب قاضياً فى الاستئناف فشرع فى تمهيد الحركة الجديدة للازهر

وبعد أن أصبح عضوا فى مجلس ادارته وألقيت اليه مقاليد الافتاء كشف عما ينويه وهو جليل

كان ينوى أن يجعل الأزهر منارة للعالم الأسلامى كله لافى علوم الدين وحدها بل فى علوم الدنيا منضمة لها معززة اياها في قتال الحياة

وقد لقى فى هذا الميدان الأخير من ميادين جهاده ماأربت مصاعبه ومتاعبه على ما سبق له اضطلاع به فلم يفلح إلا في القاد كلمة الأساس الفكرى وسقط مجهودا قتيلا لأسباب ليس مقام التأبين محل ذكرها ولكن سيقول المؤرخون لها بعد حين ان عهدتها لاتقع الا على رقاب بعض الذين تقربوا اليه متسلحين على كياسته وكرم أخلاقه بسماجة الغلظاء وعبودية الأرقاء (١)

* * *

فالرجل الذى فقدته مصر اليوم رجل حزم وعلم وعمل ، رجل نسيج وحده

الفقيد كان يستهين بكل عظيم يقف فى طريق الأصلاح ولكنه لم يعاد أحدا عداوة شخصية وكان يخدم مبغضيه لاسيما إذا لجأوا اليه فكان أعظم من عرفنا حلما وكرما وصفحا

(١) لم يجد الاستاذ الأمام من الأعوان على عمله فى الازهر من ينهض معه به وقد تقرب منه أناس فكانوا آفة العمل لا آلته ولصاحب الجريدة هوى فيما قال وإن وافق معنى صحيحاً فى الجملة

فى كثرة معارفه وشدة سعيه إلى غايته . إذا جاوره بعضهم فى المرتبة العليا من العلم بالدين أو جاراه بعضهم فى حب العمل وتذليل كل عقبة دون الخدمة العامة التى آثرها فلا مثيل له فى الجمع بين تلك العلوم الواسعة وتلك الخلال العظيمة

لهذا نبكيه كما يبكى كل عظيم راحل ونسأل الله أن يرحمه كثيرا وان لايجعل فقدانه وفقدان أمثاله من قادة الأمة وسراتها يتما طويلا لهذه الأمة المحتاجة الى العلم والى العمل خليل مطران

(ثم ذكرت الجريدة شيئاً عن الاحتفال بتشييع الجنازة وتلغرافات من الجهات تنبىء بالحزن العام)

وقالت جريدة الظاهر الغراء فى عدد ٤٩٩ الصادر فى ذلك اليوم

الخطب الجلل

وكانت فى حياتك لى عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا

أرأيتم كيف تزلزل الأرض زلزالها ، أعرفتم كيف تقذف الأقدار أهوالها ، أسمعتم كيف ينفخ فى الصور ، أشهدتم كيف ترتجف بأهلها القبور؟ يوم أمس وما أدراك مايوم أمس ، يوم صوح نبت مصر وغاض نيلها وانقطعت روح هوائها ، ولطمت كف أرضها وجه سمائها ، وصاح جامدها ، وأخرس ناطقها ، وبكى كل ذى حياة فيها فقدان جوهر الحياة وأدب الحياة وعلم الحياة وفضل الحياة

أجل نعق ناعق العدم ، بما القضاء به حتم ، من قبض نفس حكيم الأمة ورب الشمم صاحب قلم الحكمة مفتى الديار الاستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فكأنى بعلم العلم وقد هوى ، وكوكب الفضل وقد خوى ، ورفعة المجد وقد خرت منكبة على وجهها خاشعة ، وعزة الحمد قد لبست شعار الحزن ومهجتها متصدعة وشؤونها هامية هامعة ، فلا وربك ما ألم الاسلام فى عصرنا هذا لرزء ألم ، كرزئه بفقيدنا اليوم

فقيدنا اليوم كان الوقور الأعلى فى منازل الرئاسة ، الدليل الأذكى فى طرائق السياسة ، الجليل الأكمل فى مواطن الكياسة

نهض الفقيد بأعباء خدمة الاسلام وإصلاح حال الأمة المصرية نهضة تزحزح دونها رجال العصور على تطاول كرورها فما ونى ولافتر ولم توقفه اللائمات ولم توهن عزائمه الصعاب فضرب من أجل ذلك بكل سهم من أسهم السعى المحمود فما ترك شأناً من الشؤون إلا وأجال فيه رويته ، وأمضى فيه عزيمته ، حتى كأنه وهو فرد مجموع أمة بما فيها من مصالح دينية وأدبية ومادية وعلمية وسياسية

تقلد القضاء فظهرت على يديه العدالة ناصعة راجحة وبسط يد التدبير إلى أوقاف المسلمين فكان أحفظ حفيظ على اليتامى والمساكين وأصحاب الحقوق وبعث فى صدور الناس الحمية لاقامة مبانى المدارس وتثقيف الافهام وتهذيب النفوس فهبت الآداب والعلوم من مكامن خمولها وكان هو القائد لنهضاتها وما اكتفى بذلك حتى أقام نفسه مقام المدرسين فألقى فى أجل الجوامع وأكبر المجامع على الالوف من التلامذة أنواع العلوم العالية

وأما مآثره فيما عهد اليه من أعمال مجلس شورى القوانين ومجلس إدارة الأزهر والجمعية العمومية ورئاسة الجمعية الخيرية الاسلامية ورئاسة لجنة إصلاح المحاكم الشرعية فذلك مما يعجز القلم مهما بلغت بلاغته عن إحصاء القليل الاقل من قطره فضلا عن الكثير . وحسب الأمة المصرية قولا أن جميع مايعنيها من الشؤون الهامة والمصالح العامة لم تكن لتوجد وان وجدت لم تكن لتتقدم فى فلاح لولا أن أتاح الله لها تدبير فقيدنا الحكيم . ولو لم تذكر له من جميع هذه الخدم الكبرى إلا قيامه دون سائر علماء الاسلام بالرد على رسالة هانوتو التى جاءت مشنعة على الاسلام والمسلمين ، وتمنى فيها هانوتو أن ينقض قبر سيد المرسلين ، لكفاه ذلك عند الله ذخراً وأجراً ، وبين الامم الاسلامية فضلا وفخرا

وكان الله ـ جاده غيث رحمته ـ من أكرم الناس خلقاً وأرفعهم نفساً . وأخص ماعرف فيه من محامد الصفات الصفح والتجاوز وذلك لايكون من مثله على رفعة مقامه وقوة كلمته إلا لاحدى خلتين كلتاهما من أشرف الخلال — الشمم المستلزم

لعزة النفس واحتقار الانتقام . أولين العريكة المستلزم للحلم والأناة والتواضع

تلقى علوم الشريعة فى الأزهر الشريف على مذهب أبى حنيفة النعمان فنال منها ما أصبح به أهلا لتقلده منصب افتاء الديار المصرية وتلقى فيه من علوم العربية وفنونها ، ماوصل به الى الغاية التى لم يدركها إلا القليل من أساطينها ، وتلقى علوم الحكمة على حكيم الشرق المرحوم السيد جمال الدين الافغانى فكان أسبق النابغين من تلامذته ومازال يزاول فروع الحكمة حتى وصل فيها إلى الشأو البعيد »

(ثم ذكرت الجريدة ترجمة للفقيد فى ثلاثة أنهار من أنهارها نستغنى عنها بما تقدم فى الجزء الأول وما سيأتى من تأبين ذكرى الاربعين)

ثم ذكرت من أنباء الاسكندرية ماياتى :

بينا الناس عندنا يسألون الله سبحانه وتعالى أن يمن بالشفاء التام على فضيلة مولانا المرحوم الاستاذ الاكبر والعلامة الجليل الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ويدعون له بطول العمر والبقاء إذفاجأهم النبأ المشؤوم فى منتصف الساعة السادسة بعد الظهر بانتقاله من الدار الفانية إلى تلك الدار الباقية فعم الحزن والأسف جميع القلوب وسيحتفل بتشييع جنازته فى صباح الغداحتفالاعظيمايليق بقدره الجليل إلى المحطة حيث تنقل جثته الى العاصمة على قطار خاص فرحمه الله رحمة واسعة وعوض الامة الاسلامية فيه خيرا

هذا وقداهتم جناب الحكمدار وحداية بك بترتيب المشهد رسميا بالصفة الآتية :

(١) جئ بالجثة من الرمل الى محطة المسلة فمحطة الباب الجديد عن طريق شارع النبى دانيال فأقلها القطار الخصوصى الى مصر وعينت القوة الآتية للمحافظة على النظام

(٢) الضباط وجميع الصف ضباط والعساكر الخالين من خدمة بلوك السوارى

(٣) من ضباط وخمسين صف ضابط وعساكر من بلوك الخفر (بلوك السوارى تكون امام وخلف السرير)

(٤) عشرة سوارى تلازم سرير الفقيد خمسة على اليمين وخمسة على اليسار

(٥) الشوارع تكون مصطفة بالبوليس والمسافة بين كل واحدمنهم ٢٠ خطوة

(٦) القوة الآتية اجتمعت بقسم العطارين للخدمة وهى

اليوزباشى على افندى فهيم — اليوزباشى حسين افندى لطفى — واليوزباشى فافيرو، والملازم الأول ديدمان

ومن الأقسام القوة الآتية

من محرم بك	١٤	كونستابل وصف ضباط وعساكر
العطارين	١٥	« « « «
المنشية	١٥	« « « «
الجمرك	١٤	« « « «
اللبان	١٤	« « « «
مينا البصل	١٥	« « « «
كرموس	٩	« « « «
أساس المخازن	٦	« « « «
أساس الورش	١	كونستابل
مراسلات المحافظة	٨	صف ضباط وعساكر
السكة الحديد	٤	« « «
البوستة	٣	« « «

وفوق ذلك جميع بوليس المجلس البلدى — كل هذه القوة تحت امرة جناب مساعد الحكمدار وبمعاونة الصاغ (أوكلهم) والصاغ ريماندا

وتقرر أن يقوم مأمور قسم العطارين مع الجثة فى القطار الخصوصى إلى محطة مصر وأن يلبس الضباط كساوى التشريفة والعساكر الالدوانات والمداليات

هذا ماورد إلينا اليوم بالتليفون من وكيلنا الاسكندرى

(وقالت فى عدد ٥٠٠ الصادر فى اليوم التالى مانصه)

فقيدنا بالامس

من أشرف على مشهد الفقيد رجل الأمة الاسلامية وواحدها ساعة برز

النعش بجثته الطاهرة من المحطة يوم أمس تحمله عوانق الجلال والكرامة ، وتسانده اكف الوقار والشهامة ، ويحف به كبراء أهل العلم والفضل ، وتتبع خطواته امراء أرباب الرئاسات والنبل ، وعاين ما انتشر هناك من الوف الخلائق فى رحبات الساحات ، وما انتظم من صفوف المواكب فى الطرق البعيدة المسافات ، واستشعر مهابة ذلك الموقف وجلالة تلك الحضرة علم أن الأمة المصرية ومن فى منازلها يمشون فى جوانب عميدهم ورئيسهم الاكبر وأن الاسلام يشيع أعز أنصاره ، وأمنع من يذود عن حوزة دياره وشرف شعاره ، مما لم يسبق له مثيل فى جيلنا هذا . وكذلك مراتب المجد ، ومنازل الحمد ، ينالها فى الحياة . وتبقى لهم حديث صدق بعد المات ، من تصدق عزائمهم فى إسعاد البلاد ، وتزكو سرائرهم فى إرشاد العباد . ويقضون أنفاس الوجود فى إعلاء كلمة الدين وتقوية شوكة الأمة . فلا غرو إن نال الاستاذ الحكيم فقيدنا أسنى تلك المراتب ، فانه أعطى أجل المواهب ، و « لمثل هذا فليعمل العاملون »

قبضت إلى رضوان ربها روح فقيدنا الزكية فما من يتيم إلا وبكى منه كفيلا وما من ملهوف إلا وتوجع لمصاب بمنجد مغيث ، وما من جاهل إلا وتحسر على مرشد شفيق ، وما من عالم إلا وجزع لفقد استاذ عظيم ، وما من عاقل إلا وأسف لخسران أفضل حكيم ، وما من إدارى إلا وحزن على أحذق رئيس ، وما من سياسى إلا وألم لقضاء أبرع الرجال ، وأمهد من مارستهم الأعمال ، وأثبت من جالوا فى نضال

أجمعت الصحافة على اختلاف أهوائها ونزعاتها ، وتباين مللها ولغاتها ، أن فقيدنا الذى فقدنا أمس جمع من خصال الشرف ومعالى الهمم ، ومزايا الشيم والسبق فى العلوم ، ومحاسن التدبير ، وثبات الجأش فى حب أمته ، مالم يجتمع لأحد ممن نبغوا فى مدى هذا الزمن . ولم يكن ليحول دون هذا الاقرار العام الشامل لجميع الصحافة ما كان بين الفقيد الرئيس وبين بعض الصحف كاللواء والظاهر من الخلاف فى بعض المسائل ، فان كلا من الفريقين المتخالفين كان يرى الصواب فيما يظن ويسعى فى استخراج الحقيقة من أغوار البحث مع حفظ أرباب تلك

الصحف للشيخ الاستاذ مقامه الكريم ، وشرفه العظيم ، والاعتراف بفضله العميم .

(بعد هذا وصفت المشهد وصفا مسهبا)

وقالت فى عدد ٥٠١ الصادر فى ١٢ ج ا سنة ١٣٢٣ و ١٥ يوليو سنة ٩٠٥

جزع الامة

على عميدها ووحيدها

من الحكمة التى تجلت بها مخيلة الاستاذ الاكبر المرحوم عميد الأمة ومفتيها وحكيمها على عالم الحقائق قوله رضوان الله عليه « كل موجود يوجد بوجود العلم وكل مفقود يفقد بفقده » ومن الحقائق التى سارت بها ألسنة الأمة الاسلامية اليوم حتى تجاوزت ملأ الأشباح إلى عالم النفوس الخالصة الذكاء قولها وهى والهة من الحزن « كل المصالح كانت مكفولة النجاح للدين والأمة بوجود الاستاذ الحكيم وكل الرجال فقدناه بفقده »

وهذا الاحساس العام المتدفق بهذه الكلمة الجلى ليس بالاحساس الذى وقف عند حد مصر ولم يتجاوز نفوس أهالى طبقاتها بل طار على لمحات البرق جائلا فى اقطار العمران ضاربا فى نفوس الأمم شرقيها وغربيها ، خالبا عقول قريبها واجنبيها ، فاما الأمم الشرقية كافة والأجيال الاسلامية منها خاصة فانها تصدعت أفآدها ، وتفطرت أكبادها ، وسالت بدموعها الوديان لهفة لفقد الرجل الذى كان مبعثا لروح حضارتها ، ومصدرا الرجاء تآلفها ، وقطبا لرحى مهماتها وموئل ظنونها فى مستعصيات مشكلاتها ، وسيف حمي دينها ، وكوكب دنياها . وأما الأمم الغربية فانها بهتت وحسرت عن رأسها خاشعة اكبارا للخطب المصيب ، وإجلالا للموقف الرهيب ، وكانت هذه أولى المرات التى خاصت صدور الغربيين من الشماتة فى الشرق فى مصاب جلل أصيب به ، وصدقت نفوسهم فى الأسف مع الشرق على فقد نصير من أعز أنصاره ، وما كان ذلك منهم رحمة بالشرق ولا إشفاقا عليه من الضياع كلا ولكنهم عرفوا فى الفقيد من معالى الشيم ، والنهضة

باباء الشمم ، والوفاء بما عليه لأمته ودينه والشرق من العهود والذمم ؛ مالا يراه الغرب فى كثير من رجاله ، وندر أن يراه الشرق فى كرور الدهور على أجياله، فوقروا فى الفاجعة صاحب الرئاسة ، وتوجعوا لحسرة الفضل والنبل والعلم والحكمة والسياسة

تلك حال الأمم جمعاء فى توديعها لفقيد حضارة مصر ، وحكيم أقطار الشرق، فما تكون حال الأمة المصرية من بين تلك الأمم فى توديع رافع معالم مجدها ، ودليل طرائق جدها

هذا شأن جليل يقصر القلم الواحد دون بلوغ غايته ، وحصر دائرته ، ولما كان الفقيد من خواص الرجال الذين قل أن يسمح الدهر بمثلهم رأينا أن يشترك معنا فى مجال تعداد مناقبه ، وتدوين مآثره ومحامده ، أقلام الفحول من الشعراء ففتحنا لهم باباً لرثائه لم نكن لنفتحه من قبل ولن نفتحه من بعد. وسنبتدىء بنشر ما نختاره مما ورد الينا ، ويرد من القصائد منذ يوم غد ان شاء الله

(وذكرت فى أخبار هذا العدد أيضاً ما نصه)

مأتم فقيد الامة

كانت ليالى مأتم المرحوم المغفور له الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية أسكنه الله فسيح الجنان غاصة بجمهور المعزين آناء الليل وأطراف النهار على اختلاف أجناسهم وتنوع طبقاتهم. وكانت قطارات سكة حديد المطرية مزدحمة بهم ازدحاما هائلا حيث أقيمت ليالى المأتم بمنزل الفقيد العزيز فى عين شمس. وكان مشاهير القراء يرتلون آيات الذكر الحكيم ترتيلا شرعياً والناس فى حزن عظيم وسكون تام رحم الله الفقيد رحمة واسعة وألهم الأمة جميل الصبر على فقده

(وذكرت فى هذا العدد أيضاً لمكاتبها بالمنصورة ما نصه)

طفت ساحات المدينة ليلة الخميس الماضى فاذا الناس منكبون على مطالعة الجرائد وهم بين متأسف ومتوجع ، وحزين ومتفجع ، على ما أصاب المسلمين من تلك الحادثة الرائعة ؛ والكارثة الفادحة ، هذا والسكوت شامل الجميع فلا نسمع إلا أنيناً منبعثاً من قلوب واجفة وصدور ملؤها الحزن والكدر حيث اندك طود

العلم ، وخبا بدر الآداب ، أجل قد هوى كوكب الفضل وياليته ماهوى ؛ ونوى نجم المجد وياليته مانوى ، فجدير بالقلوب أن تتشح بأثواب الهموم ، وخليق بالعيون أن تطلق أسراب الدموع

(وفيه أيضا لمكاتبها بكفر الزيات)

كان لنعى فقيد الأمة والوطن مولانا مفتى الديار المصرية فى بندرنا تأثير شديد لم يعهد له مثيل فقد استوجب الحزن فؤاد الخاص والعام من سكانه ولا عجب فان سعى الاستاذ الفقيد فى ترقية الأمة كان عظيما وبموته فقدت الأمة أستاذا حكيماً ومرشدا نبيلا فحق عليها أن تمتلىء حزناً

وذكرت أمثال هذه الرسائل من جهات القطر فى أعداد أخرى ولا حاجة لاستقصاء مانشرته هى وسائر الجرائد فى ذلك لأنه فى معنى واحد وهو شعور جميع طبقات الأمة فى جميع البلاد المصرية بالحزن العظيم لفقد امامها الحكيم

وقالت جريدة اللواء الغراء فى عددها ١٧٦٩ الصادر فى ذلك اليوم

خطب جلل

(إنا لله وإنا إليه راجعون)

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

أنبأنا التليفون الاسكندرى البارحة بوفاة الرجل الجليل والاستاذ الكبير العلامة النابغة المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى هذه الديار فى الساعة الخامسة مساء وما ذاع نعيه بين العالم المصرى حتى بدت الكآبة على الوجوه وانقبضت النفوس واندملت الافئدة لأن الموت انما اغتال رجلا فى العقد السادس من عمره وصل بذكائه المفرط وعلمه الغزير ومواهبه الوافرة إلى مركز سام قل أن يناله غيره فى العالم الاسلامى من عظماء الرجال

اقتطفت المنية زهرة يانعة من أزهار العلم المثمرة فاذبلتها، وعادت البيان فابكته وانقضت على جيب الجود فمزقته ، وطعنت الطفل الصغير فى رئيس الجمعية الاسلامية فيتمته ، ولكنه القضاء المحتوم فلا مرد له

ولد الفقيد فى سنة ١٢٦٦ هجريه بقريه « محلة نصر » من أعمال مديرية البحيرة فهو الآن غير متجاوز السابعة والخمسين من عمره وكان أبواه صالحين فادخلاه كتاب القرية فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن ثم قصد الأزهر الشريف وانخرط ضمن طلابه فكان بينهم حاد الذهن سريع الخاطر يفهم الصعب لأول مرة وقد امتاز على معاصريه بالميل الى اقتناء الاحسن من كل فن فكان أمهر الواصفين وأقدر الكاتبين ، اذا شرح أفهم وإذا جادل افحم

وقد شهد له أستاذاه الكبيران المرحوم الشيخ حسن الطويل أنبغ أهل عصره والمرحوم الشيخ البسيونى المالكى بسرعة البديهة وتوقد الخاطر وبعد أن حضر مذهب الامام مالك عكف على دراسة مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان وأدى الامتحان فى المذهب الحنفى ونال شهادة العالمية

ومن الأسباب التى أظهرت مواهب الفقيد الكبير أنه درس الفلسفة على المرحوم السيد جمال الدين الافغانى يوم حضر إلى هذه الديار على عهد المغفور له اسماعيل باشا فتخلق بالكثير من أخلاقه وتشبع بالغزير من أفكاره وعلمه وكان من أقرب المقربين اليه حتى ان السيد جمال الدين كان يخاطبه مراراً بقوله « إن الذكاء يتوقد فى عينيك والشهرة مرسومة فى جبينك فلا تكثر من أسئلة الشباب فانها تتعب الشيوخ »

وقد وقع ماقاله السيد جمال الدين وصحت نبوءته حيث نال الفقيد أعلى مقام بين علماء الاسلام فى عصره

وأول نجم أضاء فى سماء حظ الفقيد أن المرحوم على مبارك باشا ناظر المعارف ترجم رسالة (فى الروح والجسد) ثم اعطاها للاستاذ الفقيد ليكتبها فى قالب فصيح لما بلغه عنه من زيادة الاقتدار فكتبها بعبارة بليغة أعجب بها على مبارك باشا وأراد أن يكافىء الفقيد فعينه معلما لاولاده ثم محرراً للوقائع المصرية فى وزارة

دولة رياض باشا الاولى (*) فبقى بها يكتب الفصيح والبليغ حتى قامت الحوادث العرابية فكان ضمن المنفيين من أجلها إلى الشام ولكن علمه الواسع وفضله وجدا له فيها وطنا عزيزاً فالتف حوله الادباء وأرباب الأفكار وعين أستاذا للمدرسة السلطانية فى بيروت وهناك خدم العلم والأدب واللغة خدمة تذكر له على مر الليالى والايام وقد مكث بها نحو ست سنوات عندما طالب له المقام ثم سافر إلى باريس بعد ان تعلم اللغة الفرنساوية (*) واجتمع فيها بالسيد جمال الدين الافغانى مرة ثانية واصدر معه جريدة العروة الوثقى فكان له شهرة ذائعة وبعد أن سعى بعض أعضاء العائلة الخديوية للعفو عنه عاد الى هذا الوطن (*) مودعا من محبيه فى منفاه بما لايقف عند وصف مستقبلا من مواطنيه القدماء وأصدقائه الاوفياء بما لا يقل عن واجب الاخ لاخيه أو الابن لابيه ومالبث قليلا حتى استدعاه القضاء الاهلى فلباه وأخذ يناصره حتى صار موقفه فيه مهيباً ورقى منه إلى وظيفة مستشار بمحكمة الاستئناف ثم نقلته سنة الترقى إلى مقام الافتاء وهو آخر منصب تولاه فى هذه الحياة الدنيا

فالفقيد كان من المشهود لهم بسعة الاطلاع وسمو الادراك فكان فصيحا طلق اللسان وكاتباً متين البيان رد عن الاسلام مفتريات كثيرة — افتراها عليه أعداؤه بأسلوب بديع جديد، وما حادث هانوتو عنا ببعيد

أخذ المرحوم فى تفسير القرآن ففسر بعضه وكان فى عزمه رحمه الله أن يتممه فى راحة هذا العام (*) ويعجل بطبعه فعاجلته المنون وحرم المسلمون من ثمرات فكره وآيات بنانه فلا حول ولا قوة إلا بالله

خطب الفقيد وهو شيخ كبير ود اللغة الفرنسية فاقبلت عليه ليتعلمها فلكها بعد أن ذلل صعابها ووقف على مكنون أسرارها حتى صار يقرؤها ويتكلم بها كاحد أبنائها المجيدين فكان يخرج الاجنبي من حضرته حاسدا الاسلام عليه مقتنعا بعد ان كان ساخرا ببنيه ولم يعقب من الابناء ولذا ذكروا انما اعقب بنات اربعا ولكن قد أعقب آثاراً علميه تخلد ذكره فالذى مات بالامس انما مات

(*) غلط تاريخى فى المواضع الاربعة كما يعلم من الجزء الاول من التاريخ

بموته العلم العصرى اليوم فيا له من رزء جسيم ومصاب أليم ، مات بموته انفس كان يمد لها فى الظلام من جيبه الخاص يد المعونة والاحسان والله شهيد عليم

تولى رحمه الله رئاسة الجمعية الخيرية الاسلامية فأحسن أسلوبهـا واكثر إيرادها ووسع دائرة الاحسان ونظم مدارسها ورفعها فى زمن وجيز بعلمه وفضله إلى شأو بعيد من النور والعرفان

فالفقيد فقيد البلاد ، فقيد العلم ، فقيد اليتامى ، فقيد البؤساء ، فقيد الاسلام والمسلمين . وقد فقدت بفقده مصالح كثيرة عضواً عاملا وعالما نحريراً فالافتاء يرثيه ، والشورى تبكيه ، والجمعية تندبه ، والاوقاف تتحسر عليه ، والازهر يشهد له ، وذلك الجنين (مدرسة القضاة والمحامين الشرعيين التى وضع نظامها) حرمت مساعيه والله يرحمه ويحسن اليه

انا لم نكن مع المرحوم متفقين فى بعض النقط السياسية ولكن الموقف موقف عميم وخطب عظيم وانه مهما رثاه الراثى فلن يستطيع أن يوفيه حقه من العلم والشهرة والفضل . فهو آية الأمس ومصيبة اليوم الخ

(ثم ذكرت الاحتفال بالجنازة بنحو ماسبق)

وقال فى اليوم التالى مانصه

جنازة المرحوم المفتى

كل من عليها فان

صدرت البارحة جرائد القطر بين عربية وافرنكية وكلها موشحة بالسواد وأنهارها فائضة بعبارات الرثاء المؤثرة نعيا لكبير من أكابر العلماء وعالم الكبراء المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ورئيس الجمعية الخيرية الاسلامية والعضو فى مجلسى شورى القوانين والاوقاف العمومية ومع أن كل هذه الجرائد تختلف فى المشرب والمذهب والاميال والغايات فانها اتحدت بالامس على أن موت هـذا الفقيد الكبير خسارة كبرى على المصريين عموما والمسلمين منهم خصوصا وقد تخاطف القراء نسخها من أيدى الباعة ومن إداراتها لمعرفة الطريق

الذى يسلكه موكب الجنازة ليودعوا ذلك البحر الذى اقترب غيضه، وجف فيضه الوداع الأخير وما انتصفت الساعة الرابعة بعد ظهر لامس حتى انسل الناس من كل حدب بعيدا كان أو قريبا إلى محطة العاصمة مشاة وركبانا لافرق بين كبير أو صغير ولم تتم الساعة الرابعة الا وكان الطريق مابين السكة الجديدة والمحطة عن طريق ميدان الاوبرا غاصا بعشرات الآلاف رغما عن انتشار عساكر البوليس انتشارا زائدا لمنع الزحام وحجز المركبات فى افواه المنعطفات وقواطع الطرق »

ثم وصف الاحتفال بالتشيع بمثل ماتقدم وخص بالذكر الألوف من الأزهريين إلى أن قال :

ولم يكد موكب الجنازة يصل إلى الازهر حتى ازدحمت تلك المنطقه ازدحاما هائلا وتلاحم الناس لضيق الطرق تلاحما شديدا وتصببت جباههم عرقا وكابدوا من المكافحة فى المسير مايشهد لهم بتقديرهم فضل الفقيد وعلمه الغزير حق قدرهما »

وقال فى عودة المشيعين مانصه:

ثم عاد المشيعون يصعدون الزفرات ويعطرون العبرات ذاكرين ماللفقيد من الاعمال الحسان تغمده الله برحمته وعوض البلاد فيه خيرا وألهم آله وأصدقاءه الصبر والسلوان

ثم ذكر بعض ماورد إلى الجريدة من جهات القطر ومنه

وقد ورد علينا من منيا القمح تلغراف صباح اليوم هذا نصه

« القلوب والهة والعيون باكية لفقد فيلسوف الشرق الوحيد »

وقالت جريدة المؤيد الغراء فى عددها ٤٦١٢ الصادر فى ذلك اليوم

الفاجعة المؤلمة

إنا لله وإنا إليه راجعون

وفاة المغفور له مفتى الديار المصرية

قضى الله فينا بالذى هو كائن فتم وضاعت حكمة الحكماء

قضى الله أن يفدح الحادث وينزل الكارث ، وتقع المصيبة العظمى ، والفاجعة الكبرى المؤلمة للنفوس ، المبكية للعيون ، المقرحة للأكباد والجفون ، بعد ماخانت الراقى رقيته ، والحكيم حكمته

وأقر الطبيب عنه بعجز وتقضى تردد العواد

قضى الله ان يرزأ العلم وأهله بوفاة عالم عصره ، وحجة زمانه ومصره ، أبلغ البلغاء إذا كتب ، وأفصح الفصحاء إذا خطب ، بل أقوى العلماء بيانا ، وأجودهم بالحكمة لسانا ، وأوسعهم فى معاريض الكلام باعا ، وأوفرهم فى مفاهيم العلوم اطلاعا ، وأبعدهم فى نظر الأشياء مرمى ، وأسدهم فى المناظرات سهما

قضى الله ولا راد لقضائه بوفاة ذلك العالم العلامة الاستاذ المغفور له (الشيخ محمد عبده) مفتى الديار المصرية ورئيس الجمعية الخيرية الاسلامية . صاحب الأيادى البيضاء على الكثيرين ، والفوائد الجلى على المسلمين ، فكم دافع عن الدين (فى مسألة هانوتو واضرابها) بما لم تستطعه الجماعة الكثيرة من العلماء ، وكم سعى لفائدة الفقراء بما لم يأته الجمع من الأغنياء ، وكم أسدى معروفاً ، وأغاث ملهوفا ، وكم ساعد عاملا فنفخ فيه روح الثبات بالطيبات ، وكم كانت له من أمان يضرب بخطواتها فى الآفاق ، غير خاش من اخفاق

كان عظيم الهمة كبير النفس يحاول أن يغالب الدهر إن عارضه ، ويستهين بكل صعب اعترضه ، ومما يؤثر عنه فى مثل هذا قوله :

« انى لا أخشى شيئا سوى الموت لأنه يقطع على خط السير »

ولكن ما الحيلة . وما كان يخشاه قد حل . وما كان يتقيه قد نزل . حيث

لاينفع الانسان حول . وحيث يظهر عجز المخلوق المتناهى فى جنب قدرة الله التى لانهاية لها

فبينما المرء يرفل فى ثياب مجده وعلائه ، وصحته ووفائه ، ونعيمه ورفائه ، إذا بنذير الموت يسطو بالصحة فينقض بنيانها ، ويطغى بآلامه عليها فيهدم أركانها ، ويذهب بدعوى الطبيب فيما يدعي ، وبوعيه فيما يعى ، فلا يجد له حيلة سوى الاذعان للقضاء والقدر ، كما لايجد أهلوه وأصدقاؤه وسيلة سوى الاستسلام للحزن والكدر

إذا كانت الدنيا كذاك فخلها ولو أن كل الطالعات سعود

(ثم ذكرت كلاما عن مرضه من بدايته إلى نهايته وقالت)

ففاضت الروح إلى خالقها ونعاه النعاة بالتلغراف إلى جميع أرجاء القطر وفى الساعة السابعة أصدر المؤيد ملحقا ينعيه به إلى قرائه فى القاهرة فلم تكن إلا ساعة وأختها حتى كان ذكر اسم الفقيد يتردد على كل لسان بين كلمات الأسف العام ، وألفاظ الدعاء له والاسترحام عليه من الملك العلام

قضى هذا الفقيد العظيم رحمه الله رحمة واسعة عن نحو ٦٢ (*) من عمر أمضاه فى خدمة العلم بين مظاهر الحياة المختلفة وقد بلغ أقصاها من الشهرة ورفعة الذكر فى خدماتها ولسنا الآن فى بيان تاريخ حياته ولكننا ننعيه نعياً بسيطاً ونرجىء ترجمة حياته إلى فرصة اخرى

(ثم ذكرت الاستعداد لتشييع الجنازة وقالت)

فنسأل الله تعالى أن يشمل هذا الفقيد العظيم فقيد العلم والبلاد والاسلام بواسع رحمته وأن يهطل على جدثه صيب الرضوان والغفران وأن يمنح كل مصاب فيه جميل الصبر وخير السلوان

وذكرت بعدهذا ماجاءها من الاسكندرية عن الاحتفال بالتشييع فيهاوقد مر ذكره فلا نعيده وذكرت تلغرافات عن مرور القطار المقل للجثة فى المحطات

(*) قد علم من الجزء الأول انه لم يبلغ الستين

ثم قالت فى اليوم التالى ما نذكره مع حذف وصف الاحتفال إلا قليلا وهو :

تشييع جنازة المغفور له

الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده

ظهرت الجريدة أمس ونعش الفقيد المغفور له مفتى الديار المصريه بين الاسكندرية والقاهرة يسير فى قطار مخصوص على نفقة الحكومة من الأولى إلى الثانية . يمر على عواصم المديريات فيزدحم على محطاتها الجموع الكثيرة من الموظفين والأعيان باكين آسفين . وأكثر ماكان من ذلك على محطة دمنهور عاصمة مديرية البحيرة التى درج من إحدى قراها هذا الفقيد الجليل فلا غرو أن يقف الالوف من أهليها على تلك المحطة مشيعين اليوم من كان فخارهم بالامس باكين لمصابه الفادح من كانوا يقصدونه فى شدائدهم وكربهم فيفرجها بمساعيه الحميدة ولما وصل القطار إلى طنطا كان سعادة مدير الغربية الهمام حسن رضوان باشا وكبار موظفى المديرية وعلماؤها وذواتها وقوفا على محطتها وعليهم مظاهر الكآبة والحزن فودعوه الوداع الأخير واستدروا على جثمانه رحمة الله ورضوانه . وهكذا حتى وصل إلى محطة القاهرة فى منتصف الساعة الثالثة وهناك نقلت الجثة من العربة التى كانت مودعة بها إلى قاعة من قاعات الاستقبال فى المحطة وظلت بها إلى الساعة الرابعة تماما وكان الناس من علية القوم يأتون فى خلال ذلك أفواجا أفواجا

فلما جاء الوقت المحدد لتشييع الجنازة حمل النعش على الرقاب وسير به إلى خارج المحطة وأخذ فى ترتيب المشيعين صفوفاً فتقدم وراء النعش أولا حضرات العلماء الاعلام يؤمهم حضرات أصحاب الفضيلة مولانا قاضى مصر والاستاذان الكبيران الشيخ حسونة النواوى والسيد على الببلاوى شيخا الجامع الازهر الاسبق والسابق (وتخلف فضيلة شيخ الجامع الحالى لانحراف طرأ على صحته صباح أمس) وحضرات العلماء الاعلام أعضاء المحكمة العليا وشيخ علماء الاسكندرية وقاضيها وقاضى قضاة السودان الخ

(وذكرت فيما حذفنا من وصف التشييع ان جميع الضباط المصريين والانكليز كانت على أيديهم شارة الحداد)

ولما وصلت الجنازة إلى الجامع الأزهر كان كثيرون من علمائه وطلبته قد سبقوا إليه استعدادا للصلاة على الفقيد وهناك وقف الجمع العظيم من المشيعين بشارع السكة الجديدة ودخل جمع كبير مع النعش إلى المسجد والمؤذنون فوق منائره يرتلون سورة الابرار . وما زالوا به حتى وضعوه عند القبلة الجديدة ووقف المشيعون هنيهة أراد فيها من اعتاد تأبين العلماء أن ينشد قصيدة قالها أحد الشعراء رثاء للفقيد فأبى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان أن تجرى هذه العادة التى كان الفقيد رحمه الله أبطلها فى حياته ثم دعا للصلاة عليه فتقدم للامامة فضيلة الاستاذ الشيخ حسونه النواوى وصلى الناس خلفه . وبعد أدائها شهد الجمهور للفقيد بالخير وحمل النعش بعد ذلك إلى قرافة المجاورين حيث ووريت الجثة التراب وأراد بعض الادباء تأبينه عند قبره بالخطب والقصائد فوقف صاحب السعادة حسن عاصم باشا وقال ان كثيرين من أصدقاء المرحوم يرون أن يرجأ تأبينه إلى وقت ومكان آخرين . وعندذلك وقف الجميع وتهيئوا للانصراف وأخذوا يعزون حضرة الفاضل حمودة بك عبده شقيق الفقيد ولكنهم فى الحقيقة إنما كانوا يعزون أنفسهم لأن المصاب مصاب الجميع . والرجل الذى دفن تحت أطباق الثرى لم يكن رجل أهله وعشيرته بل رجل الأمة والاسلام فى عصره فرحمه الله رحمة واسعة وعزى كل المصابين فيه خير العزاء

هذا وقد وعدنا حضرات القراء أن نذكر تاريخ حياة الفقيد ولكن لما كان هذا يستدعى بحثاً لجمع كثير من الحقائق الغائبة عنا الآن فسننجز وعدنا فى ذلك ريثما نستوفى الملاحظات فى هذا الشأن حتى يكون تاريخه خير مثال مذكر للقارئين اه

وقالت جريدة «مصر الغراء» فى عدد ٤٣٨٢ الصادر فى ذلك اليوم

سبحان الذى لايموت

خسر القطر المصرى اليوم بل العالم الاسلامى كله خسارة لاتعوض إذ نكب فى أعظم رجل عصامي نبغ فيه بعلمه وفضله حتى صار رجله فى هذا العصر، وزان بظهوره العالمية حتى صار علمها فى مصر، هو المبكى عليه الخالد الذكر الأستاذ الاكبر المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية، أجاب نداء خالقه أمس عند الساعة السادسة مساء فما فاضت روحه الطيبة عقب ذلك المرض الذى عرفه القراء من قبل حتى طير البرق منعاه إلى سائر جهات القطر وإلى أصحابه ومعارفه الكثيرين فى البلاد الخارجية وابلغته المعية السنية أيضا للجناب الخديوى العالى فى ديفون فما سمعت الآذان خبر وفاة هذا الشيخ الجليل والعلامة الكبير حتى عم الحزن طبقات الشعب المصرى كله على اختلاف درجاته ولا عجب فى ذلك لان الفقيد رحمة الله عليه يعد نابغة القطر فى هذا العصر وزعيم نهضته العلمية المصرية الحديثة بلامراء

توفاه الله عن ستين عاما أو تزيد (كذا) ملأ بها الوطن علما وأدبا كما ملأ البلاد إصلاحا واجتهادا فملأ بموته قلوب المصريين حزناوأسى وعد موته خسارة كبرى ومصابا فادحا ليس على مصر وحدها بل وعلى الشرق كله ايضا

يعرف الناطقون بالضاد فى مشارق الأرض ومغاربها ذلك الفقيد العظيم ويستشهد أناس منهم باقوال له ذهبت مذاهب الامثال ولكن الذين يعرفون ترجمته ليسوا كثيرين . فقد تلقى رحمه الله علومه على السيد جمال الدين الافغانى فيلسوف الشرق العظيم وكان يتوسم فيه مخايل النجابة فاكبر مقامه حتى اتخذه صديقاً له حميما يركن اليه فى معضلات المسائل العلمية والفلسفية : ولما مات الافغانى بقيت روحه وعلومه فى شخص فقيد اليوم فشب كاتبا من أرسخ الكتبة، ومؤرخا من اصدق المؤرخين، وفيلسوفا تثبت فلسفته مقالاته العلمية وتفاسيره لآيات القران الشريف تفسيرا علميا عصريا وحكيما تثبت حكمته مئات من الحكم والامثال .

ثم ان العارف بحوادث حياته لايصدق انه هو الرجل الذى وصل الى اسمى مقام فى حكومة مصر بعد أن كان من رجال الثورة العرابية واختفى منها فى أول الاحتلال واهتمت الحكومة بالبحث عنه فلم تهتد الى مكانه فنشرت عنه فى جريدتها الرسمية يومئذ انها تمنح عشرة آلاف جنيه لمن يمكنها من ضبطه وظلت تنشر اعلانها هذا على الملأ نحو ستة اشهر بينما كان الفقيد يدرس اللغة الفرنسوية و بعض العلوم العصرية الاخرى فى باريس (١) على ان الحكومة التى اعلنت عنه بمثل هذه الطريقه لم تلبث حتى عرفت فضله وقلدته أكبر مناصبها القضائية والعالمية والشرعية ولا عجب فى هذا فانه من الافراد القليل عديدهم بين طبقات الرجال

وقد بقى رحمه الله زهاء العشرين عاما الاخيرة من حياته خادما لوطنه محبا لبلاده ساعيا فى ترقيتها باذلا جهده فى تهذيب ابنائها بكل واسطة ممكنة . فاذا كانت النهضة المصرية قائمة في ترقية العقول فقد رقاها أو فى الصحافة فهو أول من خدمها فى الجريدة الرسمية حينما كان شأنها الادبى غير شأنها اليوم أو فى عالم التحرير على الطلاقة فقد كان كاتبا كبيرا أو فى الخطابة فقد كان خطيبا مفوها : بل اذا كانت النهضة فى تربية الفقير والاحسان اليه فقد كان اب البائس وعضد اليتيم او فى الجمعيات الخيرية فقد كان عضدها وساعدها الاقوى بايجاده الجمعية الخيرية الاسلاميه وفروعها واهتمامه بترقيتها إلى الحد الذى وصلت اليه. و بالجملة فانه رجل ولا كل الرجال العظام فقدته مصر لسوء حظها وشاركتها فى فقده الامة العربية من الشام الى بغداد الى الجزيرة الى العراق الى تونس الى سائر الاقطار التى فيها ناطقون بالضاد

(ثم ذكرت الاحتفال بتشييع الجنازة بنحو ماسبق فى غيرها)

وذكرت بعد ذلك هذا التلغراف لوكيلها فى طنطا

طنطا ١٢ يوليو الساعة ٢ر١٥ دقيقه بعد الظهر

---

(١) الاستاذ الامام الفقيد لم يختف بعد الثورة كما هو مقرر فى الجزء الاول والذى ذكرته الجريدة هو رجل آخر فهذا كغلطنا فى سنة فهو لم يتم الستين

مر بنا القطار المقل لجثة فقيد العلم والفضيلة المرحوم الخالد الذكر الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وذلك فى الساعة الاولى بعد الظهر وكان سعادة المفضال حسن باشا رضوان مدير الغربية قد انبيء بذلك من حضرة الدمرداشى فاعلن سعادته ذلك للعلماء وأعيان طنطا ولم تأت تلك الساعة حتى كانت محطة طنطا مزدحمة بالوجوه والاعيان يتقدمهم سعادة المدير المشار اليه وأصحاب العزة وكيل المديرية ورئيس المحكمة ووكيلها وقضاتها ورجال النيابه ومأمور قسم الضبط وباشكاتب المديرية ووكلاء القناصل والعلماء الاعلام وكلهم بالملابس الرسمية ثم فرقة من الجند تحت قيادة مأمور بوليس البندر ثم رجال المحاماة ونظار المدارس وأساتذتها ووكلاء الصحف اليومية والاسبوعية وأعيان الامة القبطية وغيرهم بحيث لم يبق وجيه ولا عميد فى طنطا الا وحضر المحطة لمشاركة الامة المصرية فى اظهار الاسف والاحترام على فقيدها الكريم ورافع لواء العلم الشريف ولما رسا القطار قوبل من الجميع بالتكريم والتعظيم وارتفعت الاصوات بالبكاء والنحيب وعلت الضجه الصادرة من قلوب ملؤها الاسف على هذا المصاب الجلل . وقد ودع القطار بين زفرات الدموع من الاهل والاصدقاء وكل ابناء الأمة جميعا ولا عجب فان موت هذا الفاضل الكريم يعد خسارة كبرى على البلاد المصرية عموماً وعلى العلم خصوصا عوضنا الله فيه خيرا وعزى قلوب اهله والمصريين اجمعين

وكيلكم

(وذكرت فى العدد الصادر فى اليوم التالى كيفية الاحتفال بالجنازة فى مصر مبتدئة الكلام بقولها :

(أقبل القطار المخصوص الذى يقل جثة فقيد الشرق وامامه الأوحد المرحوم المأسوف عليه الشيخ محمد عبده فى الساعة الثانية والنصف بعد ظهر أمس ومن ثم توافد جمهور المشيعين من الاعيان والكبراء والعظماء) . الخ مما مر نظيره وختمت ذلك بقولها

ونحن نكرر لحضراتهم عبارات العزاء ونسأل الله أن يتغمد الفقيد برحمته

ورضوانه ، وان يسكنه فسيح جنانه ، ويلهم الشرقيين عموما والمصريين خصوصا على فقده جميل الصبر وجزيل السلوان .

هذا وقد أخذت تتوارد علينا قصائد الشعر تترى لرثاء الفقيد نأتي على نشرها تباعا

وقالت جريدة المقطم الغراء في عددها ٤٩٥٢ الصادر في ذلك اليوم

مصاب القطر بفقيد مصر

كان بيننا وبين فقيد القطر المرحوم الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وزعيم حزب التقدم بين علماء الملة الاسلامية ، وداد نشأ قبل الفتنة العرابية أيام كان محرراً للوقائع المصرية ، وتجدد عهده أيام اجتماعنا به في سورية ، وتوثقت عراه وتقوى رباطه بعد رجوعه منها إلى الديار المصرية ، غير أن هذا الوداد القديم العهد لم يكن مبنيا على الصحبة والمعاشرة والملازمة والممازجة ونحوها من الأركان التي يبنى عليها الوداد في المعتاد حيث كان كل منا مشتغلا بشأن غير مايشتغل به الآخر ومقيما في مكان بعيد عن الذي يقيم فيه الآخر . بل كان مبنياً على اتفاق في بعض الآراء العمومية والأفكار الجوهرية التي يتعلق كثير منها بخير الأمة المصرية . وعلى مشاركة في تحمل السخط من الذين ظلوا مدة من الزمان يخالفون تلك الآراء ويضطهدون الذين يجاهرون بها

على اننا لم نذكر ماتقدم رغبة في اطلاع الجمهور على وداد عزيز عندنا إذ معظم الجمهور يعلم ذلك . وإنما ذكرناه لغاية أخرى وهي ان العالمين به يعلمون انه كان وداداً مبنياً على حكم العقل لاعلى مجرد ميل القلب وهذا التمييز أمر يهم الشاعر والخطيب والرائي والمؤبن إذ الواجب على الصحافي أن يكون بالنسبة إلى الرأي العام ، كالقاضي بالنسبة إلى العدل في الأحكام لايراعي الصدقة بل يراعي الحقيقة ولايبنى حكمه على الاميال والعواطف ، بل على الأدلة والقرائن ، فاقتضى أن نظهر للقراء أساس ودادنا حتى لايحسبوا قولنا من قبيل المدح في الرثاء أو اظهار

الحسنات والمناقب والفضائل والفواضل فى التأبين بل قبيل النقد الذى يراد به اظهار الحقائق وتقرير الوقائع وقول مايعتقد القائل صدقه مجرداً عن الاميال والعواطف

وعلى ذلك نقول اننا لاندعى للفقيد أكثر مما ميزه الله به ولانقول انه كان مثال الكمال الذى تفرد الله تعالى به ولاننكر انه لما كان انساناً كان محل الضعف والقصور والتقصير فى أماكن كثيرة مثل سائر بنى الانسان ولانضعه الموضع الذى ترفعه اليه مخيلات الشعراء ، ولاندعى أننا نباهى به الذين نبغوا فى ممالك العالم من الأقطاب والعظماء ، وإنما نقول إن مصر خسرت بفقده اليوم اكثر مما خسرت تلك الممالك بفقد الذين نبغوا فيها من أولئك الأقطاب لأن حاجة مصر إلى مثل الفقيد الكريم أعظم من تلك الممالك إلى الأقطاب ووجود من يقوم مقامه فى مصر أعز عليها من وجود من يقوم مقام أولئك الأقطاب فى بلدانهم

أما وصف أوصاف الفقيد وبيان مزاياه وكمالاته فخير مكان له ترجمة حياته ولايوفيه المنصف حقه من ذلك الوصف فى عجالة مثل هذه ولذلك عزمنا أن نفرد لترجمة حياته فصلا أو فصولا ضافية الاذيال فى المقتطف وانما نذكر الآن مزاياه التى خسرت مصر بفقدها خسارة لاتعوض ولايعلم إلا الله مؤداها

فأول مزية امتاز بها الفقيد أنه كان فى مقدمة كل فريق من الفريقين اللذين انقسم اليهما المصريون فى هذا العصر . فقد كان علماً يهتدى بنور علمه فريق المحافظين الذين لايروقهم غير ماجرى عليه المتقدمون كالعلماء والأئمة وطلبة العلوم الدينية واللغوية ومن جرى مجراهم . وكان قائدا للآراء ومديرا للافكار عند الفريق الذى جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون أن القديم لايغنى عن الحديث وان من لايتقدم يتأخر والسكون المطلق محال . ونقول ولانخشى فى الحق لومة لائم إن الفقيد فاق الاقران كلهم فى هذه حتى انفرد فيها أو كاد

والمزية الثانية انه كان من أبعد أهل القطر نظرا فى حقائق الأمور وعواقبها ومن أشدهم غيرة على ارتقاء الأمة المصرية وخيرها ومن أعظمهم جهدا فى انهاضها

فكنت تراه تارة مدرساً يعلم شبانها وتارة شارحا يشرح العلوم لطلابها. وتارة مؤلفاً لتنوير أذهان خدمة العلم والجمهور . وتارة مديرا ومنظما للمدارس المصرية القديمة حتى تجارى لحديثة فى الترتيب والتحسين وإصلاح الادارة وتسهيل التعليم وتكثير ماتدرس من العلوم ونحو ذلك . وتارة رئيسا للجمعيات الخيرية الساعية فى إعانة الفقراء وانشاء المدارس لتعليم أبنائهم . وتارة مقدماً للذين يشيرون على الحكومة فى مجلس الشورى بفعل مايصلح القطر وينفع أهله . وتارة مباحثاً ومناقشا لاقناع رفاقه فى ذلك المجلس بالمشروعات النافعة للبلاد وأهلها وجمع كلمتهم على تأييد الحكومة وشد أزرها على الذين يعارضونها فى مقاصدها الخيرية لمآرب خصوصية ولمقاصد ظاهرة وخفية . وتارة مجادلا يدافع عن دينه بأدلة مأخوذة من علوم المتأخرين التى جدت بعد عهد المتقدمين . وتارة صانع خير وفاعل بر وجامع أموال لاغاثة المنكوبين بالنيران وغيرها من المصائب والرزايا . وتارة متصدر الحفلات الأدبية وجالساً فى مجالس الانس والصفاء يزيل الوحشة والجفاء بين الوطنيين والأجانب ويؤلف القلوب بين الجماعات والمعاشر المختلفة فى المبادىء أو الآراء أو العادات . وتارة قارعا أبواب ولاة الامور لاعانة طلبة العلم بالمال وبذل المال لاصلاح الجامع الازهر ونحو ذلك من الغايات الحميدة . وكل ذلك بعد قيامه بحقوق وظيفة الافتاء وإدارته لشؤونها وقضائه لمهامها على مابها من المصاعب والمتاعب

والمزية الثالثة : أن الفقيد كان فى قلب بلاد الشرق بلاد الخوف والرهبة والاستبداد رجلا جرىء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيه ويثبت عليه ولايخشى بأس متسلط ولايهاب صولة كبير وقد جر عليه ثباته على رأيه وجرأته وقلة خوفه ورهبته أهوالا كثيرة ومصائب ومحناً عديدة ولكن لما استبدل الاستبداد بالدستور فى هذا القطر أوصلته هذه المزايا إلى ماوصل إليه من التقدم والعز والنفوذ والسطوة وصيرته فى اعتبار الجمهور الخصم العنيد للاقوياء والناصر الشديد للضعفاء والركن الوطيد للاحرار والعضد القوى للساعين فى تنوير العقول والأفكار

هذه بعض مزاياه وإذا أضفنا اليها سعيه فى سبيل الاصلاح وميله الى فريق

المحافظين حتى يجارى فريق المتقدمين حكمنا أن مصر فقدت بفقده عالماً من أكبر علمائها ورجلا من أعظم رجالها ومصلحاً من أعظم رجال الاصلاح بين أهلها وحراً هماما مقداما قوالا فعالا لايكاد يكون له نظير من بنيها فصابها به أعظم مصاب وخساراتها أشد خسارة فارقها إلى رحمة ربه ولسانه يلهج بما فى نفسه وقلبه فنظم هذه الأبيات قبل أن تدركه الوفاة قال :

(ونشرت الأبيات التى ذكرت فى تأبين جريدة الأهرام كما روتها . ثم ذكرت فى الاخبار المحلية من هذا العدد نحو ما ذكره غيرها من احتفال الحكومة والامة بتشييع الجنازة فى الاسكندرية وتذكر من عبارتها الطويلة ما يأتى)

وكانت الشوارع التى مرت الجنازة فيها مزدحمة كلها بالناس ازدحاما عظيما وعلى وجوههم لوائح الحزن والكآبة والاسف ومما زاد ذلك الاحتفال تأثيراً فى النفوس أذان المؤذنين فى المآذن والجنازة مارة وكذلك قرع رهبان الفرير للأجراس والنواقيس فى محطة باكوس قرع الحزن إيذاناً بحزنهم وأسفهم فكان لذلك وقع عظيم فى النفوس .

وذكرت فى اليوم التالى لوكيلها فى الاسكندرية مانصه :

الخطب الجسيم

لم تأذن شمس أمس بالمغيب حتى كانت شمس حياة الاستاذ الكامل والامام الاكبر العلامة المفضال المفتى الحكيم الشيخ محمد عبده قد آذنت والأسفاه بالمغيب .. حياة كانت كلها خيراً وفخراً وذخراً للوطن والعالم الاسلامى وسائر البلاد الشرقية . حياة ملؤها حب السلام والاصلاح والخير لكل الناس .

أجل لقد هوى ركن عظيم من أركان العالم الاسلامى ركن متين من أركان الهيئة الاجتماعية وطود شامخ من أطواد العلم والفضل والنبل فاهتزت له سائر الامصار الشرقية ولقد أظلمت الدنيا فى عيون أسرته الحزينة وذويه وجميع أصدقائه ومعارفه

وسائر أهل البلاد المصرية والسورية على اختلاف الملل والنحل فأعظموا خطبه أيما إعظام ، وطارت نفوسهم لهوله شعاعاً ، وذرفوا الدموع السخينة أسى وأسفاً ، على فقده ، فقد كان محباً لخير الكل يتوقد غيرة على مصلحة الكل وهذا الكل في المصاب سواء .

يبكيه عهد الاصلاح فقد كان عضده ، تبكيه العلوم والمعارف والفضائل فقد كان قطبها وإمامها ونبراسها ، تبكيه المحابر والاقلام فقد كان مشكاتها ومهبط وحيها ، تبكيه الفضيلة والانسانية فقد كان شعارها ونصيرها ، تبكيه الايتام والارامل والفقراء والبؤساء فقد كان عضدها ومجيرها ومغيثها .

واخيبة آمال آله ومريديه فطالما تضرعوا إلى الله أن ينقذه من خطر الداء ، ويمن عليه بالشفاء ، ولكن حكمة الله التي لا تدرك شاءت أن تنقله إلى جنة الخلد فرحمه الله رحمة واسعة عداد مناقبه وفضائله وحسناته ، وألهم آله الكرام والسادة المسلمين وسائر من تعرف به أو سمع بفضله عزاء جميلا .

(ثم ذكرت كيفية الاحتفال بالجنازة هناك فنستغنى عنه بما تقدم كما نستغنى عما نشرته في أخبارها المحلية من وصف الاحتفال بتشييع الجنازة هنا تفادياً من التكرار وإنما نذكر خاتمته قالت) :

هذا وقد بات حضرات أشقائه وذويه ومريديه وأصدقائه أحسن الله عزاءهم داعين للجناب العالى والحكومة المصرية لما أبديا من الرعاية والمجابرة فانه حالما بلغ نعيه سموه أرسل إلى سعادة نائب القائم مقام الخديوى أن ينوب عنه في تشييع جنازته والحكومة أسرعت فقررت من تلقاء نفسها وعملا برأي رؤسائها أن تحتفل بتشييع جنازته على نفقتها والأمة أيدتها في ذلك الاحتفال فجاء احتفالا فائق الكمال نادر المثال .

(وقالت جريدة الوطن الغراء فى العدد ٣٢١٨ الصادر فى ذلك اليوم ما نصه)

مات المفتى

أهى الصاعقة انقضت فصمت الآذان ، أم زلزلت الارض زلزالها فاصطكت لها الاسنان ، أم الشمس صافحتها يد الكسوف فاغبر أديم السماء ؟ لا هذه ولا تلك ولكن يد المنون أنشبت أظفارها بعلامة مصر وأستاذها فعم الخطب والبكاء .

أينما سرت وحللت اليوم فى عاصمة القطر وسائر بلاده ، سمعت أنيناً صادراً من صدور أولى الفضل قائلا : مات المفتى « فلا حول ولا » بعد بعاده ، فكان موته خطباً شاملا استذرف العيون دموعها ، ومصابا عاما أسف له سكان القطر من نزيلها ودخيلها ، ولا بدع فقد كان له فى كل فؤاد منزل كبير ، نظراً لما عرف عنه من الفضل الرائع والاطلاع الغزير .

لا بدع إن عظم المصاب بفقده	وتقطعت لمماته الاحشاء
قد كان فى ذا العصر مفرد عصره	ومنارة تجلى بها الظلماء
ولذا ارتدى الافتاء ثوب حداده	من بعده إذ لم يعد إفتاء
والحزن عم مريده وبغيضه	« والفضل ما شهدت به الأعداء »

حمل البرق نعيه إلى محبيه فى العاصمة عند منتصف الساعة السادسة من مساء أمس ، فراح بعد أن كافح المرض كفاحا هائلا لم ينجه من النزول إلى الرمس ، دب فى جسمه السرطان فلم ينقطع دبيبه حتى قطع حياة رجل يتمنى الكل لو عاش أبد الدهر ، وكأنه استطاب السكنى فى جسم بحرنا الفهامة فظل يسبح فيه أياما ولا عجب أن استطاب السرطان سكنى البحر .

مات المفتى وأى يراع يقدر على ايفائه حق رثائه ، بل أية عين يمكن لها الانحباس عن بكائه ، إننا نخط هذه السطور يدفعنا اليها الواجب ، ولكن الحزن الشديد حمل اليراع كالتائه فى فيافى البطاح والسباسب ، فهو يسود بمداد الأسف صفحة طالما بيضها بذكر مجيد أعماله ، ويذكر اسم المفتى مقرونا بالاسف على فقده بعد أن ذكره مرارا مقرونا باذاعة فضله ونشر حميد خصاله ، فلكل كاتب

عرف المفتى عذر على ما يرتكبه اليوم من الزلل إذا كتب ، ولكل شاعر معذرة إذا زاد فى أبياته خبب أو نقص سبب ، فلقد خيمت فوق الأبصار غشاوة الأسى الشديد ، ومن ذا الذى لايبكى لموت المفتى الذى كان لمصر أكبر نصير كما كان لها أعظم فخر من طارف وتليد .

***

مات المفتى فشيعه النبل والفضل ، وقضى بعد أن قضى على ما بنا من جهل ، وسار للقاء ربه الأعلى بعد أن جاهد فى سوق هذه الحياة الجهاد الكبير ، فربحت تجارته وما أربح تجارة الذى يخرج بالناس من الظلمات إلى النور ، فقد كان فى حياته مشكاة يهتدى الناس بضيائها فى دياجير الظلماء ، وستبقى آثاره الخالدة مدى الدهر كعبة الفضلاء والنجباء ، وكما كان تغمده الله بواسع حلمه ورضوانه ، درة دهره وعلامة زمانه ، كان مثال الفضيلة وعنوان كرم الأخلاق والنزاهة والاباء ، حتى امتاز بفضائله الخصوصية على سائر العلماء ، لذلك لاعجب إذا كان موته خطباً لاينفع فيه العزاء ، وأى عزاء عن المنتصر على هانوتو وشارح القرآن ورافع لواء الافتاء ؟

ولو أردنا أن نصف للقراء أخلاقه ومعارفه لطال بنا المقام دون أن نتمكن من الالمام بما عرف عنه من الاطلاع والمعارف ، فقد كان جنة علوم دانية القطوف ثمارها العقل الكبير وأزهارها العوارف ولكن أشهر ما اشتهر به الاقدام والثبات فى العزم ، والميل إلى فقراء الأدب وشدة الحزم ، فقد كان مقداما على كل أمر خطير ، كما كان منزله العامر ملجأ كل أديب فقير ، حتى لقب فى أخريات أيامه بأبى التعساء من الأدباء ، وكان من آثار فضله تعريب حافظ ابراهيم لكتاب البؤساء ، الذى عد معجزة الكتاب لما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى الانشاء ، فلا غرابة إذا لبس لموته الشعراء والكتاب أثواب الحداد ، ولا غرو إذا ظهرت الصحف اليوم وفيها ما فيها من السواد ، فذلك دين واجب الاداء ، على صحافيى مصر وجمهور الكتاب والشعراء .

***

قضى القدر الجارى أن ترحل عنا يا مفتى الديار ورجل الشرق وعلم مصر المفرد ،

فلا حول ولا قوة فى رد ذا القدر إذ ليس له من مرد ، رحلت عنا على حين غرة فأمست مغانى الصبر بعدك بلقعا ، واستجدينا العين دمعها لبكائك فوجدنا دمعها طيعا ، فشقت عليك القلوب قبل الجيوب ، وبدت عذارى البيان محلولات الشعور تندب مولاها وأميرها ، وعم الأسف على موتك العدو والحبيب ، كما شمل الحزن كبير مصر وصغيرها .

كيف لا نبكيك وقد جاهدت فى خدمة ربك وخدمة العلم خير جهاد ، وعرضت نفسك فى سبيلهما لكل طعن وانتقاد ، ولم تكن تهز من طعن أو انتقاد ، ولكن الذين انتقدوك قبل اليوم ووجهوا الطعن اليك ، باتوا اليوم وهم أشد العالم حزناً عليك ، وهكذا جرت عادة القوم أن لا يعرفوا اقدار كبار الناس ، الا وأجداثهم داخل الارماس ، فلا يحزننك مالقيت من جهل المفسدين ولغط الأعداء ، فلك أسوة بربك الأعلى إن لم تكن لك أسوة الأنبياء .

***

من لنا بيراعك السيال أيها الأستاذ الحكيم لنفيك بعض مايحق لك من الرثاء ، ذلك اليراع الذى كان إذا كتب خال العالم ما خطه وحياً هابطاً من السماء .

قضى نابغة الأفغان فكنت لنا من بعده خير من يستهدى بهديه إذا تفاقمت المشكلات ، ولكننا بموتك لانجد من يخلفك فى حل المعضلات إذا استحكمت حلقات ، غير ماخطته يدك الكريمة من كل أثر كريم يسرك فى القيامة أن تراه ، لأنك علمت المسلم واجباته نحو نفسه فى هذا العصر وواجباته نحو الله ، ولسوف يأتى يوم يعرف فيه الناطقون بالضاد عموما أنك كنت أمامهم ، وأنهم لولاك لظل الجهل مخيما بغشاواته فوق أبصارهم ، وأنك كنت فى حياتك خير نصير وأكبر ظهير للاسلام ، فارقد الآن بسلام وعليك من الله وبنى آدم ألف سلام .

هذا ماوسعتنا الكتابة عن فقيدنا العظيم هذا النهار وسنأتى فى مقالتنا الافتتاحية غداً على أهم مايجب ذكره عنه . وستصل جثته فى قطار مخصوص بعد ظهر اليوم عند الساعة الثالثة وربع إلى محطة العاصمة ومنها يسير موكب الجنازة الرسمى فى الساعة الرابعة تماما مما سنأتى على وصفه غداً تفصيلا .

وصدرت العدد التالى بهذه المقالة .

الاستاذ العظيم

« الشيخ محمد عبده »

إن فقيد الأمس كبير من أعظم أبناء مصر فى تاريخها الحديث ولعله أعظم علماء الاسلام فى هذه السنين شهرة وقوة وتأثيراً فى شؤون المجتمع الانسانى لاريب أن مصر لم تخرج مثله من عهد عهيد وإنه قليل نظيره فى الأقطار الاسلامية على وجه الاجمال . نقول ذلك ونحن لادخل لنا بمذهبه أو درجة علمه فى هذا المذهب ولكننا ننظر إلى الرجل من الوجه الأدبى والوطنى معاً فنرى أنه كان أكبر كبير فى مصر بين علماء الدين الاسلامى فى همته وجده ونفوذه الادبى وحركته الاجتماعية وتأثيره على أبناء عصره وسعيه فى التأثير والاصلاح ولا سيما فى الفترة الاخيرة من عمره حين تولى منصب الافتاء . ولسنا ننظر اليه فى هذه المقالة بصفته الدينية المطلقة ولكننا نورد هذه الخواطر الآتية عن حياته وأعماله بصفته الأدبية والانسانية عامة عالمين أن مانورده هنا قليل من كثير وأن الحكم على الرجال وأعمالهم لايسهل حال وفاتهم ولكننا نرى أن مصر فقدت رجلا من أكبر رجالها وأن الشرق خسر عميداً من أهم أبنائه بفقد المرحوم الشيخ محمد عبده فصدر جريدتنا اليوم خص بذكره على سبيل الاختصار .

على أننا لانقصد سرد حوادث رجل عظيم مدة حياة كثيرة الحوادث والآيات إنما نحن نذكر القراء أن فقيد الوطن الكبير كان من نوابغ الشرق وفلاسفته بلا مراء وأنه مثل أستاذه الشيخ جمال الدين الأفغانى وغيره من قادة الأفكار لم يترك آثاراً مكتوبة كثيرة العدد ولكن آثاره باقية فى قلوب تلاميذه وأتباعه وعشاق فلسفته وهم كثر فى القطر المصرى وغيره من أقطار الشرق فهم سيتممون عمله بين الناس وينشرون أفكاره . لاتمر أعوام على حادث الأمس المحزن حتى تعم آراء هذا المصلح الشرقى ، ويقل الجاهلون الذين اشتهروا بعضادته على غير هدى فى حياته وماهو بأول مرشد قام يهدى الأقوام إلى طرق الصواب ويردهم

عن البدع والتعصب يحاربوه وعادوه وهم لايدرون انهم يحاربون أنفسهم ويضرون بجيلهم وأمتهم ضررا لايزول إلا بعد زوال الأجيال والأحوال . وما كان مثل هذا الشر قاصراً على بنى الشرق أو أهل الاسلام بل إن الناس جميعهم من كل ملة وفى كل صقع مازالوا أميل الى الغباوة والخطأ منهم إلى الصواب فى كل زمان وماقام مصلح فى الناس إلا وقام له الأعداء والمبغضون

« وعهدنا بفقيد الأمة القبطية الايغومانوس فلتاؤوس فان جهاده فى وجوب الاصلاح الداخلى للامة القبطية أقام ضده كثيرين يناصبونه العداء ويناهضونه فى كل رأى ونظام »

ولقد بدأت شهرة الفقيد الكريم فى الأزهر وبلغت أوجها فى هذا الجامع المشهور فهو كبير أزهرى وقطب من أقطاب الاسلام ومصلح شرقى عظيم . كان طالباً للعلم يمتاز بالذكاء وقوة العقل على بقية الطالبين فلما اشتهر الفيلسوف جمال الدين الافغانى بين الازهريين بتعاليمه وفلسفته التف حوله جماعة من اذكياء المصريين والسوريين والمغاربة وسواهم وكان فقيد مصرا كبر المعجبين به والناحين نحوه حتى إنه أصبح رفيقاً وصديقاً لذلك الفيلسوف الشرقى واشترك معه فى الكتابة زماناً حتى إنه كتب معظم الفصول فى جريدة العروة الوثقى وهى تعد الآن من نفائس الكتابات العربية ودلائل ماوعي صدر محررها من العلم وسحر البيان

واشتغل الفقيد بعد ذلك زمانا بتحرير الوقائع الرسمية فكان ثانى العلماء الأعلام الذين تولوا تحرير هذه الجريدة وذاعت شهرتهم فى الآفاق والأول منهما صاحب الفارياق والجوائب وغيرهما نريد به الشيخ احمد فارس الشدياق اللغوى الشهير

على أن تحرير الوقائع الرسمية لم ينل فقيدنا الشهرة التى يستحقها فلما حدثت الحوادث الكبيرة التى يظهر فيها النوابغ وقادة العقول ظهر الشيخ محمد عبده بمظهر المرشد والقائد للحزب الوطنى فى أوائل الثورة العرابية حين كان الثائرون سائرين على خطة المصلحين وطلاب العدل والمساواة وقبل ان ساروا محاربين مثيرين للاختلاف وهم لايعلمون إلى أين هم سائرون فى تلك المدة كان الشيخ محمد عبده استاذ العرابيين وقائد أفكارهم يحلفون قسم الطاعة للوطن ومصلحته بين يديه حتى انه عد من

زعماء تلك الثورة مثل عبد الله نديم وبقية الزعماء المشهورين فنفى على أثر انتصار القوة الخديوية بمساعدة الاحتلال مع الذين نفوا فى سنة ١٨٨٢ ثم صدر أمر الخديوى السابق بالعفو عنه فعاد إلى القطر غير محرض ولا مهيج كما عاد عبد الله نديم وأرادت الحكومة أن تستفيد من معارف الرجل فجملته قاضياً فى محكمة الاستئناف الأهلية حيث جلس على كرسى القضاء أعواما كان فيها ممتازاً بقوته العقلية واشتهر بين قضاة الاستئناف بشكله العلمى وعمامته حتى إنه جعل لهذه العمامة ذكراً فى تاريخ القضاء المصرى لأنه تعود حركة عرفها المتقاضون عنه إذ كان ينكس العمامة إلى الأمام إذا أراد الحكم بالعقاب على المتهم ويدفعها قليلا إلى الوراء إذا كان حكمه بالبراءة . واتفق انه رجع إلى كرسى القضاء يوماً بعد المداولة ولما قعد نكس العمامة فتطير المتهم وتشاءم وصاح به أن بحقك الا زحلقت هذه العمامة إلى الوراء قليلا يامولانا الشيخ . ويقال ان استغاثة الرجل أفادته فى تلك القضية وكانت آخر مايروى عن تلك الحركة المذكورة فى تاريخ القضاء المصرى

ولما كثرت أشكال الخلاف بين الحكومة ومجلس شورى القوانين ومفتى الديار المصرية من بضعة أعوام وهو يومئذ الشيخ حسونه النواوى أحد مشايخ الاسلام السابقين وأصبح هذا الخلاف خطراً على الصلة الكائنة بين الحكومة والرعية أجهد أولياء الأمر قرائحهم ليجدوا مفتياً وعضواً دائماً فى مجلس شورى القوانين من بين علماء الاعلام لايكون معواناً لحزب الشقاق والذين (*) وكان الفقيد فى ذلك الحين قاضياً ومدرساً فى الأزهر يفسر القرآن ويلقى آيات الحكمة على السامعين وقد خلف جمال الدين الافغانى والتف حوله مئات من الطالبين وجعلوا يرتلون بحمده ويتباهون باقتباس العلم عنه حتى هيجوا بذلك أحقاد البعض وصيروا الاستاذ عدواً لفئة من العلماء على كره منه وهى عادة الناس مع الفلاسفة والمصلحين فى جميع الازمان

ولما تولى الاستاذ مسند الافتاء واصبح عضوا دائما فى مجلس شورى القوانين سطعت كواكب علمه وظهرت أدلة ذكائه واقتداره وارتقى فى العيون ارتقاء عظيما حتى إنه أصبح كبير القطر من بين العلماء ونواب الأمة لأنه بعث روحاً جديدة

(*) لم يذكر جواب «لما» فلعله سقط سهوا وهو «لم يجدوا غيره» أو ماهذا معناه

فى مجلس الشورى وصار رئيس كل لجنة مهمة فيه فتغير سير هذا المجلس وانقلب من العداء للحكومة على غير جدوى الى مساعدتها فيما يفيد لأن مجلس الشورى كان قبل أيامه مجتمعا لفئة كل علومها تنحصر فى طلب الجلاء، ومعاندة الاحتلال معاندة لاقيمة لها ولا تأثير فلم يكن فى وسع الحكومة أن تحل قوله محل الاعتبار . وأما بعد أن صار الشيخ محمد عبده أهم الاعضاء فى هذا المجلس وكلف بمراجعة اللوائح والقوانين التى ترسلها الحكومة إلى هذا المجلس فانه أصبح مجتمعاً للتشريع يصلح مافات الحكومة ويقدم الآراء السديدة تعمل الحكومة بها وينقح القوانين ويقترح آيات الاصلاح فكان تعديل قانون العقوبات وتوسيع دائرة المعارف وتعليم الفقهاء والقضاة الشرعيين ومصالحة الحكومة ومجلس الشورى وغير هذا من نتائج وجوده فى المجلس المذكور وآثار سعيه وقوة عقله ونفوذه بين النواب والحكام فهو كان أكبر صلة فى عهده الاخير بين الرعية والحاكين

وأما عمله فى منصب الافتاء فانه كان الجوهرة الكبرى فى تاج فخره والذروة العليا بين درجات عمله الكبير مدة العمر الطويل لأنه جعل للمركز شأنا وتأثيرا لم يعرفها عنه من قبل وأخرج مقام الافتاء من دائرة الخمول والتعلق بالفتاوى فى مايعرض عليه إلى مقام التعليم والارشاد والتأثير على العالمين فصير المفتى من الكبار الحاكمين بقوة المنصب وقوة العلم والأدب على السواء، وأفتى فى كثير من المسائل العصرية على ما أقر العلماء الاعلام فلم يحفل بما قال الجهلة والمسوقون الى المعارضة بحض أصحاب الغايات والأغراض ، وقد كان صدقه فى مركز الافتاء، وقيامه بواجب الدين والذمة من دواعى الحقد عليه وقيام الذين لايريدون الاصلاح لمناهضته ومحاربته فاشغلوه زمانا بدسائسهم وأقوال الذين وقفوا يلقنونهم السفاسف والسخافات عنه ولكنهم لم يحملوه على اهمال مهمته القصوى وغايته الكبرى وهى ترقية شأن الأزهر والازهريين ، ورفع مقام الذين يعيشون بخدمة الدين الاسلامى كالفقهاء وخدمة المساجد والقضاة الشرعيين . ولو ان الله مد أجله أعواماً أخرى لصير القضاء الشرعى فى مصر آية الكمال بدل أن يكون بؤرة الخلل والجهل كما هو الآن باقرار جميع العارفين

هذه زبدة الحياة التي قضت حكمة الله بختامها من يومين وهذا هو الرجل الشرقي الذي فقدته مصر في هذا الاسبوع . وأما عن تأثير حياته وخلاصة آرائه الدينية والاجتماعية ونتائج أعماله ومساعيه فانما سنضع مقالة أخرى في صدر الجريدة ان شاء الله ا ه

(ونشرت في هذا العدد نفسه مقالة ضافية عن الاحتفال بتشييع الجنازة في الاسكندرية ومصر وهي مثل ما ذكر في غيرها ممن ختمتها بقولها)

وما حانت ساعة الدفن حتى سالت الدموع وتقطعت الاحشاء ووقف الكل خاشعي الابصار مطأطئي الرؤوس احتراماً وإجلالا لمنار الاسلام في الشرق فدفن والقلوب تشيعه بخفقانها المضطرب والعيون بدموعها المنسكبة

ولقد كان مرأى الذين كانوا يلازمون الفقيد من أهل العلم والآداب مؤثرا في النفوس كثيرا فقد كانوا في أشد حالات الأسى والحزن على فقد امامهم وعلامتهم ونصيرهم في هذه الديار

وبعد أن تمت حفلة الدفن عاد القوم وفي كل صدر نفثة حزن وأسى على ذلك الفقيد الكريم تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكب على ضريحه شآبيب الصفح والغفران . وأسكنه فسيح الجنان . وألهم آله ومصر من بعده جزيل الصبر وجميل السلوان

(ثم نشرت مرثية لاحمد أفندي نسيم الشاعر المصري المشهور ستأتي في باب المراثي وانفردت بعد ذلك بما يأتي

وقد نعي المرحوم إلى الجناب العالي الخديوي تلغرافياً في ديفون فأرسل سموه رسالة برقية يعزي بها عائلة الفقيد على موت الاستاذ الحكيم وأظهر الأسف الشديد ونظم حضرة الاديب خليل افندي فوزي صاحب جريدة الانسان التاريخ الآتي

مات ذخر الاسلام خير البرايا صاحب الفضل والمقام الممجد
ما ارتضى داره بارض ولكن في سماء النعيم أضحى محمد

سنة ١٣٢٣ ١٠١٩ ٢٢١ ٨١٩ ٩٢

﴿ بيان من جامع الكتاب ، للنائين عن هذه البلاد ﴾

صاحب جريدة الاهرام جبرائيل بك تقلا نجل أحد مؤسسيها بشاره باشا تقلا ورئيس تحريرها الآن داود أفندى بركات وصاحب جريدة البصير رشيد أفندى شميل ، وجريدة الجوائب خليل أفندى مطران ، وجريدة الشرق حنا أفندى جاويش وطانيوس أفندى عبده ، وهؤلاء هم وأصحاب المقطم — يعقوب أفندى صروف وفارس أفندى نمر وشاهين بك مكاريوس — كلهم من كتاب السوريين المختلفي المذاهب في النصرانية

وصاحب جريدة الظاهر محمد بك أبو شادى وجريدة اللواء مصطفى باشا كامل وجريدة المؤيد الشيخ على يوسف وكلهم من كتاب المصريين المسلمين

وصاحب جريدة مصر هو شنودة بك المنقبادى وجريدة الوطن جندى بك ابراهيم كلاهما من قبط مصر

وسنبين فيما ننقله عن الجرائد العربية غير اليومية والمجلات أسماء أصحابها والغرض من هذا البيان أن يعلم النائون عن هذه البلاد وأهل القرون الآتية مايعلمه أهل هذا العصر من اتفاق كلة أصحاب الجرائد الذين هم مؤرخو العصر على أن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان نسيج وحده وامام وقته فى العلوم والفضائل والعمل والاصلاح . واننا لم نر هذه الجرائد قد اتفقت على شىء قط كما اتفقت على اجلال فقيدنا العظيم على تباينها فى الأديان والمذاهب ، والسياسة والمشارب ، وعلى مراعاة أكثرها للكبراء الذين يجاهدهم لاجل الاصلاح وعلى ما سبق لبعضها من التعريض أو التصريح بالانتصار لحزب الجمود القديم عليه وهو — رحمه الله — زعيم حزب الاصلاح ، وانك لترى المتحامل فى الزمن السابق ، وباغى المجاملة لمقاومى الاصلاح فى اللاحق ، على تحريهم القصد فى القول ، والاحتراس فى الثناء ، والسكوت عن لقبه المشهور والاتيان بلفظ « من » بدل اسم التفضيل فى بعض المواضع ، قد اعترفوا بان الفقيد لانظير له يعرف ، ولاعوض له يخلف



﴿ أقوال جرائد القطر المصرى غير اليومية مرتبة كسابقتها ﴾

(قالت جريدة الاتحاد المصرى الغراء التى تصدر فى الاسكندرية فى عددها (٢٤٧٧) الصادر فى ١١ جمادى الأولى بلسان صاحبها روفائيل افندى مشاقه الكاتب السورى المسيحى مانصه)

رزء وطنى

لبست مصر أثواب الحداد على أعظم مصلح واكبر حكيم ظهر فى هذا العصر مات الاستاذ الحكيم والامام الكبير الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فوقع منعاه فى النفوس وقع الصاعقة واشتد الجزع عليه لأنه كان نبراس العلم ودعامة الفضل وطود الفضيلة فانطفأ بموته ذلك النبراس ومادت تلك الدعامة ودك ذلك الطود

كان الاستاذ الحكيم علماً للمكارم وسيداً للاخلاق الفاضلة رحيما بالفقراء والمساكين ، برا بالمحتاجين غيوراً على البائسين مجتهداً فى إفادة أبناء وطنه واخوانه فى الجنسية لاينظر إلى الاجناس المختلفة الضاربة فى وادى النيل الا نظر الاخ الذى يعتبر جميع الناس اخوانه فى الانسانية

قام أعداء الانسانية يعتدون على الاستاذ الحكيم ويفترون عليه بما توحيه اليهم ضمائرهم السافلة فتأثرت نفسه الكريمة من تلك الحملات الشعواء ولكنه كان يعرض عن قائلها إعراض ذوى الأنفس العظيمة ولانقول الكبيرة لأن الاستاذ رحمه الله كان عنوان التواضع واللطف

اصابته فى المدة الأخيرة علة جزع لها محبوه ومريدوه وكل الناس أولئك المحبون المريدون وما كانوا يقدرون ان المنية تختطف ذلك الإمام الحكيم وهو لم يضع بعد اصلاحه الكبير على أساس متين فمات وخلف الحسرات وقطع بموته الآمال

هيهات أن يأتى الزمان بمثله ان الزمان بمثله لضنين

كان الاستاذ رحمه الله أول عامل على الاصلاح الدينى بدون المساس باصول الشرع الشريف فانما كانت غايته من الاصلاح ضرب تلك البدع الهائلة التى شوهت وجه الدين والتى لم تكن من الدين فى شىء. فكان هو الجرىء الوحيد الذى وقف فى وجه الملأ يرفع الرأس بقوة سلامة نيته وطهارة ضميره لايخشى فى الحق لومة لائم شأن أعاظم المصلحين الذين يضحون ذواتهم ومصالحهم على مذبح الانسانية والخدمة العمومية

تولى الشيخ منصب الافتاء فاعتز المنصب به وهابه أعداؤه ولم يجسر عظيم على الوقوف فى تيار إرادته العظيمة

ولقد كان سبب العلة التى أودت الآن بحياته العزيزة دسائس بثها الغافلون ضده فكانت النتيجة تأثر نفسه العظيمة واشتدت العلة عليه وبتنا مدة بين اليأس والرجاء حتى انقطعت الآمال وردت الوديعة الطاهرة إلى خالقها العظيم فكان موت الشيخ رزءا وطنيا عظيماً وليس مصيبة اسلامية لأن الشرق الادنى عموماً وكل البلاد العربية كانت تعتز بالاستاذ وتتيه به اعجابا وترجو أن تصل بحسن مساعيه إلى أعلى درجات المدنية التى لاتجعل الدين فاصلا بين أبناء الوطن الكبير

(ثم ذكر كيفية الاحتفال العظيم بتشييع الجنازة)

وقالت جريدة الاخلاص الغراء الصادرة (فى القاهرة) فى ١٤ يوليو بلسان صاحبها ابراهيم بك عبد المسيح الكاثوليكى السورى الأصل ما نصه

الفاجعة الكبرى

فقدت مصر بل الشرق أجمع بموت من كان للعلم نبراسا، وللآداب والكمال مثالا، وللعدل والرحمة والشفقة والانسانية تاجاً، العالم العلامه المفضال، المرشد النصوح، المحب الودود، المتواضع المحبوب، الاستاذ الحكيم الاكبر، الطيب الذكر الخالد الأثر، شمس الملة والدين: الشيخ (محمد عبده) مفتى افندى الديار المصرية.

بينما كان هذا الفقيد العظيم عازما على السفر إلى جهات أوربا ترويحا (للنفس) من عناء الاشغال التى قد تراكمت عليه لاسيما فى المدة الأخيرة قصد الاسكندرية للاستراحة يومين ومنها يبحر إلى أوربا فيعود منها قرير العين منشرح الصدر بما يقوم به من الخدمة المقدسة للاسلام والمسلمين ولكن أبى الدهر الخؤون أن يتمم ما وعد وهكذا كان اصاب الفقيد العزيز فى الاسكندرية اسهال بسيط أولا ثم تغيرت عليه الحالة بألم شديد فى معدته ثم عقبه انتفاخ فى الكبد فحار به نطس الاطباء ولم يوافق علاجه حيلة حيث تعاظم الداء وعز الدواء وكان يزداد يوما فيوما بل ساعة فساعة الى أن صعدت تلك النفس الطاهرة الزكية الى خالقها فى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الثلثاء الغابر ١١ يوليو الجارى فى محطة باكوس برمل الاسكندرية .

وما ذاع هذا الخبر الهائل حتى طير البرق إلى سمو الخديوى المعظم فى ديفون فصدرت الأوامر الى سعادتلو أفندم حسين فخرى باشا وكيل قائمقام خديو بان ينوب عن سموه فى السير بمشهده ثم صدرت أوامر الحكومة المصرية للمراكز الرسمية بأن يحتفل بمشهده رسميا وهكذا كان حيث احتفل بجنازته فى الاسكندرية احتفالا فائقا لم يسبق له مثيل اشترك فيه المسيحيون عموما فانه بينما كان المؤذنون يبررون على المنابر كالعادة بموت امام الدين كانت الاجراس والنواقيس تضرب ضربات الحزن فى كنائس محطة باكوس اعترافا بان الفقيد ليس بفقيد الاسلام والمسلمين بل فقيد الجميع فمن كان اعتباره بين الامم هكذا كيف لاتبكيه العيون وتذرف عليه عوض الدمع دماء ؟ كيف لاتنفطر عليه القلوب حزنا وأسفاه ؟ ان شئنا أن نعدد مآثر هذا الراحل يضيق عنها «الاخلاص» بصفحاته الاربع إذ يقتضى لها مجلات كبيرة ومهما نعتته الجرائد بالنعوت ومهما أطنبت فى مدحه واظهار أعماله لاتكون قد قامت بعشر معشار ما قد خصه الله به من المحامد والصفات الكمالية التى يمتاز بها على من عرفناه الآن من حيثية طهارة الذمة وحرية الضمير ونقاوة القلب وبالاجمال فانه كان علما يهتدى به طلاب الدين والدنيا -

الفقيد الجليل قد خدم الصحافة خدمة تذكر فتشكر وهكذا كان خادما

أميناً للقضاء إذ كان رجلا عادلا لايراعى صاحباً أو عزيزاً فى أحكامه بل كان الدستور إمامه والعدل رائده ومتى خرج من كرسى وظيفته كنت تراه سمح الوجه حلو الحديث بشوشاً لطيفاً وإذا خطب فى قوم كان يسكر السامعين وإذا كتب مقالة فى أى موضوع كان فهو الأكتب الفريد بين أقرانه .

ومن أكبر مزاياه المحمودة أيضاً أنه كان أحرص رجل على أموال الأيتام والأرامل (ولنا معه رحمه الله أدوار مهمة كان لنا فيها الساعد الأكبر والمرشد الأعظم إلى المقاومة لصيانة مال اليتيم ونلنا المراحم على يديه وأعداؤنا أصبحوا مخذولين) فلا غرو إذا لقبه الواصفون بأبى البائس وعضد اليتيم ومغيث الملهوف والساعد العامل لكل من يقصد رحابه فينفخ فيه روح القوة والشجاعة والثبات لأنه كان عظيم الهمة كبير النفس يقاوم الدهر ومعانديه أكبر مقاومة حيث كان يفكر على الدوام بالاصلاح والتقدم لأهل بلاده وكان دائما يقول (كما ذكره المؤيد الأغر أيضاً) — إنى لا أخشى شيئاً سوى الموت لأنه يقطع على خط السير — ومع كل هذه الخصال المحمودة كان دأبه أيضاً الصفح والتجاوز عن كل من عاداه حتى إننا فى ذات يوم قصدنا إدارة المجلس بالأزهر المنيف لأمر مهم مكدر لم نذق النوم ثلاثة أيام من أجله فلما حظينا بمقابلته عرضنا عليه الأمر فكان جوابه لنا (يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) وأوضح لنا كيف يلزمنا من الصبر والثبات لننال بغيتنا ثم تعهد بأننا إذا سرنا على ما أشار لنا به سنفوز باذن الله وإن لم نفز فهو يكون المسؤل أمام الله واليتيم فقمنا من حضرته وقلبنا مطمئن يطفح بشراً وزال عنا كل كرب وما آن الأوان حتى نلنا الظفر بعناية المولى عز وجل وإشارة فقيد الأمم .

(ثم ذكر كيفية الاحتفال بالجنازة وعدد بعض المزايا)

(وقالت جريدة الجاسوس الغراء الصادرة بمصر فى ١١ جمادى الأولى بلسان صاحبها حافظ افندى حلمى الأرناؤدى مانصه)

مات العلم والفضل

(إنا لله وإنا اليه راجعون)

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

رزىء الدين والعلم بوفاة عيلم الأمة وإمام هديها صاحب الفضيلة الداعى إلى الرشد والآمر بالمعروف والناهى عن المنكر المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وفيلسوف الشرق فقد حل به القضاء فى منتصف الساعة السادسة بعد ظهر يوم الثلاث الماضى بثغر الاسكندرية وكان قد ذهب اليه على أمل السفر إلى الأقطار الاوربية فعاجله المنون وطير البرق نبأ وفاته فى جميع الأرجاء المصرية فاهتزت له صروح الدين وبكت له العيون وحزنت منه القلوب فما كنا نرى إلا حزناً وأسفاً باديين على وجوه الكافة مصريين ونزلاء وطفقوا يحوقلون ويستمطرون الرحمة والرضوان على نفس ذلك الفقيد الذى ذهبت معه آمال المستقبل وأضحى الدين فى مصرنا وحيداً لانصير له بعد ذلك الرجل الذى طالما ذب الردى عن حوضه ورد جماح المعتدين عليه وحفظ كرامته من عاديات المتهورين من النزلاء والدخلاء .

مات رحمه الله وأمطر على جدثه الغفران على إثر مرض عضال أوقفه على شاطىء البحر الأبيض واجتمعت حوله نجباء الاطباء ولبثوا يوالون تحرير نشراتهم الطبية فتحملها صحف الاخبار على أمل الرجاء تارة واليأس أخرى وكنت ترى تهافت الناس على مطالعتها رجاء تبريد غلة حزنهم ولكن قدر فكان ولا راد لقضاء الله .

(وبعد أن ذكر الاحتفال بالجنازة قال)

والآن نذكر للقراء بعض أبيات قالها فضيلته عند النزع الأخير قد وصلتنا

بعد وفاته من أحد أخصائه وهى مع طلاوتها وبلاغتها وتأثيرها فى النفوس تشهد بثباته وصبره ورضوخه لآلام المرض وهى :

(أورد الابيات زائدة عما فى الجرائد بيتاً ثم قال)

هذا وربك أيها القارىء قول ذلك الفقيد وهو فى شدة كان يشعر معها بدنو أجله واقتراب ساعته فأفاض الله عليه غيث إلهامه وأنار قلبه بنور الغيرة على الدين والوطن حيث كان رحمه الله لا يرهب الموت بقدر ما كان يخشى على الاسلام وبنيه من صروف اللأواء واختلاف العلماء من بعده .

فمن لنا ياقوم بعد ذلك الرجل الحكيم يصلح أمرنا ويقوم اعوجاجنا ويحمى ديننا ويحرص على كرامتنا ويدافع عن حوزتنا ويكبت أعداءنا ويخمد أنفاس حسادنا كما فعل فقيدنا مع « هانوتو » الذى كبا به جواد الرد فكسر قلم عناده فى محبرة أباطيله .

فاللهم ارزقنا الصبر على هذا المصاب العظيم والرزء الجسيم والخطب العميم والهم مصر وبنيها والاسلام ورجاله فضيلة السلوان وابعث لنا من يتولى شؤننا إنك بنا رؤف رحيم .

ثم ختم الكلام بالتعزية والدعاء .

وقالت جريدة الحرية الغراء فى عدد ١٢٩ الصادر فى ١٣ ج ١ وهى تصدر فى طنطا بلسان صاحبها محمود افندى فهمى .

مصاب اليم

إنا لله وإنا اليه راجعون

غاضت ينابيع الحكمة وانهدم ركن البؤساء وملاذ الضعفاء والحفيظ على أموال اليتامى والمساكين مات العلم ودفنت الفضيلة قضى على حكيم الأمة الاسلامية فى سائر بقاع الارض الذى كان يدافع عنها بقلمه وعماله ويفديها بحياته فيسهل الصعاب ويقابل المشقات بصدر رحيب .

اختطفت يد المنون عالم عصره وفيلسوف دهره الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فسلام على الاسلام والمسلمين .

ساروا به والكل باك حوله صعقات موسى يوم دك الطور

فأى قلب لاينقطع وأى فؤاد لايهلع لهذا المصاب الأليم والخطب الجسيم ؟ وإذا أنكره البعض فى حياته فقد عرفوا فضله بعد مماته فكان معهم على حد قول القائل .

سيعرفنى قومى إذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

احتفلت بجنازته الحكومة احتفالا رسمياً مهيباً سار فيه كبار رجال الأمة من سائر الطبقات فكنت لاترى إلا عيوناً تنفجر منها الدماء حزناً على حكيم الأمة ورجلها فى المهمات الذى طالما استضاءت بأفكاره عند الملمات حتى واروه التراب وعادوا يعزون أنفسهم على هذا المصاب الجليل لأنه مصاب عام ووقعه على الامة المسلمة بأسرها .

رحمه الله رحمة واسعة وصب على جدثه شا بيب الرضوان عدد حسناته إلى أمته وألهمنا وآله الكرام الصبر والسلوان .

(وقالت جريدة الرائد العثمانى الغراء التى تصدر بطنطا بلسان صاحبها محمد توفيق أفندى الازهرى فى عددها الصادر فى ١٧ جمادى الاولى مانصه)

مصاب الاسلام

اندبى ياأرض وابكى ياسماء قد قضى المفتى ولله البقاء

الخطب الجسيم ، والرزء العميم ، والحادث الاليم ، والكارث المقعد المقيم ، والنائب الباغت ، والمصاب الساحت ، والفجيعة الفاجية ، والنكبة الناكية ، والطارقة الطارية ، والملمة المؤلمة والبلية البارية ، والواقعة الرائعة ، والصدمة الصادعة ، والحدمة اللاقحة ، والروعة الفادحة ، والغمة التى غامت بها الايام ، وغم لها الانام ، واعتل منها الاسلام ، واختل النظام ، فقد عدمت المطالع ضياءها .

والمشارع صفاءها ، والعلوم رشادها ، والأمور سدادها ، والعيون قرتها والنفوس قرارها ، والقلوب ثباتها والجفون غرارها ، والايدى أيدها والوجوه سفورها ، والصدور انشراحها والاسرار سرورها ، فقد فقدت الدنيا بهجتها ، وضلت العلياء محجتها ، واهتدى الضلال إلى الهدى ، وأقوى نادى الندى ، وأقفرت مغانى الغنى ، واكفهرت مجالى السنى ، وأمرت مجانى المنى ، وخفيت مناهج المناجح ، وعطلت مناهل المنائح ، وعميت مذاهب المواهب ، وأظلمت مطالع المطالب ، وارتجت أبواب الفتوح ، ودجت أضواء الوضوح ، ودرست معالم المعالى ، وطمست زواهر الليالى ، واضطربت الدهماء ، واضطرمت الدهياء ، وبطلت مواسم الحق ، وأبهمت مظالم الخلق ، وانقطعت مسالك الجهاد ، وتفجعت ممالك البلاد ، وأخلفت عدات الاعداء على الأعداء ، وانكسفت أنوار آمال الاولياء ، وامتدت أيدى الاعتساف ، إلى نهب أموال الاوقاف ، واستطال الكبراء ، إلى سلب حقوق الفقراء ، وذلك بما أجراه الله من قضائه المحتوم ، وأظهره من سر قدره المكتوم ، بمصاب الاسلام ، بموت مولانا الأستاذ الامام ، روح الله روحه ، وروض فى جنان رضوانه وغرفات غفرانه ضريحه .

فقد عظم الخطب وجل ، وحل عرى الجلد حين حل ، وثلم غرب الصبر وفل . وأجرى غرب الدموع ، وأذكى كرب الضلوع ، وبت حبل اللاجين ، وشت شمل اللاجين ، وأعلمنا أن الدنيا الدنية حبالها رثاث ، وحباؤها غثاث ، وعقودها انكاث . وسهولها أوعاث ، وقصورها اجداث ، وشرورها غرور ومواهبها حداث ، وسكونها قلق ، وأمنها فرق ، وصحتها سقم ، وأملها ألم ، وغبطتها ندم ، ووجودها عدم ، وبقاؤها فناء ، ونعيمها بلاء ، وراحتها عناء ، وملكها هلاك ، وسترها هتك ، وأخذها ترك ، وسلمها حرب ، وصلحها فتك ووفاؤها غدر ، ووفاقها مكر ، وعرفها نكر ، ووصلها هجر ، وخيرها شر ، ونفعها ضر ، وجبرها كسر ، ومتاعها قليل ، وباعها فى التطاول طويل ، وما لمثارها مقيل ، ولا فى ظلها مقيل ، ولا أرب فيها لأريب ، ولا لباب فيها للبيب ، فان ظلها زائل ، ونعيمها باطل .

أسفاً على موت العلوم لفقده   من قاسه بالغير فهو مماري

اليوم فاض من الشريعة دمعها والعلم أمسى فى الثرى متوارى

قضى الامام فانقضت الآمال ، وتقطعت الاوصال ، وساء الحال ، وبات العالم الاسلامى يرسل الزفرات ، ويردد من أعماق قلوب أفراده الحسرات ، على قبلة الحكمة كيف تهدمت ، وأركان نهضتها الحقيقية كيف تحطمت .

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا جمل يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

قضى حكيم الافتاء ، وقدوة كبار العلماء ، وذخر البؤساء ، ومعين الادباء ، وحصن الفضلاء ، بعد أن جاهد جهاد الابطال ، وأيد دين الله بعزيمة أرسخ من الجبال ، ورفع شأن الاسلام ، وأزال الشكوك والاوهام ، ولم يعبأ بفرقة المبطلين ، الذين ينتسبون إلى المسلمين ، حتى تبينوا الصواب ، ورضوا من الغنيمة بالاياب .

قضى الامام الذى لم تزعزعه الحوادث ، ولم تكن لترهبه مدلهمات الكوارث فبلغ بعلمه وفضله ، وحكمته ونبله ، مالا يناله غيره من بعده مهما بلغ فى الرياء ، وتسلق بيوت الامراء .

قضى الامام العظيم ، والفيلسوف الحكيم ، وقد ضن الله (١) به هذه الامة لأن هذه الروح الطاهرة من ادران النفاق والتدليس لايجب أن تكون فى هذا الوسط المملوء بالارواح الشريرة والنفوس الخبيثة ، فخليق بالروح الشريفة ان ترقى إلى الحظيرة القدسية عند مليك مقتدر .

أسفاً على هذه الهمة العالية ، والعزيمة الماضية ، كيف أصبحت تحت أطباق الثرى .

فمن ترجوه بعدك أيها الامام لحل المشكلات ، ومن الذى نأتمنه بعد فوتك لحسم الأمور المعضلات ، فسلاما سلاما عليك أيها القبر الشريف الذى ضم رفات رجل الاسلام ، ومن كان اليه المرجع فى المسائل الجسام .

وصبراً صبراً أيتها العائلة الكريمة والشقيق العظيم فما ذهب من الوجود من آثاره موجودة بين يدى العالم بأسره .

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

(١) كان الأولى أن يقول : قد حرم الله منه هذه الأمة

حقاً إن آثار عميدنا وعميدكم لايزال ينتفع بها العالم الاسلامى ما دامت الارض والسماء

فرحمه الله رحمة واسعة وصب على جدثه شآبيب الرضوان .

(وقالت جريدة الصاعقة الغراء الصادرة بالقاهرة فى ١٦ جمادى الاولى بلسان صاحبها احمد افندى فؤاد المصرى مانصه مع اختصار قليل بغير تصرف .

من شاء بعدك فليمت

اليوم نامت أعين بك لم تنم وتسهدت أخرى فعز منامها

اليوم سكن نفس من أشهر الانفاس ، اليوم مات من لو لم يختم الله نبوته بمحمد وكتبه بالقرآن لبعثه نبى رحمة وأنزل عليه قرآن هدى ، اليوم مات الاسلام ، وقبر فى ضريح الاستاذ الامام ، اليوم ذهبت هيبة الدين ، وقويت شوكة الملحدين ، اليوم ماتت الآمال ، واضمحلت عزائم الرجال ، اليوم مات من لو كان يفدى لافتديناه بألف كبير من كبرائنا وعشرة أمثالهم من علمائنا اليوم

قد خططنا للمعالى مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

والموت حتم فى رقاب العباد ، فمن بعد الاستاذ الحكيم ، للتربية والتعليم ، ومن يستدر الاغنياء للبائسين ، ومن يصون أوقاف المسلمين ، ومن يحمى دين الموحدين ، فالاسلام الآن يئن أنين المتوجع ، وينشد إنشاد المسترجع .

طوى الدهر مابينى وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر

ومن عجائب الدنيا أن ذلك الذى كان لايسع نفسه العالم قد وسعه لحد لايزيد عن ذراعين فى مثلهما نوى فيه وحثى عليه التراب وأمسى فى ظلمات القبر وطالما فتح لنا أبواب السعادة بجاهه وجميل سعيه وأنار بصائرنا بوعظه وإرشاده فأصبحنا بعد فقده .

لافانسكا (١) آخر في مصر نقصده * ولا له خلف في النـاس كلهم

ولو أنصف الدهر لـكان بيت الله الحرام أحق برفات الشيخ من أرض مصر

ومن عجيب صنع الله أن أحمد المنشاوى نال قسطاً وافراً من العافية فلما صار من الاتقياء البررة أحاطت به الآلام ونالت منه الأمراض والأسقام فلحق بالسابقين الاولين كذلك الشيخ كان مشغولا في أول أمره بتحصيل الحكمة ثما بدأ فيما بدأ فيه من إصلاح الدين ومحاربة البدع والضلالات أبدله الله بثوب العافية ثوب المرض وقبضه اليه قبل أن يتم ماشرع فيه وجاهد له . ولله حكمة فيما فعل لان الامة التى تسمى بالامة الاسلامية أمة لا تستحق إلا الذل والهوان والله أعدل من أن يمن عليها بمن يصلح أحوالها ويقوم اعوجاجها وينهض بها ويرأف على صغارها ويبر كبارها ثم لايلاقى منها إلا مايلاقى الحليم من السفيه فدعاه فلبى وودع هذه الفانية واستقبل الباقية وليس معه مايقابل الله به إلا حسن ظنه وقوة إيمانه وثبات يقينه ولا بين يديه مايقدمه اليه إلا رسالة التوحيد التى لولاها مااهتدى أحد إلى وجود الله .

ومما يخفف الحزن عن أشياعه وأتباعه إجماع أهل التوراة والانجيل والزبور والفرقان على تبجيله وتعظيمه لانه كان يوفق بحسن رأيه بين المتخالفين ويؤلف بين المتنافرين وينتصر لدينه أكبر انتصار من غير أن يغضب واحداً من أهل الكتاب فكانت هذه المزايا التى نزعت التعصب من القلوب ووضعت مكانه التآلف داعية إلى الحزن عليه فدقت النواقيس في الكنائس وأذن المؤذنون في الجوامع وأقفل التجار حوانيتهم واستقبلوا الجنازة بقلوب موجعة وأعين دامعة وعبارات الحوقلة والاسترجاع ، وذم الزمن أقل ما كان يخرج من أفواههم ويدور على ألسنتهم . وهذا الجزع العام من كل الطوائف على اختلاف أديانها وتلون ألوانها لم ينله واحد منذ برأ الله الدنيا .

كان رضى الله عنه شريف النفس عالى الهمة طاهر الذيل نقى القلب واسع الصدر رحب الذراع ، طويل الباع ، جم البر ، كثير الخير ، قوى الايمان ، عويص

---

(١) اسم رجل

الحكمة ، ثاقب النظر ، سريعا إلى المكرمات معيناً فى الملمات ، ماجلس مجلس سوء ، ولاعصى الله فى عدو له ، ولا رأى إلى الخير سبيلا إلا سلكه ، ولا للاصلاح بابا إلا ولجه . وكان كرم الله وجهه يرى وغبار الموت على وجهه ان الحمام بعيد عنه فاذا سئل فى ذلك قال : ما كان الله ليقبضنى اليه قبل ان انتهى مما بدأت فيه من الخير لدينه فدعونى من ارجاف المرجفين ، وتخرص المتكهنين ، فان أمامى عملا عظيما لابد لى من اتمامه

ولقد كان احسن الله اليه فى أخراه ، قدر احسانه الينا فى دنياه ، إذا بلغته سيئة من سيئات اعدائه أو وصل اليه خبر مكيدة كادوها له استغفر الله لهم منها وقابلها بالحسنة ودعا لصاحبها بالهداية ومازال هذا دأبهم ودأبه كلما أسمعوه شرا أسمعهم خيراً وكل ينفق مما رزقه الله . ولو شاء الشيخ نفعنا الله بشفاعته يوم القيامة ان يطعمهم من لحومهم وهم أحياء لصنع ولكنه الحلم يجمله العاقل حرزاً ، ويعده الجاهل عجزا وما كان أعداء الشيخ الجليل إلا جماعة من الغوغاء ، وطائفة من الجهلاء ، وإلا فأى عاقل يعادى الحقيقة ويقاوم البر ويحارب العلم ، سئل الأحنف بن قيس أيما أحلم أنت أم معاوية ؟ فقال للسائل ما رأيت والله أحمق منك فان معاوية يحلم مع قدرته وأنا أتحالم لعجزى : وليس من ينكر على فقيد الاسلام قدرته ويطالب الدليل عليها إلا من يطلبه على وجود الله وكل شىء دليل على وجوده . ولقد أوصى بحساده وهو فى النزع خيرا واستحلف أقدر الناس على البطش بهم لايسيؤهم وما كانوا ليخالفوه بعد أن عاهدوه ولولا حق للشيخ فى أعناقهم ومنزلة فى نفوسهم لسدوا عليهم مطلع مشمس وحالوا بينهم وبين الهواء ونجروا لهم ألف آلة حدباء

أما مروءته فليس أقوى للدلالة عليها من خروجه قبل أن تخرج الشمس من غمدها وجيبه ممتلىء برقاع امتلأت بحاجات الناس فلا يرجع الى داره إلا بعد أن يرجع الدهر عن معاكسة من وضعوا آمالهم فيه فحارب فى سبيلها وأنالهم ما شاءوا وأنف المعاكس راغم وكم نظر الله اليه فى جوف الليل وهو يمد يده بالحسنات الى الفقراء والمساكين ويعول أنفسا ماتت بموته اليوم

أما نشاطه وان جل عن الشبيه فنشاط فتى انكليزى فى مستعمرة جديدة

لا يتطلع إلا إلى المجد . فهو يقتل الوقت ويخنق الزمن بالعمل ويرى الراحة فى التعب واللذة فى النصب . ومن يشتغل صيفاً وشتاء من الساعة السابعة صباحا إلى التاسعة مساء إلا الاستاذ الحكيم؟

أما فضله فقل ماشئت فيه فاعداء الشيخ رحمه الله لاينكرونه (والفضل ما شهدت به الأعداء) وهل يحتاج النهار الى دليل

أما أخلاقه فاخلاق الملائكة فما شئت من سعة الصدر وكثرة المجاملة من غير تكلف مع خفة الروح وكان ليس عنده كبير أفضل من صغير إلا إذا قدمه عقله ومع هذا فالناس على تفاوت عقولهم قد وسعتهم اخلاقه . ولو قارنت بين نفوسنا ونفسه لعلمت أنه من غير تلك الطينة فان الواحد منا إذا حفظ قصيدة لغيره ملأ الدنيا ثناء على نفسه وفخرا بذكائه واعجابا بقوة حافظته فكم يكون فخر الشيخ فى علمه وفضله لو كانت نفسه الكبيرة كنفوسنا الصغيرة . وماجئنا بهذا إلا لأن فقيدنا حكيم الأمة كان يتأفف إذا مدح ويتألم إذا أثنى عليه ويرى ان الشكر على معروف ثمناً له وما كان ليصنعه إلا ابتغاء مرضاة الله

أما دينه فكانت غيرته عليه غيرة الراشدين ، فما فاته فرض من فروضه لا فى سفر ولا فى مرض . حدثنى أديب مصر ابراهيم بك المويلحى قال : كنت فى أوروبا مع الشيخ شتاء فكنا نتسامر إلى الساعة الثانية بعد نصف الليل ثم يأخذ كل منا مكانه فكنت لا أطبق جفنى بعد أن يحتوينى مضجعى إلا وأسمع الشيخ يقول : يا ابراهيم الصلاة : فلما ضاق صدرى قلت له بلسانى لايبقلى لك صلاتك ولى كفرى . ولكم دينكم ولى دين . وكان يساعد من ماله طلبة العلم الذين قعد بهم الفقر عن الطلب ويبر أصحاب العاهات وأبناء السبيل حتى مات عن شيء خير منه لاشيء

فاذا مشى الناس فى جنازة الاستاذ وعزى بعضهم بعضا وقالوا الآن ماتت الحنيفية . فلهم بعض العذر فالمصائب تذهل وما كنا لنتوقع مثل هذه المصيبة ولو توقعناها لذهبنا إلى الهند وربضنا أنفسنا وتدرعنا بعزيمة قوية فاما وقد فاجأتنا على غرة فالهول جسيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم

فهلا فديت اللهم الشيخ بنا جميعا فانا لانرضى له بفدية الذبيح استغفر الله فان الكبش والله ينتفع به أما نفوسنا ففي حيز العدم ومن المحال ان تفدى تلك النفس الكبيرة . فالموجود لايفدى بالمفقود

فاللهم ارحم ذلك الذى ينسى نفسه ويقول فى وقت يذهل فيه المرء عن امامه وأبيه وصاحبته وبنيه

ولست أبالى أن يقال محمد أبل ام اكتظت عليه المآتم

(واورد سائر الأبيات)

(وقالت جريدة الصيحة الغراء الصادرة فى طنطا فى ١١ جمادى الأولى بلسان صاحبها محمود افندى الشاذلى المصرى)

مات المفتى

دوى فى أنحاء القطر صدى نعى الاستاذ الكبير ، والعالم المفضال النحرير ، قطب دائرة الفلسفة ، وملتقى اشعة البيان ، وسيد واضعى القوانين ، ورافع لواء العلم والدين ، الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، انتقل إلى دار الرحمة والرضوان عقيب مرض قصير المدى شخصت فى اثنائه الابصار الى ثغر الاسكندرية متطلعة إلى فضيلة الاستاذ حائمة حول سريره متسائلة عن حال صحته من ساعة لأخرى متخاطفة أنباء سير مرضه داعية له بالشفاء ولكن هكذا قدر فكان إنا لله وإنا اليه راجعون

وليس للصحيفى المؤرخ فى هذا الموقف الصعب غير باب التلخيص والايجاز فى سرد تاريخ حياة مملوءة كلها بالمفاخر منزهة عن الآثام والمعايب تزينها الاعمال المجيدة وتحليها الآثار الغراء على العلم والعلماء والتربية والتدريس وتنقيح القوانين الوضعية وتطبيق الدين الاسلامى على العلوم الحديثة والمدنية الأوربية الجديدة فعاش مكرماً من ملوك الاسلام مرموقاً بعين عناية أساطين العلم فى كافة أقطار المسكونة كما كثر اعداؤه ومبغضوه وهم حساد النوابغ الراغبون فى اخماد انفاس

كل ناشر للحقيقة المجردة عن الزيغ والبهتان

تلقى مولانا الاستاذ الامام دروسه العلمية على كبار رجال الأزهر فكان منظوراً اليه من الجميع بعين المهابة على صغر سنه ثم انتظم فى سلك رجال النهضة الحديثة التى رأسها الشيخ جمال الدين الافغانى ثم سار فى تيار الثورة العرابية فكتب وخطب حاثاً على انقاذ الوطن من مخالب الترك والافرنج ولولا سوء تصرف عرابى وبعض زملائه لأزهر ثمر قول الاستاذ وكانت مصر فى غير حالتها اليوم

وبعد ان هدأت زعازع الفتن وعادت مياه الصفو الى مجاريها ولم يجد رجال الاحتلال من يعولون عليه فى تدبير بعض المهام الادارية والقضائية استعادوه من الديار السورية (*) وأجلسوه على أحد كراسى المحاكم الابتدائية ومنها الى وظيفة مستشار فى الاستئناف ثم تولى منصب الافتاء وهو فى كل مركز من هذه المراكز الرفيعة موضع الهمة وعنوان الشهامة ومحط رحال الاجتهاد وحب العمل واستبدال القديم البالى بالجديد الزاهى رغماً عن كثرة ما كان لديه من إدارة الشؤون العمومية والخصوصية فهو عضو الشورى النافذ الرأى المسموع الكلمة وهو الناظر من حين لآخر فى إصلاح المحاكم الشرعية وهو زعيم ذوى الافكار الحرة ومدرس علم التوحيد والتفسير والبلاغة بالأزهر وهو مدير دفة أعمال الجمعية الخيرية وهو رئيس كل عمل خيرى ومشروع علمى أو أدبى خطير وهو صاحب التآليف الخطيرة والكتب التى أفحمت علماء النصارى وأحنت أمامه رؤس علماء المسلمين فمن الرد على هانوتو إلى رسالة التوحيد إلى شرح نهج البلاغة إلى تفسير القرآن الحكيم الى العلم والمدنية إلى غير ذلك من نفائس الكتب التى لم تساعد الظروف على ظهورها وهو صاحب الفتاوى العصرية التى أقامت الدنيا وأقعدتها وهو ماحق الخزعبلات والاضاليل التى تسكع فى ظلماتها المسلمون أكثر من جيل فلا غرابة إذا لبس عليه كل مسلم مؤمن ثياب الحزن وبكته البلاد الاسلامية من باكين الى طنجة أحسن الله جزاءه وألهمنا على فقده الصبر والسلوان بمنه وكرم ا ه

(*) لما عاد الرجل من سورية لم يكن يعرفه أحد من أهل الاحتلال وعفا عنه الخديوى بشفاعة مختار باشا

وقالت جريدة العجائب الغراء فى عدد ١٩ الصادر بالقاهرة فى ١٦ جمادى الأولى بلسان صاحبها محمد افندى فوزى المصرى مانصه مع اختصار

هل ماتت الامة

بموت المفتى ؟

فزعت أفئدة أفراد الأمة كافة لمنعى فقيدها بل فقيد الشرق كله مفتى أفندى الديار المصرية رحمه الله وظهرت الصحف جميعها مفصحة عما يراه الرأى العام فى هذا المصاب الجلل رائية الفقيد ذاكرة غرر أعماله وجليل آثاره وهكذا فعلت الحكومة بان اشتركت رسمياً فى تشييع الجنازة وتعزية آل الفقيد ونحن مع حضرات الزملاء الأفاضل وكل آسف لهذا الخطب نعزى أنفسنا وزملاءنا فى الوطنية والدين على انطفاء هذا المصباح المنير والمرشد الامين قائلين : إنا لله وإنا اليه راجعون

نعم ان المرحوم كان شعلة ذكاء متوقد وعلم فى كل فن ومطلب وكانت ميزته الوحيدة هى انه كان همزة وصل بين القديم والحديث والعلم والدين والحكومة وأصحاب العمائم وهو امتياز يقربه الاعداء والمحبون كما لاينكر أحد واسع علمه وغزارة اطلاعه ولهذا بلغ ذلك المبلغ الذى لم يصله سواه

وعقيب وفاته تطلعت العيون الى من سيخلف فضيلته فى منصبه فسمت لنا الصحف اليومية عدداً من فحول رجال الأزهر ثم عادت فأخذت فى تكذيب بعضها وبالاخير أجمعت على انه لايتم التعيين إلا بعد عودة الحكومة من المصيف فمتى عادت لابد من انتخاب أحد الذين سمتهم الصحف ولكن هذا التعيين لايغنى صاحبه ولا الأمة فتيلا إن لم يكن الخلف كالسلف عارفاً بمواقع الداء مدركا حقيقة الهيئة الحاكمة ونواياها وسمو مبادئها وأغراضها نحو هذه الأمة التعيسة فان لم يكن كذلك لايلبث حتى يلحق بسابقيه ممن لم يعمروا فى منصب الافتاء سنوات ثم عادوا منه بخفى حنين بعدان جنوا على ذواتهم وأبناء دينهم شر جناية وهكذا يبقى هذا المنصب الشريف كالكرة بين الأيدى حتى يتيح له الحق مثل المرحوم (الشيخ

محمد عبده) عالماً عصرياً متفقهاً عارفا الواجب عليه سياسياً ومدنياً وحينئذ ترفع الأمة صوتها قائلة : أعطى القوس باريها وأسكن الدار بانيها . وتردد ما يقوله الافرنج عند موت ملوكهم وتنصيب غيرهم فتنادى صارخين: مات المفتى فليعش المفتى

أحسن الله عزاءنا وعزاء المسلمين أجمعين وألهمنا على الفقيد الصبر والسلوان وألهم علماءنا مايحافظون به على مجد الاسلام والصلام

وقالت جريدة العمران الغراء فى عدد ٢٤٤ الصادر فى ١٣ جمادى الآخرة و١٤ يوليو بلسان صاحبها عبدالمسيح بك انطاكى من طائفة الروم الارثوذكس السوريين وقد صدرت التأبين بصورته

مات الاستاذ الامام

وخططنا للمعالى مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

بل فقد رزئت مصر بل الامة العربية بل العالم الاسلامى برجل ولا كالرجال

مضت الدهور ولم يجئن بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

فلا عجب اذا طار منعاه فى الآفاق ، وعم الحزن عليه السبع الطباق ، وتمنى كل مسلم وكل من يغار على مصلحة الاسلام ولو افتداه بماله وروحه

وهيهات أن ترضى المنيـة فدية وهيهات أن يرضى الحمام له بدل

مات الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده فمن بعده للافتاء ومن بعده للشورى ومن بعده لتفسير الكتاب الكريم ومن بعده للجمعية الخيرية ومن بعده لاصلاح المحاكم الشرعية ومن بعده للفقراء والبائسين ومن بعده لمدرسة القضاة الشرعيين وهى جنين ومن بعده للاصلاح والمصلحين ومن بعده للاسلام والمسلمين ؟

ومن بعده يعنى لاصلاح دينه ليحيي الى الاسلام مافات من مجد

يحارب من قد ضل فيه ومن غوى ومن زاغ فى سبل الهداية والرشد

هذا هو الرجل الذى فقدناه ، والشجاع الذى بكيناه ، والعلامة الذى رثيناه

فان نشق عليه الجيوب ، ونمزق أسودة القلوب ، ونستمطر الدموع من المآقى ونيأس بعده من بلوغ الآمال والامانى ، نكون قد وفينا حقه الواجب الأداء وقمنا بما هو مفروض علينا من الرثاء

سنبكيه ما عشنا وندب فضله ... وننثر فيه المرثيات وننظم
وان هو إلا كان كافل قومه ... فيالهف قلبى مات عنهم وهم هم
قضى عمره يرجو الصلاح لقومه ... فلم ير للاصلاح من يتقدم
وقاموا عليه يطلبون نكاله ... وحاديهم الجهل القبيح المذمم
فما ثبطوا عزماً له فى فعاله ... ونفس العظيم النفس لاتتقسم

على ان هذا القلم لاعجز عن أن يفى مثل هذا الفقيد حق الرثاء ، أو يصف ماحل من هول الخطب على العقلاء ، أو يبلغ من القول مايعبر عن تلك المصيبة السوداء ، فقد كان للامة نوراً فانطفأ النور وأمست فى ظلمات بعضها فوق البعض ، وكان لها هاديا فمضى وتاهت فى فلوات من الجهل قداختلط طولها بالعرض ، فاليوم يعلم الناس قدر الفقيد ، ويعلمون أنهم فقدوا به الحكيم الهادى الرشيد ، ولعمرى

لايعرف القوم الفتى إلا إذا ... مات فيعطى حقه تحت الثرى

نعم مات الشيخ محمد عبده رحمه الله وإذا أردت أن تعلم من هو هـذا النابغة الذى فقدناه فاسمع ماقال وهو يجود بنفسه عندما أدركته الوفاة

(ثم أورد الابيات التى تقدمت وقال)

وبعد فقد خلق الشيخ محمد عبده للاصلاح ، ومات وهو شهيد الأصلاح ينشد الاصلاح ، ويسأل الله أن يمن على الامة بالاصلاح ، فالمصاب اليوم مصاب الاصلاح فان نبكه فانما نبكى على الاصلاح ، وان نرثه فانا نرثى الاصلاح

وقد فقد الاسلام أفضل مصلح ... وأفضل من قد جد فى سبل المجد

الا ان البكاء لايغنى فتيلا وهيهات أن يخفف العويل والنواح من فداحة الرزء الذى منينا به والخسارة لاتعوض لنرجو لها بدلا وعنها مصرفاً وشهرة فقيدنا رحمه الله وجعل فى الجنة مثواه أوسع من أن نخوض بتعريفها فما من مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها إلاوسمع به واستفاد من علمه كما أن علماء أوربا ورجال السياسة

فيها كلهم يعرفون الفقيد كما هو ويسمونه ركن الاسلام وأعظم مدافع عن المسلمين

وقد ذكرت الجرائد اليومية فى هذه الأيام طرفاً من ترجمته ومجملا لأعماله التى كان يشغلها وما كان لدفنه من الحفاوة والاحترام مما مجمله ان الفقيد توفى فى الاسكندرية على إثر علة سرطانية فى الكبد وقد ذهب اليها للاستشفاء على اشارة الاطباء. فشيع الى المحطة بالاجلال والاحترام ومشى بجنازته كل عظيم وجليل من رجال الحكومة المصرية وأقله قطار خاص الى القاهرة فاستقبله المديرون والاعيان والعمد فى محطات دمنهور وطنطا وبنها وإذ وصل الى مصر استقبله موظفو الحكومة جملة ومشايخ الازهر عموماً وأعيان القاهرة وما جاورها حتى بلغ عدد المشيعين نيف وخمسة آلاف نسمة على أقل تقدير وصلى عليه فى الجامع الازهر ودفن رحمه الله فى قرافة المجاورين

وقد جهلوا قدر الامام فأضرحوا ... لاجلاده فى موحش بفلاة

ولو أضرحوا بالمسجدين لانزلوا ... بخير بقاع الارض خير رفات

وعليه سقى الله ضريحه بسحب الرضوان

بكى الشرق فارتجت له الارض رجة ... وسالت عيون الكون بالعبرات

ففى الهند محزون وفى الصين جازع ... وفى مصر باك دائم الحسرات

أما الذى كان يرمى إليه الاستاذ الامام ويسعى فى سبيله وكان يقول رحمه الله انه لايخشى إلا من الموت لأنه يقطع عليه طريق السير اليه فهو أنه كان يريد أن ينهض بالاسلام بما يعيد للمسلمين ذلك المجد القديم والسلطان الواسع وكان رحمه الله ينظر فى الامر نظر الطبيب الذى يشخص الداء ويصف الدواء فكان يرى ان الذى أوقف المسلمين عن التقدم ليس من أصل دينهم بل من البدع التى أدخلت على الدين وقد برهن على ذلك بالحجج الراهنة من آيات القرآن المبين والأحاديث النبوية الشريفة وان احسن طريق يجب أن يسلكها المصلحون هى فتح أبواب الاجتهاد للمتأخرين كما كانت مفتوحة بوجوه المتقدمين فيقوى حينئذ العلماء العقلاء على التوفيق بين الدين الصحيح والمبادىء العصرية الحاضرة وحينئذ ينشط المسلمون فى مباراة الغربيين فى العلم والعمل وكانت اعماله كلها فى

مدى حياته منصرفة إلى هذه الوجهة فعارضه بذلك المقلدون ووقفوا فى وجهه وقفة المتعصب الجاهل وساعدهم ذوو الاغراض من المستفيدين من الحالة الراهنة وتولد عن ذلك اضطهاد أدبى للامام حيث اعتقدت العامة بأن الرجل كافر أو يميل إلى الكفر بتغرير أولئك المتعصبين وإلى هذا أشار حافظ أفندى ابراهيم بقصيدته التى رثاه بها حيث قال :

وآذوك فى ذات الآله وأنكروا ... مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى فى جانب الله لذة ... ورحت ولم تهمم لهم بشكاة
لقد كنت فيهم كوكباً فى غياهب ... ومعرفة فى أنفس نكرات
جمعت لهم بين الهداية والتقى ... وفرقت بين النور والظلمات

ونعتقد ان الأستاذ الفقيد وان مات مطعوناً بأسنة تلك المقاومات موت شهيد فى سبيل الدين إلا أن مبدأه لم يمت وان كانت المسيحية قد استضاءت بعد تلك العصور المظلمة بأنوار الاصلاح الذى قام به لوثيروس فان الاسلام لابد عاجلا أو آجلا من أن ينتعش بروح هذا الفقيد وقوة تعاليمه التى بثها فى صدور تلاميذه ووضع بعضها فى تفسيره للقرآن الحكيم والتاريخ يروى لنا حوادث كثيرين كفقيد اليوم نشدوا الاصلاح فلاقوا من الاضطهاد الشىء الكثير إلا أن مباديهم لم تضع بل نمت بعد موتهم وتقوت وانتفع الناس بها فخلدت لهم الذكر العاطر على مر الدهور وسيأتى زمان يسود فيه رأى الأستاذ وشريف مباديه ويذكر المسلمون هذا العزيز فيسمونه المصلح العظيم بعد أن كان يدعوه العقلاء فى حياته الامام الحكيم

هذا وإنا لنسأل الله سبحانه أن يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه ويلهمنا جميعاً نعمة الصبر والعزاء على فقده وان يفتح بصائرنا لفهم مباديه العليا وقبول آرائه الصائبة وأن ينفعنا بحكمته ويهدينا بهديه فهو سبحانه على كل شىء قدير

وقالت جريدة الفاروق الغراء فى عددها ١١ الصادر بالقاهرة فى ١٣ جمادى الأولى بلسان صاحبها محمد أفندى عزت المصرى

الى رحمة الله

رزئت الأمة المصرية بفقد المغفور له « الشيخ محمد عبده » مفتيها الأكبر فكان لموته أسف عام وحزن عظيم شمل جميع الطوائف والملل . وقد احتفلت الحكومة بتشييع جثة الفقيد الجليل الى جدثه احتفالا رسمياً مهيباً لم يسبق له نظير وإن الرجل يستحق هذا لأنه كان نافعاً رضى الأخلاق طائر السمعة فى العالم الاسلامى كله

(ثم قالت بعد ذكر الاحتفال بجنازته)

وانا نتقدم بواجب التعزية لحضرة عزتلو حموده بك عبده شقيق الفقيد وباقى عائلته وآله الكرام وان كنا نعتقد ان فقده مصيبة عامة لكافة بنى الاسلام ولولا أن الصحف اليومية قامت بواجب تأبينه لأفضنا ولكن هذا ما وسعه المقام الآن والسلام

وقالت جريدة المأمون الغراء فى عددها ٣٦٥ التى تصدر فى القاهرة بلسان صاحبها أمين بك حسن المصرى ما نصه

رزء جسيم ومصاب عميم

رزئت مصر بل الشرق بل العالم الاسلامى عموماً بدك طود علم من أطوادها الشامخة ، وفقد ركن فضل وأدب من أركانها الراسخة ، العالم النحرير ، والأستاذ الكبير ، الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية عاجلته المنون فى مساء يوم الثلاثاء الماضى فى منزل صديقه محمد بك راسم فى رمل الاسكندرية على إثر داء عياء ، فنيت فى مداواته حيل نطس الاطباء ، وما طار نعيه فى أنحاء البلاد حتى عم الحزن

والأسى كل إنسان، وأخذ الأسف يتردد عليه من كل لسان، وهذا أعظم برهان على أن مصر عرفت انها خسرت رجلا عظيما إماماً: وعالماً عاملا مقداماً، ولو شئنا ان نفى عظم الرزية حقها من الوصف الشافى أو أن نعدد مناقبه وفضائله ومآثره ومحامده لاقتضى لنا مجلد ضخم ولم نبلغ عشر المعشار فنقتصر على القول بما رثاه به بعض الفضلاء، حيث قال: إن المصاب به مصاب أليم والخسارة بموته خسارة قد لاتعوض — والمرء مذكور بحسناته — بل كيف لاتكون الخسارة كبيرة وقد كان فى الشورى صاحب الرأى النقاد والفكر الصائب والمقدم على كل رأى وفى اللجنة التشريعية صاحب المقام الأول. وفى المجلس الأعلى للاوقاف المرشد الهادى وفى الجمعية الخيرية الاسلامية الرئيس المحيى وفى مجلس إدارة الأزهر المصلح الهادى. وفى عالم الآدب العلم الذى يشار إلية بالبنان وفى اصلاح المحاكم الشرعية الأهلية العامل المجد العاقل. وفى كل أمر كبير الرجل المقدم المفضل فلا يتم فى مصر عمل كبير إلا ويده فيه قبل كل يد وسعيه فيه قبل كل سعى — وصفوة القول ان الشيخ محمد عبده رجل لايعول إلا على ذكائه الوقاد الثاقب، ورأيه النقاد الصائب حتى صح أن يقال عنه: إنه رجل الشرق وواحده العامل.

هذا ومما يدلك على أن الحزن فى مصر على فقده عظيم وعميق أنه ما كاد القطار الخاص الذى يقل الجثة من الاسكندرية يصل إلى محطة العاصمة بعد ظهر يوم الأربعاء التالى ليوم الوفاة حتى أقبل إلى المحطة العلماء والعظماء وكبار رجال الحكومة وضباط الجيش المصرى وجيش الاحتلال، وكل ذى حيثية ومقام عال، وسمات الآسى بادية على وجوه الجميع

﴿ثم أفاض فى وصف الاحتفال وختم الكلام بقوله﴾

فنسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ويعزى آله وذويه الكرماء، بل مصر والشرق والاسلام عموماً عن فقده أجمل عزاء إنه تعالى سميع النداء ومجيب الدعاء.

(وقالت جريدة الممتاز الغراء في عدد ٢٤١ الصادرة بالقاهرة في ١٣ جمادى الأولى بلسان صاحبها الشيخ مصطفى الشاطر المصري وقد صدرت ما كتبته بصورته وتحتها هذان البيتان)

أبا حنيفة لا دمعي بمنقطع حزناً عليك ولا همي بمحدود
قد مزق الموت ثوباً كنت لابسه من نسج حمدك لا من نسج داود

فقيـــد الشرق

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حم القضاء ، فلا مرد لحكم الواحد القهار ، مات بالأمس مولانا المفتي فمات العلم والأدب والفلسفة والحكمة والهمة والعمل والرأي والتدبير والشجاعة والاناة وعزة النفس وفقد الاسلام والمسلمون ركن نهضتهم وحامل علم رقيهم وانطفأ المصباح الذي كان يضيء الخافقين وحال الموت بيننا وبين القمر المنير في سماء مصر الذي كان يرسل أشعته نوراً إلى العالمين فيهدي كل سائر في هذه الدنيا يسترشد به الشيخ ويزداد العاقل تبصرة والجاهل علماً والشاب موعظة عبرة والرجل الحكيم خبرة ولكن «قتل الانسان ما أكفره» عاش مولانا المفتي ٦٥ عاماً معلماً مهذباً مرشداً للنفوس مصلحاً لأدواء العمران فنغصنا عيشه وقتلناه بأعمالنا أشد قتلة

أيها الناس : أي عمل قام به مولانا (رحمه الله) ولم نعارضه فيه؟ أي مشروع أدبي بدأ به ولم نقف أمامه حجر عثرة ؟ أي خير فعله ولم نقل إنه الشر والاثم والزور والبهتان ؟ أي تعليم له لم نقلبه عليه بدعوى أنه يزيد افساد الأخلاق ومخالفة ما قرره السلف الصالح ؟ ولكنها همة فوق السحاب ونفس كبيرة وأخلاق شريفة رضية وبحر علم خضم لم تؤثر فيه الترهات أو تمنع ظهور فضله كثرة الاعادي والحساد . فعاش كغيره من الأنبياء والحكماء والملوك كثير الاعداء كثير المحبين وهي ميزة كل نابغة عظيم القدر والمقام. وإذا كان نصف الناس أعداء لمن ولي الحكم فلا غرابة إذا رأينا ثلاثة أرباعهم مبغضين لمن ولته الزعامة الدينية والأدبية علومه ورفعته إلى أوج النعمة فضائله وداس على رقاب أخصامه بقدم همته

فكان أينما تحرك تحركت الدنيا وحيثما حل تطلعت اليه الابصار وحامت القلوب والكل بين مقدس لتلك الفضائل مدحاً ، وعامل على اشهارها ذماً وقدحاً ، وكلا الاثنين — العدو والحبيب — كانا فى مستوى واحد نحو تلك الحياة الممثلة بالمفاخر والآثار

كم من العلماء تركوا الازهر واشتغلوا بالقضاء ، كم من المصلحين ومحررى الشعوب أقصتهم الحكومة عن البلاد . كم من رجال العلم تولوا الافتاء ، كم من الافاضل أنابتهم الحكومة عنها فى مجلس الشورى والجمعية العمومية عشرات ومئات تقلبوا فى هذه المراكز الخطيرة وأتى بعضهم بكثير من جليل الاعمال ولكن بينهم فرداً واحداً كان طالب علم وكان شيخاً متنوراً طالباً للحقيقة المجردة وكان مدرساً وكان خطيباً بليغاً وكان محرراً صحافياً وكان قاضياً وكان مستشاراً ومات مفتياً وهو فى كل مركز من هذه المراكز العضو المتحرك للخير الانسانية والعلم المفرد الساعى وراء ترقية أبناء أمته ودينه والبطل الذى لم يخش فى حياته وطنياً أو أجنبياً لتأكده بأنه انما يعمل على مايقوى ساعد الملك ويوثق روابط الالفة بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة — هذا هو الشيخ محمد عبده فقيد الاسلام الخالد الذكر

فتى ريفى ألهم الله والده بأن يعلمه فبعث به الى الجامع الاحمدى بطنطا حيث كانت الجوامع دون سواها مواضع تلقى العلم والمعرفة فاختلط بشبان وشيوخ يظنون أقوالهم الحكمة وأراءهم فصل الخطاب ويخيل لهم ان كل العلم والدين منحصر فى متن معقد وشرح أكثر تعقيدا وتأويل غامض وتفسير مبهم فاخترق بحاد بصيرته ان علم هؤلاء جهل وصحيحهم غلط فعف عن العلم أياماً ثم آب اليه وافترش صحن الازهر طالبا لفائدة عقلية أو نقلية فلم يجد إلا مناقشات وجدالا ومغالطات كان يخرج منها على غير هدى ولكن ذلك كله لم يمنعه عن استئناف بحثه وتنقيبه محكماً عقله فى الاستدلال والاستنتاج فرماه سادتنا علماء الأزهر بالميل عن الصراط السوى وادعوا انه يذيع بين الطلاب مذهب المعتزلة وكادوا ينشبون به أظفارهم لولا ان قيض الله له من أخذ بيده ونصره عليهم وعلى وقته وهو ذياك الحكيم الشرقى الشيخ جمال الدين الافغانى فتمازجا روحياً وعرف كل مايكنه

صدر الثانى من صنوف العرفان والميل لهدم صروح الفساد والجهل المستولى على أفئدة المسلمين عموماً والمصريين خصوصاً ولكنهما لم يبدءا بنشر تعاليمها حتى كثرت الوشايات وعمت السعاية والنميمة واعتصب ضد فقيدنا علماء الازهر ولولا الشيخ العباسى المهدى لما أنالوه درجة العالمية . وما كاد ينجو بعلمه من شر الازهريين وغباوتهم حتى وقع مع زملائه أبطال النهضة الفكرية فى شرك نصب له وتهمة فظيعة فأبعده اسماعيل باشا عن عاصمة القطر إلى مسقط رأسه فى مديرية البحيرة ولم يعد إلا بحسن رعاية الوزير الخطير دولتلو رياض باشا أحد العارفين بفضله الراغبين فى افادة البلاد بواسع علمه فولاه منصب تحرير الوقائع المصرية وكانت كحالها اليوم عبارة عن اعلانات رسمية مع بعض أخبار ادارية ووقائع محلية ففك قيودها وتوسع فى طرق تحريرها أو بعبارة أفصح حررها من سجنها إلى فضاء الحرية فنقد الاخلاق والعادات وأشار بمواضع الخلل فى أعمال الحكومة ودوائرها وفتح للكتاب أبواب التحرير التى كانوا لايعرفون غير اسمها فكانت نهضة فى الانشاء هى الخطوة الثالثة من أعماله التى أظهرت مواهبه وخالف بسيره فيها ما كان يظنه البعض أساسا لاينقض فهدم أبراج خزعبلاتهم وأبان لهم كيف يجب أن يكون العالم وكيف ينبغى أن يكون الامام المصلح وماذا يفرض على من تلقى اليه أزمة التحرير والتحبير لأمة جاهلة وحكومة دستورية اسماً مطلقة فعلا

هبت الثورة العرابية وكان فقيدنا فى فجر حياته ومطلع شهرته فلما دعي أجاب وهو يرمى إلى غير غرض عرابى وسامى وعبد العال : كان يعتبر هذه الثورة خطوة فى سبيل التحرر من رق الأجانب ، كان يظن ان ثمار كتابته وأقواله قد أينعت فجاهد جهاد العقلاء وقدم الرأى على شجاعة الشجعان ووضع الحكمة والسداد موضع الجهل والرعونة والتسرع ولكن ذلك كله لم يغنه فتيلا . فلا أقنع غفلا لايعرفون غير السيف والمدفع ولا أرضى فئة كبرى كانت تؤيد سمو الخديو والحكومة وكانت نتيجة هذا الموقف الحكيم انه سيق مع العصاة والمتمردين وحوكم كما حوكموا وصدر الأمر بابعاده عن القطر ليس بصفة ثائر مثير بل خوفاً من أن يكون لوجوده بعد الثورة تأثير على الاذهان المتأهبة لقبول الآراء الجليلة الحرة التى لاتلائم

الاحتلال وهو فى مهده . ولهذا كان الأمر العالى الصادر بنفيه ممتازاً بانه يجوز له الاقامة فى أى قطر أراد ويجوز له العودة بامر خديوى وهكذا كان . فحل سوريا حيث لقى القلوب متعطشة لنهلة من بحر علمه واجتمع حوله عدد كبير من الطلاب فأرواهم من وابله وشرح نهج البلاغة وعنى بطبعه ثم انتقل الى باريس وقابل فيها السيد الافغانى وهنا لك رأيا أن أحسن خدمة تؤدى للعالم الاسلامى هى توحيد كلمة المؤمنين على اختلاف الملل والنحل فأنشآ معاً جريدة «العروة الوثقى» التى صدر منها ١٨ عدداً هى نموذج البلاغة وحسن البيان وأول ما كتب فى اللغة العربية من أساطير السياسة الدينية الدنيوية ولم تشغله هذه الصحيفة عن الاستفادة من مقامه فى عاصمة الفرنسيس فدرس لغتهم (١) وترجم بعض كتبهم وقابل كبار وزرائهم فكان هناك سفيراً متطوعاً لخدمة المسلمين واظهار عواطفهم نحو أبناء الغرب فعرف علماء أوربا قدره وأنزلوه مكانته وكانوا يودون لو بقى بين ظهرانيهم يبدد عن سماء أذهانهم ظلمات الجهل بحقيقة الاسلام والمسلمين . ولكن دعته الحكومة المصرية تكفيراً عن ذنبها واعتقاداً بأن البلاد فى حاجة إليه فعين قاضياً بالمحاكم الجزئية ثم المحاكم الكلية ثم مستشارا فى الاستئناف فمفتياً للديار المصرية

تولى المنصب الأخير وهو (أى المنصب) موضع نقمة الأهالى ونقطة دائرة سخطهم يظن الجميع بأن الداء قد استحكم منه ولا يقدر أن يبرئه منه طبيب فخيب الله ظنهم وعاد للافتاء سابق مجده بحسن عناية الفقيد الذى زادت شهرته اتساعاً وشمس فضله نورا وكثر مبغضوه وكيف لا يعادى من تفرد بالحكمة والرزانة والمهابة من كلما أرادت الحكومة أو الامة رجلا لعمل لم تر سواه ، فبينا هو يدير مركز الافتاء تجده العضو العامل فى مجلس شورى القوانين لا تؤلف لجنة لعمل إدارى أو اقتصادى أو مالى أو زراعي حتى يكون من أعضائها ، تجده كبير المستشارين فى ديوان الأوقاف لا يتم عمل صغير أو كبير دون أخذ رأيه واستفساره ، تجده مؤسس الجمعية الخيرية الاسلامية جائلا فى عواصم المديريات يحث السراة والاغنياء على

(١) هذا غلط والصواب انه تعلمها بعد عودته الى مصر كما علم مما كتبه عن نفسه

البذل والعطاء لتشييد دور التربية والتعليم ، تجده متربعاً فى الرواق العباسى يلقى دروس الحكمة والمنطق والبلاغة والتفسير ، تجده فى منزله بعين شمس وقد التف حوله الراغبون فى علمه يفيض عليهم من نوره ، تجده فى تونس والجزائر يداوى أمراض المسلمين ، تجده فى اوكسفرد وكمبردج ينظر كيف ترتقى الامم ، تجده يكتب الفتاوى العصرية التى أقامت الدنيا وأقعدتها فاخرست الاعداء وأفحمت المعارضين وانقسمت لاجلها البلاد قسمين انتصر أصحاب الحق منهما على مدعى الباطل — هذا هو الرجل الذى كان يبتعد عن السياسة ويتحاماها ولكن أبى مركزه الا أن يرغم القابضين على اعنتها على الاحتكاك به والوقوف أمامه موقف الاعداء حينا والمحبين تارة فلم يخش سلطة أمير أو وزير حتى كان ما كان مما فصله الممتاز فى سنتيه الماضيتين من المنازعات والاختلافات التى قامت بين الفقيد ومبغضيه وأهمها فتوى ذبائح الكتابيين وتحليل إيداع الاموال بصندوق البوستة ، ومسئلة العلماء ، ورفع رواتب رجال الاضرحة والمساجد ، وحادثة الازهر الاخيرة التى دوى صداها فى أرجاء المسكونة وحملت لنا صحف الهند استياء المسلمين لكل ما صدر ضد فضيلته رحمه الله

وقد أمضينا الاسبوعين الفارطين مع جم غفير محتاطين بسريره وكانت ألسنة داعية لفضيلته بعاجل الشفاء ولكن ماقدر كان فذهب مبكياً على شمائله مودعاً من الجميع بالاسى والاسف والكل يرددون ان السعادة التى تنعمت بها مصر فى حياة مفتيها وامامها العظيم كانت كالحلم الجميل ولكنه حلم سيبقى أثره فى النفوس وتأثيره على العادات والاخلاق والهيئة الاجتماعية المصرية فى كل دقائق حياتها كما يبقى اسم الشيخ محمد عبده الأجيال الطويلة عنوانا للمجد والفخر فنسأله تعالى ان يهبنا نعمة الصبر على فقده ولا يحرم الشرق من ظهور نابغة يحل محله والسلام

(وقالت جريدة النيل الغراء التى تصدر فى القاهرة بلسان منشئها محمد أفندى غانم المصرى فى العدد ٥٩ ما نصه وقد صدر بصورة الفقيد)

فقيد الاسلام

ان الذى أطلق من يدى القلم وأنا بين عوامل المرض وفواعل الألم تتناوبنى الأطباء، وتشفق على الأصدقاء، شيء لم يكن فى الحسبان له دبيب فى الفؤاد أشد فعلا من تعلق الداء العضال بموضع العلة من المرض

هـذا الذى غلبنى على كل شىء من أمرى فهاج أحزانى وحرك أشجانى فى حين انى لا أستطيع حراكا وانسانى الألم الذى أنا فيه حتى تركنى صريع الأسى بعد أن لفح هذا القلب الحزين بدم هذا الخطب الجسيم

فسلام على الفضيلة وأهلها، والحكمة وطلابها، والمروءة وأصحابها، سلام على العلم والسياسة والأدب والبر والتقوى، سلام على الأزهر وتلاميذه وعلمائه إلى يوم يبعث فيهم حكيم آخر من المسلمين تهون عليه حياته فى طريق تعليمهم وارشادهم واصلاحهم. سلام. سلام على هذه الديار الأسيفة. التى لا يكاد يبدو فى سمائها نجم إلا عاجله الأفول تأديباً وعبرة «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

« سلام على الاسلام بعد محمد سلام على أيامه النضرات »
« على الدين والدنيا على العلم والحجى على البر والتقوى على الحسنات »

(وذكر عدة أبيات أخرى من مرثية حافظ وستأتى فى موضعها ثم قال)

مات المفتى ولم يمت. مات شكلا ولم يمت معنى لأنه رحمه الله أدرك أن الحياة غير مأمونة العاقبة فبادر فى حياته إلى غرس الكثير من الغراس الطيب النافع الذى ابتدأ يظهر وشمر فى آخر عمر الأستاذ وبعين منه فكان ذلك يخفف عنه احتمال ما يهذى به الجهلة بشأنه وأكبر ما يعزيه فى مرضه وغاية ما يقال إن شخص الأستاذ الامام لم يفن وانما هو قد توزع فى أشخاص سيبصرون بنوره فيمشون على أثره ويعملون بعمله ليكون فيهم الأثر النافع لهذا الأثر الخالد وخير خلف لذلك السلف الصالح

على انه حق على العاقل بعد ذلك أن يفكر فى الكيفية التى يقضى بها العاملون من أهل الفضل حياتهم بين ظهرانى هذه الأمة العجيبة فى أخلاقها الغريبة فى أطوارها فقد كان المرحوم مفتى الديار المصرية موضع احترام وإكرام العظماء والمفكرين وموضع اعجابهم به فى كل بلد يحله من باريس إلى بلاد الانكليز إلى الشآم إلى الجزائر إلى أمثالها ثم انظر كيف كان الحقد عليه من فئات فى مصر يدخل فيها — وا أسفاه — فئة كبرى من الأزهريين وجماعة من الصحافيين الذين يعلمون الأمة.

والآن وقد اشتمل على المرض فى أشد أدواره حتى ضعفت يدى عن احتمال القلم فانى أعزى الأمة عن فقد أثمن درة فى تاج حياتها واستودع الله تلك الجوهرة اليتيمة التى جاءت إلى عالم وذهبت منه ولم يعرفها إلا القليل

(يقول جامع الكتاب)

هذه أقوال أشهر الجرائد العربية فى القطر المصرى استقصينا منها اليومية جميعها لأنها فى الغالب أرقى من غيرها وأكثر ما تركنا من الجرائد الأسبوعية فلم نحفل بالاطلاع عليه ولا بحفظه هو مما يسمونه بالجرائد الساقطة والهزلية. ومن غير الاكثر جريدة الرأى العام فهى محترمة إلا أنها لم تكن تصدر فى أيام الفجيعة بالفقيد ومنها جريدة العصر الجديد فقد فقد منا العدد الذى نشر فيه تأبينه ولم يتيسر لنا عوض عنه وسننشر قولا لها فى شأن حفلة التأبين العامة

وانا نرى الجرائد التى تصدر فى هذه الأيام لاتخلو من ذكر فقيد الاسلام والشرق وانا نذكر على سبيل النموذج منها ما قالته جريدة (الارشاد) التى أصدرها بالقاهرة فى غرة ذى القعدة الشيخ على أحمد الجرجاوى المصرى قال

فقد العلماء فى هذا العام

فى هذا العام فجع العالم الاسلامى بوفاة خمسة من أكابر العلماء ونابغي رجال الفضل وعلو الهمم وجلة المشائخ العالمين العاملين أعلام الهدى وشموس العرفان بكت عليهم

الدروس والطروس وعطلت منهم نوادى المحاضرات وربوع الفضائل ومكارم الأخلاق

فأولهم المغفور له الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الذى شهد له العدو قبل الصديق بسبقه فى حلبة العرفان، وتفسير القرآن وخدمة الأوطان، والذى أظهر لأهل أوربا عموماً انه لا يزال فى الأمة الاسلامية رجال يعرفون كيف يذودون عن حوض دينهم بأوضح حجة وأعظم برهان، وانه لم يزل فيها من يعرف قيمة الأوطان، فيعمل على ترقيتها بكل ما وهب من حول وقوة. شغل رحمة الله عليه عدة مناصب كبرى وعهدت إليه الحكومة اصلاح شؤون كثيرة مختلة معتلة فكان فى ذلك مثالا للهمة السامية والجلد الفائق والحزم الصادق رحمه الله رحمة واسعة. وثانيهم المرحوم السيد عبد القادر الرافعى الذى أسندت إليه وظيفة الافتاء فلم يلبث فيها الا عشية أوضحاها حتى عاجلته شعوب أجله فكان لنعيه رنة حزن وصدى أسف عشية عم طبقات المسلمين لما كان عليه رحمه الله من طهارة الذيل وعفة الميل والتمسك بعروة الدين وسعة المدركة ووفور الدراية وحسن المعاملة وحب العشيرة. وثالثهم الشيخ أحمد الجيزاوى أحد كبار علماء السادة المالكية كان رحمه الله واسع الاطلاع دقيق البحث فى علوم الدين أفاد الطالبين افادة عظمى تشهد له بالاخلاص فى العمل وحسن الدراية وما كاد الحزن على هؤلاء الافاضل يخف حتى فوجئنا بفقد مثال الشرف وعنوان الفضيلة المرحوم السيد على البيلاوى شيخ الجامع الأزهر ونقيب السادة الاشراف بالديار المصرية سابقاً فوقع منعاه فى الاسماع والنفوس وقعاً مؤلماً لما عرف به بين الخاص والعام من حسن الطوية وحب الاصلاح والرغبة التامة فى جلب الخير للأزهر الشريف عرف ذلك فيه فى عهد توليته المشيخة الأزهرية حتى نال انعطاف الجناب العالى الخديوى بصفة امتيازية وقد أسندت إليه وظيفة نقابة الاشراف قبل المشيخة فحمدت سيرته فى المنصبين وفارقهما مرضياً عنه وتوفى مأسوفاً عليه رحمه الله رحمة واسعة »

﴿ وانما ذكرنا ما قالته الجريدة فى غير صاحب التاريخ لتجعل قولها نموذجاً للفرق بين ما يقال فى فقيدنا وما يقال فى غيره من أكابر علماء العصر على أن ذكره هنا كان مقدمة لا مقصدا ﴾

٣
اقوال المجلات المصرية العربية

قالت مجلة الحكمة الطبية التى يصدرها فى القاهرة الدكتور عبد العزيز أفندى نظمى المصرى فى ص ٣٨٢ من السنة الأولى ما نصه :

انا لله وانا اليه راجعون

رزىء العالم الاسلامى فى السابع من جمادى الأولى رزاءا لم يذق مرراته مذطوت الأيام حماة الاسلام الأول :

رزى في امام عظيم وعليم حكيم جمع إلى جهاد الخلفاء الأربعة فى اقامة الدين والدنيا اجتهاد الائمة الأربعة فى تقويمها . . . رزىء فى خير من سعى بعد رسول الله وخلفائه الراشدين فى اعلاء كلمة الله وتجديد ما أخلقت الأيام من فضائل الاسلام ودفع مفتريات أعدائه عنه ونفى البدع منه ... رزىء فيمن كان للهدى علماً ، وللعلم منارا ، وللتشريع حجة ، ولمصالح الأمة حافظاً ، ولأيتامها اباًو أى أب ... رزىء فى فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رضى الله عنه وأرضاه

جاءته دعوة ربه وهو على سفر إلى أوربا للتداوى من علة أصابت كبده بل اصابت الاسلام فيه فألقى عصا الرحلة واستقر بالاسكندرية ريثما حانت ساعة لقاء مولاه ثم لباه : كريماً يقدم على كريم فتلقاه فى جنة ونعيم

عم الرزء فيه فاشترك فى الحزن عليه أمة محمد وأمة عيسى فكان أولئك ساعة تشييعه يبررون على المآذن فى المساجد وهؤلاء يضربون النواقيس حدادا عليه فى الكنائس ولاغرو فقد كان الفقيد فقيد العالم لا فقيد أهله

نقلت جنازته ثانى يوم وفاته من الاسكندرية إلى العاصمة فى مشهد رسمى حافل بألوف المشيعين من سائر أجناس الناس ونحلهم وطبقاتهم سواء فى الاسكندرية ومصر وصلى عليه فى الأزهر ودفن فى قرافة المجاورين والعيون تبكيه والقلوب تذوب أسى على معارفه وعوارفه تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وألهمنا الصبر على فقده

هذا وقد كنا نود أن نأتى للقراء بملخص تاريخ حياة الفقيد ولكن المؤيد والمنار وعدا باستقصاء هذه الترجمة وإيفائها حق شرحها وهما ولاشك أدرى بها وأقوى على جمعها فنكل الأمر لهما

وقالت مجلة الثريا الأدبية التى يصدرها فى القاهرة ادوارد أفندى جدى المسيحى السورى فى الجزء الثانى من السنة السابعة (وقد تأخر عن سابقه سهوا)

فقيد الشرق

ليست المصيبة التى تذهب بالدمع تذهب بالأمل ولكن المصيبة التى تذهب بالأمل تذهب بالحياة وما الحياة إلا كطائر حذر رنقت عيونه سنة من النوم فأدركه صياد حريص فسلبه حياته . أصابت الأيام فى اخرياتها عالم الشرق ونبراس الفلسفة ومنار الدين وحجة الفقه وإمام اللغة مفتى الديار المصرية إثر داء نجيس لو أصاب الأيام لذهب بضيائها ؛ ولو أصاب البحار لغاص بمائها ، فاتفقت الأمة فى الحزن واختلفت فى الصبر وكادت الشمس تحترق من الأسف ، والمهج تذوب من التلف ، حزناً على عالم أبى الدهر أن يبقى على حياته الطيبة لينهض بالشرق بعد ما كبلته العلماء (الجهلاء) بقيود لو كبل انسان به الليل لمحا الله آية النهار

أخرجت الأرض ذلكم العالم كما تخرج النحل الشهد من بطونها فافتخرت الأرض على السماء كما يفتخر الصباح على المساء فعكف على الدرس فى ادوار متباينات وأيام مختلفات وكان فى إبان نشأته كالغصن الرطب فأثرت فيه الاعصار الأزهرية وكادت تميل به فأنكر طريقة التدريس وعاف التمسك بالقديم فأفاض إلى بلده وشغل بالزراعة بعد ماتصور ان الانسان لايمكنه أن يجتاز بحر الظلمات بغير دليل ولاقبل له باجتيازه فى ذلك العهد ومازال كذلك حتى ألان قناته أبوه فعاد إلى الأزهر مكرهاً ففتح الله عليه وذلل له الصعاب فاغترف من بحر المعقول ما شاء أن يغترف ، وقطف من روض المنقول ماشاء أن يقتطف ، وكان

الازهر فى ذلك الحين يضم بين جوانبه عالماً نبغ فى الفلسفة وعرف بالمنطق وهو الشيخ (حسن الطويل) فلزمه الفقيد ملازمة اللفظ للمعنى ووافقه موافقة الروى للقصيدة وأخذ عنه ماجعله فى أيام قلائل يعبر عن أفكار الشيخ ومقاصده فكان بين أقرانه كالنجم يهتدى به فى غياهب الظنون ولما قصد مصر روح الفلسفة ولسان المنطق السيد جمال الدين الافغانى مشى الاستاذ تحت سمائه المنيرة فصارت معارفه تنقل من صدر إلى صدر ، ومواهبه تنقل من عقل إلى عقل ، حتى نبغ نبوغا لايشاركه فيه ناطق بالضاد فرأى جمال الدين أن روضته أزهرت وشجرته أثمرت ، فافتخر به وأدناه منه وقال وهو بين عالم الأرواح وعالم الاجساد لمريديه إننى خرجت من الدنيا وما ألفت كتاباً ولكن تركت لكم أثراً يغنى عن جميع الكتب وبعد مابرح المفتى تنفس صدر الثورة العرابية فألزمته الظروف أن يكون من أعوانها كما ألزمت فقيد الشعر وصاحب دولتى السيف والقلم محمود باشا سامى البارودى ولما سكنت ثائرة الثورة غضب عليه الأمير فنفاه الى الشام فرأى مكاناً رحباً بين علمائها ، ومقاماً سامياً بين امرائها ، فاغترفت العلماء من بحر فضله واستضاءت الأمراء بنور علمه ، ولم يقعد به الحزن فى منفاه عن افادة الدين والأدب ، فطفق يفسر الغامض من الخطب ، ويشرح الصعب من المتشابهات حتى أفاد من استفاد

ثم شخص إلى مصر بعد عفو الخديوى عنه فشرع فى كتابة الوقائع الرسمية بلفظ فحل ومعنى أنيق وتراكيب كعقود الجمان فى عهد كانت اللغة فيه تتراوح بين الموت والحياة وكان الذى يفتح الله عليه بسجعة يعد نفسه من أئمة المنشئين ، والذى يفتح الله عليه بنوع بديعى يعد نفسه من أئمة النابغين ، فحل الشيخ عقدة الألسن ، وأطلق فى رياض المعانى طائر الفكر ، بعد ماهدم صروح البديعيين . ولم ير الفقيد أهلا لمساعدته فى القيام بذلك العمل الجليل غير الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان فصارا ينتقدان على الجمل الركيكة والتراكيب الفاسدة ويرشدان الحكومة الى محجة الصواب وكانت الحكومة فى ذلك العهد تعمل برأيهما ثم عينته الحكومة قاضياً فأسس للعدل داراً ، ورفع للقانون مناراً ، ومارأيت

قاضياً يحكم بالقانون على القانون سواه . ولما أسكت الله نأمة المفسدين انتدبته مفتياً للديار المصرية فأظهر فيها من الفتاوى العقلية الشرعية ما جعل علماء الدين ينظرون اليه بعين الحقد

وصل إلى ذلك المقام الذى هو نهاية الرفعة فكثرت حساده فكان كل يوم فى جدال ، وكل آن فى نضال . وكان الاستاذ رحمه الله يرى أن التمسك بالجديد(١) ضرب من الظنون ، وكانت العلماء ترى ان التمسك بالجديد ضرب من الجنون ، فخذل العلم الجهل وأخذ بناصره . ثم رأى ان يفسر كتاب الله تفسيراً معقولا يدع للتاريخ فيه مجالاويوفق بين الحوادث الدينية والحوادث التاريخية ليزيل الشك عن أفكار العامة والسامة فأنكرت العلماء تفسيره كما ينكر الاعمى ضوء القمر

ثم قام هانوتو وزير خارجية فرنسا وتحكك بالدين الاسلامى وطعن فيه طعناً كاد يذهب بحقيقته فتحفز الاستاذ كالاسد من مربضه وسدد قلمه فى صدر ذلك الوزير فثاب اليه رشده وبان له الخيط الأبيض من الخيط الأسود كل ذلك والعلماء بين الولائم والوضائم يحرفون كتاب الله ويخلقون الأحاديث املا فى ارضاء الجهلاء

ثم كتب صاحب الجامعة شيئاً من فلسفة ابن رشد فغابت عنه الحقيقة فانكرها عليه الاستاذ وكشف النقاب عنها ثم قام يحارب البدع كالسجود لغير الله والتبرك بالاحجار وزيارة القبور والتمسك بما تساهل فيه الخلف (أى المتأخرون) فقامت قيامة الجهلاء ورموه بكل كلمة عوراء وهو لا يصده عن سبيل الله معارض ولا يوقفه عند حده كاشح

ولما عجزت العلماء عن اثبات الله بالعقل ألف رسالة فى التوحيد فلوكان الله سبحانه وتعالى جسما (تنزه عن ذلك) للمسته الأيدى ولو كان له حيز (تقدست اسماؤه) لرأته الابصار . فلما قرأ الرسالة بعض حساده قال انى آمنت بالله ورسوله ولكن أخشى أن يكون المفتى خدعنى ببلاغته وقام وكتب إلى المفتى كتاباً يحمده فيه على خدمة الدين ويعتذر له عما فرط منه فقال الاستاذ الحكيم رحمه الله الحمد لله الذى أوجد من يحبنى إذا علم ويكرهنى إذا جهل

(١) كذا ولعل الصواب (القديم)

ذلكم هو الاستاذ الكريم الذى غاب عنا ظله ولم يغب ذكره كان الفقيد رحمه الله يحن الى الفقير ويعذر الجهلاء ولايخرجه الذم من الحلم الى الغضب وكان فى المضاء كالسيف يقطع ولايقطع ولقد مرت عليه أيام كسالفة الغراب الغدافى ومسائل كذنب الضب فتحمل من الأيام مالو تحمله أحد لصار هباء منثوراً . وماذا يفعل الانسان إذا أوجده الله بين عدوين كلما غاب عن عدو حضر عدو وكان الاستاذ إذا حضر فى مجلس عقد الجلال ألسن القوم فلاتسمع غير قوله ولاترى غير وجه منير

وكان يميل إلى المحاضرات والنكات . زاره مرة محمد أفندى امام العبد بصحبة حافظ أفندى ابراهيم فقال الامام لامام ممازحاً لو كنت فى اميركا ماسمح لك لونك بالجلوس بيننا وماهى إلا كلمة حتى غشي المجلس أحد الجنود وكان الاستاذ زوده بكتاب الى رئيس القرعة بقصد اعفائه فأهمله الجندى حتى جند فى السودان وسلخ فيه عشرين هلالا ثم عاد الى الاستاذ والخطاب فى يده فلما سمع امام بذلك الخبر الغريب قال الاستاذ وهل لو كنت فى اميركا لايسمح لى لونى أن أقعد مع مثل هذا ؟ والله انى لأفضل أن أقعد مع الاحجار إذا كانت اميركا كهذا فمازال الاستاذ يضحك والحافظ يصفق حتى كاد ينطوى بياض النهار فى الضحك . وزاره مرة امام افندى فى محل الافتاء ولما هم بالانصراف قال له الاستاذ اسمعنى شيئا من شعرك الجديد فقال له امام انا كالمتنبي (وكان المتنبي لاينشد إلا واقفاً) فقال له الاستاذ كن كالبحترى (وكان البحترى إذا هم بالانشاد وقف وتفل يميناً وشمالا وصفق) فقال له امام انما انا واقف فى المحراب فأنجد الاستاذ وأتهم فى الضحك ولم يفهم أحد من العلماء مادار بينهما . وكان للحافظ على الاستاذ دالة مانالها أحد سواه . وكان الاستاذ يذوق الشعر وطالما سمعته يردد بيت البارودى

اسمع أنى فى قلبى دبيب المنى وألمح الشبهة فى خاطرى

ولقد أسمعه الحافظ بيتين قامت لهما الطبيعة وقعدت وهما لأحد شعراء الأندلس :

على والا ما بكاء الغمائم وفى وإلا مانواح الحمائم
وعنى أثار الجو صرخة طالب لثار وهز البرق صفحة صارم

يحفظهما الاستاذ بعد ما أعجب بهما وشرحهما لطلابه بالأزهر . وكان الاستاذ لايحابى فى الله وقد مدحه الحافظ بقصيدة بز بها المتنبى ولقد مدحه أيضاً محمد امام العبد بقصيدة يقول له منها :

ووفقت بين العين والقلب بالحجى ... فأرضيت عيسى بالدليل وأحمدا
لئن أنكروا هذا اليراع وربه ... فقد أنكرت أهل الضلال محمدا
بلوت صحابى بعد عشرين حجة ... فلم أر فيهم صاحباً يحفظ اليدا
إذا غاب عنى بت درعاً منيعة ... وإن غبت عنه بات سيفاً مجردا

ولقد ابنته الجرائد على اختلاف أغراضها وتسابقت فى رثائه الشعراء فقال الشاعر النابغة المشهور أحمد بك شوقى شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية :

مفسر آى الله بالأمس بيننا ... قم اليوم فسر للورى آية الموت
رحمت مصير العالمين كما نرى ... وكل هناء أو عزاء إلى فوت
هو الدهر ميلاد فشغل فمأتم ... فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصوت

ولما بوغت الشاعر النابغة المشهور حافظ افندى ابراهيم بهذا النبأ الكارث بكت قريحته أستاذه وإمامه فنظم أبياتاً قطعها الحزن وتجسم فيها اليأس ولم يتمها بعد لاشتداد حزنه قال أجمل الله عزاءه :

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات

(وذكرت المجلة عدة أبيات من هذه المرثية ومراثى أخرى ستأتى فى باب الرثاء . وأنت ترى أن أسلوب تأبينها شعرى تحسنت فيه المبالغة فى مغالبة الضحك للأستاذ الامام زمناً طويلا . ومثل ذلك مبالغته فى ملازمته للشيخ حسن الطويل وما فى معناها من التشبيهات الشعرية وفى الكلام فى العلماء على أنهم لم ينكروا التفسير كما قالت المجلة ولم يعرفوا قيمته إلا قليلا منهم .

(وقالت مجلة الشرق والغرب وهى مجلة دينية لدعاة النصرانية بمصر . وذلك في العدد الـ ٢٩ من السنة الأولى)

وفاة الشيخ محمد عبده

لا يسعنا إلا أن نبدى أسفنا لوفاة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الذى نعته الجرائد وأبنته الصحف منذ أيام قلائل . فقد حاول أن يكون سراجا منيراً للاسلام باتخاذه العقل مرشداً والضمير دليلا فى تفسيره القرآن الذى كان حجته العظمى فى أمور الدين . ولكن يشك فيما إذا كانت الساعة قد حانت للاصلاح الذى كان يحاوله . وأصبحنا ننتظر أن نرى ماإذا كانت الناشئة المصرية الجديدة تقتفى آثار خطواته وتسلك بموجب الروح التى كان يحاول أن يبثها فيهم والتى تظهر من خلال الأبيات التى نطق بها وهو على عتبة البقاء .

(وقالت مجلة الضياء التى يصدرها فى القاهرة الشيخ ابراهيم البازجى المسيحى السورى وذلك فى الجزء التاسع عشر من السنة السابعة وقد صدرت التأبين بصورته .

البقاء لله

فى مساء الحادى عشر من هذا الشهر نعت الينا أنباء الاسكندرية الاستاذ العلامة الكبير ، والامام الفيلسوف النحرير ، الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وقطب العلوم العصرية ، وافته دعوة ربه فى ذلك الثغر وهو فى الخامسة والستين[1] من العمر على إثر علة سرطانية دبت فى كبده بل أصابت كبد القطر ، فكان منعاه خطباً لا تقاس به الخطوب ، عم الرزء فيه فبكته العيون بدماء القلوب ، وحق للامة المصرية أن تبكى فقيداً من أبنائها قد لايخلفه عليها الدهر ، بل للأمة العربية أن تندب أكبر

---

(١) الصواب أنه ولد سنة ١٢٦٦ فموته كان فى الـ ٥٨

عامل من علمائها في هذا العصر ، وفي اليوم الثاني نقلت جنازته إلى العاصمة فسير بها بين ألوف من المشيعين ، حتى إذا بلغوا بها إلى الجامع الأزهر صلي عليه ثم دفن في قرافة المجاورين ، تغمده الله برحمته وجعل مقره بين جماعة أوليائه المصلحين

أما ترجمته فقد ولد رحمه الله سنة ١٢٥٨ للهجرة [١] بمحلة نصر من أعمال مديرية البحيرة وتلقى مبادىء العلم في الجامع الأحمدي بمدينة طنطا وفي سنة ١٢٨٢ انتقل إلى الجامع الأزهر وبعد أن تخرج فيه مدة ثلاث سنوات استوفى فيها ما تدعو اليه حاجة المتعلم من علوم العربية والشرع نزعت نفسه إلى العلوم العقلية وكان مدرسها يومئذ المرحوم الشيخ حسن الطويل فحضر عليه شيئاً من كتب المنطق والحكمة . وفي سنة ١٢٨٨ ورد على القطر السيد جمال الدين الأفغاني الشهير فاتصل به ولزمه وأخذ عنه شيئاً كثيراً في الكلام وأصول الفقه والمنطق والحكمة النظرية والهيئة القديمة والحديثة فنبغ في ذلك كله . ولما اشتهر فضله وعلمه عينه رياض باشا رئيساً لقلم المطبوعات وعهد اليه في إنشاء جريدة رسمية [٢] سماها بالوقائع الرسمية هي التي لا تزال تصدر إلى اليوم وهي أول جريدة في القطر . وفي أثناء ذلك انشأت الثورة العرابية واتهم بممالأة الثائرين فنفي إلى الديار الشامية ولبث ست سنوات في بيروت فعرف القوم فيها فضله والتف حوله كبراؤها ثم عين أستاذاً في المدرسة السلطانية بها فتخرج على يديه كثير من نوابغ الطلبة وفي مدة إقامته بها كتب شرحه لخطب الامام على المعروفة نهج البلاغة وشرح مقامات بديع الزمان .

وفي تلك المدة كان السيد جمال الدين الأفغاني قد وصل إلى باريز آتياً من كلكتا وكانت المكاتبة بينهما لا تنقطع فسار اليه وانشأ معه جريدة العروة الوثقى ومع انه لم يكتب منها إلا ثمانية عشر عدداً فقد أخذت أبعد مكان من الشهرة وحسبك بجريدة يتولى كتابتها مثل هذين الحكيمين . وعلى أثر ذلك سعى بعض آحاد الأسرة الخديوية في إصدار العفو عنه فعاد إلى الديار المصرية وبعد أن ألقى بها عصاه عينه الخديوي السابق المغفور له محمد توفيق باشا قاضياً أهلياً ثم نصب مستشاراً في

(١) راجع هامش الصفحة السابقة (٢) لم يكن الفقيد هو المنشىء لجريدة الوقائع بل عين محرراً لها ثم رئيس تحرير وهو الذي أنشأ القسم الادبي فيها .

محكمة الاستئناف وسمى عضواً فى مجلس إدارة الجامع الازهر وفى سنة ١٣١٧ عين مفتياً للديار المصرية وهو المنصب الذى توفى عنه رحمه الله تعالى .

أما صفاته الشخصية فكان ربعة أسمر اللون معتدل الجسم قوى البنية حاد النظر فصيح المنطق جهورى الصوت وكان متوقد الفؤاد ثاقب البصيرة قوى الحجة ذرب اللسان بليغ العبارة إذا وقف للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه فلا يتوقف ولا يتلكأ ولا تجد فى كلامه لفظة ركيكة ولا تركيباً سخيفاً حتى لو كتبت لفظه الذى يقوله على البداهة وجدته كأحسن ماينشىء المترسلون من الفصحاء . وكان آية من آيات الله فى قوة الحفظ وسرعة التناول حتى أنه تعلم اللغة الفرنسوية وهو فوق الاربعين فلم يأت عليه إلا أشهر حتى كان يجيد فهمها ثم كان يتكلم فيها كأحد أهلها ولم يرو مثل ذلك إلا عن أستاذه السيد جمال الدين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ومع بعده عن الشعر وعدم اشتهاره به فانه كان مطبوعاً عليه يجيده متى أراد وقد نظم أبياتا قبيل احتضاره روتها له إحدى الجرائد اليومية ننقل منها البيتين الآتيين :

ولست أبالى أن يقال محمد ابل أو اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضى عليه العمائم

وفى هذين البيتين إشارة لاتخفى على المطالع ومن علم ما كان ينويه من توسيع نطاق العلم فى الجامع الازهر حتى يكون كاحدى الكليات الكبرى فى أوربا ثم ما كان يحاول إبطاله من البدع التى كان يراها من مفاسد الامة واطلع على مالقى أمثاله من كبار المصلحين فى كل عصر تبدت له تلك الاشارة مشروحة المتن واضحة المغزى سامح الله ذوى المآرب وغفر لهم ماأساءوا به إلى هذه الامة الاسيفة بل إلى الشرق الاسلامى على العموم ورحم الله تلك النفس الطاهرة وأثابها عما نوت من الخير الكبير ولكل امرىء مانوى .

هذا مجمل ترجمة حياته أوردناه بالاختصار وأما بيان أعماله فى القطر وما كان له من التأثير فى عقول المتنورين من ذويه فسنفرد له مكاناً مخصوصاً فى الجزء التالى إن شاء الله اهـ

وقالت مجلة المجلات العربية الغراء التي يصدرها في مصر صاحبها محمود حسيب بك المسلم المصري في عددها الأول لسنتها السادسة الصادر في ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ويناير سنة ١٩٠٦ وقد صدر بصورة الفقيد

فقيد الاسلام

المرحوم الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

رزيء الاسلام في العام الماضي (الميلادي) بفقد أعظم ركن من اركانه، اذ استأثرت فيه المنية بالاستاذ العلامة حجة الاسلام الشيخ محمد عبده الذي قضى حياته في خدمته عاملا على رفعة شأنه، فقد تجسمت فيه رحمه الله الغيرة على الدين بأجمل ثوب وأبهى رداء، فجاهد في سبيله جهادا لا تذكر في جانبه مجاهدة الابطال في قتال الأعداء، فأظهر الدين الاسلامي للاجانب عنه متحليا بمحاسنه الكثيرة بعيداً عن كل عادة خرقاء. فعرف غير المسلمين فضائل هذا الدين بفضل ما أوتيه فقيدنا من قوة الحجة وسعة الاطلاع وبلاغة الخطابة والانشاء والالقاء فكان موته خطبا جللا لا يقبل المواساة والعزاء. فشقت عليه القلوب وبكته العيون بالدماء، لان خسارة المسلمين به كانت عظيمة لا تعوض ورزءاً فادحاً أذاب القلوب والاحشاء.

لا بدع ان عظم المصاب بفقده وتقطعت لمماته الاحشاء
قد كان في ذا العصر مفرد عصره ولذا بكاه الدين والافتاء

كان الاستاذ رحمه الله نابغة وعى صدره الرحب مالم يرو عن غيره من علماء هذا العصر. فقد كان خطيبا مصقعاً، وكاتبا مقتدرا، وشارحا قوي الحجة واسع الاطلاع، ومدرسا خبيراً، وسياسيا كبيرا ولهذا أحله العلماء والفضلاء والادباء محلا عظيما من الاعتبار، فلم يكن يذكر اسمه إلا بالاجلال والاكرام والاكبار وكان

مع كل ذلك بعيدا عن حب الشهرة والظهور حتى انه عندما رد على هانوتو ذلك الرد المفحم المشهور الذى اعترف بقوة حججه وصدق آياته هانوتو نفسه لم يضع اسمه على ما كتبه ولكن كتابته نمت عليه وأدرك الكل ان ما كتب ليس فى وسع عالم أن يسطره غير امام أئمة الاسلام فى هذا العصر وأستاذهم الاكبر . ولم يكن الاسف عليه قاصراً على المسلمين فقط بل عم سائر الذين عرفوه واطلعوا على كتاباته وشروحه يدلك على ذلك الكتاب الذى أرسله جناب المستر براون أحد كبار المستشرقين الأفاضل ومدرس اللغتين العربية والفارسية فى كلية كمبردج الشهيرة يعزى به شقيق الفقيد على مصابه الاليم ومما جاء فيه باللغة العربية قوله :

« ياسيدى »

« فى مدة عمرى رأيت كثيراً من البلاد والعباد وما رايت مثل الفقيد المرحوم لافى الشرق ولافى الغرب . فوالله كان وحيداً فى العلم ، وحيدا فى التقوى والورع وحيدا فى البصيرة والاطلاع على ظواهر الأمور وبواطنها ، وحيدا فى البلاغة والفصاحة ، عالما عاملا ، محسناً ورعاً ، مجاهدا فى سبيل الله ، محباً للعلم ، ملجأ للفقراء والمساكين »

ولم يكن جهاده فى الحياة الدنيا قاصرا على خدمة المسلمين بالقاء الدروس النافعة وتفسير آى القرآن الكريم فى الازهر الشريف وكتابة المقالات الرنانة دفاعاً عن الاسلام بل كان يجاهد أيضاً فى خدمة الأمة المصرية على العموم فان له فى مجلس شورى القوانين وغيره من دوائر الحكومة المصرية كنظارة الحقانية وسواها آثاراً خالدات أبد الدهر تشهد له بالفكر الثاقب والرأى السديد والحكمة البالغة وكان مع ذلك محباً للفقراء ، ميالا الى الادباء ، حتى لقب منزله فى عين شمس بملجأ البؤساء ، ولكن احسانه كان خفياً عن الابصار لاتدرى يمينه بما قدمته يسراه لانه كما قلنا يكره المظاهرات العالمية والأباطيل الدنيوية

رأس رحمه الله الجمعية الخيرية الاسلامية الكبرى عدة سنوات فخدم بها البائسين والمعوزين إذ مهد للجمعية كل العقبات التى كانت تعترض سبيل تقدمها حتى باتت أشهر الجمعيات الخيرية وأكثرها نفعاً للمنكوبين من بنى الانسان وسن لها النظامات

التى تكفل بقاءها ثابت ولكن الجمعية لاتزال وستظل الى الأبد باذن الله حية ذاكرة فضله الغزير وبره الكثير

وقد كان الاستاذ رحمه الله عصامياً ارتقى الى ذروة المجد بثباته العجيب فذلل كل الصعوبات التى اعترضت طريق ارتقائه حتى وصل إلى مالم يصل اليه واحد من العلماء فخدم بنفوذه الشخصى وسعة معارفه القضاء والدين والعلم والافتاء

ولو أردنا تسطير كل محاسن الفقيد لملأنا الصفحات الكثيرة وقضينا الأيام فى جمعها ولكن مثله لايحتاج إلى اظهار حسناته بعد أن ذاع ذكره فى المشرقين واشتهر فضله فى المغربين واعترف كل امرىء بما أوتيه من العلم

ولقد يجمل بنا بعد ماتقدم ان نثبت فى هذا العدد تاريخ نشأته ومبدأ تعليمه مما أثبتته مجلة المنار الغراء بقلم الفقيد نفسه تعمده الله برحمته ورضوانه

(ثم نقلت عن مجلة المنار ما أثبتته عن الفقيد بقلمه)

وقالت مجلة المحيط الغراء التى تصدر فى مصر لصاحبها عوض أفندى واصف القبطى المصرى فى عددها الثامن من سنتها الثالثة الصادر فى أول اكتوبر سنة ١٩٠٥ وقد صدرت الترجمة بصورة الفقيد

الراحل الخالد الذكر

المغفور له الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا

أجمع العقلاء من كل أمة فى هذه الديار ان انتقال هذا الفقيد الكريم كان أعظم خسارة خسرتها الامة الاسلامية خصوصاً والمصرية عموماً فى التاريخ الحديث ولا عجب فى هذا فقد كان — رحمة الله عليه — أول عالم إسلامى اجترأ على ما يخالف اعتقاد الجمهور من وجوب المجاهرة بالحرية الفكرية ونبذ الخرافات والرجوع الى الصحيح من قواعد الدين ومجاراة الأمم المتمدنة الراقية فى الأخذ بأسباب الارتقاء ونحو هذا مما يعود بالنفع على جمهور المصريين من خاص ومن عام

وفي تاريخ حياته وحده وقيامه في سبيل الظهور مخترقاً عدة طبقات ونبوغه في وسط كله مصاعب وضيقات مايكفى للدلالة على عظمته وعلى انه وجد ذا استعداد ذاتي للظهور في ميدان الحياة بذلك المظهر العالى وذا قوة شخصية ممتازة كافية لخدمة ذاته وخدمة كثيرين غيره من اخوانه الناس

ولد رحمه الله عام ١٢٥٨ هجرية من أبوين فقيرين في قرية صغيرة يقال لها (محلة نصر) وشب في أصغر الكتاتيب ثم دخل الجامع الأحمدي في طنطا فالجامع الأزهر فأخذت مواهبه الشخصية في الظهور ونال بذكائه حظاً من العلم وافرا ولما كان في سن الثلاثين ظهر في مصر السيد جمال الدين الافغاني فيلسوف الاسلام فأخذ عنه من المنطق والفلسفة مازاد في نور عقله . ثم ساعدته مواهبه على التدريس في المدارس الاميرية وتحرير الوقائع المصرية حتى كان زمان الثورة العرابية فاتهم بانه أفتى بعزل توفيق باشا الخديو السابق ونفي مع المنفيين الى سوريا . ثم انتقل الى باريس وهناك اتفق مع ذلك الفيلسوف على انشاء جريدة دعاها العروة الوثقى وعفي عنه بعد ذلك فعاد وكله أفكار جديدة عاراه في بلاد الغرب فعين مستشارا في محكمة الاستئناف ثم مفتياً للديار المصرية في سنة ١٣١٧ فكان فوق قيامه بهذا المنصب الخطير عاملا على اثارة الاذهان بانتقاد التقاليد القديمة وتفسير الآيات القرآنية حسبما ترمي اليه ونحو ذلك مما قد نعود الى ذكره بعد . وظل محطاً لاكرام العقلاء حتى دعاه ربه في ١١ يوليو الماضي فعم الاسف كل طبقات الامة المصرية واحتفل بتشييع جنازته احتفالا لم يسبق له مثيل وقد نسب اليه انشاء هذه الأبيات الشعرية ساعة احتضاره

(ثم ذكر الأبيات التي ذكرتها اكثر الجرائد)

(وصدرت) مجلة المفتاح التي يصدرها في القاهرة توفيق افندي عزوز القبطي الجزء السابع الصادر في ١٥ يوليو سنة ١٩٠٥ بصورة الفقيد وقالت في مقالة في الانتخابات العمومية (ص ٢٤٠) مانصه .

« هذا فقيد الشرق العظيم وامامه الأوحد وعلمه المفرد (المرحوم الشيخ محمد

عبده) هو أحد هؤلاء الرجال العصاميين وفحول العلماء العاملين رقته الحكومة إلى أعلى المناصب وأسمى الوظائف وراعت فى ذلك درجة كفاءته ومعارفه الشخصية وانتدبته الأمة رئيساً لاكبر جمعية ملية فيها وانتخبته فى مجالسها النيابية والعمومية فاستفادت الامة والبلاد من علومه ومعارفه الواسعة وتم على يده من الاصلاح فى الشؤون الشرعية والعمرانية والاجتماعية فى بضع سنوات قلائل مالا يمكن أن يتم على يد سواه فى عدة أحوال وأجيال .

(ثم قالت فى باب تاريخ الشهر (ص ٢٧٤)

(فقيد عظيم) ومن مفجعات هذا الشهر وفاة المرحوم المغفور له الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ورجل الشرق الوحيد وسنأتى على ترجمته ومبادئه العالية فى الجزء الآتى للمفتاح اه .

(ولم ينشر الترجمة فى الجزء الثامن ولعله نشرها فى جزء آخر وقد عرف اعتقاد الكاتب فى الفقيد مما تقدم فلا حاجة إلى الترجمة التى لاتخالف فى فحواها سائر التراجم)

وقالت مجلة المقتطف الغراء التى يصدرها فى مصر صاحباها الدكتور يعقوب افندى صروف والدكتور فارس افندى نمر صاحبا جريدة المقطم فى الجزء الثامن من المجلد الثلاثين الصادر فى ٢٩ جمادى الأولى وقد صدرت الترجمة بصورة الفقيد .

الشيخ محمد عبده

مفتى الديار المصرية

تمهيد

كأن المنايا تبتغى فى خيارنا لها ترة أو تهتدى بدليل

شهدنا قبيل كتابة هذه السطور مشهداً قلما يرى مثله فى هذه العاصمة تتقدمه

كتيبة من فرسان البوليس وشرذمة من مشاته تسيران فى صفين على جانبى الطريق ووراءهما نعش مجلل بشيلان الكشمير يحمله طلبة العلم فى الجامع الأزهر ووراءه قاضى مصر وشيخ الجامع الأزهر والعلماء وقضاة المحاكم الشرعية ووراءهم خلق كثير من المشايخ والمجاورين ثم مستشار ومحكمة الاستئناف الأهلية وقضاة المحاكم الابتدائية ورجال النيابة وكلهم بالاوشحة الرسمية ورجال المحاماة بطيالسهم السوداء ثم ناظر الحقانية وقائد جيش الاحتلال ومستشار الداخلية ووكيل الحقانية ووكيل حكومة السودان ومدير مصلحة الصحة وأكابر ضباط الجيش المصرى من الانكليز والمصريين وكبار موظفى دواوين الحكومة ووكيل محافظة مصر وحكمدارها ورئيس مجلس شورى القوانين واعضاؤه وفضلاء العاصمة وأدباؤها وأعيانها على اختلاف طبقاتهم وكثيرون من وجهاء الأرياف. وشهد أهالى الأسكندرية مشهداً مثله فى الصباح سار فيه نائب قائمقام الخديوى وسكرتير الوكالة البرطانية ووكلاء الداخلية والخارجية والمعارف العمومية وجمهور العلماء والوجهاء وهم يمثلون الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية فى مصر والاسكندرية والقطر المصرى كله فان مفتى الديار المصرية العلامة المحقق الشيخ محمد عبده قضى وهو فى الاسكندرية بداء اعيى الأطباء فحمل منها إلى العاصمة واحتفلت الحكومة المصرية بتشييع جنازته احتفالا رسميا قلما صار لأحد من أعاظم أمرائها ووزرائها ولقد عم الأسى عليه الديار المصرية وفقده أهل الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها واسف عليه غيرهم من الذين يودون الخير لهذه البلاد ونزع الضغائن المتولدة من اختلاف الأديان لما له من الايادى البيضاء والمساعى المشكورة فى إنارة الأذهان ودفع الوساوس فحق ان يقال فيه:

عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد فى كل دار رنّة وزفير

وهو عصامى رقى إلى هذه المنزلة بجده وتوقد ذهنه وحسن نظره فى العواقب وإقدامه على عظائم الأمور. فانه جدّ حتى اكتسب العلوم اللغوية والدينية وأمتلك ناصية الانشاء ونبغ حتى صار من أكتب كتاب العصر ومن أعلم العلماء فى العلوم

اللغوية والدينية وماجرى مجراها. ثم تعلم اللغة الفرنسوية لكي يطلع على العلوم العصرية والأفكار الحديثة ولا سيما ماتعلق منها بالفلسفة الاجتماعية. وترجم كتاب الفيلسوف هربرت سبنسر فى التعليم لكي يستعين بآرائه الفلسفية على اصلاح المدارس المصرية. وكان ذكى الفؤاد بالطبع قوى الحجة حسن المحاضرة لايخاف فى الحق لومة لائم، ولا يتهيب الكبراء والعظماء لمجرد ماهم فيه أوما أدركوه من رفعة المقام فاستطاع ان يكون علما يهتدى بنور علمه المحافظون الذين لايروقهم إلاماجرى عليه المتقدمون كأكثر العلماء وطلبة العلوم الدينية واللغوية ومن جرى مجراهم لأنه كان ثقة فيهم. وعضدا قويا لأبناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة. ومرشداً صادقا للذين يطلبون الاستنارة بها والسير فى سبيلها. وسيفا صقيلا على أهل البدع الذين قيدوا أبناء المشرق بقيود تظلم العقل عن التبصر وتغل الايادى عن العمل. وملجأ أمينا للذين يودون نزع أسباب الشقاق التى أودت بطوائف المشرق وليس لها أصل راسخ بين أصول الدين ولا هى مما تقتضيه مطالب العمران

ثم انه كان عالى الهمة شديد الغيرة يستسهل الصعاب ويذلل المشاق سعيا إلى خير أمته وارتقائها فكنت تراه تارة مدرسا يعلم شبانها وتارة مؤلفا يؤلف الكتب أو يشرحها وينشرها لتنوير أذهانها. وتارة مفسراً قواعد الدين تفسيراً يقبله العقل المستنير وتصلح به شؤون الأمم وينطبق على مطالب الزمان. وتارة منظما للمدارس المصرية القديمة حتى تجارى الحديثة فى انتظامها وفى مايعلم فيها من العلوم القديمة والحديثة. وتارة رئيساً للجمعيات الخيرية الساعية فى اعانة الفقراء واصلاح شئونهم وتعليم أبنائهم. وتارة مقداماً للذين يشيرون على الحكومة فى مجلس شوراها بفعل مايصلح القطر وينفع أهاليه. وتارة مباحثا ومناقشاً لاقناع رفاقه فى ذلك المجلس بالمشروعات النافعة للبلاد وأهلها وجمع كلمتهم على تأييد الحكومة وشد أزرها على الذين يعارضونها فى مقاصدها إما لغرض فى نفوسهم أو لأن وجه النفع الذى تتوخاه لم ينجل لهم. وتارة مجادلا يدافع عن الدين بأدلة مأخوذة من علوم المتأخرين التى جدّت بعد عهد المتقدمين. وتارة مبيناً بالحجج القاطعة ان الدين لايمنع الارتقاء والأخذ

بأسباب العمران بل يحث عليهما ومظهراً الشوائب والبدع التى دخلت فيه فاضرت أهله وهى ليست منه فى شىء بل يتبرأ منها وينهى عنها . وتارة صانع خير وفاعل بر وجامع أموال لإغاثة المنكوبين بالنيران والاوبئة وغيرها من الرزايا يقصد المصابين بنفسه ويوزع عليهم الأموال بيده . وتارة متصدراً فى الانديه العلمية والحفلات الأدبية يبين مزايا العلم وفوائد التربية ويشرح الأسباب التى رقت أهالى أوربا وأوصلتهم إلى ماواصلوا إليه من العزة والمنعة وينعش الأفئدة بذكر ما كان عليه أسلاف الشرقيين وما يمكن ان يصيروا هم اليه إذا تعاونوا وتناصروا وأخذوا بأسباب الارتقاء · وتارة جالسا فى مجالس الأنس والصفاء يزيل الوحشة الجفاء من بين الوطنيين والأجانب ويؤلف بين الجماعات والمعاشر المختلفة فى المبادىء والآراء والعادات . وتارة قارعا باب ولاة لأمور لاعانة طلبة العلم وبذل المال لاصلاح الجامع الأزهر وماأشبه من الغايات الحميدة وتارة جالسا فى بيته وحوله جماعة كبيرة من تلامذته ومريديه وهو يطرفهم بالاحاديث المفيدة ويشرح لهم بعض ما عثر عليه حديثاً فى كتب المتقدمين أو المتأخرين — كل ذلك بعد قيامه بحقوق وظيفة الافتاء وادارته لشؤونها وقضائه لمهامها على مابها من المصاعب والمتاعب.

وكتبه إلى أصدقائه والذين يدعونه إلى الحفلات العمومية ويمنعه انحراف صحته أو كثرة اشغاله عن اجابة طلبهم آية فى البلاغة وحسن السبك حتى لقد يحار من يدعوه بين ان يمتع بمشاهدته أو ينال منه كتابا بخطه يحفظه تذكارا له ويتلوه على الحضور فتسكرهم طلاوته . وكذلك تقاريظه للكتب فانها تدعو إلى ترويجها لثقة الناس وبأنه لايكيل الكلام جزافا

ولم تكن مشاغله الكثيرة لتقعده عن السعى فى مصالح الناس فيقصده ذوو الحاجات وهو لا يدخر وسعا فى اغاثتهم بما فى الامكان إذا تبين أنهم محقون فى طلبهم . وكان مسموع الكلمة مقبول الشفاعة فكثر مريدوه على شدة المقاومة له من الذين كانوا يغارون منه

ولقد لقى كثيرين من أعاظم الرجال فى ممالك اوربا وفى بلاد الشام وتونس

والجزائر وحادث أكبر فلاسفة العصر ووقف على آرائهم وأوقفهم على ما يجهلونه من أحوال الأمم الشرقية فزاد اختبارا وحنكة . واستفاد من ملازمة المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني وقرأ عليه دروس الحكمة الشرقية والأصول والمنطق وجاراه في المجاهرة بما يعتقد صواباً ولو خالف فيه الجمهور .

وكان في قلب بلاد المشرق بلاد الخوف والرهبة والاستبداد جريء الفؤاد حر الضمير يجاهد برأيه ويثبت عليه ولا يخشى بأس متسلط ولا يهاب صولة كبير وقد جر عليه ثباته على رأيه وجرأته في نصرة الحق وقلة خوفه ورهبته أهوالا كثيرة ومحناً عديدة ولكن لما أبدل الاستبداد بالدستور في هذا القطر أوصلته هذه المزايا إلى ماوصل اليه من المقام والسطوة وصيرته في اعتبار الجمهور الخصم العنيد للأقوياء والناصر الشديد للضعفاء ، والركن الوطيد للأحرار ، والعضد القوى للساعين في تنوير العقول والأفكار

هذه بعض مزاياه وإذا أضفنا اليها سعيه في سبيل الاصلاح وميله إلى فريق المحافظين حتى يجارى فريق المتقدمين حكمنا أن البلاد الاسلامية فقدت بفقده عالماً من أكبر علمائها ومصلحاً من أعظم رجال الاصلاح بين أهلها حرا هماماً مقداماً قوّالا فعالا فصابها به أعظم مصاب وخسارتها أكبر خسارة فارقها إلى رحمة ربه ولسانه يلهج بما في نفسه فنظم هذه الأبيات قبيل أن تدركه الوفاة

(ثم ذكر الأبيات التي ذكرتها أكثر الجرائد)

ولسان عارفيه ومريديه وكل الذين انتفعوا بنصحه وإرشاده أو تمتعوا بالنفع الذى نالته البلاد على يده ينشده قائلا :

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة أثنى عليه السهل والأوعار

سلكت بك العرب السبيل إلى الهدى حتى إذا سبق الردى بك حاروا

وسنعود إلى ذكر ترجمته بالتفصيل بعد أن نتمكن من جمع المواد اللازمة لها اه .

(ثم نشرت هذه المجلة ترجمة له في جزئين من أجزاء هذه السنة)

وقالت مجلة المنار الاسلامية التى تصدر فى مصر لصاحبها السيد محمد رشيد رضا الحسينى السورى (جامع هذا الكتاب) وذلك فى الجزء العاشر من المجلد الثامن الصادر فى ١٦ جمادى الأولى .

مصاب الاسلام . بموت الاستاذ الامام

مات الأستاذ الامام ولو كان كبر النفوس وطهارة الأرواح وعلو الهمم مما يحول دون الموت لما مات أبداً ولكن كل حى يموت إلا الحى القيوم « إنا لله و إنا اليه راجعون »

مات الأستاذ الامام . فمات ذلك العلم الواسع ، والحكمة البالغة ، والحجة الناطقة ، والمعارف الكونية والالهية ، والعلوم الكسبيةواللدنية ، مع البيان الساحر والأدب الباهر ، والبلاغة التى تمتلك العقول والقلوب ، والفصاحة التى تستهوى الأسماع والنفوس .

مات الأستاذ الامام فماتت تلك الأخلاق القدسية ، والشمائل المحمدية . والصدق فى القول والفعل والاخلاص فى السر والجهر ، والوفاء فى القرب والبعد. والسخاء فى العسر واليسر ، والعفة فى الشباب والكهولة ، والحلم عند الغيظ والمغاضبة والعفو مع القدرة على المؤاخذة ، والتواضع وخفض الجناح للمخلصين . والشهامة والترفع على المنافقين والمستكبرين ، واللين للحق وأهله ، والشدة على الباطل وجنده ، والشجاعة التى تهابها الأمراء والعظماء ، والقناعة التى رفعت رأسه فوق الرؤساء .

مات الأستاذ الامام فماتت تلك الأعمال النافعة ، والمشروعات الرافعة . والمساعى الحديدة ، والوسائل المفيدة ، والاجتهاد فى ترقية الأمة ، والدفاع عن الملة ، والدعوة إلى التوحيد والتأليف ، والاشتغال بأفضل التعليم والتأديب . والتربية الصحيحة للمريدين ، والجمع بين علوم الدنيا والدين ، ومواساة البائسين والمعوزين ، وكفالة أولاد الفقراء والمساكين .

مات الأستاذ الامام فماتت تلك الآمال البعيدة ، والمقاصد الحميدة ، التى كانت مطوية فى ذلك الجرم الصغير ، الذى انطوى فيه العالم الكبير ، تلك الآمال التى تتضاءل دونها همم الملوك والأمراء ، وتصاغر أمامها نفوس الزعماء والأغنياء الذين هم عن استعمال مواهبهم مصروفون ، وعن الثقة بربهم محجوبون . وعن سنته فى خلقه غافلون

مات الأستاذ الامام فراع موته الناس ، من جميع الطوائف والأجناس . فعلماء الدين ، أيهم فقدوا ركنهم الركين ، الذى تحمل عنهم رد الشبهات . وغير ذلك من فروض الكفايات ؛ وعلماء الدنيا ، أنهم خسروا ركنهم الأقوى الذى يدفع عنهم مطاعن المتعصبين ، وتكفير الجامدين . ويثبت أن الاسلام جمع بين المصلحتين ، ولا يتم ذلك إلا بالجمع بين العلمين ، وشعر طلاب الاصلاح بأنهم فقدوا إمامهم العظيم ، الذى كملت فيه صفات الزعيم ، وأحس الفقراء والمساكين ، بأنهم رزءوا بكافل اليتامى وغوث العاجزين ، ولم يجهل القائمون بالشئون العامة ، شدة وقع هذه الطامة ، وأنهم نكبوا بصاحب الرأى الثاقب . والعمل النافع ، مربى الرأى العام فى الشورى والجمعية العمومية ، صاحب اليد البيضاء فى الأوقاف الاسلامية ، المضطلع بإصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية . الناهض بأعباء الجمعية الخيرية ، الموفق بين الحكومة والرعية : واعترف أهل الملل بأن مصابه مصاب الانسانية ، والخسارة الكبرى على العلم والمدنية .

مرض هذا البر الرحيم فكان على فراش الموت يسأل عن بعض الضعفاء ويبحث عن مساكن القواعد من النساء ، ليواسيهم بالبر ، من وراء الستر ، وقال لى إن فلانا الغريب قد انقطع عن السفر بدين عليه وإنى مستغن الآن عن مائة جنيه ؛ فإن كانت كافية أرسلتها اليه ، ولكنه غاب عن الوجود ، قبل أن يقضى لبانته من البر والجود .

مرض هذا المصلح العظيم فاضطربت الأمة المصرية لمرضه فكانت الدار التى يمرض فيها كعبة العائدين من العلماء والأمراء ، والوزراء والأدباء ، والفضلاء الفقراء والأغنياء ، وكان البرق يناجيها كل يوم مع البريد ، بالنيابة عن العاجز

والبعيد ، سائلين عن صحته ، أو مهنئين بما يقال عن راحته ، فكان يحمد الله أن جعل الاهماء من أمته يعرفون لخادمها خدمته ، و يشكرون للعامل لها عمله . و يقول: لئن شفيت لأجهدن النفس فى خدمتهم أجمعين حتى أكون حرضا أو أكون من الهالكين .

مرض الأستاذ الامام ، فلم يعقه المرض عن خدمة المسلمين والإسلام . واحتضر الأستاذ الإمام ، وهو يفكر فى مصلحة المسلمين والاسلام ، ومات الأستاذ الامام وهو يلتهب غيرة على المسلمين والاسلام .

نقول مات الأستاذ الامام فنبدىء القول ونعيده ننصر الحس ، ونكابر النفس ، فقد كادت تحسب أن موته رؤيا منام ، وأضغاث أحلام ، وما هو إلا الحق اليقين ، ومصير الأولين والآخرين « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، و إلينا ترجعون * » مات أستاذنا و إمامنا ولك اللهم البقاء فلا تفتنا بعده ، ولا تحرمنا أجره ، واغفر اللهم لنا وله .

نعم إنه قد مات ولكن لم تمت علومه ومعارفه ، ومآثره وعوارفه ، فلقد ربى أرواحا ، وأصلح إصلاحا ، وألف كتبا وترك علما وأدبا ، وأمات سننا سيئة له أجر إماتتها ، وأحيا سننا حسنة له أجرها وأجر من يعمل بها ، وعلمنا كيف نفهم القرآن ، ونقيم شرائع الاسلام ، مع توخى نفع الناس أجمعين ، والاخلاص لله رب العالمين .

مات أستاذنا و إمامنا فكبر علينا موته ولكنه ربانا على الصبر وعلمنا كيف نتعزى عنه حتى فى مرض موته ، فقد كان هجيراه فى تلك الكربات والسكرات . كلمة الله التى أمرنا بتكرارها فى الصلوات (الله أكبر) فلئن كان بفضل الله كبيرا فينا فالله أكبر ، ولئن كان مرضه وموته كبيرا علينا فالله أكبر . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »

لبى دعوة ربه برمل الاسكندرية فى الساعة الخامسة بعد الزوال من يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى . فنعاه البرق بآلاته الناطقة والكاتبة إلى العاصمة

وغيرها من مدن القطر فاضطربت لنعيه القلوب وذرفت العيون واسترجعت الألسنة وحوقلت ، وطفق الناس يعزى بعضهم بعضا متفقين على ان المصاب به عام ، وأشد وقعه على المسلمين والاسلام ، وما كنت تسمع من القريب والغريب ، والبغيض والحبيب ، والوطني والاجنبي ، والرشيد والغوى ، والعالم والجاهل ، والمفضول والفاضل ، إلا كلمة « خسارة لاتعوض » أو كلمة « عوض الله الامة به خيرا » أو قول الشاعر :

وما كان قيسا رزؤه رزء واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

أو قول الآخر :

ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

وقد اجتمع مجلس النظار فقرر ان تحتفل الحكومة رسميا بتشييع جنازته في الاسكندرية ومصر وان تنقل جثته على قطار خاص إلى العاصمة ففعلت وشاركتها الأمة ونزلاؤها والمحتلون بهذا التشييع الذى لم يسبق مثله لغيره حتى كان يخيل للمشيع انه لم يبق أحد من سكان الاسكندرية ولا من سكان القاهرة إلا وقد حضر ليودع هذا الامام الوداع الأخير . وقد صلى عليه في الجامع الأزهر ودفن في قرافة المجاورين تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته

ولما كان المنار هو الداعي إلى الانتفاع بهذا الامام المصلح في حياته ، فجدير به أن يرشد إلى الاستفادة بسيرته بعد مماته ، فلا نطيل في الرثاء والتأبين وان كان بالحق ، ولكننا نقص على القراء ملخص سيرته مع التزام الصدق ، ليظهر لهم كيف تعلم وتربى حتى صار اماما حكيما ، وماذا عمل حتى صار مصلحا عظيما . وسنضع له تاريخا مطولا نفصل فيه ما أجملنا ، ونشرح فيه مالخصنا ، ونودعه كثيرا من رسائله ومكاتباته ، وخطبه ومقالاته ، وما كتب به اليه بعض العلماء والعظماء ، وما قاله فيه نوابغ الكتاب والشعراء ، وما ابنته به الجرائد ، وما رثي به من غرر القصائد ، ونسأل الله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاء الأمة فيه . ويوفقنا في مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه : اهـ .

(وقد نشرنا له ترجمة مطولة فى عدة أجزاء من المنار وهذا الجزء الثالث من الكتاب الموعود

وقالت مجلة الهلال الغراء التى يصدرها فى القاهرة صاحبها جرجى أفندى زيدان المسيحي السورى وذلك فى الجزء العاشر من المجلد الثامن عشر وقد صدر الترجمة بصورة الفقيد

أشهر الحوادث وأعظم الرجال

الشيخ محمد عبده

مفتى الديار المصرية

ولد سنة ١٢٥٨ وتوفى سنة ١٣٢٣ هـ

أصيب الاسلام فى أثناء الشهر الماضى بوفاة ركن من أركانه ، ورجل من أعظم رجاله ، أصيب بموت الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فأبنته الجرائد ، ورثاه الشعراء و بكاه العقلاء ، ولا يزالون يبكونه و يرثونه وستحتفل الأمة المصرية فى يوم الأربعين من وفاته الموافق ١٨ اغسطس الجارى مثل احتفال الشعراء بفقيدهم البارودى منذ بضعة أشهر وقد عينوا لتلك الحفلة سبعة أشخاص يسرد كل منهم شيئا يتعلق به : فالأول يتلو تاريخ حياته و بعض آثاره فى الجمعية الخيرية الاسلامية والثانى يذكر طرفاً من اخلاقه ومزاياه والثالث يبين شيئا من مركزه فى الهيأة الاجتماعية وأعماله فى مجلس شورى القوانين . والرابع يشرح مآثره فى الأزهر وفضله على اللغة العربية واصلاحاته الدينية . والثلاثة الباقون يؤبنونه بالقصائد الشعرية . فنقتصر فى مايلى على فذلكة من تاريخ حياته وأعماله ونبسط الكلام فى أسباب عظمته وحقيقة منزلته من العمران البشرى على العموم والعالم الاسلامى على الخصوص

ترجمة حياته

(نشأته الأولى) نشأ الفقيد فى قرية صغيرة (محلة نصر) من أبوين فقيرين فلم يمنعه ذلك من الارتقاء بجده واستعداده حتى بلغ منصب الافتاء وأصبح علماً

فى الشرق وقطباً من أقطاب الدهر سينقش اسمه على صفحات الأيام ويبقى ذكره ما بقى الاسلام

ولد عام ١٢٥٨ ﻫ وأبوه يتعاطى الفلاحة وقد ادخل فيها أولاده إلا محمداً لأنه توسم فيه الذكاء فأراد ان يجعله من الفقهاء فادخله كتاب القرية تردد اليه حيناً ثم أرسله إلى الجامع الاحمدى فى طنطا أقام فيه ثلاث سنوات ثم نقله إلى الجامع الأزهر فقضى فيه عامين لم يستفد فيهما شيئا وهو ينسب ذلك بالأكثر إلى فساد طريقة التعليم

ثم انتبه لنفسه ولم ير بدا من تلقى العلم فاستنبط لنفسه أسلوباً فى المطالعة واعمل فكرته فى تفهم مايقرؤه فاستلذ العلم واستغرق فى طلبه فاحرز منه جانباً كبيراً على ما يستطاع ادراكه بتلك الطريقة

واتفق ان ورد على مصر سنة ١٢٨٨ﻫ (١٨٧١م) السيد جمال الدين الافغاني فيلسوف الاسلام وصاحب الترجمة لايزال فى الأزهر وقد أدرك الثلاثين من عمره وتولى جمال الدين تعليم المنطق والفلسفة فانخرط الفقيد فى سلك تلامذته مع جماعة من نوابغ المصريين تخرجوا على جمال الدين فخرجوا لايشق لهم غبار كأن الرجل نفخ فيهم من روحه ففتحوا أعينهم واذاهم فى ظلمة وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه فضلا عن العلم والفلسفة روحاً حية ارتهم حالهم كما هى اذ تمزقت عن عقولهم حجب الأوهام فنشطوا للعمل فى الكتابة فانشأوا الفصول الأدبية والحكمية والدينية . وكان صاحب الترجمة ألصق الجميع به وأقربهم إلى طبعه وأقدرهم على مباراته . فلما قضى على جمال الدين بالابعاد من هذه الديار قال يوم وداعه لبعض خاصته « قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالما »

وتقلب الفقيد فى بعض المناصب العلمية بين تدريس فى المدارس الأميرية وتحرير فى الوقائع المصرية ، وكتابة فى الدوائر الرسمية ، حتى كانت الحوادث العرابية فحمله أصحابها على السير معهم وهو ينصح لهم أن لايفعلوا و ينذرهم بسوء العاقبة . ولما استفحل أمر العرابيين اختلط الحابل بالنابل بالتأويل وسيق الناس بتيار الثورة وهم لايعلمون مصيرهم . فدخل الانكليز مصر والشيخ محمد عبده فى جملة الذين

قبض عليهم وحوكموا فحكم عليهم بالنفى لانه أفتى بعزل توفيق باشا الخديوى السابق . فاختار الاقامة فى سوريا فرحب به السوريون وأعجبوا بعلمه وفضله فأقام هناك ست سنوات فاغتنموا اقامته بينهم وعهدوا إليه بالتدريس فى بعض مدارسهم

وانتقل من سوريا إلى باريس فالتقى فيها باستاذه وصديقه جمال الدين وكانا قد تواعدا على اللقاء هناك فأنشآ جريدة «العروة الوثقى» وكتابتها منوطة بالشيخ فكانت لها رنة شديدة فى العالم الإسلامى ولكنها لم تعش طويلا . وتمكن الشيخ فى أثناء اقامته بباريس من الإطلاع على أحوال التمدن الحديث وقرأ اللغة الفرنساوية على نفسه حتى أصبح قادراً على المطالعة فيها ثم سعى بعضهم فى اصدار العفو عنه فعاد إلى مصر فولاه الخديوى السابق القضاء وظهرت مناقبه ومواهبه فعين مستشارا فى محكمة الاستئناف وسمى عضوا فى مجلس ادارة الأزهر وعين أخيراً مفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ ومازال فى هذا المنصب حتى توفاه الله فى ١١ يوليو الماضى ولم يعقب ذكرا يبقى به اسمه ولكنه خلف آثارا يخلد بها ذكره

مناقبه وأعماله

كان ربع القامة أسمر اللون قوى البنية حاد النظر فصيح اللسان قوى العارضة متوقد الفؤاد بليغ العبارة حاضر الذهن سريع الخاطر قوى الحافظة . وقد ساعده ذلك على احراز ما أحرزه من العلوم الكثيرة الدينية والعقلية والفلسفية والمنطقية والطبيعية وتلقى اللغة الفرنساوية وهو فى حدود الكهولة فى بعضة أشهر . وكان شديد الغيرة على وطنه حريصاً على رفع شأن ملته وذاع ذلك عنه فى العالم الإسلامى فكاتبهُ المسلمون من أربعة أقطار المسكونة يستفتونه ويستفيدون من علمه وهو لا يرد طالباً ولا يقصر فى واجب

ناهيك بما عهد إليه من المشروعات الوطنية فقد كان القوم لا يقدمون على عمل كبير إلاّ رأسوه عليه أو استشاروه فيه . فرأس الجمعية الخيرية الإسلامية وألف شركة طبع الكتب العربية وشارك مجلس شورى القوانين فى مباحثه وآخر ما عهد إليه تنظيم مدرسة يتخرج فيها قضاة الشريعة ومحاموها . فضلا عما

اشتغل فيه من التأليف والتصنيف وما كان يستشار فيه من الأمور الهامة فى القضاء أو الادارة بالمصالح العامة والخاصة وبالجملة فقد كان كنز فوائد للقريب والبعيد بين افتاء ومشورة واحسان وكتابة ومدارلة ووعظ وخطابة ومباحثة ومناظرة واستنهاض وتحريض وتنشيط وغير ذلك

اصلاح الاسلام

على أن عظمته الحقيقية لا تتوقف على ما تقدم من أعماله الخيرية أو العلمية أو القضائية وانما هى تقوم بمشروعه الاصلاحى الذى لا يتصدى لمثله إلا أفراد لا يقوم منهم فى الأمة الواحدة مهما طال عمرها إلا بضعة قليلة . وهذا ما أردنا بسطه على الخصوص فى هذه المجلة

﴿ العظمة الحقيقية ﴾ تختلف العظمة شكلا وأثراً باختلاف السبيل الذى يسعى صاحبها فيه أو الغرض الذى يرمى اليه . فمنهم العظيم فى السياسة أو الحرب أو العلم أو الدين ومن العظماء من يتوفق إلى اتمام عمله ومنهم من يرجع بصفقة الخاسر من نصف الطريق أو ربعه أو عشره . على أن أكثر العظماء إنما يأتون العظائم لمجرد الرغبة فى الشهرة الواسعة ويغلب أن يكون ذلك فى رجال الحرب . وهؤلاء تنحصر ثمار أعمالهم فى أنفسهم أو أهلهم أو أمتهم على أنهم لا يستطيعون نفعاً لأنفسهم إلا بضرر الآخرين — اعتبر ذلك فى سير كبار الفاتحين كالاسكندر وبونابرت وغيرهما فكم سفكوا فى سبيل عظمتهم من الدماء أو ارتكبوا من المحرمات وكان النفع عائداً على أنفسهم أو أمتهم ولم يطل مكثه فيهم إلا قليلا

وأما رجال العلم فعظمتهم تقوم بما ينيرون به الأذهان من الأصول العلمية أو يكتشفونه من أسباب الامراض والوقاية منها أو يضعونه من النظامات والقوانين أو غير ذلك . ونفعهم يشتمل القريب والبعيد الرفيع والوضيع ولا يسفكون فى سبيل نشره دماً ولا يرتكبون محرماً وهو باق ما بقى الانسان وينمو بنموّ المدنية

وأما رجال الدين ومن جرى مجراهم من واضعى الشرائع والأحكام فتأثيرهم أوسع دائرة وأعم شمولا لأنه يتناول البشر على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم رجالا ونساء وكبارا وصغارا وعليهم يتوقف نظام الاجتماع وآدابه وأخلاق الناس وعاداتهم

وعلاقتهم بعضهم ببعض وعظماء الدين فئتان الفئة الأولى واضعوا الشرائع كالأنبياء أو من فى معناهم ممن ينسبون أعمالهم إلى ماوراء الطبيعة . والفئة الثانية المصلحون الذين يصلحون الدين بعد فساده — لأن الدين إذا مرَّ عليه بضعة قرون فسد وتغير شكله وانقلب وضعه تبعاً لمطامع الذين يتولون شؤونه فتفسد الأمة وينحط شأنها حتى يقوم من يصلحه ويعيده إلى رونقه . ووضع الأديان عمل شاق قل من يفوز به والاصلاح الديني لا يقل مشقة عنه . وربما كان ادخال دين جديد أيسر من اصلاح دين قديم . فالديانة المسيحية لم تكلف البشر فى قيامها من الدماء أكثر مما كلفتهم فى اصلاحها . على أن ما يضيعه رجال الدين فى نشره من الدماء يعوضونه بسرعة انتشاره اعتبر ذلك فى الفرق بين النصرانية والإسلام فى قيامهما . ويقال نحو ذلك فى الاصلاح فقد طلبه وسعى فيه غير واحد من رجال النصرانية فلم يتوفق منهم إلى اصلاح كبير غير لوثير لأن أهل السياسة نصروه ولا بد من استعداد الأذهان لقبول الاصلاح وتهيئة الأسباب الأخرى . فكم نهض من المصلحين بالسيف فغلبوا على أمورهم وذهب سعيهم عبثاً . وأقربهم عهداً منا صاحب مذهب الوهابية فى نجد فقد استفحل أمره فى أوائل القرن الماضى وأراد فى الإسلام نحو ما أراده لوثير فى النصرانية فلم يتوفق إلى غرضه لان الجنود المصرية غلبته وفلت عزيمته . أما المصلحون بالموعظة الحسنة والتعليم فعملهم بطيء ولكنه أرسخ فى الأذهان وأصبر على كوارث الحدثان – والشيخ محمد عبده واحد منهم

﴿هو وجمال الدين﴾ نشأ الشيخ المفتى نير البصيرة حر الضمير وربى فى الإسلام وتعلم علومه فشب غيوراً عليه ثم اطلع على علوم الأمم الراقية من أهل هذا التمدن ودرس تاريخ الاجتماع ونواميس العمران فرأى الإسلام فى حاجة إلى نهضة ترفع شأنه وتجمع كلمته . واتفق اجتماعه بالسيد جمال الدين الأفغاني فأخذ عنه الفلسفة والمنطق والحكمة المشرقية وكان جمال الدين غيوراً على الإسلام راغباً فى جمع كلمته ورفع شأنه فتوافقا فى الغاية ولكنهما اختلفا فى الوسيلة . لأن جمال الدين سعى فى ذلك من طريق السياسة فأراد جمع شتات المسلمين فى أربعة قطار العالم تحت ظل دولة اسلامية واحدة وقد بذل فى هذا المسعى جهده وانقطع

عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً وانما جعل همه السعي إلى تلك الغاية فلم يتوفق إلى غرضه لأسباب عمرانية طبيعية لامحل لذكرها . وكان الشيخ محمد عبـــده رفيقه فى كثير من مساعيه واطلع على دخائل أموره وعرف أسباب حبوطه فعلم أن جمع كلمة المسلمين ورفع شأنهم من طريق السياسة لايتيسر الوصول اليه فسعى فيه من طريق العلم . فجعل همه رفع منار الاسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب وتقريبهم من أسباب المدنية الحديثة ليستطيعوا مجاراة الأمم الراقية فى هذا العصر . ورأى ذلك لايتأتى إلا بتنقية الدين مما اعتوره من الشوائب التى طرأت عليه بتوالى العصور وتغالب الدول واختلاف أغراض أصحابها وأئمتها كما أصاب النصرانيــــة فى القرون المتوسطة اذ تمسك الناس بالعرض وتركوا الجوهر واستغرقـوا فى الأوهام ونبذوا الحقائق . والسبيل الوحيد لمغالبة الأوهام والخرافات إنما هو العلم الصحيح على ما بلغ اليه فى هذا العهد : وعلم الفقيد رحمه الله أن محور العلوم الاسلامية اليوم مصر ومركز العلم بمصر أو فى العالم الاسلامى كافة الجامع الأزهر فرأى أنه إذا أصلح الازهر فقد أصلح الاسلام فسعى جهده فى ذلك فاعترضه أناس من أهل المراتب يفضلون بقاء القديم على قدمه واستنصروا العامة عليه وغرسوا فى أذهانهم ان المفتى ذاهب بالمسلمين إلى مهاوى الضـلال والبدع . فلم يهمه قولهم لعلمه ان ذلك نصيب أمثاله من قديم الزمان — على أنه لم ينجح فى اصلاح الازهر إلا قليلا ولكنه وضع الاساس ولا بد من رجوع الأمة إلى تأييد هذه النهضة ولو بعد حين فيكون الفضل له فى تأسيسها .

على أن الجانب الأعظم من عقلاء المسلمين وخاصتهم يرون رأيه فى اصلاح الدين ورجاله . وربما سبقه كثيرون منهم إلى الشعور بحاجة الاسلام إلى ذلك ولا سيما المتخرجين بالعلوم العصرية من الناشئة المصرية ولكنهم لم يجسروا على التصريح بأفكارهم فى غير المجتمعات الخصوصية لئلا ينسبهم الناس إلى المروق من الدين — فلما جاهر محمد عبده برأيه وافقوه وصاروا من مريديه ونصروه بألسنتهم وأقلامهم . فحاجة الاسلام إلى الاصلاح ليس هو أول من انتبه إليها ولكنه أول من جاهر بها كما ان لوثير المصلح المسيحى ليس أول من انتبه لحاجة النصرانية إلى

الاصلاح ولكنه أول من جاهد فى سبيلها وقد فاز بجهاده لقيام السياسة بنصرته واما مصلح الاسلام فكانت السياسة ضده وانما حمله على تلك المجاهرة حرية ضميره وجسارته الأدبية ومنصبه الرفيع فى الافتاء

﴿الاسلام والمدنية﴾ فلما صرح الشيخ محمد عبده بحاجة الاسلام إلى الاصلاح انقسم المسلمون إلى فئتين فئة ترى بقاء القديم على قدمه وهم حزب المحافظين وفئة ترى حل القيود القديمة واطلاق حرية الفكر والرجوع إلى الصحيح من قواعد الدين ونبذ ما خالطه من الاعتقادات الدخيلة وكان رحمه الله زعيم هذه الفئة يناضل عن مبادئها بلسانه وقلمه و بكل جارحة من جوارحه . وكانت مساعيه من هذا القبيل ترمى إلى غرضين رئيسيين : الأول تنقية الدين الاسلامى من الشوائب التى طرأت عليه والثانى تقريب المسلمين من أهل التمدن الحديث ليستفيدوا من ثمار مدنيته علمياً وصناعيا وتجاريا وسياسيا . فأهل العصبية الاسلامية يرون هذا التقريب مغايرا لما يرجونه من استقلال المسلمين بالجامعة السياسية لأن مجاراة أهل التمدن الحديث بأسباب مدنيتهم وتسهيل الاختلاط بهم يضعف عصبية الاسلام على زعمهم و يبعث على تشتت عناصره فيستحيل جمعها فى ظل دولة واحدة . ولكن الشيخ المفتى كان يرى ذلك الاجتماع السياسى مستحيلا فى هذه الحال فلم يشأ ان يضيع وقته سدى كما أضاعه استاذه وصديقه جمال الدين وان يخسر فائدة تقرب المسلمين من أسباب هذا التمدن فسعى فى ذلك بما نشره من فتاويه المتعلقة بالربا والموقوذة ولبس القبعة ونحو ذلك مما يقرب المسلمين من الأمم الأخرى و يسهل أسباب التجارة

﴿تنقية الدين﴾ وأما تنقية الدين الاسلامى من الشوائب الطارئة عليه فأساس سعيه فيها انه أطلق لفكره الحرية فى تفسير القرآن ولم يتقيد بما قاله القدماء أو وضعوه من القواعد التى يحرم الأئمة تبديل شيء منها . فرأى ان يحل نفسه من هذه القيود و يفسر القرآن على مايوافق روح هذا العصر فيجعل أقواله وآراءه فيه موافقة لقواعد العلم الصحيح المبنى على المشاهدة والاختبار ولنواميس العمران على ما بلغ اليه هذا العلم إلى الآن مع مطابقته لأحكام العقل وأصول الدين كما فعل

النصارى فى تفسير الكتاب المقدس بعد ثبوت مذاهب العلم الجديدة وهو أوعر مسلكا فى الاسلام لارتباط الدين بالسياسة فيه . والقرآن أساس الدين والدنيا عندهم فيعلقون على تفسيره أهمية كبرى لأنه مرجع الفقه وغيره من الأحكام الشرعية والسياسية ولذلك رأى أهل السنة تقييده بأقوال الأئمة الأربعة وخالفهم الشيعة باستبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً فلا يرون بأساً فى العدول عن تفسير إلى آخر بشروط يشترطونها فى مفسريهم وهم يعرفون عندهم بالأئمة المجتهدين

﴿ التفسير ﴾ وقد توالى على تفسير القرآن أحوال تختلف باختلاف العصور من أول الاسلام إلى الآن ترجع إلى أربعة أعصر — الأول العصر الشفاهى ١
وهو ينحصر فى أيام النبى وأصحابه فقد كانوا عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لأنها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ولأن أكثرها قيلت فى أحوال كانت القران تسهل فهمها وإذا أشكل عليهم شىء منها سألوا النبى فيفسره لهم . وكان التفسير مختصرا بسيطاً لسذاجة الدولة الاسلامية يومئذ

٢ ثانيا العصر التقليدى . ونريد به عصر التابعين أو حواليه وكانت الدولة الاسلامية قد أخذت فى النمو والارتقاء فاحتاجوا إلى التوسع فى التفسير وكان أكثرهم أميين فاذا أعجزهم تفسير بعض الآيات سألوا عنها من أسلم من أهل الكتاب ولاسيما اليهود المقيمين فى اليمن وكانوا قد اسلموا وظلوا على ما كان عندهم من التقاليد المتناقلة شفاهاً وكتابة مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية

٣ ثالثاً العصر الفلسفى المنطقى : ونريد به تدوين التفسير وضبطه بالقياس الفلسفى والحكم المنطقى بعد ان اختلط المسلمون بأهل العلم القديم فى الشام والعراق وفارس واطلعوا على علوم القدماء وفلسفة اليونان والهند ونقلوا ذلك إلى لسانهم واستخرجوا علم الكلام منه . وكان العرب قد وضعوا العلوم اللسانية وضبطوا معانى الألفاظ وأساليب التعبير فنظروا فى التفاسير السابقة نظر الناقد ومحصوها بالقياس العقلى بالاعتماد على قواعد المنطق بما تقتضيه الفلسفة اليونانية القديمة على نحو ما فعله لاهوتيو النصارى قبل ذلك

رابعاً العصر العلمي الذي نحن فيه وهو عصر الفلسفة الجديدة المبنيه على العلم الطبيعي الثابت بالمشاهدة والاختبار ويمتاز عن العصر السابق باطلاق حرية الفكر من قيود التقليد القديمة التي غلت ألسنة أسلافنا وأقلامهم وأوقفت مجارى التمدن أجيالا متطاولة . فالشيخ المفتى رحمه الله أراد أن ينقل التفسير إلى روح هذا العصر فيفسر القرآن بما يطابق أحكام العقل ويحل الاسلام من قيود التقليد . فسار في هذا الطريق شوطاً بعيداً فألقى على طلبة الأزهر خطباً كثيرة في التفسير نشرت في مجلة المنار وطبع بعضها على حدة وكان لها تأثير حسن في نفوس العقلاء ولو مد الله في أجله لأتم هذا العمل ولكنه قضى آسفا خائفا ولسان حاله يردد هذين البيتين — وقد قيل انهما من قصيدة نظمها في أثناء مرضه وهما :

ولست أبالى أن يقال محمدٌ أبلّ أو اكتظت عليه المآتمُ
ولكن دينا قد أردت صلاحهُ أحاذر أن تقضى عليه العمائمُ

على أنه خلف جماعة من تلامذته ومريديه أكثرهم من أهل العلم وأرباب الأقلام وفيهم نخبة كتاب المسلمين وشعرائهم في هذا العصر . وأكثرهم مجاهرة بنصرته واذاعة لآرائه وصيفنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي

فالشيخ محمد عبده زعيم نهضة اصلاحية لاخوف منها على الدماء أو الأرواح وأكثر نهضات الأمم في سبيل اصلاحها لاتخلو من اهراق الدماء — فهو رجل عظيم يجدر بالمسلمين أن يبكوه وان يقتفوا آثاره في التوفيق بين الاسلام والمدنية الحاضرة وتنقيته مما ألم به بتوالى الازمان وذلك ميسور لمن أطلق فكره من قيود التقليد واسترشد بما يهديه اليه العقل الصحيح بالاسناد إلى العلم . على اننا نرجو ان لاتعدم هذه النهضه من يخلف الامام الفقيد في الانتصار لها والعمل بها والله على كل شيء قدير

٤

اقوال الجرائد العربية

فى تونس

قالت جريدة الحاضرة الغراء التى يصدرها فى مدينة تونس صاحبها السيد على بوشوشة و بلغنا ان التأبين بقلم الكاتب المفضال سيدى محمد بن الخوجة الشهير مؤلف الرزنامة التونسية

مات ولم يمت

نعت أخبار الاسكندرية وفاة الإمام مفتى الإسلام وعلامة الانام نادرة الدهر الأستاذ الكبير والنقادة الشهير نسيج وحده مولانا الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية رحمه الله . كنا على وجل الاشفاق من أخبار صحته التى أخذت فى الانحطاط من أربعة أشهر فارطة واضطرته للانتقال من القاهرة للاسكندرية بنية السفر لتغيير الهواء خارج القطر المصرى فكنا نستطلع أحواله آنا فآنا ونجدد معه عهود المودة الوثيقة ونستمد من أنوار علومه على بعد الدار فكان الرشيد المرشد لمن قرب أو نأى وآخر العهد به ورود مكتوب منه على أحد أصحابنا ممن لهم معه علقة علمية ورابطة وداد

سمعنا منه أنه ولد رحمه الله فى حجة ١٢٦٦ وذلك بمحلة نصر من أعمال البحيرة . ودخل الأزهر الشريف لتلقى العلوم متبعا المذهب المالكى الزكى فأخذ العلم عن أكابر الشيوخ مثل شيخ الإسلام عليش وكان يعده أنبغ تلامذته ومثل الأستاذ الشيخ حسن الطويل أنبغ أهل عصره والشيخ البسيونى اللذين كانا يشهدان له بسرعة البديهة وتوقد الخاطر وظل فقيد الإسلام يتفقه ويتعلم بالأزهر إلى أن وفد على القاهرة أواخر سنة ١٢٨٦ المرحوم فيلسوف الإسلام السيد جمال الدين الافغانى وانتصب للتدريس بالازهر (١) فلازمه الفقيد ملازمة الظل وكان يقول له

(١) الصواب خارج الأزهر

(ان الذكاء يتوقد فى عينيك والشهرة مرسومة فى جبينك) وهو الذى كمل ترقية مواهبه الفطرية ولما تخرج عليه فى علوم المعقول أخذت النهضة الأدبية العصرية بمصر فى الظهور أواخر دولة اسماعيل باشا وكان الوزير الخطير المصلح رياض باشا من أعظم المساعدين لذلك فعين الفقيد مدرساً للعربية بمدرسة الألسن فجمع بينها و بين التدريس العلمى بالجامع الأزهر لكن تلك النهضة لم ترق فى عين الخديوى الجبار فعزل رياض باشا من الوزارة وأبعد السيد جمال الدين عن مصر وحكم برجوع الفقيد إلى مسقط رأسه فمكث بمحلته إلى أن عاد رياض باشا للوزارة على عهد الخديوى توفيق باشا وكانت فاتحة وزارته تعين الشيخ محمد عبده محرراً للوقائع المصرية التى هى الجريدة الرسمية بمصر ومن ذلك العهد أى من سنة ١٢٩٧ أخذ أمره فى الاشتهار، وفضله فى الانتشار، فانشأ بالوقائع المصرية قسمها الأدبى الذى كان له فى ذلك العهد ذكر ينقل وحديث يسمع بين حملة الأقلام فكان أبلغ البلغاء إذا كتب وأفصح الفصحاء إذا خطب ، وكان أقوى العلماء والأدباء بيانا ، وأجودهم بالحكمة لسانا ، وأوسعهم فى معاريض الكلام باعا ، وأوفرهم فى مفاهيم العلوم اطلاعا ، وأبعدهم مرمى ، وأسدهم سهما ، وكان عظيم الهمة كبير النفس يغالب كرات الزمان بثبات عز عن النظير ، ويستصغر الكبائر ويستسهل المصاعب ويستهين بكل شىء اعترضه فى مسيره ومما يؤثر عنه فى هذا المعنى قوله « اننى لا أخشى شيئا سوى الموت لانه يقطع على خط السير » وبالجملة فان الشيخ محمد عبده كان رجلا « والرجال قليل »

عند ظهور الحوادث العرابية بمصر أثناء سنة ١٢٩٩ كان للفقيد يد عاملة فى حركة الافكار بما كان ينشره بالجرائد والمجلات وكان يومئذ رحمه الله رئيسا على عموم المطبوعات فعلت منزلته حتى قيل إن العرابيين كانوا لا يبرمون أمرا دون استشارته ولدينا فى الحوادث العرابية رسالة من انشائه كنا أخذناها منه عند زيارته الأولى لتونس لكن نعلم علم اليقين ان المرحوم كان ينكر كثيرا من أعمال العرابيين ولما احتل الانكليز وادى النيل قبضوا على الفقيد فى جملة الرؤساء المقبوض عليهم وأودعوه السجن إلى أن حوكم فى ذى القعدة ١٢٩٩ وكان وكيله المستر برودلى

المحامى المشهور الذى كان له ذكر بتونس على أول الاحتلال الفرنسوى فقضى عليه بالابعاد مدة ثلاث سنوات مع منعه عن الرجوع لمصر بدون إذن حكومتها ومما نقموه عليه يومئذ ما قيل من أنه أفتى بخلع الخديوى توفيق باشا.

بعد الحكم عليه استوطن الفقيد ديار الشام حيث انتصب للتدريس بين الناس فالتف حوله أهل الأفكار السامية وأخذ عنه خلق كثير وانتفعوا بعلمه وأجلوا مقامه ثم فى حدود سنة ١٣٠٣ التحق بالسيد جمال الدين الافغانى نزيل باريس وأصدرا هنالك جريدة العروة الوثقى المشهورة التى لم يزل صداها باسماع كتاب العالم الاسلامى قاطبة وفى تلك الأثناء تعلم وأتقن اللسان الفرنسوى

وفى سنة ١٣٠٥ عفا عنه الخديوى توفيق باشا ورخص له بالرجوع لوطنه وما استقر بمصر حتى سمته دولته قاضيا بمحكمة بنها ومنها انتقل لمحكمة الزقازيق فمحكمة مصر القاهرة

وفى سنة ١٣٠٨ تعين مستشارا بمجلس الاستئناف و بعد سبع سنوات ارتقى لخطة مفتى الديار المصرية المنحلة عن الأستاذ العلامة الشيخ حسونة النواوى وظل متربعا على منصتها العالية إلى أن ادركته المنون

هذا وللشيخ محمد عبده آثار علمية مذكورة ، وفضائل مأثورة ، منها ما وقفنا عليه كتفسيره للقرآن الشريف ورسائله العديدة فى تطبيق العلم على الدين وردوده على الدهريين ورده على الوزير هانوتو الذى تهجم على الإسلام وتآليف أخرى تفوت الحصر ربما نأتى على ذكرها فى فرصة أخرى ومن حسناته مساعدته لمجلة المنار التى لم ينسج الناسجون على مثلها فى الأزمان الغابرة والحاضرة وكان الفقيد رحمه الله عليما بدرجته و بمقدار خدمته للاسلام فكان يردد على فراش موته عبارات الأسف عن عدم بلوغه نهاية المشروع السامى الذى اختطه لنفسه فى خدمة و إصلاح الأمة الاسلامية وقد نظم فى المعنى قصيدة قبيل وفاته ننقل منها الأبيات الآتية

﴿ ثم بعد ان ذكرت الأبيات قالت ﴾

و يقال إن من آخر كلماته أيام مرضه قوله « ما دخلت السياسة فى شىء إلا

أفسدته » وكأنه اشار رحمه الله بذلك لحادثته الأخيرة مع سمو خدى مصر .

حل به الأجل المحتوم وهو على عقيدة حب الخير للاسلام والمسلمين فهو الفقيد الذى يرثيه العلم ، وتبكيه الشورى ، وتتوجع عليه التقوى ، وتندبه جمعيات البر ، ويتحسر عليه الأزهر ، وفى الحقيقة ان أسمه لم يمت و إنما الميت هو شبحه الذى مات بموته خلق كثير فقد كان نعمه الله اشفق أب لليتامى ، وأحن أخ للبؤساء والمساكين وكم من يد كانت تمد له فى ظلام الليل فيواسيها بالمعونة والاحسان والله شهيد عليم

عند ما أسلم الفقيد العزيز الروح لرب القلم واللوح طير البرق خبر وفاته لسائر الجهات فكان لمنعاه أسوأ وقع فى النفوس وتقطبت الوجوه وانقبضت النفوس واندملت الافئدة لان الموت إنما اغتال اماما مرشدا ، وعالما جليلا ، وأستاذا حكيما ، وحبرا شهيرا ، ملأ ذكره الخافقين واصدر فخامة قائمقام الخديوى أوامره بأن تتولى الدولة القيام بشئون الجنازة والاحتفال رسميا بها إشعار عما للفقيد من الجلال والعلم والفضل فاجريت على جثته المكرمة الأعمال السنية ثم أدرج فى شال كشمير وحمل على نعشه من الدار التى مات بها بالاسكندرية صبيحة غد وفاته وسار موكب الجنازة فى انتظام عجيب يتقدمه فخامة القائمقام خديوى و يتبعه أهل الحل والعقد ورجال العلم ونواب الدول ورؤساء الملل وطلبة العلم وعامة الناس فى عد الالوف وقصدوا به محطة السكة الحديد لنقله للقاهرة على قطار مخصوص فوصلها بين مظاهر الحزن العمومى من كافة السكان ولدى وصول القطار انتظم موكب الجنازة الرسمية فكانت عساكر البوليس ركوبا وفرسانا ورجال خفر السواحل والألوف من تلامذة المدارس يمشون حول نعشه ووراءه من خاصة الناس وعامتهم ألوف تلو ألوف ومهما مر موكب الجنازة بسوق أو شارع إلا واقفلت أبوابه اشعارا بالحداد ولما بلغت الجنازة للازهر للصلاة عليه اذن المؤذنون من منائر مصر دفعة واحدة تبريرا لروحه فزاد الخشوع وزادت العبرة وما بقيت عين لم تمطر دمعا هطيلا لتلك العظة الكبرى بموت فخر رجال العلم والاسلام ثم سير من هنالك لقرافه المجاورين حيث واروه مبكيا من الجميع

ترك الفقيد ثروة متوسطة بالنسبة لسراة مصر ، ومات دون عقب ذكر

وله من البنات الإناث أربع ومن الاخوة الذكور ثلاثة أشهرهم حضرة حموده عبده المحامي بمحاكم مصر واعتنى في قائم حياته بتعمير محلة تسمى عين شمس أصبحت بفضل كده وعمله من أعمر جهات النزهـــة حول القاهرة

نسأل الله أ يعزى الإسلام بمصابه العزاء الجميـل وان يفرغ على جـدثه وابلا من الرحمات ؛ و يسكنه بفضله أعالي الجنات ، انه سميع النداء ، مجيب الدعاء ،

وقالت جريدة الصواب الغراء التي يصدرها في تونس سيدى محمد الجمايبي ع ٦١ منها الصادر في ٢٥ جمادى الأول مانصه

فاجعة الاسلام في الاستاذ الامام

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهـــدما

أجل انه لبنيان شديد أقيم لدين الإسلام زمانا ثم هوى والحاجة اليه جديدة، والنفوس الحية ليست في صدر عليه بشديدة ، هوى هذا العلم فتقطعت قلوب المسلمين من نبأ هويه ، وصبر العقلاء خلفه فما ظفروا بقريبه أودنيه ، فأى رزاء أصاب الإسلام ، وأى شرف فقده عامه الانام ، كان ملجأ عند المشكلات ، ومظهرا للآيات الباهرات ، فكم مجد أبان سلام من عيون العلماء الغربيين ، وكم سمعة نالها منه الدين المبين ، أما نه قدرد عليهم مطاعنهم والناس ساكتون ، أما إنه قد أجلى روح الدين ترفرف على عالم الحكمة والناس عن علمها لاهون ، أما إنه قام بالعظيم حين فشلوا ، ومضى فيه زمان وقفوا ، وكان أرفع الناس صوتا ، وأعلاهم فوتا . ناهيك من قدوة في البلاغة والبيان ومثال في العمل والعرفان : فقد كان إماما ناصحا ، وعاملا كادحا ، وسيفا قاطعا وركنا آويا دافعاً . وخطيبا قوى الحجة ، واضح المحجة ، يثبت في الخطابة ثبوت الجبل لاتحركه القواصف ، ولا تزيله العواصف ، فطار بعنانها ، واستبد ببرهانها برهانها ، ولولا أن الناس قد اعتادوا المبالغات ، في تأبين الأموات ، لكان تأبيننا الاستاذ الامام ، لايشبهه تأبين أحد ممن رماهم سهم الحمام ، بعد الأنبياء (عليهم السلام) ولكنا رعا نرى

فيه ماقد سمعناه من قبل فليعلم القارىء أن هذا دون الوفاء بالحق ، والآخر فوق المبالغة والصدق

نشأته — ولد رحمه فى ذى الحجة سنة ١٢٦٦ هجرية بقرية من قرى مديرية الغربية من القطر المصرى وأصله من قرية «محلة نصر» من مديرية البحيرة وفيها تربى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة إلا بعد العاشرة من سنه فأتم حفظ القرآن فى سنتين ثم جوده فى طنطا سنة ١٢٧٩ ثم فى سنة ١٢٨١ جلس فى دروس للعلم بالمسجد الأحمدى الذى هو ثانى الجامع الأزهر فشرع يتلقى شرح الكفراوى على الأجرومية على الطريقة الأزهرية فقضى مدة طويلة لم يفهم شيئا لأن المدرسين كانوا يفاجئون الطلاب باصطلاحات لايفهمونها ويكلفونهم بحفظ الاعراب من أول الأمر غير معتنين بتفهيمهم المعانى ولا بالتدريج الطبيعى للتلامذة فادرك الاستاذ اليأس من النجاح وهرب من الدروس فرجع إلى « محلة نصر » وتزوج هناك سنة ١٢٨٨ ثم ألزمه والده بعد أيام بالذهاب إلى طنطا لطلب العلم ولكنه أظهر الامتثال فركب وإنما عرج على بلدة « كنيسة أورين » حيث يسكن خؤولة أبيه فصادف أحدهم المعروف (بالشيخ درويش) على جانب من العلم والتقى إذ قد كان ذهب إلى طرابلس الغرب وجلس إلى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور وأخذ عنه شيئا من العلم والطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد فهم مايحفظ فهو الذى جذبه من حلل الرحال بملاطفته وأخلاقه الصوفية لكن من التغلب على إعراض الأستاذ عن العلم حتى كان من عاقبة أمره ان ترك كل شغل وصار أحب الأشياء اليه المطالعة والفهم وكانت بعض الرسائل التى يقرؤها مع شيخه درويش تشتمل على معارف الصوفية وكثير من كلامهم فى أدب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتزهيدها فى الباطل من مظاهر هاته الحياة . كان هذا طورا جديدا للفقيد وهى اللذة الأولى التى وقعت فى نفسه من حب الاصلاح إذ كان سخط على شىء لدناءته ثم رضى بعد عليه لمارأى من حسنه فعلم أن الاصلاح إذا انتاب الفاسد حببه إلى النفوس كان هذا الشيخ درويش يعود الاستاذ الفقيد على نقض الحال التى ركبها المسلمون

من ضعف الدين والتساهل فى المعاصى وشرح له تدجيل بعض الغارين وهو الذى جعل له وردا نصف حزب من القرآن يقرؤه عقب كل صلاة مع الفهم والتدبر وشجعه على ذلك بأنه يكفيه ان يفهم الجملة وببركة القرآن يفاض عليه التفصيل ثم رجع إلى طنطا بعد أيام لأخذ العلوم ثم إلى الأزهر فى شوال سنة ١٢٨٢ فكان يتلقى دروسه مع العزلة عن الناس وكان الشيخ درويش يحرضه على العلم والفنون التى لا تقرأ فى الأزهر نحو الحساب والهندسة والمنطق ويقول له ان طالب العلم لا يعجز عن تحصيله فى أى مكان فأخذ عن شيوخ كان كلهم يشهد له بتوقد الذهن وصفاء القريحة وان تنكر عليه بعد منهم من تنكر لوشايات شيطانية وغايات شخصية

ولما كانت سنة ١٢٨٤ وفد الفيلسوف الشهير داعى النهضة الاسلامية السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر فلقيه الفقيد فى محرم سنة ١٢٨٧ وأخذ يتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية ويدعو الناس إلى الأخذ عنه معه فكثرت الأقاويل على السيد وتلاميذته زعما ان تلقى تلك العلوم قد يفضى إلى زعزعة العقائد الصحيحة ولكنه لم يصغ إلى هراء المغرورين بل دام مع السيد على مبادئه الصحيحة فلما كان شهر جمادى الآخر سنة ١٢٩٤ عرض الفقيد نفسه على مجلس الامتحان فلقى بلاء شديدا من التعصب كانت نهايته ان أنصفه شيخ الازهر الشيخ العباسى المهدى الشهير وحلف أنه لم ير مثله ولقى شيخ الازهر خصاما شديدا لكن دمغ الحق الباطل

وفى أواخر سنة ١٢٩٥ عين مدرسا للتاريخ فى مدرسة دار العلوم وللعلوم العربية فى مدرسة الالسن مع تدريس الأزهر فسلك فى تدريس التاريخ مسلكا لم يكن معهودا فى مصر إذ مزجه بعلم الاجتماع والعمران ويومئذ ابتدأت حياته الاصلاحية التى سنلم بها بعد.

فى رجب سنه ١٢٩٦ خلع الخديوى اسماعيل باشا وكان خلعه فى الحقيقة بما نشر من الطعن على سيرته المالية فى الجرائد فكان من وراء حركة الاقلام حركة عامـــة خلعت اسماعيل فتولى محمد توفيق وكان الفقيد والسيد جمـــال الدين

من شيعته وحزبه إلا أن الوشاة غلبوهما عليه فقلبوا ما كان من ميله إليهما بغضا إذ كانوا يوحون اليه ان هذين الرجلين يبثان فى نفوس التلامذة وغيرهم روح الميل إلى الحرية والحكومة النيابية فصدر فى رمضان من هاته السنة امر الخديوى بنفى السيد جمال الدين فذهب إلى الهند وبعزل الاستاذ محمد عبده من وظيفتى التدريس فى مدارس الحكومة وان يبعد عن العواصم المصرية ويلزم بلده فاختار المقام بسوريا[(١)] وهناك عين استاذا فى المدرسة السلطانية ففتح سنة ١٣٠٢ (كذا) اذهانا وانتج رجالا فى تلك النواحي وبعد انقضاء مدة الحكم سافر إلى باريز ومر على تونس وهي سياحته الأولى بها وذلك سنة ١٣٠٢ حيث اجتمع بالسيد جمال الدين الافغانى فانشأ جريدة العروة الوثقى التى كان السيد جمال الدين مدير سياستها وفضيلة الفقيد محررها وفى سنة ١٣٠٥ عفا عنه توفيق باشا الخديوى فرجع إلى مصر ثم عين قاضيا بمحكمة «بنها» ثم بمحكمة «الزقازيق» فمحكمة مصر وفى سنة ١٣٠٨ عين مستشارا فى الاستئناف وفى سنة ١٣١٧ تولى خطة مفتى الديار المصرية وظل فيها حتى مات فتركها

إصلاحه وأهم أعماله — أصل حياته هاته الشيخ درويش الذى ربى نفسه ووجهها لتربية الناس ثم السيد جمال الدين الذى فتح امامه المنافذ والكوى وأشرع له الطرق والمناهج وأصل الأصيل مواهبه السامية التى فطره الله عليها وهيأه بسببها لجلائل الأعمال وكان من مبدأ أمره مهرعا فى دروسه للخلق إذ الناس يجدون فى كلامه روحا لم يعرفوه، وتطبيقا على حالهم لم يألفوه، ولولا ما كان من ثورة الشيخ عليش وعصابته لحدة كانت فى طبعه لامكنه تغيير أسلوب التعليم فى الازهر بشرعة إذ كان يجد فى جماعة من مدرسيه موافقة على مبادىء ولكنه السلطة العلمية بالازهر أمكنها أن تهزم عزائم كثير ممن كانو يشايعون الشيخ الفقيد وان توقفه مدة من الزمن لا يقرىء فيها الكتب التى لم يعتادوا إقراءها ولا يجهر بالمسائل

(١) لعله سقط من الكلام شيء وذلك أن الفقيد اختار الاستخفاء فى ضواحي القاهرة نهارا مدة ثم رضي عنه الخديو وعين رئيسا للمطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية الى أن حدثت الثورة العرابية التى نفى بعدها فسار الى سوريا

التى لم يألفوا سماعها فسموها مسائل اعتزالية .

يلزم الرجل المصلح طلاقة اللسان و بلاغة الكتابة ولم يكن فى الأزهر تعليم للخطابة والكتابة فلما جاء السيد جمال الدين والتف حوله من التلاميذ من عرف مقداره وكان الأستاذ الفقيد واسطتهم عن السيد بتكميل نقص البلاغة فى تلامذته فحملهم على التحرير على طريقة سنها لهم من حسن الأسلوب فبرع كثير ممن كان يختلف اليه وصاحب الترجمة غرتهم فكانت هاته الحركة العلمية فاتحة إصلاح اللغة العربية وكانت صحبة السيد جمال الدين قد أفادت الأستاذ المأسوف عليه حرية فى الفكر واستقلالا فى الارادة و بصيرة بأمراض المسلمين وغيرة دافعة إلى السعى فى علاجها بقدر الطاقة وجراءة فى القول والعمل . وأعانه على تحقيق هاته المبادىء الاجماعية سلامة فطرته وتكافؤ قواه العاملة من الفكر والإرادة ، والقول والفعل وكان ابتداء عمله فى الاصلاح أن عين سنة ١٢٩٧ رئيس المحررين للجريدة الرسمية المصرية « الوقائع المصرية » فاختار لها محررين من خواصه الذين ظهرت آثار أقلامهم فى تلك النشأة الجديدة كالشيخ عبد الكريم سلمان الذى كان يوم موت الأستاذ كأكبر أقاربه وأحبهم اليه وهو اليوم عضو فى المحكمة الشرعية العليا وكالسيد سعد زغلول مستشار محكمة الاستئناف الأهلية ، وكالسيد محمد وفا رحمه الله ثم وضع قانونا لقلم المطبوعات أعطى به ذوى القلم حق المراقبة على جميع مصالح الحكومة ووجه همته إلى إصلاح أساليب التحرير فى جميع دوائر الحكومة وقد عنى أيضا بإصلاح الأساليب العربية فى الجرائد التى كانت تنشر فى القطر المصرى لذلك العهد فلم يكن يسمح للجرائد أن تنشر شيئاً بعبارات سخيفة حتى ألزم محررا مشهورا بأن يترك تحرير جريدته أو يأتى بمحرر جيد العبارة وحدد له أجلا فتم ما أراد .

ومن أجل أعماله التى يخلدها له التاريخ أن كان أقوى المؤسسين للجمعية الخيرية الاسلامية وهو الذى انتشلها من مهوى السقوط غير مرة بفضل حزمه و إعانته وعزمه و إرادته . ومنها تقاريره الطويلة أين كانت قيدا للعمل فى إصلاح المحاكم الشرعية بمصر وسعيه فى إصلاح التعليم بالأزهر وهى المسألة التى كان الأستاذ فيها يلاقى المرار من تعاصى كبراء الأزهر المحبين بقاءهم على قديمهم ولولا

اعتلافهم من الحكومة بسبب ما كانوا ليقتدروا على رد عزائم الشيخ ولكنه مع ذلك كله صارعهم سنين منذ سمي عضوا فى مجلس إدارة الأزهر حتى ساعة تسليمه فى هاته الواقعة التى علمها قراء بريد الشرق قبل وفاة الأستاذ بأشهر قليلة وقد كان سعى لدى سمو الخديوى فى تخصيص مبلغ ٣٠٠٠ جنيه من الأوقاف للأزهر وتخصيص ٢٠٠٠ من خزينة الحكومة وكانت تنفق فى تنشيط المعلمين والمتعلمين ، ووضع قوانين لذلك تمنع المحاباة واستئثار القديمين ، وجعل لطلبة الامتحان جوائز مالية ظهرت آثارها الحسنة أيام جريانها فلما سعى من سعى فى إبطال ذلك لأغراض الله أعلم بها ظهر الضعف فى الطالب والمطلوب وكان أكثر شيوخ الأزهر متابعين لتعاليمه ومن أجل ذلك تكرر عزل شيوخ الأزهر فى السنين الأخيرة ارتيادا لشيخ يقاوم أعمال الأستاذ فلما أيس الأستاذ من إصلاحهم وعلم أن يدا قوية من وراء الستار تحرك لعبهم بادر إلى الاستقالة من هاتيك العضوية وحسبك من مقاومتهم له أن كتب كاتب من شيوخ الأزهر أن تعلم الحساب بالطريقة العملية يفسد العقل ويصد عن الدين ! وأن امتحان طلبة العلم من أعظم عوائق التحصيل !

ومنها ملازمته فى سائر تعاليمه نخل الحقيقة وتمحيصها و إبطال لسائر الاوهام والعوائد السخيفة بالقول والفعل ، وربما كان هذا مبدأ معاداة أهل الأوهام والبدجيلات لتعاليمه .

وخلاصة القول : أن مواهب الأستاذ الذى رزئنا بفقده قد نامت بعقول الملتفين حوله لقصور أو تقصير فأضاعوه وأى فتى أضاعوا ، وقد أصبحوا اليوم من النادمين على أن عصوا أمره وما أطاعوا .

وينقل عنه أنه كان يأمل أن مباديه ودعوته تسمع بعد موته أحسن مما تسمع فى حياته ولكنه كان مشفقا أن يحول خط الأجل دون إتمام تعاليمه ومقاصده ولا سيما تفسير القرآن الذى أتم غالبه وكان عازما على تمامه فى إهاته العطلة والعجلة بطبعه [1] وقد نظم أبياتا وهو على مضجع الأسقام فى الاسكندرية وهى هذه :

(١) هذا وهم كما علم من الجزء الأول

(وذكر هنا الابيات السابقة ثم قال)

وآخر القول انه قد انقطع بموته من صفات الرجال العظام مايوجب الاسف الشديد على كل نفس حية مهما تذكرته وسيبقى ذلك منقطعا الى زمان لانعرف مبدأه ولكنا نعرف انه بعيد زمنا فانه رحمه الله من نوادر الدهر الذين لايسمح بهم إلا فى ابتساماته النادرة وهو المصلح الوحيد ونصير الاسلام فى آخر القرن الماضى وهذا القرن ومتى كان موته كذلك فهو حياة له لاتزول أبدا مادام الناس يقرءون و يعلمون فليس هو من الناس الذين يعيشون علي الارض يذكرهم من يراهم فان غابوا عنه ينساهم و يضرب موتهم سد النسيان الابدى لهم فلا تسمع ذكرهم ومن علم كنه الاستاذ وعلم انه لم يترك الآن مثله فى اصابة الرأى وبلاغة الخطابة وقوة الحجة ومضاء القريحة على قران القول بالعمل ثم يجد فى خطبه العظيم موضع تعزعنه عاوده الجزع مهما ذكر الدين والاصلاح فانا لله وإنا اليه راجعون فانا لله و إنا اليه راجعون فانا لله وإنا اليه راجعون . ولو أبقى الأسف من نفوسنا بقية لاسهبنا الكلام ثم رجعنا بالعجز والتيئام فان حياة الاستاذ كلها عجائب ومقداره أعظم من أن يعبر به لسان منطيق أوقلم كاتب فصبرا لنا اللهم على مصيبة المصائب

تآليفه — التفسير العظيم المعهود لأهل العلم قد بلغ فيه مبلغا عظيما و كان يأمل اتمامه فى هذا المصيف وطبعه ولكن .....

رسالة التوحيد معروفة ببلاغتها وسلوكها الى النفس مسلكا لطيفا حتى لقد قال بعض علماء النصرانية حين قرأها « ان كان هذا اعتقاد المسلمين فأنا أولهم »

الرد علي هانوتو وزير خارجية فرنسا السابق . الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية . تقرير فى اصلاح المحاكم الشرعية .

ولاشك ان للاستاذ آثارا عجيبة وتحارير حرة ربما كانت ظروف الاحوال تقتضى اخفاءها الى وقتها فنحن نرجو من تلامذته وسائر المنتسبين اليه أن يكونوا يدا واحدة فى البدار بنشر تحاريره وآرائه لنعتاض بها عن بعض أيام وجوده وليكون له بها لسان صدق فى الآخرين ونعما لو يجعلون اكتتابا فى طبع آثاره يشترك فيه أهل العلم الحقيقى من سائر طبقات المسلمين و يكون الله لهم خير الشاكرين

٥

أقوال الجرائد العربية فى أمريكا

قالت جريدة مرآة الغرب الغراء فى عدد ٥٩٥ فى ٤ آب سنة ١٩٠٥ الصادرة فى نيويورك لصاحبها نجيب أفندى موسى دياب السورى

مات الشيخ محمد عبده

رجل مات والرجال قليل

كان اليوم الحادى عشر من الشهر الفائت يوماً انقض فيه رسول المنية على عميد الاسلام ومصباحهم المنير ، العلامة النحرير ، والاستاذ الحكيم الكبير ، المغفور له الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فانتزع من صدره روحا شريفة ونفساً عالية ترددت فى جسم هو مثال التقى والحزم والعلم والصبر على مكاره ألأمور . فياله مصاباً تدكدكت لهوله جنبات القطرين المصرى والسورى وتضعضع فيهما الشدة وقعه ركن من أركان النهضة الجديدة النامية . فالخطب جسيم ، والمصاب عظيم عميم ، وان يكن واحدا بالظاهر إلا ان أمانى كثيرين قد ضاعت بضياعه وفقدت بفقده

كان رحمه الله شديد التمسك بلباب دينه قوى العارضة فى تفسير آيات الكتاب العزيز مجتهداً فى ذلك بتطبيق الحقائق العلمية على الاصول الدينية من غير تزييف أو محيد عن جادة الحق لغرض فى النفس أو غاية يسعى فى الوصول اليها ارضاء لمآرب المتعصبين من أمته بل كانت الحقيقة دأبه يجهد فى ابرازها بعامل البحث المنزه عن كل مايشين وله عدا ذلك من المآثر التى لو أردنا سردها واحدة فواحدة لضاق نطاق الجريدة عن استيعابها . فكم له فى دور القضاء من آيات باهرات ازال بها برقع الشك عن محيا اليقين ، وجلى بواسطتها الحق فى نور مبين ، وكم له فى الجمعية الخيرية الاسلامية من أيد مشكورة وعمل مبرور ، يلحقه جزاؤه إلى يوم النشور ، وكم دفع فى وجه الاستبداد ، وسلك مناهج الحق

والرشاد ، ودل على جوادّ الهدى والسداد ، وكم له فى قلوب المعوزين من أثر يحمد ، ويذكر بالشكر ويردد ، ولسنا الآن فى مقام المؤرخين المدققين لنبين صنائعه وفضائله التى تكاد لاتقع تحت حصر ولايحويها عدد لتفانى المغفور له فى وجوه الخير العديدة وحسبه ما أوتيه من البيان والمقدرة اللسانية على مايرقى الدين الاسلامى وينقيه من الشوائب التى تحط من قدره فى عيني الباحثين المنتقدين . هذه صفحات مجلة المنار الاسلامية مرصعة بدر حكمه وجواهر أقواله تشهد له بفصاحة لسانه وقوة جنانه وجزيل إحسانه

ولد المرحوم عام ١٨٤٥ فحاول فى صبوته أن يحترف الفلاحة اسوة باخوته لكن أباه الذى كان قاطناً فى إحدى قرى مديرية البحيرة من القطر المصرى قد أرغمه على التعلم وأدخله قسراً الى الكتاتيب الصغيرة ثم جاء به الى الجامع الازهر [1] وهناك قضي المرحوم زمناً لم يستفد شيئا وذلك لاسباب منها عدم انتظام طريقة التعليم وسوء التلقين وفساد طريقة الالقاء يومئذ . على انه لم يلبث ان عاد إلى رشده فاكب على درس العلوم العصرية واقتباسها من المرحوم جمال الدين الافغانى بما فطر عليه من الذكاء والفطنة . ولم يمض كبير زمن حتى حصل حظاً وافرا من العلم فجعل يتقلب فى وظائف متعددة ناله فى أثنائها من المصائب ماينال غيره من ذوى المقدرة ولا عجب فان « أفاضل الناس اغراض لذا الزمن » ولما زار الشام لقى فيها من حسن الوفادة مايلقاه كل كبير خطير . فالرزء اذن فى القطر السورى ليس بأقل أهمية منه فى القطر المصرى . ومازال يتدرج فى المراتب العالية والمناصب السامية حتى عين مفتياً للديار المصرية . ثم قصد فى أواخر حياته بلاد السودان فأصابه من رداءة الطقس هناك مرض فى الكبد أقعده فى الفراش مدة طويلة كان يتراوح فى اثنائها بين الإبلال واشتداد وطأة المرض حتى أشار عليه الاطباء بالسفر إلى أوربا ليستشفى من دائه فعوّل على السفر ولما وصل إلى الاسكندرية عاقه المرض عن متابعة السير فنصح الاطباء بالاقامة فيها لئلا يتعجل منيته بيده فأقام على فراش المرض على ما ذكرناه « فى المرآة » الا ان داءه تغلب هناك على

(١) الصواب الجامع الاحمدى التابع للأزهر

طب الاطباء حتى بلغ به طور الاحتضار والناس بين ذلك فى هلع وحذر ، من ان يناله مكروه وينفذ فيه حكم القدر ، ومما نظمه فى آخريات أيامه بينما كان يتقلب على فراش اليأس قوله :

(وذكرت الأبيات التى تقدمت ثم قالت)

وأنت ترى من هذه الابيات ان المغفور له كان متفانيا فى خدمة ملته قيماً عزيزاً على دينه يغار عليه من تلاعب المتلاعبين و بدع المفسدين لايهمه بقاؤه فى الحياة بمقدار ما يتوقعه من الاصلاح لامته على يده ضعيف الثقة بمن يأتى بعده متسما بسمة الدين وهو بعيد عن الأخذ بأسبابه المتينة ومبادئه الصحيحة القويمة على ان حذره هذا لم يغن عنه شيئا فقد أدركه الاجل ولاحول ولا قوة .

أما مرضه الذى صرع به فهو على ما شخصه أحد نطس الاطباء اعتلال فى الكبد السفلى وتضخمها بالمرض السرطانى حتى طغى هذا الورم على البطن وتجاوز الى القلب فابطل وظيفته . وقد تسمم من جراء ذلك دمه فاختل الدماغ وتشوشت القوة المدركة فيه وهذا علة السهو والغيبوبة اللذين كانا يتناوبانه حال المرض

قضى الفقيد وأسفاه فى الساعة الخامسة من مساء اليوم الحادى عشر من تموز الفائت فى الاسكندرية ولم يكن إلا ساعة واختها حتى نعاه الناعون فى أنحاء القطر المصرى فبكته القلوب دماً أحمر لما كان له فيها من منزلة سنية مضى وخلف بعده أربع بنات يندبن سوء حظهن ولم يكن للمرحوم عقب ذكر

ولما كان اليوم الثانى من وفاته (١٢ تموز) احتشد جمهور كبير فى الاسكندرية من وجهاء وأعيان وكبار الموظفين ليشيعوا الجثة الهامدة إلى القاهرة فسار القطار بها من محطة الاسكندرية عند الساعة الحادية عشرة والناس فى ذهول عظيم من هذه الفاجعة المؤلمة فمر فى طريقه إلى القاهرة على عدة محطات للقطار وفى كل محطة كنت ترى جمهور النادبين الذين نسلوا من الارياف لتوديع رجل كان لهم عوناً عند الشدة وفرجاً فى الضيق . فبلغ القاهرة الساعة الثالثة ونصف وما أزفت الساعة الرابعة حتى ضاقت شوارع المدينة بمن ازدحم فيها من الخلق ثم سير بالجنازة فى ذلك الجمهور اللجب الذى لايدرك الطرف آخره منهم أساطين العلم

وكبار رجال السياسة وشيوخ الأزهر وطلبته والجمعيات الاسلامية ورجال البوليس من مشاة وفرسان لحفظ النظام الذى يعز فى مثل ذلك المشهد العظيم على ماذكرته الجرائد المصرية . وما زالوا سائرين به حتى وصلوا إلى الجامع الأزهر فأذن المؤذنون وتليت الصلوات المفروضة وقد حاول كثير من الشعراء رثاءه إلا أنهم منعوا اتباعا لوصية الفقيد الذى كان قد نسخ هذه العادة وقال بوجوب إبطالها . وبعد الانتهاء من الصلاة وإتمام الفروض المقتضاة حمل إلى حيث واروه فى الترب ثم رجع المشيعون يترحمون على الفقيد وفى قلب كل واحد غصة لا تبرأ وفى عينه دمعة لا ترقأ رحمه الله عداد حسناته وجزاء احسانه وأمطر ضريحه بشآبيب عفوه وغفرانه

والمرآة أحق الناس بالرثاء والاسف لما كان للفقيد عليها من الايادى البيضاء فيا طالما تحلت عرائس سطورها بدر مقاله ورفلت مباهية مفاخرة بما يزينها به من حكمة باهرة ورأى سديد أيام كان صاحب اللواء متحاملا على السوريين يرميهم بكل تهمة شنعاء . وليس ذلك فقط بل كان بين المرحوم وصاحب المرآة مراسلات جاء فى بعضها من كلامه المتعلق بصاحب اللواء .

« إن مصطفى كامل باشا ليس من المصريين بخلٍّ ولا بخمر »

أجل ان صداقتنا مع المرحوم كانت مبنية على الاشتراك بالمبدإ الواحد المبنى على أساس حب الجميع وخدمة الجميع بما يعود على الأمة بالخير والنفع .

وقد قلنا فى رثائه ما يأتى :

قضى وقضاء الله لا شك نازل	إمام به عاش التقى والفضائل
وكانت رياض العلم تزهو بعهده	وفوق غصون الفضل تشدو البلابل
عظيم له فى الشرق كل عظيمة	وأعظم منها لطفه والشمائل
فتى المجد أستاذ المعالى لقد ثوى	فصدر العلى من ذلك المجد عاطل
قد اختاره المولى الذى هو عبده	فلبى سريعاً لم تخفه النوازل
فهل «لمنار الدين» فى الشرق بعده	ضياء وقد غاضت لديه المناهل
إلى الله نشكو فقد أكرم سيد	يعزُّ له بين الانام مماثل
مصيبته فى الأمتين جليلة	بها الدين والآداب حقاً ثواكل

قضى العمر فى الشرع الشريف وخادما عُلى الحق لم يقصده عن ذاك شاغل
وجاهد فى بث الحقيقة لم يخف ملاما عليها أو ترعه الغوائل
فمهد للاسلام أكبر نهضة حقيقية زالت لديها الأباطل
وأحيا موات العلم فى صدر أمة بها وعليها للنشاط دلائل
فياموته أبقيت فى كل مهجة ضرام شجون حره متواصل
وياموته أفقدتنا العضد الذى قضى عمره حتى قضى وهو عامل
سقاك سيول العفو قبر محمد وغيث الرضا هام عليك وهاطل

(وذكرت الجريدة بعد ذلك شيئاً عن بعض الجرائد المصرية)

(وقالت جريدة المناظر الغراء التى يصدرها فى سان باولو عاصمة البرازيل نعوم أفندى لبكي الكاتب السورى فى العدد ٥٤٧ من السنة السابعة المؤرخ فى ٩ أيلول ١٩٠٥ وهو عدد خصصه للتأبين بعد ما كتب جملة فى عدد قبله وقد صدره بصورة الفقيد تحتها الأبيات التي قالها قبل موته . وكتب تحت اسم الجريدة مايأتى :

﴿ إكراما لذكر المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مصلح الاسلام ومصلح الشرق ﴾

محمد عبده

كما يفجعنا موت الوالد لاننا أبناء وكما يسقط علينا نعى الوالدة لاننا فلذة من فؤادها وكما تحزننا وفاة الصديق لاننا أصدقاء كذلك فجعنا وسقط علينا وأحزننا نعى الامام لاننا شرقيون . وكما يوجد حب شخصى يوجد حب وطني .

وليس لان الامام ذو دماغ كبير . وليس لانه عالم . وليس لانه فيلسوف . وليس لانه كاتب . وليس لانه خطيب . وليس لانه لغوى . ليس لشيء من ذلك ما انتهى الينا ونحن فى هذا البلد الطروح الأسف على وفاته . فكم فى الشرق

دماغا كبيراً وكم عالماً وكم فيلسوفا وكم كاتباً وكم خطيباً وكم لغويا ولا نشعر من الأكثرين بشيء إلا إذا كان هذا الشيء ضرراً . ولكن الامام كان يصرف كل قواه وما أعظمها في فائدة الوطن الذى نحبه ونريد له بل لنا صلاحا وطالما شعرنا بمفاعيل إخلاصه .

أكبر أمانينا أن يصطلح الشرق وأكبر واجباتنا أن نسعى فى اصطلاحه . نقول ذلك بلساننا ولسان كل مخلص من نصارى الشرق . ولكن لانحن ولا كل مخلص من هؤلاء النصارى مهما عظم استعداده يستطيع شيئاً كبيراً . ذلك الاصطلاح متوقف على إصلاح الاسلام — على الرجوع به إلى حقيقته خالصا من كل الشوائب التى طرأت عليه وكانت أصل الفساد الذى دب فى جسم الهيأة الاجتماعية الشرقية . وفى هذه النقطة تتجلى عظمة الامام الذى صدرنا باسمه هذه الكلمة . هو صاحب المشروع . هو الذى استخدم كل ما وضعته فيه الطبيعة من المقدرة فى سبيل إصلاح الاسلام فهو مصلح الاسلام . ومن أصلح الاسلام فقد أصلح الشرق . فمحمد عبده هو مصلح الشرق . وهذا ما يجعلنا أن نخشع لموته ونكبر المصاب إننا شرقيون وفينا روح وطني .

ومتى قلنا إن الامام أصلح فقد وجدت التعزية واستقرت السلوى . نعم إنه لو طال بقاؤه لكان ركنا كبيراً فى تأييد المشروع . ولكن موته على كون كلامه حيا وروحه منتشراً لم يزعزع شيئاً من أساس البناية . ولو كان الخلاف لما كان الامام هذا الرجل الذى دوى نعيه هذا الدوى الرهيب . إنه يموت وكل من أحبه تلميذ وكل من احترمه رسول وكل من أعجب به بشير . وما أكثر المحبين والمحترمين والمعجبين وما أكثر الأئمة والكتاب والخطباء فيهم .

قد مات محمد عبده وحيي مصلح الشرق .

هي المقالة التى نشرناها إثر نعينا للامام فى العدد الـ ٥٣٥ وقد رأينا أن تكون هي كلمة المناظر فى العدد الذى خصصناه بالموضوع فكررنا نشرها .

نحن والادباء الذين يشاركوننا بكتابة أو بموافقة فى هذا الاكرام وإن نكن

قد تجردنا خارجاً عن المعبد من كل صفة دينيةوأنكرنا كل جنسيةغير التى تجمعنا بكل من هو مواطن إلا أن العالم الشرقى لايزال يميزنا بنصرانيتنا

فنى الصبغة التى نعرفها لأنفسنا رأينا أن نجمع كل قوانا العقلية والاحساسية لاجل إكرام ذكر الرجل الذى كان من نفسه الكريمة أن أخلص للشرق فاستخدم كل قواه الجلى فى مقاومة أدواء الشرق

وفى الصبغة التى يميزنا بها العالم الشرقى بصفة كوننا نصارى نقف باحترام أمام الاسم الذى حمله الرسول العربى ورسول الرسول ونكرّم ذكر الامام المسلم قدر ما يشاء التساهل . وإنالنعتقد أن اجتماع الامتين بجامعة الوطن متعلق بإرادة المسلمين لا إرادة النصارى . ولذلك يجب أن يمسك المسلمون أولا رباط هذه الجامعة . لاننا نرى من جهة أخرى ان النصارى لايجب أن يلزموا السكون إلى أن يروا المسلمين قد أخذوا برباط الوطنية ويجب أن يظهروا استعدادهم للأخذ بهذه الجامعة عندما يرون طرفها الواحد فى أيدى إخوانهم المسلمين . فنحن وقد تحررنا من قيود التقليد الذى يفصل بين أهل الوطن الواحد من الشرقيين وأغلال السلطة التى يلائمها أن يستمر الاستقلال بين الامم نجل عملنا هذا تجاه المجموع المسلم الشرقى تلك الاشارة الايجابية

ذلك مبدأ إصدارنا لهذا العدد . واننا بالصفة التى نعرفها لانفسنا نتقدم به إلى جميع المعجبين بالامام ، وبالصفة التى يميزنا بها العالم الشرقى نتقدم به إلى جميع المسلمين الشرقيين ولاسيما الذين تجمعنا بهم الوطنية

ولد الشيخ محمد عبده سنة ١٢٥٨ هـ . فى محلة نصر فى مديرية البحيرة

وسنة ١٢٨٢ بعد إذ تلقى مبادىء التعاليم الاسلامية فى طنطا انتقل إلى الجامع الأزهر وتعلم فيه فى ثلاث سنوات العربية والشرع

وبعد ذاك أخذ المنطق عن الشيخ حسن الطويل

والعربية والشرع والمنطق تصير فى الدماغ الكبير أكثر من ثلاثة . ما كان أكثر المتضلعين من العربية والشرع والمنطق إذ كان التقيد لم يتعلم شيئا آخر وقدم جمال الدين إلى مصر ولم يكن أحد أقرب اليه من صاحب الترجمة

واستفاد الشيخ من ملازمته لجمال الدين علما وأدباً

ولم يطل أن عينه رياض باشا ناظراً للمطبوعات وأوكل إليه إنشاء جريدة للحكومة . منذ ذاك تصدر « الوقائع المصرية » أول جريدة فى القطر المصرى

ثم حدثت الثورة العرابية . ولما استتب الأمر للحكومة نفى الشيخ إلى سورية لأنه مالأ الثائرين . و بقى فى بيروت ست سنوات وكان صلة بين متنبهى الملتين

ترك بيروت بدعوة من الأفغانى وأقام و إياه فى باريس يصدران جريدة العروة الوثقى

وكان الأفغانى يسعى فى ضم المسلمين كلهم على اختلاف واستقلال أوطانهم بجامعة دينية تكون واسطة عقدها خلافة تعنى بشؤونهم الدينية دون السياسية .

وهذا ما كان غرض « العروة الوثقى » . ولا نعلم إذا كان صاحب الترجمة سعى بعد ما استقل عن رفيقه فى هذا المطلب . إنما الذى انصرف إليه محمد وظهر سعيه فيه على أكثر أقواله وأعماله تنقية الإسلام من البدع والشوائب التى دخلت عليه وكانت سبباً فى انحطاط المسلمين وانحطاط أوطانهم

ثم توقفت » العروة الوثقى » . الافغانى دعى إلى الاستانة حيثما بات أسيرا إلى أن توفى وصاحب الترجمة دعي إلى مصر وقد عفى عنه

و بعد اذ تولى حينا القضاء الأهلى والمستشارية فى محكمة الاستئناف دخل فى الطور الذى ظهر فيه إخلاصه ومقدرته

بعد ذاك عين عضواً فى مجلس ادارة الجامع الأزهر . وسنة ١٣١٧ عين مفتيا للديار المصرية . وما أنسب الوظيفتين لرجل وضع نصب عينيه اصلاح الاسلام الحاضر . الجامع الأزهر مصدر التعاليم الاسلامية والاسلام يكون كما تكون هذه التعاليم ومنصب الافتاء فى مصر أوجه مناصب الافتاء فى الاسلام

ماسمعنا صوتا فى وجوب توسيع نطاق العلوم فى الأزهر حتى يكون كواحدة من كليات أوربه قبلما كان محمد عبده عضوا فى مجلس ادارة الازهر وما سمعنا بفتوى تخالف الاسلام الشائع على كونها تنطبق على الاسلام الصحيح وحاجة العصر حتى كان محمد عبده مفتيا للديار المصرية

وما أشد مالاقت تعاليم الفقيد وآراؤه ولاسيما فى هاتين الوظيفتين من المقاومات لم يشأ رصفاؤه فى ادارة الازهر جعل الازهر كلية مثل كليات أوربه لأن العلوم التى تدرس فى تلك الكليات لاتنطبق على الاسلام الذى يفهمونه هم وما كان « العلماء » يوافقونه على أكثر فتاويه لأنها لاتنطبق أيضا على إسلامهم الا أن المقاومات التى اعترضته لم تثنه ولا أثرت فى عزيمته ولا فصلت بينه و بين أغراضه لبث مع كل ما صدمه فى سبيله من المناوأة يتقدم نحو محجته بثبات ونشاط عجيبين وله في شرح الاسلام الحقيقى مقالات اجتمعت البلاغة والفصاحة والحكمة والسداد على تحريرها وأخصها رسالة التوحيد . انها مثلت الاسلام تمثيلا . لاعجب اذا أنكره المسلمون المقلدون أو ظنوا أنه تعليم جديد وماهو من الاسلام الشائع فى شيء

وكان صاحب الترجمة حاد البصر حتى لترى الحياة منبعثة من رسم عينيه

وكان على وفرة من جميع استعدادات الخطيب قرأنا له مرة خطابا دونه صاحب المنار اذ الشيخ يلقيه ونشره فلم نصدق أنه بديهى أو ان السيد محمد رشيد ينشره كما لفظ تماما . فقد كانت تراكيب الكلام من البلاغة ومحكم الانسجام ما لا يصدق معه انها بنت الحضرة . ولكن الشيخ ابراهيم يقول عنه فى « الضياء » « اذا وقف للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه فلا يتوقف ولايتلكأ ولا تجد فى كلامه لفظة ركيكة ولا تركيبا سخيفا حتى لو كتبت لفظه الذى يقوله على البداهة وجدته كأحسن ما ينشيء المترسلون من الفصحاء » .

وكان قوى الحافظة سريع التناول حتى أنه تعلم اللغة الافرنسية فى مدة خمسة أشهر وهو فوق الاربعين وأجادها تكلما وكتابة . وقد أفادته هذه اللغة كثيرا ومما أخذه بواسطتها عن الافرنج كتاب سبنسر في التربية ترجمه واعتمد على كثير من آراء الفيلسوف الانكليزى فى النظام الذى هو وضعه للمدارس الاميرية

هذا مجمل ماعرفناه سابقا وحصلناه آخرا من المجلات والجرائد المصرية عن فقيد الشرق . وقد تأخرنا باصدار هذا العدد الى الآن على أمل أن يردنا المنـــار ونتوسع فى هذه الترجمة على قدر ما نستفيد من كلام الرجل الذى كان أقرب

الناس الى الفقيد وأعلمهم بمقاصده وسائر أحواله وفاتت المواعيد ولم يرد المنار . قد أصيب بخسوف . عرض الحزن بينه و بيننا . ولكنه خسوف عارض وسيطلع المنار « يضيء النهج والليل قاتم » كما أراد الفقيد . على ان صورة الفقيد ماثلة فى هذا الذى قدمناه يزيدها رسمه جلاء فهو اذاً كاف

والله يرحم الامام ويجعل نصيب الشرق من أمانى الاستاذ وفيرا

مفتى الاسلام

مات مفتى الاسلام والدين أدرى | من جميع الورى بهول المصاب
ويح هذى الايام هل علمت من | أودعته الايام بطن التراب
أى بدر غشينه بغروب | أى سيف وضعنه بقراب
قد أضاعت به الحنيفة رأساً | كان منه الحياة للاعصاب
فارتمت رجلها التى أوطأتها | بازدهاء على رؤوس الصعاب
وارتخت ذرعها اليمين التى ود | ت بها رفع ذاك الحجاب
وعمى طرفها البصير الذى قد | فتحته على معمّى الكتاب
بسلام محمد وأمان | ووراء الرحيل ألف ثواب
حيّ عنا الكواكبى وأبلغ | ه جزيلا تشوق الاصحاب
قل له قوله المعاد صداه | لاشباب لنا بغير الشباب
وتعهد لنا نوايا جمال الد | ين فالعهد قد طال بالانقلاب
ان يوما نشتاقه قد خشينا | بعد كم أن يكون يوم الحساب

﴿ جرجس عساف ﴾

محمد عبده

مامات (عبده) انما هى نفسه | اذ ضاق عنها منه جسم خائر
طلبت لها إذ ذاك منه مخرجاً | ومضت الى حيث النفوس حرائر
ومتى النفوس غدا كبيرا شأنها | تعبت بها الاجسام وهى ضوامر

* * *

أحمد والموت فيناسنة مرعية لم ينج منها حاذر
فلئن قضيت بها فلست كمن قضى ومضى وما دلت عليه مآثر
ولئن طوت فى مصر جسمك حفرة فبكل مصر منك روح ناشر
ولئن يفت مرآك منا أعينا فبروحك الكبرى تعيش ضمائر
ولئن تمت فالذكر ليس بمائت ولسوف تحييه الدهور منابر
ولسوف تحييه المساجد والمعابد والمعاهد والكتاب الطاهر

* * *

تبكيك أرض قمت فيها هادياً وبآية الاصلاح كنت تجاهر
ولو انها شعرت بما تنوى لها لأبت وما قفلت عليك حفائر
يبكيك دين كنت حامى حرزه وعليه من أهل الفساد تحاذر
فى حدقتيه من مماتك عبرة حرى ومنهم فى حشاه مجامر
والعلم يبكي والمداد مدامع أسفا لفقدك واليراع محاجر

* * *

نم آمنا وكما حييت مظفراً فلأنت بعد الموت أيضا ظافر

《 طنوس حنا الياس 》

نكبة الشرق

أنادى وما كان اليراع يجاوب فما باله والجفن الدمع ساكب
علام أراه شارقاً فى دموعه وقد علمته الاصطبار التجارب
على الشرق يبكي ذا اليراع لأنه يغالب صرف الدهر والدهر غالب
كأن السما قد حالفت صرف دهره عليه لذاك الرب والعبد غاضب
إذا قام فيه مصلح قام ضده من القوم جرار الفساد يحارب
فيسقط أهل الفضل بعد جهادهم وتعلو بأرباب الفساد المناصب
بموت عظام المصلحين تحسراً وفى قلب كل مطلب ومآرب
« بذا قضت الأيام ما بين أهلها فوائد قوم عند قوم مصائب »

الارحم الرحمن كل مجاهد ... قضى وهو فى جيش الفلاح يضارب
وأجزل فى الأخرى جزاء « محمد » ... فان جزاء المصلح الحر واجب
امام بدا للمسلمين منارة ... به يهتدى للحق والنور طالب
اذا مابكاه المسلمون تأسفاً ... فدمع النصارى ماحكته السحائب
فتى مثله فى الشرق ماقام مصلح ... قلوب رجال الأمتين يقارب
وماعلة الشرقِ إلا تباعدٌ ... لقد بثّه في الناس شيخ وراهب

* * *

دعا الموت (هوغو) ثم مات (سبنسر) ... ومات ذوو علم بكتهم مكاتب
وكان مصاب الكل مرا وإنما ... لقد ناب عن كل لدى القوم نائب
فسائل رجال الشرق من (بعد عبده) ... نرجى إذا عزت علينا المطالب

* * *

لقد خسر الاصلاح قائد جيشه ... وهيهات لاتغنيه عنه الكتائب
فياراحلا علمتنا الصبر فى البلا ... مصابك ميتاً ماحكته المصائب
وددت لوأنى كنت بين أولى الوفا ... أودع رضوى جللته المناقب
فأسمع نظماً قاله فيك شاعر ... واسمع نثرا قاله فيك خاطب
واسمع أنات القوافى لحافظ ... وللمنفلوطى فيك شعرا يناسب
واقرأ ماعنك الجرائد سطرت ... وما دونته في رثاك « الجوائب »
ولكنما هيهات ما حاق شاعر ... رثاك ولا أحصى صفاتك كاتب
فانعم بلقيا الحقِّ واسأل لنا الهدى ... عسى لك عند الله تقضى الرغائب

﴿ قيصر ابراهيم معلوف ﴾

ثورة فى بلاد اليمن ! تنبه خواطر فى سورية ! يقظة فى الاسلام ! تطال أعناق من بلاد الفرس والهند ! مخاوف واضطراب على جوانب البوسفور ! هواجس وقلق فى أئمة الاسلام . ذلك أحدثه انفجار الأفكار الحرة التى قذفتها أفواه المخلصين وتطايرت شظاياها إلى كل مكان وفعلت فعلها

وكما أن الذى يرمى القذيفة على معاقل الظلم والاستبداد لا ينجو عند انفجارها هكذا مات الشيخ محمد عبده وسط الانفجار الذى أحدثته تعاليمه ومبادئه فى العالم الاسلامى وذهب ضحية مقدسة عن الشعب الذى كبلته التقاليد بسلاسل الظلم والاستبداد .

مات محمد عبده ولكن روحه لا تبرح تتفقد الاساسات والمبادىء التى وضعها وسوف يستجاب الدعاء الذى لفظه وهو محتضر ويرزق الاسلام « مرشدا رشيداً يضىء النهج والليل قاتم » ، بل الدعاء قد استجيب وهو ذا محمد رشيد يضىء بمناره ربوع الاسلام .

ويرحم الله تلك النفس التى لم تبرح هذه الدنيا حتى تركت لها أثراً فى كل نفس من نفوس الشرقيين ﴿ شكرى الخورى ﴾

الخطب الشامل

من الناس من اشتهر بالفضيلة فكان لها نبراساً ، وللاصلاح رأساً ، وللنهضة الأدبية أساسا ، ومنهم من اشتهر بالسياسة فكان سياسياً خلابا ، ورأسا فى جسم وطنه مهابا ، ومنهم من اشتهر بالعلم فكان عالما مدققا ، وفقيها محققا ، ولغويا يعول فى اللغة عليه ، ومنطقيا يرجع في تحليل القضايا إليه ، ومنهم من اشتهر بالكتابة والنظم فكان كاتبا أديبا يخلب الألباب بأساليبه ودقة معانيه ، وشاعرا لبيبا يطرب القلوب برقيق نظمه ومتانة قوافيه ، ومنهم من حنكه الدهر واختبرته الايام فانصرف إلى صوالح الأمة ، يذود عنها ويدفع كل ملمة . وأما الفقيد فقد اشتهر بهذه كلها مقرونة بمحبة وطنية وغيرة وقادة على الحرية الأدبية ، والمشاريع الخيرية رحم عداد مبراته وحسناته وعوض الوطن بأمثال له يعمرون أضعاف حياته .

* * *

العلم مفطور الحشا يتوقد ... حزنا وأبيات الرثاء تردد

والفضل مشطور الفؤاد يئن من ... ألم وشخص المكرمات يعدد

والمجد لا عجب إذا الفيته دنفا ففارقه إمامٌ أمجد
مات العلى والجد والاخلاص والا إقدام لما قيل مات محمدُ
يبكيه أهل الشرق أفضلهم ولا عجب فان فقيدهم متفردُ
ندبته أحرار الضمير لأنه حر الضمير وغيرةً يتوقدُ
ناحت لمصرعه البلاد وكيف لا وهو الإمام لها ونعم السيدُ
جمدت مياه النيل من حزن ومن أسف ونيل دموعها لا يجمد
يا هاجراً تلك الديار وإنها أبداً تردّد ذكركم وتمجدُ
قد كنت ترشد أهلها عن غيبهم واليوم من منهم يقوم فيرشدُ
لا بدع فى فقد العباد وإنما بدع أُلُو الإصلاح حالا تفقد
لو كنت أحسن صنع تمثال له دراً ومرجانا فلا أترددُ
فرض على أهل الحجى أن يذرفوا فوق الضريح دم الشجون ويسجدوا
لولا النبي كتبت حول ضريحه هذا محج المسلمين الأخلد

﴿سعيد يازجى﴾

فقيد الشرق

إن بكيناك يا سميَّ الرسول فالبكاء سلاح أهل الخمول
وسلاح الأحرار حزم وعزم واقتفاء الآثار بعد الرحيل
بلغت روحك الجزيرة فاهتزَّ ت لها العرب كاهتزاز النيل
فارقت مصر لتحل جسوما (١) فى سوى مصر من كبار العقول
عشت فى مصر للفضيلة سورا حامى العلم مرشداً للجهول
كنت للشرق مصلحاً ولدين الله م نوراً وماحق التضليل
حافظ الشرع عادلا لايراعى عاذلا لليتيم خير كفيل
عالماً عاملا خطيباً جسوراً جهبذا - كاملا بغير مثيل
شاعراً ناثراً رئيساً حكيما قائد العرب فى قويم السبيل

---

(١) لعل الأصل (كى تحل جسوما) وحذفنا بيتاً قبل هذا غير موزون

يذكر الأزهر الشهير دروساً منك كانت تُلقى لنزاع الدخيل
وفتاويك لا تزال على القر طاس مسطورة كسفر جليل
فهي للشانئيك كبت وللظمـ آن ماء الحيـاة مروى الغليل
وتعـاليمك الجليلـة تبقى مع بقـاء القرآن والانجيل
وكبار الرجال تبنيهم الآ ثار نور الصغار بعد الافول
فاحيَ بالروح في قلوب ذوي الاحـ ساس يا فرد هـذا الجيـل
وأعاض الرحمن قومك فرداً يتلافى الخطوب قبل الحلول

﴿ نخول حنا ﴾

وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهيكم عنه
إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت

إن من يتخذ من كتاب ديانته مثل هذه الآية السامية ويجعلها كقاعدة للأفعال الحسنة والأفكار العظيمة التي ينوي بها مجرد الصلاح متحفاً بها أمته — وإن من في ساعة مفارقته لهذه الحياة الدنيا أظهر عدم مبالاته بابلال أو اكتظاظ مآتم ، وأبان أن حذره الوحيد هو من أن تقضي على دينه العمائم ، وإن من لم يشغله حب الإنسان الغريزي لهذه الدنيا عن الافتكار بها على سرير نزعه وكان معظم اهتمامه في الخوف على آمال كثيرة للناس بقضائه ، — وإن من كان آخر التماس له من ربه في أن يرزق الدين مرشداً رشيدا ، ان ذاك المصلح العظيم رب هذه المظاهرات لجدير بأن يسرع الكون أجمع لوضع أكاليل التمجيد على ضريحه ويذكره كل لسان بأجل كلام .

واذا وجب وكان لا يتسنى للمعجب البعيد وضع واحد من تلك الأكاليل على الهيكل العظيم فلا أنسب من انشاء ما يقوم مقام الزهر من الكلام فتكون هذه الأبيات التالية لتلك الغاية المبينة يشترك بها ناظمها مع مؤيدي تساهل الأستاذ الأكبر والمعجبين بفضائله .

محمد فيك الشرق أفجع لا مصر وفيه كما فيها استمد لك الأجر
لقد كنت نجما ساطعا عم نوره وجاوز حد النيل لم يثنه حصر

وقد كنت للاصلاح أحكم قائد — سرى فى جهات الأرض صوتك والفكر
وقد كنت بحرا زاخرا يكتفى به — فمن فمك الحسنى ومن صدرك الدر
لذلك لما قدر الأمر وانطوت — بموتك اسمى صورة وانطوى قدر
تحرك أقوام رأت فى سكوتها — لدى الخطب جحداً بالجميل وذا إمر
فذلك سباق مجيد بشعره — وذلك ملسان بليغ وذا نحر
وذا ثائر والكل بالقصد واحد — يجلون فيك الفضل قارنه البر
ومثل بنيه القرن يرثيك نادباً — بفقدك ندبا كان يرجى به النصر
وأن يفتقدك القرن والليل قاتم — ففى الليلة السوداء يفتقد البدر
تعادت يد الاحداث بالفتك والاذى — كأن يد الأحداث شيمتها الضر
ولكن فلا غروى إذا ساءت العدى — محمد فى صنع فلم يطل العمر
فإن شرارات الصواعق حيثما — من الجو تهوى قاتلات لما تعرو
بمفردات النائبات تحل لا — يطيب لها إلا الفتى المثمر النضر
تعيث ولا تدرى الضلال بفعلها — وأن ثمار الغصن يحتاجها القطر
بذا عرفت أبناء ذا الدهر بل بذا — حديثا وفى عهد مضى عرف الدهر
على أن طى الموت شخصك فى الثرى — محمد من فكر نشا دونه نشر
نعم ان فكرا أنت أنشأت ثابت — وسوف به لا شك يصطلح الأمر
وإن يستطع غدر البغاة لك الردى — فروحك لا يستطيع إرداءها غدر

استفان غلبوني

سألنا خمسة ممن بعثوا الينا بالمقالات والقصائد بهذا العدد بعد ما كنا رتبنا لها ثلاث مقالات وقصيدتين لسبب ليس الظرف مناسبا لبسطه أن لا ننشر لهم شيئا ففعلنا !

وبعد ما كنا أنجزنا التصفيح وكاد يحين ميعاد صدور الجريدة وردنا للعدد من جناب الشيخ محمد حماده قصيدة جميلة . وعلى شدة رغبة منا فى أن يشاركنا فى هذا الاكرام مواطن درزى لم نستطع تأجيل إصدار الجريدة لتعديل الديباجة

ونشر القصيدة ولا لننشر القصيدة والاستدراك على الديباجة هذا كل ما استطعنا لم نستطع مع شدة عناية منا ومن الزينكغرافى إبراز رسم الامام جليا . لأنه أخذ عن رسم مطبوع غير جلى على كون الفن يستدعى أخذه عن رسم فوتوغرافى جلى

(اه ماجاء فى عدد التأبين الخاص بإكرام الامام من جريدة المناظر الغراء)

وقالت جريدة الأفكار التى يصدرها فى سان باولو (البرازيل) الدكتور سعيد أبو جمرة من أطباء السوريين . وذلك فى صدر العدد ١٣٥ الذى صدر فى ٢٦ آب (أغسطس) مايأتى .

﴿ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ﴾

العنصر الأقوى فى الشرق فجع الشرق ومحبوه . والعلم وذووه . بوفاة مصلح كبير . وعالم نحرير . وفيلسوف خطير» خلقه الله حجة على هذه الأمة التى رزئت بالخمول والكسل » على ما قالت مجلة المنار الاسلامى الغراء : فعم فيه الخطب كل الناطقين بالضاد . وبكته الأمة العربية بل الشرق كله ومثله من يبكى لا بالدموع بل بالدماء .وفى مثل هذه النازلة يحق لنا نحن معشر الشرقيين أن نجهش فى مثل هذا البكاء . ليس فقط ، لأن فقيد الشرق كان من أبلغ البلغاء . وأفصح الفصحاء . وأخطب الخطباء . بل لأنه كان رحمه الله يحاول طول حياته الثمينة هدم ما بنته « العمائم » من أبنية تعصب وخيم . وعلم عقيم . وجهل عميم . ورفع مكان العلم والحرية مكانها . وإعلاء شأنها . ليس فى القطر المصرى فقط . بل فى كل الأقطار العربية والاصقاع الاسلامية . ومثلها (من) يحتاج إلى العلم والعرفان . أسوة لها بسائر الممالك والبلدان . فكفاها كفاها خمولا مع كبرياء . وانحطاط مع ادعاء . من جراء ذلك التضليل والتفريق . والتغرير والتمزيق .الذى أوجدته فى شرقنا التعيس تلك «العمائم» والقلانس .فأوجدت به الجهل ومن الجهل التحاسد والتباغض والدسائس . وكيف ترجو صلاح الشرق والشرق بسببها قد غاص فى بحر ظلام دامس

ومن المعلوم أن الشرق كله ينظر إلى الملة الاسلامية كى تنهضه من هنا

السبات العميق وتفك عنه قيود ذياك الخمول . وذلك لأنها العنصر الأقوى بين كل عناصره المتعددة . ومن الاقوى يرجى مالا يرجى من غيره ولو كان ذلك الغير صادق الوطنية كبير الهمة ماضى العزيمة فكلامه صيحة فى واد . ونفخة فى رماد وقد أتاح الله لتلك الأمة القوية أن تسعد برجل عرف هذا السر الجليل فشخص داء الشرق أحسن تشخيص ووصف له انجع دواء . ومثله من يلقب بالحكيم أخى الحكيم وحسب « محمد عبده » أن يكون أخا ورفيقا فى هذا الجهاد لذلك الحكيم الكبير السيد جمال الدين الافغانى ذائع الصيت دائم الأثر

عرف الفقيد أن « العمائم » تحول دون العلم الصحيح وكيف لا يعرف ذلك وتلك العمائم هى التى عارضته فى جعله الجامع الأزهر مدرسة عملية صناعية لا مدرسة مذهبية تعصبية . كما أنها قد عارضته بشدة فى إصدار فتاويه المتعددة لاصلاح مافسد من عوائد وتقاليد وأخلاق . وأمر « القبعة الافرنجية وأ كل ذبيحة يذبحها أهل الذمة وأخذ ربا المال الموضوع فى الشركات المتضامنة » حديث العهد لا يزال صوته يرن فى الأذان . ولعله لا يبرح ولن يبرح من الاذهان

عرف الفقيد ذلك فلم يعبأ بالمقاومات العنيفة التى لاقته . والمصاعب الشديدة التى صادمته ولم يبال بتلك الأقاويل السفيهة التى نشرها عنه غلاة المتعصبين المرائين بل كان رحمه الله من العالمين بمغزى المثل الفرنساوى القائل « الصائح يصيح والقافلة تسير » ولطالما صرح بأنه لا يخشى من شىء سوى الموت لأنه يقطع عنه خط المسير فى ذلك المسلك الوعر مسلك اصلاح الشرق باستئصال علة تأخره من جذورها — ولكن ما أمكن تلك الجذور وما أ كثرها تشعبا وامتدادا وتأصلا فى قلوب الملايين وعشرات الملايين . فانها نجت من معول ذلك المصلح الكبير بفضل « العمائم » ونفوذها فسمع الشرق صوت « محمد عبده » القوى يردد لآخر مرة فى هذه الحياة الدنيا بعض أبيات « مشروحة المتن واضحة المغزى » منها هذان البيتان الخالدان

ولست أبالى ان يقال محمد ابلّ أو اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر ان تقتضى عليه العمائم

ترجمته : ولد رحمه الله سنة ١٨٤٣ م بمحلة نصر من أعمال مديرية البحيره (مصر) فتلقى العلوم العربية والمنطق والشرع فى الجامع الأزهر والتقى في سنة ١٨٧٢ بالفيلسوف جمال الدين الأفغانى فدرس عليه اصول الفقه وأخذ عنه مبادىء الحرية والاصلاح وظهر ذلك منه أثناء الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ اذ حكم عليه حيئئذ بالنفى فسافر إلى سوريا فبقى فيها ست سنوات صرف معظمها فى بيروت حيث رأيناه فى المدرسة الكلية يوم ألقى المرحوم الياس صالح، قصيدته الشهيرة فى الحرية . وبعد ذلك سافر إلى باريز فانضم إلى استاذه الحكيم جمال الدين الافغانى وأصدر جريدة العروة الوثقى وقصدهما بذلك معروف وهو انهاض الهمم فى الأمة العربية وازاحة ذلك الغشاء الكثيف عن عيون الملة الاسلامية غشاء التقاليد وتوابعها . وفى ذلك الحين سعى بعضهم فنجح باصدار العفو عنه من جانب الخديوى السابق فقدم مصر وطنه الأصلى وتقلد فيها أسمى الوظائف القضائية إلى ان أصبح مفتى الديار المصرية فى سنة ١٨٩٨ م وما زال متقلدا ذلك المنصب السامى حتى وافاه القدر المحتوم فى الاسكندريه الساعة الخامسة من مساء الحادى عشر من شهر حزيران الماضى

أعماله : أهم ما اتصل بنا من قلمه شرحه البليغ لنهج البلاغة لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه . وشرحه لمقامات بديع الزمان الهمذانى . وكتاباته المتعددة فى جريدة الوقائع المصرية وجريدة العروة الوثقى . ورده على الموسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا دفاعا عن الاسلام والمسلمين وكتابته الحديثة العهد فى التساهل والتعصب بتاريخ الملتين النصرانية والاسلامية . ومن آثاره الأدبية شروح القرآن الشريف المدرجة فى مجلة المنار الاسلامى الغراء وهى تشف عن رغبته الشديدة فى تطبيق العلم العصرى ومطاليب التمدن الحديث على آيات القرآن وأقوال كبار الائمة وهو عمل خطير قلما خطر على بال أحد غيره من العلماء والمفسرين . ومن المفهوم ان أعمال المرء لاتقاس فقط على مايبقى منها بعد مماته كالتآليف وأمثالها بل تقاس أيضا على مايذيعه فى حياته العلمية من التعاليم الصالحة والأقوال الحكمية والنصائح المفيدة علاوة عما يبثه من المبادىء القويمة وعما يظهر من صالح القدوة

وحسن السيرة والسريرة . ولا خلاف بأن حياة الفقيد كانت خير مثال لمن يريد نفع ملته و إصلاح قومه وخدمة وطنه

صحته ومرضه وموته : كانت صحة الإمام جيدة فى الغالب . إلا أنه بدأ يشكو الضعف منذ زار السودان فى العام الماضى فتسلط عليه المرض واضطره أحياناً كثيرة إلى ملازمة الفراش . وقد اشتد عليه الحال مؤخرا فأشار عليه أطباؤه بالسفر إلى أوروبا بقصد الاستشفاء وكلهم لم يتحققوا ماهية العلة تماماً . ولما وصل إلى ثغر الاسكندرية زاره الطبيب السورى الشهير الدكتور بشارة زلزل فكان أول من أصاب كبد الحقيقة فى تصريحه باصابة الأستاذ بداء السرطان[1] . وهاك قوله لمراسل المؤيد : —

« زرت الأستاذ منذ خمسة أيام فحزنت جدا للحالة التى رأيته عليها . ومع ما كان فيه من خطر الحالة وشدة المرض أخذ فضيلته يشرح لى سير مرضه بالدقة شرحا طويلا ثم بحثته جيدا فوجدت ورما كبيرا عالقا لجهه الكبد السفلى وقد طغى على البطن بكبر حجمه وظهر لى من جسه وصلابته ومن علامات كثيرة أنه ورم سرطانى لاشك فى أنه كان عنده من مدة بعيدة . . وحين مشاهدتى له كان حركة القلب منتظمة والنبض معتدلا نوعا ولا أعلم ما جد بعد ذلك (لان تلك الزيارة الطبيــة كان الأولى والأخيرة) ولكنى تعجبت من بقاء مدارك الأستاذ عالية وعواطفه قادرة على كثرة الملاطفة مع هذه الحالة التى لا تسمح لغيره ببقاء شىء من ذاك » اه

جنازه : كان الفقيد قد أبطل عادة هى انشاد قصائد الرثاء فى تأبين أحد العلماء والمشايخ يصلون على الجثة فى الجامع الأزهر . وكان أوصى بالبساطة فى الجناز وعدم التأبين على الضريح أيضا مما يذكرنا بوصايا الأستاذ المرحوم الدكتور فان ديك ولا غرو فالعظيم يهتم بالحقائق لا بالصغائر . ولكن القطر المصرى مع حفظه وصية

(١) الصواب ان أول من عرف مرضه الدكتور طلعت بك المصرى قبل سفره إلى الاسكندرية بيوم أو يومين ووافقه على ذلك طبيب فرنساوى ثم أشهر أطباء الافرنج والعرب فى مصر والاسكندرية كما علم مما كتبناه عن مرضه

الإمام قد احتفل رسميا بجناز رسمى على نفقة الحكومة فكان ترتيبه على هذا النسق
(وذكر ملخص ما قالته الجرائد المصرية ثم قال)

وزبدة القول : ان الشرق يفتخر فى هذه البلاد البعيدة بين المتنورين من الأجانب بأعاظم رجال الشرق وكبار مصلحيه . ويشتد به الشعور بهذا الفخر الغريزى كما طالت الشقة وشط المزار مما يدلك على تغلب الحاسة الوطنية على كل حاسة عند قوم يعقلون . ومن منا لا يطربه ذكر مدحت باشا وفؤاد باشا وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وغيرهم من نوابغ الشرق الذين حاولوا إصلاح فاسده وتقويم ما اعوج منه فلم يفلحوا لأسباب قد ذكرنا بعضها عرضا وأغفلنا عن ذكر أهمها ولو أنها لا تخفى عن كل عاقل بصير . ومدرك خبير يعرف داء الشرق فيعز عليه وصف الدواء . لان الحق للقوة والموت للضعفاء . هكذا قد ارتأت الطبيعة فقالت ببقاء الأقوى فى تنازع هذا البقاء اهـ

﴿ يقول جامع الكتاب ﴾

هذا معظم ما وصل إلينا من الجرائد العربية التى ابنت الأستاذ الإمام وترجمته ومنها ما لم يصل إلينا . أما جرائد سوريا وسائر البلاد العثمانية فقد منعها السلطان أن تذكر خبر وفاته بل تأبينه وترجمته بل كانت قبل ذلك ممنوعة من ذكر اسمه لأن مجرد ذكر اسمه يستلزم تذكر الإصلاح والسياسة هناك تخشى ذلك وتتقيه ولله فى خلقه شؤون

اقوال الجرائد

الافرنجية

كتبت جريدة الايجبشيان غازت الانكليزية التي تصدر في القاهرة في عددها الذي صدر في ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ ما ترجمته

مفتي الديار المصرية

تشييع جنازته عصر اليوم

انا لنأسف شديد الأسف ان نخبر الناس بموت الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الساعة الخامسة من مساء أمس في محطة (صفر) من الرمل مات الفقيد بسرطان في الكبد أصيب به من زمن بعيد ولكن لم يخش من سوء عاقبته عليه إلا في الاسبوع الماضي فان الشيخ منذ أسبوع أو أسبوعين كان ينوى السفر إلى أوربا ثم إلى مراكش على أن العبد في التفكير والرب في التدبير فقد قضى ذلك الرجل صاحب الأعمال الجمة الذي كان يظهر من حاله أنه خلق ليعمل أكثر مما عمل ليضيء عقول اخوانه في الدين فارق الدنيا وهو في السابعة والخمسين من عمره وهو سن صغير بالنسبة لغيره وليس الحزن على فقده قاصرا على مسلمي مصر ولا على أهل الشرق كافة بل إنه سيعم كثيراً من أصدقائه والمعجبين به ممن ليسوا على دينه

(وبعد ان وصفت الجريدة تشييع الجنازة بالاسكندرية على نحو ما وصفته الجرائد الأخرى قالت) :

ولد الشيخ محمد عبده في محلة نصر من مركز شبراخيت باقليم البحيرة سنة ١٨٤٨ وكان والده مزارعا يسمى الشيخ عبده وتربى في الجامع الأزهر وفي سنة ١٢٩٥ هجرية نال شهادة العالمية ثم عين محررا للوقائع المصرية ثم اتهم بالاشتراك

مع العرابين فحكم عليه بالنفى ونفى فى سنة ١٨٨١ ولما كان فى بيروت تزوج إحدى بنات الشيخ حماده[1] وكان هناك يلقى دروسا فى الدين والتوحيد ثم عفى عنه فى سنة ١٨٩٢ ولم يلبث بعد رجوعه إلى مصر أن عين قاضيا فى محكمة بنها ثم نقل إلى الزقازيق ثم عين مستشارا فى محكمة الاستئناف الأهلية وفى يونية سنة ١٨٩٩ عينه الخديوى مفتيا للديار المصرية بدلا من الشيخ حسونة النواوى وكان عضوا فى مجلس إدارة الأزهر من سنة ١٨٩٤ إلى أن تخلى عنه أخيرا . اه

(وجاء فى العدد الصادر منها فى ١٣ يوليه سنة ٩٠٥ ماترجمته) :

المشهد الرهيب

احتشد جم غفير من الناس بمحطة مصر فى الساعة الثانية بعد ظهر أمس ينتظرون وصول القطار المقل لجثة المرحوم الشيخ محمد عبده من الاسكندرية لدفنها فى العاصمة وفى الساعة الثانية والدقيقة السادسة والخمسين بالضبط وصل القطار ووقف تجاه رصيف عدد ١ وما استقر به الوقوف حتى نزل منه من كانوا يرافقون الجثة من الاسكندرية فازدحم بهم الرصيف فوق ازدحامه بمن كانوا عليه ثم أحاط هذا الجمهور بالعجلة التى كان فيها السرير ولما فتحت أبوابها وحمل السرير حاملوه على أعناقهم وعلى وجوههم علائم الكآبة والحزن انفرجت الجموع أمامه متحيزة إلى الجانبين مخلية الطريق له فنقل إلى حجرة مفتوحة على الرصيف وأغلقت عليه ووقف على بابها أربعة من رجال الشرطة

ثم أخذت الجموع تتزايد والشرطيون يمنعون الناس من الوصول إلى الرصيف الذى خصص لمن يتألف منهم المشهد وأمسى باب الدخول إلى المحطة من الازدحام بحيث كان الوصول إلى الرصيف فى غاية الصعوبة وبعد منتصف الساعة الرابعة بقليل انشأ المشيعون يفدون إلى المحطة ويكثر عددهم من الساعة الرابعة وقد ناب عن كل نظارة وكل مصلحة من مصالح الحكومة العدد الكثير من رجالها فاشترك عمال الحكومة من المصريين والانكليز فى الحضور لتشييع رجل قضى حياته كلها

(١) الصواب احدى عقيلات بيت حماده

فى العمل لمسلمى مصر واستحق الاجلال والاعجاب من جميع من دانوه حتى ممن كانوا شديدى المعارضة لافكاره ومقاصده

وفى الساعة الرابعة حمل السرير من الغرفة التى كان وضع فيها وبارح المشهد المحطة من جهة باب الخروج سائرا فى طريقه إلى المدفن

(وهنا وصفت الجريدة ترتيب المشهد كما وصفه غيرها وذكرت من ذكرهم ثم قالت:)

ولقد كان مشهداً عظيما من أجل المشاهد وأشدها تأثيرا وفى أثناء مروره كان يشتد زحامه بجماهير الناس المصطفين على جانبى الشوارع التى مر بها حتى لقد وقفت حال التجارة فيها وكان الناس فى سكون واجلال مدة مرور الجنازة وكان يخيل للرائى أن جميع سكان القاهرة الوطنيين قدحضروا ليؤدوا آخر فريضة من الاجلال والاعظام لذلك الشيخ الجليل وكان يوجد بينهم أيضا عدد عظيم من الأوربيين (وهنا ذكرت الجريده الشوارع التى سلكها المشهد إلى المدفن كما ذكرها غيرها ثم قالت) وقد جاءنا من مكاتبنا بطنطا هذه الرساله البرقية وهى: لقد أحدث موت المفتى هنا نعيا لا يوصف فكل الناس يعزى بعضهم بعضا على خسارتهم التى لا عوض لها ويسألون للفقيد الرحمة الآلهيه ١٠ هـ

(وكتبت جريدة إجبت) التى تصدر فى القاهرة بالفرنسية والانكليزية فى عددها الصادر فى ١٢ يوليو ماترجمته

أخبار الصباح المصرية

توفى الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية أى أحد من يشغلون أسمى المناصب الدينية الإسلامية وأعظمها نفوذا وكان مصابا بداء مؤلم طالت مدته ومن منذ ثلاثة أيام تتعاقب الرسائل البرقية متناقضة فبعضها مبشرا بنقاهته وبعضها منذر باشتداد علته حتى قضى نحبه بالاسكندرية فى الساعة السادسة من مساء أمس.

وسيكون خلق الشيخ محمد عبده وماقام به من الأعمال فى السياسة المصرية أو فى حكومة المسلمين الوافدين على الأزهر طلبا للعلم والدين موضوع مباحثات ومناظرات طويلة

ولا نريد الآن إلا أن نذكر القراء بأنه تعلم فى الأزهر وكان تلميذا شديد الاخلاص للفيلسوف المرحوم الشيخ جمال الدين الافغانى

وأول عمل رسمى تولاه بعد خروجه من الأزهر هو تحرير الجريدة الرسمية ثم نجمت الفتن العرابية فكان فيها عاملا نشيطا وقد نفى عقبها إلى سوريا فكان فيها محبوبا مبجلا واشتغل هناك بالتعليم فى مدارسها الكبرى وتزوج فيها بعد زواجه الأول [1] ولما عفا عنه الخديوى توفيق باشا عين قاضيا بالمحاكم الأهلية ثم رقى إلى درجة مستشار فى محكمة الاستئناف الأهلية

ولما رأى الجناب الخديوى المعظم ماامتاز به الشيخ محمد عبده من العقل المستضىء بنور العلم وحرية الفكر والنشاط وقدرها قدرها إلى عمل مفتى الديار المصرية

كان المرحوم يتداخل طيبة نفسه فى المناظرات السياسية والفلسفية وله عدة رسائل ومقالات نشرت فى الجرائد ولا نزال نذكر مناظرته الكتابية فى سنة ١٩٠٠ مع الموسيو جبرائيل هانوتو التى كان لها دوىّ عظيم فى العالم الاسلامى

وله تفسير جزء من القرآن وكتاب التوحيد

وكان يميل إلى نظام الحكومة الحالى ميلا ظاهرا لأنه كما كان يقول كان يقدر حريته حق قدرها وكان صديقا حميما لصاحب العطوفة مصطفى فهمى باشا الذى فقد بفقده مستشارا أمينا وناصحا صادقا وكانت الطبقة المتعلمة من الوطنيين تجل الفقيد كل الاجلال وأما العامة فانها لقلة وقوفها على تقدم العلم وحركة الفكر العامة لم تكن مستحسنة لخطته وأفكاره بتمامها.

وكان الشيخ محمد عبده فى معاملاته مع الأوربيين غاية فى جمال المحاضرة وحسن الملاطفة فكان نديما حلو الفكاهة جليسا ساحر المحاورة

---

(١) أى بعد موت زوجته الاولى

وجاء فى عدد هذه الجريدة الصادر فى ١٣ يوليه سنة ٩٠٥ بقلم حضرة محمد طلعت حرب بك ماترجمته .

وفاة الشيخ محمد عبده

لقد خسرت مصر والعالم الاسلامى خسارة كبرى بموت الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وسيبكى خسارة هذا الرجل جميع المسلمين على اختلاف بلادهم ومذاهبهم فانه كان من أكبر رجال الاسلام الذين كانوا يتمنون إرجاعه إلى مجده السابق .

نشأ الشيخ محمد عبده نشأة رجل عادى فإنه ولد من نحو ستين سنة فى محلة نصر بمديرية البحيرة وتلقى دروسه الأول بالجامع الأحمدى بطنطا وأتمها فى الجامع الأزهر المشهور ، ثم صار أستاذا لنفسه و بما كان فيه من النهم فى العرفان انكب على الدرس والمطالعة بقوة يندر وجودها فى غيره وأمكنه بما أوتيه من ثبات العزيمة وقوة الادراك التى لايمترى أحد فى سموها أن يصير إلى ماراه الناس فيه وعرفوه منه أعنى محيط علم حى فكان برهانا محسوسا على مايكون لعزيمة الانسان من سعة الامكان ولا سيما إذا عززتها قوة الجنان وجملة القول أن الشيخ محمد عبده كان هو المربى لعقله والمنشىء لادراكه ، وكان يخيل للعارف بأحوال هذا الشيخ فى جهاده المستمر أن أم المسائل التى كانت تشغله وأدعاها إلى اهتمامه هى الدين الاسلامى الذى كان يريد إصلاحه لا بادخال مذاهب جديدة أو عبادات أخرى فيه ولكن بتنقيته وتجريده من الأوهام والآراء الفاسدة التى أدخلها عليه الجهل أو مقتضيات السياسة وجعله بالجملة ، كما كان قبل تشويه الجهل إياه الدين الحنيفى الذى كان يعلمه لأمته النبى ﷺ

وقد كان للشيخ محمد عبده حساد ينقصونه كما كان لغيره من كبار المصلحين وأرباب العقول السامية فلم يذروا تهمة إلا ألصقوها به بلا سبب ولا دسيسة ولا وشاية ولا قذفا إلا رموه به من غير ماذنب ، ولكن ذلك لم يعقه عنها المداومة على سلوك نهجه غير كال ولا وان حتى انتهى أمره بأن ألزم حساده والجاهلين به كما

ألزم خصومه واعداءه احترام آرائه وأفكاره .

وهو و إن كان قد صرعه الموت قبل أن يذوق لذة إتمام عمله الشاق الذى فرضه على نفسه قد أوضح السبيل إلى إتمامه وخلف عملا نافعا باقيا .

وقد كان لمعاشرة الشيخ محمد عبده للشيخ جمال الدين الأفغانى الذى هو أكبر فيلسوف شرقى معروف تأثير ظاهر فى عقله فكانت معاشرته لهذا الفيلسوف الذى كان هو نفسه الثانية مبدأ طموح نفس الشيخ محمد عبده إلى الأفكار التى صارت من ذلك العهد غرضه الذى يعيش من أجل بلوغه ألا وهى إصلاح الدين الاسلامى و إحياء وطن الاسلام البعيد الأطراف وتجديد وحدته وعظمته .

وكان يستعين و يستهدى فى هذا العمل الشاق بقوة يقينه .

ومن غريب الاتفاق أن نفس العلة التى أودت بالمرحوم الشيخ جمال الدين وهى السرطان هى التى اختطفت منا الشيخ محمد عبده .

ولما قامت حوادث الفتنة العرابية كان الشيخ محمد عبده متقلدا فى نظارة الداخلية عمل محرر الجريدة الرسمية فظن أن الوقت قد حان للبداءة فى تنفيذ خطته الواسعة فى الاصلاح فسلك سبيل الفتنة بقلب سليم لما كان يلوح له من خلوها عن الأغراض الشخصية فى بدايتها ثم اضطر آخر الأمر إلى أن يجاهد فيها بعض الرؤساء و يقاوم طرقهم الملتوية الدالة على أطماعهم لأن أفكارهم لم تكن مطابقة لأمنيته المجردة من كل شوب وهى مصلحة الوطن والدين .

وكان جزاؤه على مخالطته لرؤساء الفتنة أن حكم عليه بالنفى ولما رأى خيبة آماله إذ ذاك لجأ إلى سوريا غير أنه لم يكن ممن يسهل عليهم الاستكانة للغلب فلم يلبث أن استأنف جهاده السلمى لبلوغ أمنيته ولما عين أستاذا فى المدرسة السلطانية كان يعلم فيها آداب اللغة والبيان وغيرها من الدروس العربية وهذا غير دروس تفسير القرآن التى كان يلقيها فى المساجد .

ثم دعاه السيد جمال الدين إلى باريس فكان يعينه على تحرير العروة الوثقى ولما عاد إلى سوريا استأنف دروسه التى لايزال السوريون يحفظون لها أجل ذكر ما حل الشيخ محمد عبده فى مكان إلا ترك له فيه معجبين بعلمه وفضله

وأينما نزل صار كل من دانوه أحبابه وأصدقاءه

ولما عفا عنه الخديوى توفيق باشا عاد إلى مصر فرجعت إليه جميع المحبات القديمة مع احترام كافة الناس وتبجيلهم ثم لم يلبث ان نوه به فضله وولعه الشديد بخير بلاده للقائمين بالأمر فعين بعد قليل قاضيا فى المحاكم الابتدائية ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف وكان مع وجوده فى هذا الميدان ميدان العدالة الفسيح لايزال يحس بأنه محرج وانه لابد له من ميدان أوسع وأجل منه أى لابد له من الطرق التى يستعين بها على بلوغ الغرض الذى يعيش من أجله باذلا فى ذلك جهده وذلك الغرض هو اصلاح الدين وكان يعتمد حينئذ فى الوصول اليه على نحلة كان يلوح له انها هى القادرة على رفع ذلك البناء وتلك النحلة هى الأزهر تولدت فى ذهنه فكرة توجيه الاصلاح فى هذا السبيل الجديد فكان يريد ان يجعل الأزهر واسطة فى هداية العالم الاسلامى وتبصيره بدينه وان يجرد هذا الدين مما يحول دون معرفته من الصعوبات ومن الآراء الفاسدة التى حشاه بها الجهل وللوصول إلى هذه الغاية فكر فى أن ينشىء له مجلسا أى محكمة عليا دينية -ان صح تسميتها كذلك- لادارة شؤونه و بث نور العرفان فى عقول الأمة لمصلحة الاسلام الكبرى وهى غاية نبيلة جليلة و بفضل عنايته شكل المجلس وكان هو من أعضائه وكذلك الشيخ عبد الكريم سلمان صديقه من الصغر الذى كان موافقا له فى آرائه وأفكاره

وقد حصل له بتشكيل هذا المجلس الأمل ببلوغ غايته بلاعائق فانشأ يجدد ما رث من أصول الدين وينفخ فى المسلمين روح العرفان و يرشدهم إلى العلوم والفنون وجميع الأمور الجليلة والافكار العظيمة التى كانت فى سالف الأيام زينة ملك الخلفاء

وانه ليسوءنا ان نقول انه مع مساعدات المخلصين التى تيسر له الحصول عليها لم تأت النتيجة مطابقة لما كان يرجوه تمام المطابقة فقد قام روح معاكس له فعوق العمل الكبير الذى كان يباشره بكثير من النزاهة والاخلاص والاقدام نوعا من التعويق

وهو على بذل جل همته فى تحصيل الغبطة والسعادة للعقول لم يغفل السعى

فى تحصيل الراحة والرفاهية للابدان فلم ينس الفقراء والبائسين لعلمه حق العلم بأن البؤس فى الأمم مدعاة إلى اضمحلال العقول فأسس الجمعيه الخيرية التى كان هو روحها الذى به تقوم والفضل فى بقاء هذه الجمعية ونجاحها راجع إلى همته التى لاتغفل واخلاصه الذى لايتغير

ولما عينته الحكومة مفتيا للديار المصرية أثبت فى هذا المنصب أيضا كفاءته للقيام به وكان من مقتضيات توليه ان صار له حق الجلوس فى مجلس الشورى فكان عضوا فى كل لجنة من لجانه وكان هو المرشد الثقة لرفقائه فى بحث جميع القوانين واللوائح أو إعدادها

وكان فى مجلس الأوقاف الاعلى هو المدافع عن الحقوق والأصول المقدسة التى بنيت عليها هذه المصلحة النافعة

وقد كان فوق كل ماتقدم كما قلنا شديد الحب لوطنه مخلصا فى اسلامه وإذا كان قد وجد له عيابون قادحون ربما كان عيبهم مبنيا على الحكم بالظواهر فان مادحيه والمعجبين به أوفر منهم عددا وهم ينصفونه و يعرفون له قدره

وسيذكر من عاشروه أودانوه فقط جميل محاضرته وحسن تلطفه وجاذب ابتسامه الدال على سلامة طويته بل انه كان يعظ أصدقاءه و يوصيهم بلين الجانب والتلطف وكان له فى ذلك كلمة تؤيد هذه الوصية وهى قوله « انك لتصطاد من الذباب بملعقة من العسل أكثر مما تصطاده ببرميل من الخل »

كان الشيخ محمد عبده نهما فى الاطلاع والتعلم ليكون أصوب حكما وأسد رأيا ولذلك ساح كثيرا فى بلاد أوربا و بلاد المشرق باحثا اينما حل عما عساه ينفع للعمل الجليل الذى ابتدأه وكان يدرس غير متشيع إلى مذهب ضروب الحضارة والأخلاق عند جميع الأمم بحرية الفكر وجولان فى الرأى يندر وجودهما فى هذه الأيام وجوابه البليغ على مقالات الموسيو هانوتو فى الاسلام دليل على اننا سائرون فى سبيل التقدم فقد كشف هذا الجواب النقاب عن سعة علمه واضطلاعه وتسامحه الذى عرف أن يدهش الناس به لوقوعه فى جانب التهجم الذى حصل من الموسيو هانوتو

وقد ترك كتابات كثيرة يتيسر للمطلع عليها ان يجد فى جميعها المبادىء التى كان يسير عليها فى حياته وهى الآن مبادىء تلامذته الذين تتبعوا طريقته وسيتنافسون فى حفظ ذكراه

انى كنت أعرف الرجل معرفة ذاتية فانا أشد تأثرا لفقده ممن لم يعرفوه ومثل غيرى من معارفه الكثيرين فى هذا التأثر فقد كان شديد الحب لوطنه ووطننا وفى هذا المقام أرفع له واجب المدح مع مزيد الحزن والأسف على فراقه وأرجو ان يوجد فى هذه البلاد التى بث فيها كثيرا من الأفكار الصالحة الشريفة عقول وهمم أخرى تستأنف السير على النهج الواضح الذى اختطه لها .

بينما كنت أخط هذه الاسطر إذ تلقيت رسالة برقية من بلدة إسبا ببلاد بلجيكا تنعى لى وفاة الدكتور سدنى سميث وهو موسر أمريكى واسع الادراك والفكر محب للاسلام ومعجب بالشيخ محمد عبده الذى كان من أصدقائه

لا تقع مصيبة وحدها فقد انطفأ نبراسا هذين العقلين فى يوم واحد وهما على تباعدهما فى المنشأ قد تقاربا بالاشتراك فى الافكار والآراء

وسيدنى سميث هذا الذى جمعنى واياه الالفة الاكيدة كان هو الاستقامة المجسمة وكان له عندى فوق ذلك الخصيصة الكبرى وهى محبته لبلادى ودينى وذوده عنهما فانه كان تعلم كيف يعرف الدين الاسلامى ولهذا تراتى أجد وقع مصابه مضاعفا وليس فى وسعى أن أمدحه بأكثر من اشتراكهما فى السلام الذى أهديه من قلبي الحزين إلى فقيدنا الذى هو نفسه كان يطريه و يعجب به كثيراً .اهـ

تحريراً فى ١٢ يوليه سنة ١٩٠٥ محمد طلعت

حرب

وكتبت جريدة البيراميد الفرنسية (الاهرام) فى عددها الصادر بالقاهرة فى ١٢ يوليه سنة ١٩٠٥ ما ترجمته

موت الشيخ محمد عبده

قد توفى الشيخ محمد عبده إثر انتكاس قوى وكانت حالته الصحية من بضعة أيام داعية إلى قلق ممرضيه واخوته قلقا شديدا توفى بالاسكندرية حيث كان ينوى السفر منها إلى أوربا فمنعه منه عشية الاستعداد له علة ممكنة مؤلمة ولما بلغ نعيه المحزن القاهرة مساء أمس كان شديد الوقع على النفوس لأن تقارير الأطباء فى الاسبوع الماضى كانت تؤذن بشفائه فساء الناس أن كان ذلك التحسن الظاهر نذير الموت الذى اختطفه من أوليائه وخلانه . انطفأ نبراس حياة ذلك الشيخ الجليل فى الساعة السادسة من مساء أمس

زال بزوال مفتى الديار المصرية رجل من أكبر الرجال فى العالم الاسلامى وفقدت مصر فيه سراج علم من أضوأ السرج وجميع من عرفوا الشيخ محمد عبده معرفة قريبة أو بعيدة من أى أمة كانوا وإلى أى دين ينتسبون آسفون أسفا حقيقيا شديدا أن غاب عن مشهد هذا العالم مثل ذهنه المستنير وعقله المثقف ونفسه الكريمة .

ولد الشيخ محمد عبده فى محلة نصر (باقليم البحيرة) وتلقى دروسه الأولى فى الجامع الأزهر على الشيخ عليش الذى كان إذ ذاك شيخا لهذا الجامع (كذا) فامتاز عن جميع اخوانه من الطلبة بحدة ذهنه وهمته فى العمل فكان فى شبيبته مُعنىَّ العقل فى طلب العلم دائم النهم فى تحصيل المعارف غير قانع باغترافها من ينابيعها الأزهرية واتفق فى ذلك الوقت ان السيد جمال الدين الافغانى كان يلقى دروسا على نخبة من شبان المسلمين فاسترعت ذهنه فانخرط فى سلك تلاميذ ذلك العالم الكبير الذى كان صاحب الدولة رياض باشا استقدمه من القسطنطينية للتعليم فى الأزهر وقد اقتبس منه أفكاره الحكيمة الحرة فكان غرضه الذى يرمى إليه فكرة الانسلاخ عن التقاليد العتيقة والتوفيق بين العلم والدين ولما كانت جراثيم هذا

الاصل قد ألقيت فى نفسه كان لابد ان تؤتى فيما بعد ثماراً ثمينة جليلة.

وفى سنة ١٨٧٩ عين مدرسا في مدرسة الالسن غير انه لم يلبث ان ارتاب فى أمره الخديوى اسماعيل باشا فصدر اليه أمره بالابتعاد إلى مسقط رأسه (محلة نصر) وأما شيخه جمال الدين الافغاني فانه نفى من القطر المصرى و بعدمضي سنة من ذلك عاد رياض باشا إلى الوزارة فاستعاد الشيخ محمد عبده الى مصر وعهد اليه بتحرير الجزء العربي من الجرنال الرسمى فبقى فى هذا المنصب إلى أن قامت الحوادث التى غيرت أحوال مصر وأفضت إلى دخول بريطانيا العظمى فيها و بما اتهم فى الثورة العرابية بحق أو بغيرحق حكم عليه بالنفى فغادر مصر إلى سوريا حيث اشتغل بالتعليم فى كبريات مدارسها وأخص ما عنى بالقائه فيها تفسير رسائل سيدنا على ابن أبي طالب فطار بها صيته وذاع بها ذكره

كان الشيخ محبوبا محترما من جميع الناس و كان يعيش عيشة وادعة و يبذل لتلاميذه كنوز علمه الواسع وقد تعرف فى بيروت بمحيي الدين بك حماده الذى كان لحادثته الأخيرة أسوأوقع فى القاهرة وتزوج بنت (أخى) هذا الصديق الجديدو بعد ذلك بثلاث سنين سافر الى باريس حيث لقى استاذه القديم الشيخ جمال الدين وكان هذا الحكيم الكبير يأنس من نفسه ميلا اليه لما أدهشه من ألمعيته وفرط ذكائه وقدتجلي هذا الميل في مظهر محبة فائقة له وكان الشيخ جمال الدين يعيش فى مدينة النور (يعنى باريس) بين عصابة من المعجبين به فقبلوا أن يكون هذا الشاب المنفى فى زمرتهم وكان هذا الاختلاط المستمر والاحتكاك الدائم بهم سببا فى نمو افكاره الحرة و بلوغها من القوة الى حد ان ظهر أثرها فى سيرته بقية حياته وقد انشأ بمساعدة استاذه جريدة عربية سماها العروة الوثقى لم تطل مدة بقائها

ولما عفا عنه الخديوى المرحوم توفيق باشا فى سنة ١٨٨٧ بادر بالرجوع إلى مصر حيث لم يلبث ان لفت الانظار اليه بفضله ومعارفه الغزيرة فى المسائل الدينية والادبية وقد نشر تفسيرا للقرآن يعتبره العارفون وهم محقون انه خير التفاسير وقد حظى الناس منه أيضا برسالة فى التوحيد

كان شريفا فى تواضعه بشوشا فى معاملته للناس فلم يلبث ان استمال قلوبهم

اليه و كثر فيهم احباؤه واصدقاؤه ولقد خلب عقول جميع من حظوا بصحبته بسحر منطقه وحلاوة آدابه و بالحسن المنبعث من ذاته كلها ولقد كان يخلص لرائيه جمال لاوصف له من عينيه الصغيرتين البحاثتين اللتين كان يخيل لمن يراهما انهما على الدوام تغوصان فى عالم المجهولات

قبل أن يرقى الشيخ محمد عبده الى منصب الافتاء فى عام ١٨٩٧ كان عاملا فى المحاكم الاهلية فقد ولى القضاء فى محكمة بنها ثم نقل الى محكمة الزقازيق ومنها إلى مصر و بلغ فى سنة ١٨٩٠ بكفائته واستعداده منصب مستشار فى محكمة الاستئناف الاهلية ولكنه لم يبين للناس حرية الفكر والتسامح اللذين بينهما فى نفسه جمال الدين إلا وهو فى منصب الافتاء و كانت تعاليمه تدور على أمر واحد وهو التوفيق بين العلم وأصول القرآن

كان للشيخ محمد عبده نفوذ كبير فى حياة بلاده الداخلية سواء كان ذلك من جهة الدين أو من جهة السياسة، فبما كان مفتيا كان يرجع اليه المسلمون فى حل ما يشكل عليهم من المسائل الشرعية و بما كان عضوا فى مجلس الشورى كان حكما لأعضاء الجمعية العمومية الاجلاء يوضح لهم دقائق المباحثات والمجادلات و يوحى اليهم بالمشروعات القانونية وقد برهن فى كلا العملين على ما كان له من سعة الفكر والبصر بالامور الذى يندر وجوده فى غيره

كثيرا ما كان الشيخ محمد عبده كغيره من المشتغلين بحياة البلاد السياسية والادبية هدفا لمطاعن لايسلم منها أمثاله غير انه قد وجد له معارضون فى بعض طوائف من الناس ولم يكن له بينهم أعداء مطلقا فان ما أوتيه من المعارف وحسن السمت الدال على الشمم والشرف كان يوجب اجلاله وتعظيمه حتى ان معارضيه أنفسهم ما كانوا يأبون عليه أداء مايجب له من الاعجاب والاستحسان

وليس من حقنا ان نتوسع فى بيان عمله من الوجهة الدينية فالكلام فيه من المسائل الدقيقة التى لاحق فى الخوض فيها إلا لاخوانه فى الدين وانما لايسعنا ان لانقول انه من حيث كان عضوا فى مجلس الشورى قد أدى واجبه أكمل أداء وأشرفه فقد ذب عن مصالح البلاد بمقدار ماسمحت له به أحوال مصر الآن

وربما عاب عليه بعض الناس شيئا من الضعف فى بعض المواطن ولكن كان له فى ذلك عذر فانه كان لابد له أن يرضخ لصروف الزمن وحوادث الأيام

ومن ذا الذى لايذكر له مقابلته الواجبة التذكار للمستشار القضائى فى هذه الأيام الأخيرة بسبب انشاء محاكم الجنايات فانه لما كان رئيسا للجنة التى نيط بها درس مشروع قانون هذه المحاكم كان من رأيه ورأى اخوانه المعارضة فى تنفيذه غير ان المستشار صرح بان لايسلم برفض هذا القانون فاضطر الشيخ محمد عبده الى الامتثال لانه لم يكن فى وسعه غيره واجتهد فى أن يحوز ذلك المشروع التحوير الذى يراه ضروريا وكان أشد من ذلك اقداما فى معارضة الحكومة عند المناقشة فى مشروع قانون مرسى مطروح وبهمته ومساعدة اخوانه أيضا عدلت الحكومة عن هذا المشروع الذى سيحور تحويرا كبيرا

ولاينبغى أن ننسى انه هو صاحب مشروع لائحة تشكيل المحاكم الشرعية الذى عرض فى هذه الأيام الأخيرة على نظارة الحقانية فهذا المشروع ونظام التدريس الذى وضعه لمدرسة القضاة الشرعيين هما آخر أعماله التى تفضل بها على بلاده وقد دهمه الموت قبل ان يفرج برؤية ثمارهما

للشيخ محمد عبده على مصر أياد كثيرة ومن أجل هذا ترى جميع أهلها فى حزن وألم لموته . اه

وجاء فى عددها الصادر فى ١٣ يولية سنة ١٩٠٥ وصف تشييع الجنازة بالاسكندرية والقاهرة على نحو ماذكرته الفارد الـكسندرى (كما سيأتى) وزادت البيراميدأنه عند قيام الجثة من محطة باكوس أوعز رئيس مدرسة الفرير بدق الاجراس فدقت فكان لاعلان هذا الاجلال والميل وقع عظيم فى نفوس المشيعين

﴿ جريدة البروجريه ﴾

جاء فى عددها الصادر فى القاهرة باللغة الفرنسية في يوم الاربعاء ١٢ يولية سنة ١٩٠٥ ما ترجمته

توفى الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى منتصف الساعة السادسة من

مساء أمس وستنقل جثته على قطار مخصوص إلى القاهرة فتصلها الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر ويبقى النعش فى المحطة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر وفيها يسير المشهد

وسيتبع المشهد فى مسيره هذا النظام وهو أن يمر بشارع كامل أمام لوكاندة شبرد فميدان الاوبرا فالعتبة الخضراء فشارع الموسكي حتى يصل إلى شارع الحلوجى ومنه إلى الجامع الازهر حيث يصلى عليه ثم تنقل الجثة بعد إلى مقبرة العفيفى بالقرب من مقبرة الشيخ الامبابى وتدفن هناك

وقد أرسل عطوفة فخرى باشا قائم مقام الجناب الخديوى أمره الى جميع كبار عمال الحكومة بأن يحضروا الجنازة . اه

وجاء في عددها الصادر فى ١٣ يولية سنة ١٩٠٥ ما ترجمته :

شيعت جنازة الشيخ محمد عبده كما قلنا أمس في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم وكان يتقدم المشهد فصيلة من فرسان البوليس ويحمل النعش نفر من طلبة الازهر ويتبعه مباشرة مئات من مشايخ الازهر وعلمائه ووراءهم مستشارو الاستئناف والمحامون الوطنيون وعمال نظارة الحقانية والمحاكم الاهلية وعلي بك شاهين من قبل الجناب الخديوى وعطوفة ابراهيم باشا فؤاد عن الحكومة وكان أكثر من خمسة آلاف نفس يمشون مع الجنازة فكان مشهدها مؤثرا ولم يحصل شىء يخل بالأمن والفضل فى ذلك لما اتخذه سعادة منسفيلد باشا من الطرق الاحتياطية . اه

جريدة الجورنال دوكير الفرنسية

جاء فى عددها الصادر فى ١٢ يولية سنة ١٩٠٥ ما ترجمته

لاشك أن مصر قد ابتليت فى هذه الأيام الأخيرة بكثير من المحن ففى شهر ديسمبر فقدت محسنها الكبير واليوم فقدت أكبر علمائها وأشهرهم وهو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ونعى هذا الرجل المبجل لن يقتصر على مصر بل إنه سيكون له رنة فى جميع أرجاء العالم الاسلامى كالهند وسوريا والجزائر وجنوب أفريقيا فان الشيخ كان معروفاً فى كل مكان ومحترما عند جميع الناس وقد مات

وله من العمر ٥٨ سنة .

أصاب المفتى داء عضال وهو سرطان فى الكبد فكان عازماً على مبارحة مصر إلى أوربا لتبديل الهواء ولكن الأطباء المعالجين له منعوه من أى انتقال عشية يوم السفر لأن حالة المرض كانت تقضي بذلك فأقام بمحطة شوتس [١] بالرمل حيث قضى نحبه فى الساعة السادسة من مساء أمس مع بذل الأطباء جميع مالديهم من العناية فى مداوته وقد فقد الناس الأمل فى شفائه من يومين واشتغلت نظارة الحقانية وحكمدارية البوليس باصدار التعليمات الرسمية للاستعدادات لتشييع جنازته تشييعا يليق بمقامه وماعرف خبر وفاته في القاهرة حتى بادر رصفاؤنا الوطنيون باصدار الملحقات الناعية لأهل مصر مصيبتهم بفقده وإنا مقتصرون هنا على إيراد شيء من ترجمة حياة الشيخ فنقول :

تربى مفتى الديار المصرية فى الجامع الأزهر بعيدا من أهله وذويه وكان تلميذا للفيلسوف المعروف جمال الدين ويقول العارفون به معرفة أكيدة إنه كانت له طريقة عجيبة يهتدى بها فى طريق التعليم وقد أتم دروسه فى بلاده ثم كملها بأسفاره فى أفريقيا وآسيا وأوربا وبعد خروجه من الأزهر عين محررا للوقائع المصرية واستمر فى هذا العمل الرسمى إلى سنة ١٨٨٢

وفيها اشترك فى الثورة العرابية وبسببها نفى إلى سوريا وهناك عين معلما في مدارس الحكومة الكبرى

ثم عاد الشيخ إلى مصر بعد أن نال عفو الخديوى السابق توفيق باشا وعين قاضياً بالمحاكم الأهلية ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف الأهلية ثم مستشارا فى نظارة الحقانية [٢] وفى ٧ رجب سنة ١٣١٣ الموافق ٤ يناير سنة ١٨٩٥ قررت الحكومة انشاء مجلس ادارة للأزهر وعين الشيخ مندوباً للحكومة فيه ويذكر أنه استقال

---

(١) ان الدار التى مرض فيها وتوفى كانت قريبة من محطة سوتش هذه ولكنها أقرب إلى محطة صفر ولذلك اختلف فيها قول الجرائد

(٢) كذا قالته هذه الجريدة والامر ليس كذلك ولعلها أخذته من أن المرحوم لما عين مفتيا للديار المصرية كلف نفسه التفتيش على المحاكم الشرعية فى عموم القطر فأجابته الحقانية ففعل وقدم تقريره المعروف فى إصلاح هذه المحاكم

من هذا العمل فى ١٩ مارس الماضى بسبب حادثة طنطنت بها الصحف وتبعه فى هذه الاستقالة عضوان آخران

عين الشيخ محمد عبده مفتيا للديار المصرية فى ٢ يونيه سنة ١٨٩٩ بدلا من الشيخ حسونه النواوى الذى استقال من هذا المنصب

وللمفتى كتاب فى التوحيد وتفسير لعدة من سور القرآن وجملة من الفتاوى وكان ينشر مايلقيه فى الجامع الازهر من دروس التفسير فى مجلة وطنية مخصوصة ولكن أجل مأثرة كانت له وستكون على ممر الدهور هى إصلاحه للازهر فقد كان فى مقدمة الرجال العارفين العقلاء الذين فى استطاعتهم أن يعرفوا سوء حالة التعليم فى هذه المدرسة لأنهم بعد أن تخرجوا منها بادروا بالابتعاد عن تأثير تعليمها بما أوتوه من العقل العالى

كان الشيخ محمد عبده واقفا على حضارة الأمم الحديثة وتاريخ الامم القديمة ولهذا وقف جزءا عظيما من حياته على تحقيق فكرة إصلاح الاحوال فى الازهر و إصلاح التربية الاسلامية برمتها وكان يعتبر من الاصلاح الضرورى أن يصل بين الشرق والغرب و بين الحضارة الاسلامية والحضارة الاوربية وكانت هذه الحقيقة دائما تجول فى نفسه وهى ان الاوربيين يجهلون حقيقة الاسلام والمسلمون عاجزون عن تفهيمهم حسن عقيدتهم لانهم أنفسهم على غير يقين فيها لا من جهة العلم ولا من جهة العمل ولا من جهة الاخلاق

ابتدأ عمل المفتى فى الاصلاح من عهد الخديوى السابق توفيق باشا فانه فى ذلك العهد استقل بادخال بعض اصلاحات قانونية فيه ولبغض الازهر بين له تبين له ان لايمكن الاستمرار على اتمام ما وضعه من أمور الاصلاح بدون مساعدة الخديوى ولم يكن توفيق باشا ميالا لمساعدته ولما تولى الخديوى عباس باشا لم يلبث الشيخ أن شكل مجلس إدارة للازهر مكلف بملاحظة التعليم والتربية فيه وجعل الجناب الخديوى تحت تصرفه مبلغا قرر فى ميزانية الأوقاف ونظارة المالية أعدت له أيضا مبلغاً آخر وقد جرى الاصلاح جريا حثيثاً بهمة الشيخ الذى كان مندوبا للحكومة فى المجلس ولم يظهر أحد بمعارضته و إن كان أهل الازهر قد طلبوا مرارا تأجيل

تنفيذ بعض الاعمال بحجة وجوب ارجائها ليكون الابطاء فيها أنجح لها

وقد حدثت بالأزهر عدة حوادث كان من نتائجها تعاقب جملة مشايخ على المشيخة وهم الشيخ حسونة (١) والشيخ سليم البشرى والشيخ على الببلاوى والشيخ الشربينى وكانت فيه قلاقل اقترن بها اسم الشيخ محمد عبده

وانضم إلى تلك الحوادث حوادث أخرى كفتوى الشيخ بحل أكل ذبائح الكتابيين ولبس ملابسهم لعدم تصريح القرآن بالمنع منه خصوصاً لمن هم مضطرون إلى معاشرة الاوربيين

كان المفتى يتداخل فى كثير من المناظرات الفلسفية بل والسياسية وقد كتب عددا وافرا من الرسائل والمقالات في الجرائد

ونحن لاننسى مناظرته الكتابية فى سنة ١٩٠٢ للموسيو جبرائيل هانوتو بسبب مقالاته التى نشرها عن الاسلام فى جورنال باريس فقد كان لهذه المناظرة دوى عظيم فى العالم الاسلامى

وقد سافر مفتى الديار المصرية كثيرا الى تونس والجزائر وكتبت جريدة التان الفرنسية فى هذه الايام فى ذلك هذه الجملة فقالت : ان المصريين أكثر المسلمين تقدما وسببه اختلاطهم بالاوربيين وجامعهم الازهر ينشر ماسمعتوه الآن من الأفكار فى جميع انحاء العالم الاسلامى وقد سافر الشيخ محمد عبده حديثا إلى تونس لبث هذه الأفكار .

وقد حصل بينه و بين رياض باشا والحزب الوطنى المصرى بعض الشقاق كما هو معروف

كان الشيخ محمد عبده قبل كل شيء رجل همة وعمل وكان صديقا حميما ومستشارا أصيل الرأى للجناب الخديوى ولرئيس مجلس النظار واللورد كرومر وكانت طبقة المتعلمين من الوطنيين والطوائف المختلفة من الاوربيين جميعهم أحبابا له وربما كان بعضهم غير موافق له فى آرائه ولكن يستحيل أن لايعتقد فيه هذا المخالف حسن النية وثبات الاعتقاد وكان الشيخ رئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية بل كان

(١) نسى الكاتب الشيخ عبد الرحمن القطب وكان بعد الشيخ حسونه

مساعدا لكل عمل خيرى فمن ذلك اعانته للحزب المصرى الذى أنشىء لمحاربة السل الدرنى بكل مافى وسعه من الهمة والنفوذ

وجملة القول ان مصر قد فقدت عالما من أكبر علمائها ورجلا عريض العلم غزير الأدب غاية فى حسن المحاضرة وليس الاسف على فقده قاصرا على مصر بل انه سيعم العالم الاسلامى بأسره

تشييع الجنازة

ستنقل جثة المفتي على قطار مخصوص يبلغ مصر اليوم الساعة الرابعة بعد الظهر وسيجتمع المشهد فى المحطة ليسير بالجثة إلى المدفن مارا بميدان باب الحديد فشارع نوبار فشارع كامل فميدان الاوبرا فالموسكي فالسكة الجديدة فالجامع الازهر حيث تصلى صلاة الجنازة المعتادة و يدفن بقرافة المجاورين وسيكون تشييع الجنازة على نفقة الحكومة ويقام المأتم ثلاثة أيام بمنزل الفقيد بعين شمس . اه

وجاء فى عدد هذه الجريدة الصادر فى ١٣ يولية سنة ١٩٠٥ ماترجمته :

حياة شيخ — عمله — جنازة المفتي — كال البساطة فى مشهده — مقالات الجرائد فيه — جزاؤه المستحق من المديح

مابرح موت مفتى الديار المصرية يعد حادثة اليوم فى مصر وفى جميع العالم الاسلامى فلا حديث للناس إلا هو وذلك برهان جديد على ما كان للفقيد من المكانة السامية ولذلك يهمنا أن نثبت هنا شأن تفاصيل حياته وتواريخها. لم يكن الشيخ محمد عبده من البيوتات الشهيرة فانه ولد فى سنة ١٨٤٨ أفرنجية فى محلة نصر بمركز شبراخيت (من مديرية البحيرة) وكان أبوه يدعى سليم عبده (١) وهو من مزارعي تلك القرية و بعد أن أتم الشيخ دروسه بالازهر نال درجة العالمية فى سنة ١٨٧٨ وكان تلميذا للشيخ عليش وللشيخ جمال الدين الافغانى الذى استحضره صاحب الدولة رياض باشا من الاستانة بمرتب شهرى قدره ٢٥ جنيها ليعلم فى الازهر الحكمة وعلم الكلام والعلوم الدينية وقد أثبت الشيخ محمد

(١) كان اسم والده (عبده) فقط فلفظ سليم زائد

عبده استحقاقه لأن يكون تلميذاً للحكيم الأفغانى كما أثبت ذلك كل من الشيخ عبد الكريم سلمان العضو بالمحكمة الشرعية الكبرى وابراهيم بك اللقانى المحامى والشيخ وفا محمد وقد قاوم طلبة الأزهر الشيخ جمال الدين ووقفوا في سبيله وقفة بلغت إلى حد أن اضطر شيخ الأزهر إلى اخراجه مع تلامذته من مسجد سيدنا الحسين (كذا)

وفى سنة ١٨٧٩ عين صاحب الدولة رياض باشا الشيخ محمد عبده مدرساً بمدرسة الألسن ولم يمض على ذلك غير قليل حتى أسقط اسماعيل باشا (كذا) وزارة رياض باشا ونفي الأفغانى وأرجع الفقيد إلى بلدته فى البحيرة ولما عاد رياض باشا الى الوزارة فى عهد توفيق باشا عين الشيخ محمد عبده محرراً للوقائع المصرية (القسم العربى من الجرنال الرسمى) فكان يحرره بمساعدة الشيخ عبد الكريم سلمان وسعد بك زغلول وابراهيم بك الهلباوى والسيد وفا محمد .

وفى ذلك الوقت حدثت الثورة العرابية فكان الشيخ محمد عبده فيها مستشار العرابيين المسموع الكلمة على عدم استحسانه لأعمالهم بل إنه حمى سراى رياض باشا من أفعالهم العدوانية .

وعند احتلال الانكليز للقاهرة فى سنة ١٨٨٢ قبض على الشيخ محمد عبده كما قبض علي عدة من اخوان عرابى وحبسوا فى المحل المعد للدائرة السنية وفى سبتمبر سنة ١٨٨٢ سيق إلى المحاكمة متهما بأن من ضمن أعماله أن نشر فتوى مقتضاها خلع توفيق باشا فعين له صديقه المستر ولفريد بلانت المحامى الانكليزى برودلى وانتهت المحاكمة بأن قضي عليه بالنفى ثلاث سنين بل إنه يحكى أن الشيخ لجأ الى الهرب وأن الحكومة أعلنت هربه فى الجرنال الرسمي ستة اشهر متتابعة واعدة من يقبض عليه بأن تكافئه بعشرة آلاف جنيه مصرية وكان الشيخ إذ ذاك فى باريس (الصواب أن هذا الهارب عبد الله أفندى نديم)

ثم إنه نفي بعد ذلك الى سوريا فعين مدرساً للمدرسة السلطانية ببيروت وأقام فى سوريا أربع سنين فى أثنائها عرف محيي الدين حماده بك الذى قبض عليه في هذه الأيام الأخيرة عند بلوغه بيروت آتياً من سفره ولم يفرج عنه الابتوسط

السفارة الانكليزية فى الاستانة وكانت معرفته به سبباً فى أن تزوج الفقيد بنته

وفي سنة ١٨٨٦ ذهب الشيخ محمد عبده الى باريس حيث لقى أستاذه الشيخ جمال الدين الأفغانى ونشر معه جريدة لم يطل عمرها وهى المسماة بالعروة الوثقى التى منع دخولها مصر ثم فى سنة ١٨٨٧ عفى عنه الخديوى توفيق باشا فرجع الى مصر وعين قاضيا فى محاكم بنها والزقازيق ومصر وفى سنة ١٨٩٠ عين مستشاراً فى محكمة الاستئناف الأهلية وفى ٢٠ يونية سنة ١٨٩٩ عين مفتيا للديار المصرية .

وفوق هذا العمل الرفيع كان الشيخ محمد عبده عضواً فى مجلس الشورى وفي الجمعية العمومية وفى مجلس الأوقاف الأعلى وفى اللجنة التشريعية بنظارة الحقانية ورئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية وعضواً فى مجلس ادارة الأزهر وقد قام فى جميع هذه المناصب بالخدم الجليلة المشهورة وكان رحمه الله براً من أحسن البارين ومحسنا من أجل المحسنين فكان يبذل جزءا عظيما من ايراده لمواساة البائسين ومساعدة المحدودين .

ولم يعقب الشيخ محمد عبده ذكورا بل ترك أربع بنات اثنتان منهن متزوجتان بمحمد بك يوسف وعثمان أفندى يوسف والأخريان تعيشان مع عمها حموده بك عبده المحامى .

مات الشيخ محمد عبده كما قلنا أمس بسرطان فى الكبد وهو نفس العلة التى مات بها أستاذه الحكيم الشيخ جمال الدين الافغانى وكان أصابه برد فى سفره الاخير الى السودان فى شهر فبراير الماضى ومن ذلك الحين ظهر المرض ظهوراشديدا

وقد تكفلت الحكومة بتشييع جنازته فاحتفلت به احتفالا يليق بمقامه .

(ثم وصفت الجريدة تشييع الجنازة فى مدينتى مصر واسكندرية على نحو ما ذكرته الجرائد الاخرى وزادت أن القطار المقل لجثة الفقيد كان كلما وقف بمحطة كانت تحتشد فيها العامة لاستقباله وهى مكتئبة حزينة — وامتازت هذه الجريدة بان نقلت شذرات مما كتبته معظم الجرائد الافرنكية والعربية فى تأبين الفقيد ولكنها أخطأت فى مسائل صححنا بعضها وأشرنا الى بعضها بكلمة (كذا).

وجاء فى عدد هذه الجريدة الصادر فى ١٤ يولية ماترجمته .

مفتي مصر

قلنا بالامس إن جنازة الشيخ محمد عبده كانت كلها عنواناً للبساطة والخلو من البدع موافقة لمذهبه فلم يكن فيها أحد من القراء ولا من حملة المباخر ولا من حملة المصاحف ومما يذكر لهذه المناسبة أن المفتى لما شيعت جنازة احدى أخواته(١) منع كل هذه التقاليد منعا كليا لانه كان يعدها مخالفة للدين .

وقد جرى الناس فى تشييع جنازته على الاصول التى كان يعلمها فى حياته فمن ذلك ان أحد أهل الازهر كان يريد أن يتلو قصيدة فى تأبينه فأسكته الشيخ عبد الكريم سلمان قائلا إن الشيخ قد أبطل هذه العادة (من الازهر) فى حياته .

وبعد أن صلى عليه الشيخ حسونه صلاة الجنازة دفن فى قرافة المجاورين ولما أراد بعض الخطباء أن يؤبنوه نبههم سعادة حسن عاصم باشا الى أن كثيراً من أصدقائه يروم ارجاء التأبين الى وقت آخر وجعله فى مكان آخر فكان ماقاله .

ومما نزيده على ما قلناه أن رصفاءنا أصحاب الجرائد العربية قد نشروا مقالات مطولة فى هذه الحادثة وعند كلامهم أمس على الجنازة كانت عناوين مقالاتهم كما ترى : جنازة الفقيد — مشهد المأسوف عليه المفتى — جنازة الفقيد المفتى : وقد نشر معظمهم قصائد شائقة شديدة التأثير ومن الاتفاق الغريب أن اليوم الذى مات فيه المفتى هو نفسه اليوم الذى مات فيه بانكلترا السير وليم موير الذي قضى حياته كلها محاربا للاسلام فى كتاباته ودروسه .

ولنختم القول فى هذا الموضوع بان ما ذكره عدة من رصفائنا من الاخبار عن خلف المفتى سابقة أوانها فانه لا يبت شىء فى هذا الامر قبل عود الجناب الخديوى الى مصر ورجوع عطوفة رئيس مجلس النظار وجناب اللورد كرومر . اه

(١) الصواب أمه لا احدى أخواته

جريدة الفارد السكندرى

جاء فى عددها الصادر بالاسكندرية باللغة الفرنسية فى ١٢ يولية سنة ١٩٠٥ بعنوان : مفتى الديار المصرية ماترجمته :

نعلن للناس وأسفنا شديد أن مفتى الديار المصرية الشيخ محمد عبده كان حضر من بضعة أسابيع إلى رمل الاسكندرية على نية السفر إلى أوربا تغييرا للهواء فاخترمته المنية أمس فى الساعة الخامسة مساء وهو فى الثامنة والخمسين من عمره وكانت وفاته بمنزل سعادة محمد راسم بك فى صفر بالرمل

توفى الشيخ محمد عبده اثر داء فى الكبد لم يمهله إلا مدة قصيرة وقد كان مشهورا فى العالم الاسلامى وكان جميع طلبة الجامع الازهر يقدرون معارفه قدرها والمعروف عن هذا الجامع انه يحتوى على أكثر من عشرين ألف طالب (كذا) يفدون اليه من جميع البلاد

وقد تخرج الشيخ محمد عبده نفسه منه فشهره بجدارته ونبوغه وكان تلميذا لفيلسوف الشرق الكبير الشيخ جمال الدين الافغانى شديد الملازمة والاخلاص له و بعد أن ترك الازهر عين محررا للجريدة لرسمية ثم اشترك فى الحوادث العرابية فنفى فى سوريا فاشتغل فيها بالتعليم ثم عفا عنه الخديوى توفيق باشا وعين قاضيا بالمحاكم الاهلية ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف ثم انتهى اليه منصب الافتاء

وقد دخل الشيخ محمد عبده مرارا فى مناظرات سياسية متعلقة بالبلاد وكتب جملة رسائل ومقالات وتناظر بالكتابة مع المسيو جبرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا مناظرة كان لها دوى عظيم فى العالم الاسلامى

كان الشيخ محمد عبده كما قلنا عالما من الدرجة الأولى فخسر العالم الاسلامى بموته خسارة كبرى وماذاع خبر وفاته المحزن حتى قدم إلى الاسكندرية مساء أمس ألوف مؤلفة من المسلمين بعضهم من القاهرة و بعضهم من الارياف ليشهدوا جنازته

الجنازة

فى نحو الساعة العاشرة من صباح اليوم نقلت جثة الفقيد المأسوف عليه من

منزل سعادة محمد راسم بك بمحطة صفر فى عجلة مخصوصة من عجلات الترام يصحبها محروس أفندى عبده والشيخ على عبده أخوا الفقيد وصاحب السعادة مظلوم باشا ناظر المالية وأحمد يحيى بك من أعضاء المجلس البلدى النائب عن مدينة الاسكندرية فى مجلس الشورى وعزيز كحيل بك من مستشارى محكمة الاستئناف الأهلية وسعادة محمد راسم بك المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا (كذا) وعدة من الأعيان الذين جاءوا من القاهرة ومن القرى لهذا الغرض ولما بلغت الجثة محطة الرمل حملها عدة من الأعيان على أعناقهم فى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة وسلك المشهد شارعي الرمل فالنبى دانيال يتبعه تلامذة مدارس العروة الوثقى ومكارم الأخلاق بموسيقاهم ورجال البوليس تحت قيادة اليوزباشى على أفندى حمدى وفصيلة من عساكر خفر السواحل تحت قيادة البكباشى استانى وفريق من عمال الجمارك تحت إمرة مأمور منها وكان يتبع الجنازة فرقة من عساكر البوليس الفرسان تحت إمرة يوزباشى وأمامها علماء الأسكندرية وقاضيها وطلبة جميع المساجد وشيخ العلماء ومن ورائهم أصحاب السعادة حسين فخرى باشا قائمقام الجناب الخديوى ورياض باشا رئيس مجلس النظار سابقا وعبانى باشا ناظر الحربية ومظلوم باشا ناظر المالية ووراء الجنازة المستر فندلى متولى أعمال أعمال الوكالة البريطانية فى غياب اللورد كرومر والمستر انس وكيل نظارة المالية وابراهيم نجيب باشا وكيل الداخلية وعزت باشا وكيل الخارجية وصالح ثابت باشا رئيس محكمة الاستئناف الأهلية وحافظ بك محمد وكيل محافظة الاسكندرية وسعادة الميرالاى هوبكنس بك حكمدار البوليس بملابسه الرسمية وقضاة المحكمة الأهلية والمحامون وزكى بك سكرتير مجلس النظار ويعقوب باشا ارتين وكيل نظارة المعارف وموسيو رالى وكيل المجلس البلدى واسماعيل صدقى بك سكرتير البلدية العام وموسيو برند القائم برئاسة مجلس القومسيون وزنايرى بك سكرتير هذا المجلس وشاهين بك مكاريوس صاحب المقطم ورشيد بك شميل صاحب البصير ووكلاء الجرائد وحسن بك مظلوم السكرتير الخصوصى للموسيو شيتى بك مدير عموم الجمارك الجليل وميشيل أيوب بك مراقب عموم الجمارك وسعادة عبد الحليم عاصم باشا

مدير الأوقاف وسعادة محمود فهمى باشا مدير أقلام المعية السنية (السابق) وشرامانى بك رئيس قلم قضايا الحكومة وحسين أفندى كامل بالنيابة عن صاحب الدولة جلال الدين باشا

ولما بلغ المشهد مسجد النبى دانيال صعد جميع المؤذنين على المنارات وبرروا روح الفقيد ثم سار المشهد إلى محطة الباب الجديد وهناك دخل جميع المشيعين وعزوا أخوى الفقيد الذى لم يعقب ذكورا ثم وضعت الجثة فى عجلة مختومة وسار بها القطار المخصوص من الاسكندرية فى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر مصر حيث يحصل الاحتفال الرسمى بالدفن فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم . اه

وجاء فى عدد هذه الجريدة الصادر فى ١٣ يوليه ماترجمته

أتانا من مكاتبنا بالقاهرة هذه الرسالة وهى :

القاهرة فى ١٢ يوليه سنة ٩٠٥

شيعت جنازة المأسوف عليه الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بعد ظهر اليوم بمحضر من جميع سكان القاهرة الذين عمهم الحزن وفيهم عدة آلاف من أصدقاء الفقيد ومن المعجبين به ولقد ساعد خلو الجنازة من المظاهر التقليدية وبساطة المشهد على جعلها مهيبين وزادهما مهابة ما كانت تثيره الجنازة فى طريقها من عواطف الحزن والأسى فى نفوس الناس

ولمابلغت جثة الاستاذ امام الشريعة الاسلامية فى القطر المصرى محطة مصر فى الساعة الثانية بعد الظهر على قطار مخصوص نقلها بعض طلبة الأزهر الى قاعة استراحة الدرجة الاولى حيث التف حولها جميع أكابر العلماء . يقرأون ويدعون الى ساعة قيام المشهد الذى لم يتحرك من ميدان باب الحديد الا فى الساعة الرابعة بالضبط

كان يتقدم النعش فصيلة من عساكر البوليس مشاة تحت قيادة البكباشى أحمد افندى عفت وكان النعش خلوا من الزخرف يحمله ستة من طلبة الأزهر

ويتبعه جميع علمائه وطلابه يتقدمهم الشيخ الشربينى شيخ الجامع [1] ومعهم طلبة مدرسة دار العلوم والمستشارون والقضاة وأعضاء النيابة والمحامون وحضرة على بك شاهين عن الجناب الخديوى وسعادة ابراهيم باشا فؤاد ناظر الحقانية نائبا عن الحكومة وسعادة محمد باشا صادق رئيس مجلس إدارة الاوقاف (كذا) وسعادة اللورد سسل باشا وكيل نظارة الحربية والمستر متشل مستشار الداخليـة والسير هوارس بتشنج باشا ومنسفيلد باشا حكمدار البوليس والقائمقام كولفيل رئيس أركان حرب جيش الاحتلال ووكيل المحافظة وحداد بك وكيل قسم الضبط وكثير من كبار عمال الحكومة ومن وراء هؤلاء الجم الغفير من رجال الدين وفقراء الجمعية الخيرية التى أنشأها الفقيد وسار بها فى سبيل الفلاح

سلك المشهد شارع نوبار فشارع كامل فميدان الاوبرا فشارع البوستة فميدان العتبة الخضراء فالموسكي ثم انتهى إلى الجامع الأزهر حيث صلى على الجنازة وقد كان مرور الجنازة بشارع الموسكي الكثير الزحام سببا فى تراكم الجماهير من الوطنيين الى حد أن حركة التجارة فيه كان يخشى عليها وهذا ما اضطر التجار الى إقفال حوانيتهم ولكن لم يحصل والحمد لله مايؤسف عليه و بعد أن صلى على الفقيد فى زمن قصير نقل جسده الكريم إلى المقبرة المعدة للمشايخ والعلماء وهى قرافة المجاورين

وقد كان فى توارد الجماهير من سكان القاهرة لتشييع الجنازة ما اخمد أنفاس القائلين بأن الفقيد لم يكن محبوبا من الامة المصرية

وقد برهن سكان أكبر مدينة اسلامية فى هـذا القطر على أنهم عرفوا أن يقدروا ما كان عليه الشيخ محمد عبـده من سمو الادراك وشدة الاستقامة والصلاح وسعة الفكر ورحمة القلب وليس من شأنى أيها القراء أن أكتب

(١) لعل الكاتب قرر ما كان يجب لا ماوقع بالفعل فان الشيخ الشربينى يومئذ كان مريضاً وحضر الى المأتم بعد الدفن وحلف أنه كان مريضا معتذراعن عدم الحضور فى تشييع الجنازة وان الذى كان يتقدم حضرات العلماء هو فضيلة قاضى مصر ومشايخ الجامع الازهر السابقون

لكم ملخص تاريخه ولكني لا أريد أن أختم هذه السطور قبل أن أؤكد على رءوس الاشهاد أن موت الشيخ محمد عبده قد فقدت به مصر زعيماً من أجل زعماء الحضارة الاسلامية

جريدة البورصة المصرية

جاء فى عددها الصادر فى ١٢ يولية سنة ١٩٠٥ ماترجمته

« آذنتنا رسالة برقية وردت صباح اليوم بوفاة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى منتصف الساعة السادسة من مساء أمس بالغا من العمر ٦٠ سنة وكان محبوبا عند المسلمين موقرا عند الاوربين المقيمين بمصر تخرج من الأزهر ثم عين محرراً للجريدة الرسمية ثم قاضيا بالمحاكم الاهلية ثم مفتيا للديار المصرية

« وقد نشر الشيخ محمد عبده عدة مؤلفات نفيسة منها تفسير بعض أجزاء القرآن ورسالته الحكيمة فى التوحيد

وصلت جثة الفقيد الى محطة القاهرة على قطار مخصوص الساعة الثالثة بعد الظهر

وجاء فى عددها الصادر فى ١٣ يولية سنة ٩٠٥ وصف تشييع الجنازة بمدينتى الاسكندرية ومصر على نحو ماوصفته الجرائد السابقة

جريدة الريفورم

جاء فى عددها الصادر فى ١٢ يولية وصف تشييع الجنازة بالاسكندرية على نحو ما وصفته الجرائد السابقة

وجاء فى عددها الصادر فى ١٣ يولية سنة ٩٠٥ وصف تشييع الجنازة فى القاهرة مختصرا وهو لايخرج عن معنى ماذكر وقالت ان المشهد كان خلوا من القراء وحملة المباخر وحملة المصاحف جريا على مذهب الفقيد

جريدة الامبرزيال التليانية

جاء فى عددها الصادر فى ١٢ يولية سنة ٩٠٥ خبر وفاة المفتي وتشييع الحكومة لجنازته كما جاء فى الجرائد الاخرى مختصرا

جريدة الفاردو بور سعيد

جاء فى عددها الصادر فى ١٣ يوليو وصف تشييع الجنازة بالاسكندرية كما وصفته الجرائد الأخرى

جريدة كايرون اليونانية

جاء فى عددها الصادر بالقاهرة فى ذلك اليوم بامضاء محررها مسيو كارافيا ما ترجمته

قضى مساء أمس المفتى الأكبر فى الديار المصرية بعد أن تراوح أياما بين الموت والحياة فخسرت مصر بفقده رجلا من أشهر أبنائها وأ كثرهم نوراً وعرفانا كما فقد العالم الاسلامى بوفاته عالما كبيرا ممتازا ولا نشك فى أن المصريين على اختلاف الأديان والمذاهب سيحزنون حزنا شديدا صادرا من صميم الفؤاد على ذاك الرجل الذى شرف فى حياته هذا الوطن المصرى . ولا غرو فان الفقيد كان فى حياته السياسية وحياته الدينية مستقل الفكر نزوعا إلى الحرية ، و إذا كانت مصر قد ارتقت إلى بعض مدارج التقدم الفكرى فان معظم الفضل فى هذا الارتقاء راجع إلى الرجل الذى تبكيه الآن . و إذا ظهر أناس يسوءهم ما أبداه الفقيد من سعة الفكر واستقلال الرأى وافراغ الجهد للنهوض بمصر إلى أعلى قمة الفلاح و إذا كان بين أولئك الناس من أراد أن يوقف مجرى التمدن الذى أراده الشيخ محمد عبده فان عددا كثيرا غيرهم فى هذا القطر يقدر قدر خطته و يعرفونه رجلا مصلحا محبا لخير بلاده . ولقدكان فى جميع المناصب التى تقلب فيها قدوة يجدر بكل مصرى ان يضعها نصب اعينه سواء كان فى عهده قاضيا أو أستاذا أو مفتيا

ولد الفقيد فى محلة نصر بمديرية البحيرة وقدم شابا إلى القاهرة فدرس فى الأزهر (و) على جمال الدين الافغانى من أ كبر فلاسفة المسلمين فى العصر الأخير . ثم عين استاذاً فى مدرسة اللغات سنة ٧٩ على أن المرحوم اسماعيل باشا شك فى اخلاصه له فعزله . ولما شبت نار الثورة العرابية اضطر إلى مزايلة مصر والالتجاء بمدينة بيروت حيث علم مدة فى إحدى مدارسها ونال على شهرة كبيرة ومقام رفيع بين أهلها ثم سافر إلى باريس وأنشأ جريدة مع أستاذه جمال الدين . وعاد إلى مصر سنة ٨٦ وعين قاضيا فى

الزقازيق ثم رقى بأهلية واستحقاق إلى وظيفة مستشار فى الاستئناف الأهلي ولما خلا منصب الافتاء عين فيه و بقى مفتيا محترم الرأى مستنير الفكر حتى ساعة مماته

٢

جريدة الطان الفرنسية

قالت فى عددها الصادر بباريس فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ ما ترجمته :

مفتى الديار المصرية

كتب إلينا مراسلنا الاسكندرى مانصه :

توفى الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى هذه الأيام برمل الاسكندرية حيث كان يتداوى فكان لوفاته تأثير بليغ فى نفوس الناس من وطنين وأور بيين لما كان له فيها من علو المنزلة وعظيم الاجلال

كان الشيخ ابن رجـل من المزارعين فى مديرية البحيرة حيث ولد سـنة ١٨٤٨ وتلقى دروسه فى الجامع الأزهر الذى قدر له أن يكون أستاذه الأكبر وخرج منه فى الثلاثين من عمره حائزا لشهادة العالمية

وكان أفضل أساتذته عنده وآثرهم فى نفسه الشيخ جمال الد الافغاني الحكيم الحر النظر الذى كان لأفكاره الراقية تأثير عظيم فى نفوس من تبعوه من ناشئة المسلمين ولمـا أبعد الشيخ جمال الدين من الجامع (١) بسبب نشر هذه الأفكار تبعه فى عزلته الشيخ محمد عبده الذى كان إذ ذاك مدرسا بمدرسة الألسن وعاد إلى مسقط رأسه فى البحيرة ولما عاد رياض باشا نصير الأفكار الجديدة إلى الوزاره عفى عن الشيخ محمد عبده وعين محررا للجرنال الرسمى العربى ولكن اختلاطه بالعصاة العرابين عن كره منه لاعمالهم العدوانية قد طرق إليه الشبهة فى نظر الحكومة الانكليزية فأمرت بالقبض عليه ونفيه ثلاث سنين عن مصر فتوجه إلى باريس حيث لقى أستاذه الافغانى وحرر معه جرنالا صغيرا يحتج فيه على أعمال الحكومة

ولما عفا عنه الخديوى توفيق باشا عاد إلى مصر ثم عين قاضيا بالمحاكم الأهلية

(١) الصواب من مصر وهو لم يكن مقيما ولا مدرسا فى الأزهر

ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف ثم مفتشا فى نظارة الحقانيـة ثم مندوبا للحكومة فى مجلس إدارة الأزهر ثم انتهى إليه منصب الافتاء فى ٢٠ يونيه سنة ١٨٩٩ بعد خلوه من سلفه النواوى الذى استقال منه

وسرعان ما ظهر نفوذه فى الأزهر من حيث حرية النظر فانه أدخل فيه دروساً لبعض العلوم الأوربية كالتاريخ البشرى والتاريخ الطبيعى والرياضة والحكمة ونشر رسائل ومقالات فى الجرائد والمجلات وتفاسير لسور من القرآن وكتابا فى التوحيد ولايزال الناس يذكرون مناظرته الكتابية المشهورة للموسيو هانوتو عقب مقال له فى الاسلام

كان المفتى نير الفكر محبا للاستطلاع فسافر إلى تونس والجزائر مختبرا معاهد العلم العربية فى تلك الديار وعلى إثر هذا السفر ظهرت فتواه المشهورة بحل أكل ذبائح الأوربيين ولبس ملابسهم فهاج عليـه ذلك غضب الحزب المستمسك بالقديم فحصل من الحكومة على عزله من إدارة الأزهر فـكانت هذه الخيبة قضاء مبرما على صحته[1] وقد كان على أهبة السفر إلى كرلسباد ثم إلى مراكش لولا ما عراه من أوجاع الـكبد المؤلمة فاضطره إلى البقاء فى الرمل حيث قضى نحبه

وقد كان هذا الرجل جليل القدر يصعب أن تعوض خسـارته والمرشحون لمنصبه هم الشيخ حسـونه المفتى السابق والشيخ فوده والشيخ سـالم بك مدير الجرنال العربى عرفات (كذا كذا كذا)

جريدة التيمس الانـكليزية

جاء فى عددها الصادر بلندن فى ٢٢ يوليه سنة ١٩٠٥ ما ترجمته

كتب إلينا مراسل من القاهرة فى ١٣ يوليه ينعى لنا مفتى الديار المصرية فقال :

---

(١) انما استقال الفقيد من الأزهر للاسباب التى اضطرت شيخ الأزهر إلى الاستقـالة فهو لم يعزل ولم يكن للحزب القديم يد فى استقـالته ولا للحكومة ولا علاقة لتلك الفتوى بذلك . ثم ان مرضه قد ظهر فى أثناء سفره فى السودان قبل حادثة الأزهر

توفى الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى ١١ يوليه بمقامه على شاطىء البحر قريبا من الاسكندرية وكان ميلاده فى مديرية البحيرة سنة ١٨٤٨ و بعد أن أتم دروسه فى معهد التعليم المحمدى بالقاهرة وهو الجامع الأزهر عين محررا للجرنال الرسمى ثم اتهم بالاشتراك فى الثورة العرابية ونفى من وطنه فى سنة ١٨٨٢ فأقام بسوريا حيث استأنف مدارسة العلوم الدينية وفى سنة ١٨٩٢ عفى عنه فأعادته الحكومة إلى خدمتها بتولية القضاء فى إحدى محاكم الأقاليم الابتدائية ولم يلبث أن عين مستشارا فى محكمة الاستئناف الأهلية بالقاهرة حيث وجد مجالا ملائما لترويض ملكاته الفائقة وفى يونيه سنة ١٨٩٩ اختاره الخديوى لمنصب الافتاء الرفيع وربما لا يوجد فى كبار المصريين من يفوق المرحوم المفتى فيما كان يبذله إلى اللورد كرومر من المساعدة فى سبيل ترقية سياسته الاصلاحية بمصر إلا قليلا فقد كان للمفتى تأثير عظيم فى نفوس الأمة المصرية استخدم مدة وجوده فى عمله مع الحكمة والبصيرة

وقد احتفل بتشييع جنازته يوم ١٢ يوليه بالجامع الأزهر بمشهد من جمهور عظيم من الأمة لم يغب عنه واحد من الكبراء المقيمين بالقاهرة . اهـ

الديلي كرونكل الانكليزية

وجاء فى عددها الصادر بلندن فى ٣١ يوليه سنة ١٩٠٥ ما ترجمته :

المفتى

شيخ مصر العظيم وأمانيه

بقلم هارولد سبندر

قالت جريدة « الديلي بيبر » « توفى مفتى الديار المصرية وهو رئيس علماء الدين المحمدى فى مصر وشيخ الجامع الخاقان (كذا) وكانت وفاته فى مصيفه بالقرب من الاسكندرية بالقطر المصرى » .

هكذا مات المفتى ولقد قضيت مع هذا الشيخ المصرى الجليل فى شهر

مارس الماضى يوما حقيقا بالذكر فى مزرعة المستر ولفرد بلونت الأنيقة المجاورة للمطرية بالقرب من القاهرة

كان يوما من أيام مصر المحبوبة فى أوائل شهر مارس شربنا فيه الشاى تحت شجرة جميز وارفة الظلال فى بقعة تعرف بضريح الشيخ وقد تباحثنا فى مسائل كثيرة فانساق الحديث إلى ذكر الثورة العرابية وأخذ المستر بلونت يصف احتشاد الشبان المتهورين الذين التفوا على عرابي وسقوطهم بانكساره مبعثرين فى وهاد النفى والموت وإذ ذاك سألته سؤال الأعمى المتلمس فقلت وهل بقى منهم أحد إلى اليوم فكان جوابه نعم يوجد الآن منهم رجل من أشهر رجال مصر وهو جارى وصديق حميم لى ألا وهو مفتى الديار المصرية كان المفتى كالكردينال مانتنج يقايض السياسة بالدين وقد بلغ هذا المتصيد من فواته فى الحذق والجدارة مبلغا ألزم الخديوى واللورد كرومر بتعيينه رئيسا لرجال الدين فى مصر

إلى هنا أمسك المستر بلونت عن الكلام ثم التفت فجأة لسماعه طقطقة حوافر فرس فقال هاهو الرجل عينه فالتفت مثله فاذا أنا بصورة انسان يقول رائيها إنها برزت من كتاب العهد القديم رأيت شيخا حسن البزة جهيرا ممتطيا فرسا عربيا كميتا جميلا مقبلا نحونا على هونه عليه الاردية الطويلة التى لاتزال تمنح الانسان فى بلاد المشرق رونقا ورواء وفوق رأسه العمامة الكثيفة التى هى الوقاية الحقيقية من حر الشمس ولما انتهى إلينا ترجل وتلطف ، فى تحيتنا . وتناول معنا فنجان شاى وأنشأ يحادثنا لفرنسية الصحيحة.

كان حديثه حديث مراقب مفكر وقف يرقب الحوادث من مكان بعيد وتمنى فيما سبق أمانى كبارا ولكنه تخلى عنها تخليا كليا وكنت ألمح فى عينيه ذلك الابتسام المشوب بالكآبة والرحمة الذى لايرى إلا فى وجوه من قاسوا كثيرا من الاهوال والشدائد

ومما قاله لنا « لقد طلقت السياسة فلن أشتغل بها بعد » ولقد كان اشتغاله بها مبنيا على مقصد شريف صدق فى المحافظة عليه على أنه قد كان من البين أن نيران غيرته القديمة كانت لاتزال مشتعلة فى نفسه وقد كان المفتى من المعجبين

المخلصين باللورد كرومر غير أنه كان يبدو من خلال حديثه حينا بعد حين وميض انتقاد لنظام الحكومة كله ناشىء من انبعاث حبه الغريزى للحكومة الوطنية بعد موته كان الشيخ محمد عبده زعيم أفكار

كنا نتباحث مثلا فى سبب كون الحكومة الانكليزية المصرية تقلد ولاية الاقاليم غير الصالحين من المصريين غالباً فبادر المفتى مجيبا عن ذلك بأن العلة فيه هى أن لاشىء أقرب إلى الغش والانخداع من حكومة أجنبية

غير أن هذه المعروضات من آرائه كانت نادرة لأن عقله فى الحقيقة كان قد مر على هذه الأفكار وتجاوزها إلى ماهو أدق منها من النتائج فانه كان فى سنى نفيه الطويل دائم الفكر فى عيوب الشرق ورجع من منفاه مملوءاً حميه جديدة وكان يريد أن يؤثر فى نفوس الناس بما هو أدخل فيها من السياسة فكانت سياسته عبارة عن دعوة إلى الحرب الفكرية وقدسألناوهومن المسلمين المستمسكين بدينهم قائلا : لماذا يديم الإسلام العصرى محاربة علم الغربيين ولماذا لايستمسك أهله بآدابهم الدينية؟ بل لماذا لايرجعون إلى ماكان عليه أسلافهم من التمحص فى طلب العلم ؟ أعنى ما كان لمتنورى المغاربة من حرية الاعتقاد الذى صارت به بلاد الاندلس ينبوع نور وعرفان بل لماذا لايفكرون فى مقصد نبيهم نفسه ؟

ان عملا واحداً من أعمال المفتى يدل على شدة سعيه فى بلوغ غرضه وفرط ولعه به ذلك انه كان كثير الاعجاب بالحكيم هربرت سبنسر وكانت نفسه تائقة لزيارته وكان سبنسر إذ ذاك شيخا كبيراً ممتنعا من مقابلة الناس بل جافيا فى مقابلة المعجبين به غير ان همة المفتى قدذللت كل هذه الصعاب فأقنعه المستر بلونت بان يقابل هذا المصرى القاصد إلى زيارته فقطع له المفتى أجواز البحار إلى انكلترا لمحادثته وياله من اجتماع باهر تلاقى فيه الشرق والغرب

ثم عين المفتى شيخا للجامع الهارون (كذا) الذى هو مجتمع عشرة آلاف طالب وفدوا اليه من جميع أقطار العالم المحمدى وإذا كانت أفكاره كالتى عرفتها فكيف كان يمكن أن يعمى عن رؤية قوته فى هذا المنصب الجديد فقد كان فى

مكانه أن يبث من هذا المجتمع فى العالم الشرقى قوة الأفكار الغربية من حيث إنها قوة جديدة محيية وقد ملكته هذه الفكرة وأنشأ يعمل لتفكيرها بهمة متقدة وعزم ماض .

غير أنه لم يمض عليه إلا ثلاثة شهور من يوم محادثتنا حتى عزل من منصبه بسعى العلماء المضادين لمقاصده وأفكاره فاعتزل العمل فى مصيفه حيث قضى نحبه وربما كان موته مسببا عن انكسار قلبه وخيبة آماله لأن القلوب قد تنكسر أحيانا

مستقبل مصر .

يحضرنى الآن مشهد ثان جلى من مشاهد وجودى مع المفتى ألا وهو اجتماعنا فى الحجرة الداخلة المعدة للضيوف فى الشيخ عبيد حيث جلسنا تلك الليلة بعد تناول العشاء وتجاذبنا أطراف الحديث فلا يغيب عن ذاكرتى شيء منه فأرى سجاجيد تلك الحجرة النفيسة وجدرانها العارية من الأستار ومواد الزينة ومافيها من الفوانيس الشرقية الغريبة التى تدع بقعا سوداء من الظلام فى زواياها ومحيا ذلك الشيخ المتفرّس مجتلى الطلاقة والوقار وهو يحدثنا عن مستقبل مصر .

كان قلبه يصبو إلى نوع من الحكومة الشورية فى عهد ولاية الحكومة الانكليزية وكان يؤمل أن اللورد كرومر يمن بها يوما على بلاده وقد رسم لنا خطة هذه الحكومة رسما مفصلا أرانا به أنه كان كثير التطلب لها والتنقيب عنها .

على أنه لم يكن مغتبطا مطلقا من سوء أثر اقتداء المسلمين بالأوربيين فمما قاله فى ذلك : إنهم يرونك تشرب فيقلدونك ، غير أنهم لايفهمون اعتدالك فى الشرب فإذا شربوا شربوا ليسكروا وقص علينا قصة محزنة عن كثرة شرب الخمر فى الوجه البحرى

وآخر عهد لى برؤية ذلك الشيخ البار الكريم أنى رأيته جالسا فى غرفته الصغيرة بالأزهر وهذه الغرفة فى برج عال يشرف منه المطل على ذلك السوق العلمى العجيب الواسع الأرجاء حيث يتلاقى الطلبة المسلمون من أقصى صحارى الجنوب والطلبة الوافدون من بغداد و يجلسون على بلاط متلاصقين وحيث يختلط

لفظ اللغات المختلفة وترتيل القرآن و إرشاد المعلمين بما يكون من المكاء الشديد الذى يصدر من الطلبة حال جوس ذلك الكافر المستطلع المسالم خلالهم .

كان المفتى يشرف على كل ذلك و يتنفس الصعداء من عمله الموحش الجليل قائلا « ها أناذا كما ترونى وحيدا ليس لى من الأساتذة من يساعدنى ولامن دعاة الخير من ينصرنى أريد أن أعلم فى هذا الجامع شيئا نافعاً بدلا من هذه الشروح العتيقة البالية الخالية من المعنى التى هى أضر من كتبكم القديمة المؤلفة فى القرون الوسطى — قال ذلك وهو يشير إلى عمود من الكتب الضخمة مستند إلى جدار الغرفة — ولكن هل أجد من يساعدنى على ذلك و إن لم جد فهل أفلح فيه وحدى؟

لم يلبث أن جاءه الجواب عن هذه المسألة فإنه قد أفرط فى بسالته بمحاولته ماكان يحاوله «لأن الأرض فى غاية الصلابة » على أنه ربما كانت هذه المحاولة غير ضائعة كلها وعلى كل حال فليس الأزهر أول مدرسة رجمت أنبياءها . اه

يقول جامع الكتاب إن كثيرا من الجرائد الأوربية المختلفة قد أبنت إمامنا المرحوم أحسن تأبين ولكن لم يتح لنا جمعها بل لم يتح لنا ترجمة جميع الجرائد الافرنجية المصرية وما نشرناه كاف فى بيان منزلة فقيدنا عند سائر الأمم بالاجمال

اقوال الجرائد
التركية والفارسية

﴿ مجلة اجتهاد التركية الفرنسية ﴾

جاء فى العدد التاسع للسنة الأولى من هذه المجلة لصاحبها الدكتور عبدالله بك جودت ماترجمته :

﴿ الأموات الذين لايموتون ﴾

الشيخ محمد عبده

كنا ذكرنا فى العدد السابق عند تعرضنا لسيرة الدكتور كوستاف لوبون مشروع الشيخ محمد عبده العلمى ألا وهو نقل كتاب الدكتور المومى إليه المسمى بمدنية العرب إلى اللغة العربية . وبعد نشر العدد المذكور ببضعة أيام أتم الموت عمله المشؤوم ولفظ الشيخ محمد عبده آخر أنفاس حياته فى مدينة الاسكندرية

كان الشيخ محمد عبده بلا خلاف أحد النابغين الذين لايدخلون فى طبقات الرجال واللانهاية هى الحد الوحيد الذى ينتهى اليه علمهم . وألمهم الساكت تردد صداه هيمات التعاسة البشرية فى الاجيال المستقبلة . وقد أسعدنا الحظ بمحادثته وسماع كلامه فى جنيف سنة ١٨٩٧ ومن العبث أن نحاول هنا تمام التعريف بحقيقة أمر هذا النابغة المملوء علما وغيرة . ومما انتقش من كلامه فى ذاكرتنا قوله « الحقيقة التى تنطق بها وحدك بين أربعة جدران لابد أن يكون لها نتيجة وتأثير فى سير الانسانية العقلى » .

كفى بهذه الكلمة تقوية لنفوسنا وتشديداً لعزائمنا

الشيخ محمد عبده كان مسلما حقيقيا على قدم النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعرف

أن من أراد نفع أمته يلزمه أن لا يقيد نفسه بقيود وأن يكون حرا فى أقواله بقدر ماهو حر فى أفعاله .

أهدانا حضرة محمد طلعت بك حرب نسخة من ترجمتـه الفرنسوية لرسالة الشيخ محمد عبده الشهيرة « أوربا والاسلام » صدرها بمقدمة سنـأتي على ذكرها بخصوصها فى محل آخر . وقد ألحق بهذه الترجمة سيرة حياة مفتى مصر الـكبير وها نحن نقتبسها بتمامها فى مايلى : (ونقل الترجمة وتقدم ذكرها)

وجاء فى العدد الحادى عشر من هذه المجلة أيضا ماترجمته :

﴿ الاموات الذين لايموتون ﴾

الشيخ محمد عبده

مضى حين من الزمن على وفاة الشيخ محمد عبده الذى كان مفتيا للديار المصرية والذى كان أول عالم عامل ذى همة عليا فى كل العالم الاسلامى فى زمننا هذا وقد كنا نشرنا فى القسم الفرنسى من مجلتنا الاجتهاد رسم هذا الراحل إلى الدار الباقية مع نبذة من ترجمة حاله . كان الشيخ محمد عبده مسيحاً ثانيا ، منح للعالم الاسلامى الذى كان دوى سقوطه يصخ مسامع ذوى الوجدان ، ويمزق أحشاء أصحـاب الايمان ، لم يكتف الشيخ بدرس أحوال الشرق فقط بل درس الغرب أيضا أكثر مما درسه كثير من علماء الغرب نفسه وقد عرف داءنا وأسبابه ودواءه من العلم وبالجملة فان الشيخ بتدقيقاته واجتهاداته الدينية والدنيوية أظهر وأثبت ما ورد فى معنى البيت الفارسى الآتى :

طريقت بجز خدمت حلق نسيت بتسبيح وسجاده ودلق نيست (*)

كان من أثر صحبة الشيخ محمد عبده لجمال الدين الأفغـانى وملازمته له أن زادت منه هذه الحـكمة البالغة حتى اتخذها ديدنا له وقائداً لفكره ولوجدانه ولذلك

(*) معناه أن الطريقة ليست بخدمة البطن وحمل السبحة ولبس الخرقة والجلوس على السجادة .

كنت تراه عند مايفسر القرآن الكريم فى الجامع الأزهر يسرد هـذه الحقائق من أحكام الشريعة الغراء الكافلة لسعادة الدارين فكان ينير بصائر الناس بما أنعم الله عليه من نور فيضه الصمدانى

وحسبنا فى بيان مرتبة هذا الامام فى العالم الانسانى أن نقول (إنه كان مسلما حقا) ولا يخفى أن الاسلام يتلاقى مع السلام والسلامة فالمسلم الحقيقى هو الذى يفكر ويهتم دائما فى راحة عباد الله وتعيمهم فى الدنيا والآخرة و يمتاز بالخدمة فى سبيل سلامة الناس بما يبذله من الهمة العالية المقبولة عند الله. قال سيد أصحاب الهمم سيدنا محمد ﷺ (خير الناس أنفعهم للناس) فهذا الحديث الشريف يثبت هذه الحقيقة الجليلة الاجتماعية .

مضى كل عمر المغفور له الشيخ فى جهاد أدبى مستمر فكان يشتغل باظهار الحق والحقيقة والدفاع عنهما ومقاومة العسف والباطل وردهما. فهذا لاريب جهاد أدبى سيجعل من يموت فى سبيله أفضل الشهداء . وأعاظم الناس هم الذين يقضون أوقاتهم العزيزة وحياتهم الثمينة لإيقاظ عباد الله من سبات الغفلة ونشر العلوم بينهم كما فعل الشيخ محمد عبده رضى الله عنه ، هم من نوادر الدهر وهم أحياء و إن غابوا من هذه الدار لأنه (لايموت من يجود بنفسه فى سبيل العلم) نسأل الله أن يكثر من أمثال أصحاب الهمم العالية آمين

﴿ جريدة « شوراى امت » التركية ﴾

جاء فى عدد ٨٠ من هذه الجريدة التى يصدرها فى القاهرة أحمد بك صائب ما ترجمته :

(تأسف عظيم)

جاء نبأ وفاة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى الاسكندرية فكان أسفنا عظيما .

لم يك المرحوم شيخ الديار المصرية فقط بل هو جدير أن يكون شيخ البلاد

الاسلامية كلها ، أن عمره الذى تجاوز الخامسة والخمسين كان مقصورا على التحقيق والتدقيق ، وكان أمله أن ينور أفريقيا وغيرها من البلاد الاسلاميـة الخابطة فى ظلمات الجهل ، ولقد كان أكابر مشهورى علماء أوربا يرجعون اليه فى أشيـاء من العلوم والأدبيات الاسلامية ، وكان رحمه الله من خير الناس ، ولو ترجمت مؤلفاته النفيسة إلى لغتنا لاستفيد منها فوائد عظيمة . ومنذ مدة نرى العالم الاسلامى غير مستعد أن يخرج مثل الشيخ محمد عبده لأن أمراء المسلمين ورؤساءهم لا يروق لهم إلا الرياء والنفاق ولا يأخذون إلا بأيدى المرائين المنافقين فلا ريب هم يكرهون العلوم وأربابها ولذلك كان فقد الشيخ محمد عبده خسارة عظيمة مؤلمة .

جريدة جهره نما الفارسية

جاء فى العدد الصادر من هذه الجريدة بالقاهرة فى ١٥ جمادى الثانية لصاحبها الفاضل ميرزاح . م . عبد المحمد ماترجمته « والشعر عربى »

يا أيها الدهر الخئون قتلتنا * لما غدرت بفاضل لا يغدر
قد كان للاسلام أكبر ناصر * والآن مات فمن سواه ينصر
أطفأت نوراً للبلاد فأظلمت * مصر وباتت بالنوائب تعثر

من البديهيات أن كل فرد وجد من العدم فمصيره إلى العدم لا محالة ، ولا بد لكل فرد من البشر أن يتجرع كأس المنون قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) فياطوبى لنفس تسمع الخطاب من رب الأرباب بقوله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) فاذا نظرت الى الرسل والأنبياء وغيرهم تراهم شربوا هذه الكأس ولم يكن لهم مفر من الموت وكان عزرائيل يدور معهم أينما داروا حتى أذاقهم من هذه الكأس شراب (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)

نعم إن الناس و إن تساووا فى الخلقة من حيث التركيب ولكن منهم أناسا يمتازون عن غيرهم بالعلم والمعرفة و يدركون كنه قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أى ليعرفون وهؤلاء يتصلون بالعبادة وقوة العلم والمعرفة إلى أرقى

درجات الملائكة المقربين كما قيل (فمن غلب عقله على هواه فهو أعلى من الملائكة) وكقوله عز من قائل (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

فحينئذ ترى ان حيوانا ناطقا صار إنسانا كاملا وقاد العباد بصائب فكره وساس البلاد بسديد رأيه وأصبح مصداقا لقوله تعالى (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فاذا انكسفت بموت أحدهم شمس من شموس الحقيقة وانخسف بدر من بدور الشريعة تنطفىء الأنوار وتظلم الآفاق ويعترى الناس الذهول كما وقع عند ما لما أن نعى الناعى (الشيخ محمد عبده) مفتى الديار المصرية عند مالبى دعوة ربه ورفرف إلى ملاقاة بارئه

وكان المرحوم المغفور له علامة دهره : ونادرة عصره ، وكان للشرق فليسوفا ، وللاسلام سندا وظهرا ، وبحراً فى العلوم المقولة والمنقولة ، وبطلا مغوارا فى شؤون السياسة ، وكم يمرّ من القرون حتى يربي لنا الدهر عالما عاملا ، فاضلا ، كاملا تقيا نقيا مثل هذا الفقيد ؟

وكان صعود روحه الشريفة إلى الحظيرة القدسية فى اليوم الثامن من شهر جماد الثانية سنة ١٣٢٣ فى الاسكندرية وأرسلت جنازته إلى مصر بقطار خاص مشيعة من الرؤساء والعظماء من العسكرية والملكية والألوف المؤلفة من العلماء والاهالى بهيئة ملوكانية . اللهم اغفر له وارحمه رحمة واسعة . .

جريدة حكمت الفارسية

جاء فى هذه الجريدة التى يصدرها فى القاهرة الدكتور محمد مهدى خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء فى العدد ٨٥٢ الصادرة فى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ ماترجمته

إنا لله و إنا إليه راجعون

وكانت فى حياتك لى عظات * فأنت اليوم أوعظ منك حيا

أصيب جسم الانسانية بمصيبة ذهبت بقواه ، نعم لقد انطفأ سراج المدنية الاسلامية المنير ، نعم دك طود العلم والفضل ، نعم قد انكسفت شمس البلاغة والفصاحة المنيرة وتوارت وراء الظلام الحالك ، نعم قد سمدت أرض الجودة المنبتة ، نعم لقد

انحلت رابطة الوداد والرأفة ، لقد انصدعت مبانى المعانى ، وغدا البيان بغير مبين ، وعقل نطق المنطق ، وغدا الفقه ، بغير فقيه ، واجتثت أصول الأصول ، وصار التفسير بدون مفسر ، والحديث بدون محدث ، وأغلق باب المنقول ، وبات المعقول بلا معقل ، وتفرقت الحكم والحكميات الاسلامية أيدى سبا ، وأصبحت اليتامى والأرامل بغير ملجأ ، وفقد مرجع الخاص والعام ، وأمسى الافتاء والفتاوى بغير مفت أعنى أن الشيخ محمد عبده رفع إلى الجنة

كيف لا وشرحه لنهج البلاغة ، موجود ، وكتابه فى التوحيد مشهود ، كيف لا وتفسيراته للقرآن المجيد حاضرة ، وأعين المسلمين اليها ناظرة ، كيف لا وكان محب آل بيت النبى ﷺ وزعيمهم وكان مفطورا على حبهم ، كيف لا وقد كان صاحب عزم متين ، وذا حزم مكين ، كيف لا وقد كان عدوا للظلم والاستبداد ، ومحبا للعدل والرشاد ، كيف وقد كان أنسا للمساكين ، وغوثا للبائسين والملهوفين ، كيف لا وقد كان مؤسس الجمعية الخيرية ومشيد أركانها ، كيف لا وهذه آثاره فى القضاء وفتاويه وقوانينه للجامع الأزهر ومجلس الشورى والأوقاف الخيرية والعمومية . والمحاكم الأهلية والشرعية كلها ناطقة بفضله ، كيف لا وهو صديق صباى وخلى الوفى لأنه فى هذه المدة التى تبلغ أربعين سنة لم يجرح لى عاطفة بقول ولا فعل وكان أنيسى فى خلوتى وجلوتى ، ومعينى فى شدتى ، وكان يتعاهدني فى السراء والضراء ، وكان يسوءه مايسوءنى و يسره ما يسرنى .

هذا هو الرجل الذى كان أمة فى نفسه ، ومفردا علما فى أمته ، قد أسلم روحه الشريفة إلى بارىء النسم ومضى يخطر إلى جوار ربه باسما

وذلك فى أصيل يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الأولى برمل الاسكندرية

زمردن تو بمرد دم جه لاف مهر زنم

كه خاك برسر من باد ومهرباني من[1]

فاجأنا نعيه والجريدة قد تم إعدادها للطبع وسنشرح فى الأعداد القادمة ترجمة حياة هذا المرحوم الذى كان المجن الذى يتقى به البلاء الاسلام والمسلمون

(١) ترجمة البيت : يا صديق الصبا كيف أدعى حبك وأنا لم أمت لموتك

ثم قال فى العدد ٣٩٧ الصادر فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٤ ماترجمته لوأردنا أن نوفى : الشيخ الأستاذ قدس الله سره حق المدح والثناء ، والتأبين والرثاء لطال بنا المقال فالاحسن أن نشتغل بأصل المطلب ونزيح الستار عن وجه المقصد لعلنا أن نصل إلى ذلك الأمر المقصود و يصير الشاهد عين المشهود

فأشرعنا لنا فى ذلك طريقا دليلنا فيه مجلة المنار الشريفة لأن اقتفاء أصول وفصول هذه المجلة الصحيحة فى هذا العمل هو — على مانعتقد — عين اقتفاء المذهب المختار على اننا سنجيل الطرف فى غيرها من المجلات والجرائد حتى لانغادر شيأ يعتد به فلنشرع الآن فى شرح ترجمة حياة هذا الرجل الذى هو مستودع غايات العظمة ونبدأ ببيان أصله ونسبه ومولده الشريف فنقول اه

جريدة (أدب) الفارسية

جاء فى العدد ١٦٥ من هذه الجريدة التى تطبع فى طهران لصاحبها أديب الممالك وقد صدرت الترجمة بصورة الفقيد

هذا الرجل العظيم . والفاضل الكبير الذى يجوز أن نعده مفخر الإسلام والعرب والمصريين ولد فى ١٢٥٨ وكان والده من كبار فلاحى محلة نصر لم يكن ذا ثروة معدودة وكان يجبر أولاده على الفلاحة ولكنه كان يرى فى جبهة صاحب الترجمة أمارات الذكاء والعقل فلذلك أراد تعليمه دون إخوته فتعلم عشرة أشهر فى كتاب بلده ثم طلب العلم فى الجامع الأحمدى بطنطا ثلاث سنوات ثم توجه إلى الجامع الأزهر واشتغل بتحصيل العلوم ولكن لم يصل إلى مقصوده وكان ينسب ذلك إلى سوء طريقة التعليم فى الأزهر . على أنه كان بما أوتيه من الذكاء الفطرى والاستعداد العظيم كان يستفيد كثيرا من المطالعة وكان دائم الفكر والاشتغال لايضيع شيئا من وقته حتى جاء إلى مصر السيد جمال الدين المعروف بالافغاني الذى هو من أهالى أسد آباد (همدان) وكان الحكيم الأول فى فلسفة الإسلام وذا اليد الطولى فى الفلسفة المشرقية والعلوم الدينية وفنون اللغة العربية فابتدأ السيد يقرأ المنطق والفلسفة والعلوم العالية فى

الأزهر (الصواب فى بيته) فتبعه قوم من الفضلاء كان الشيخ محمد عبده فى مقدمتهم فلم يلبث السيد أن نفخ فيهم روح الفلسفة والعلوم ولكنه كان يخص بعنايته الشيخ محمد عبده ويلقى إليه مالا يلقيه إلى غيره لما رآه من كمال استعداده وبتلك الدروس انشق حجاب الجهل الصفيق الذى كان يحول دون العلم الحقيق وكان صاحب الترجمة مقدما عند السيد على اخوانه من كل جهة وآية ذلك أن السيد جمال الدين قال لتلامذته لما خرج من مصر اننى أغادر مصر تاركا لكم الشيخ محمدا فهو حسبكم وحسب مصر

وكان هذا الشيخ الجليل يشتغل بعده بالتدريس والتحرير حتى ظهرت الثورة العرابية فكان رحمه الله يحذر قومه من وخامة عاقبتها فكان دخوله معهم للتمكن من النصيحة ثم كان ماكان مما لاحاجة إلى شرحه · ولمكانة الشيخ العالية أخذ فى تلك الفتنة ونفى إلى سوريا فلما رأى أهلها ماكان عليه من سعة العلم وقوة العقل وكمال الأدب حوموا عليه واختاروه أستاذا لبعض مدارسهم .

ثم غادر سوريا إلى باريس لملاقاة أستاذه السيد وهناك أنشأ جريدة العروة الوثقى التى كانت مكانتها فى الإسلام مما لايحيط به الحد وكان الشيخ هو المحرر لها

ثم عاد إلى مصر وكانت تغيرت الأطوار فيها فكان المرجع العام والكعبة للانام حتى صار رئيسا لمدرسة الجامع الأزهر ومفتى جميع الديار المصرية . وكم تحمل من الايذاء فى سبيل الإسلام . وقد صرف معظم همه إلى تفسير القرآن المجيد فكان بيانه فيه قائما على دعائم الحكمة والفلسفة والعلوم الحديثة ومجلة المنار فى مصر مظهر لخلاصة تحقيقاته وزبدة معارفه

وقد دعى إلى ربه فى أواسط يوليو الموافق ٨ جمادى الثانية فلبست الجرائد الاسلامية عليه أثواب الحداد، ونشروا نعيه فى كل قطر وواد ، ورثاه الشعراء بالقصائد البليغة ولبس الرؤساء لفقده أثواب الحزان واعطوا الرثاء والتعزية حقهما رحمه الله رحمة واسعة

جريدة تربيت الفارسية

جاء فى العدد ٣٨٨ من هذه الجريده التى تصدر فى طهران عاصمة العجم لصاحبها زكاء الملك مدير المدرسة السياسية (٣ شوال سنة ١٣٢٤).

جواب سؤال مهم

كل من يسمع نعى المعلم الأول والاستاذ الأجل والفقيه الأعلم والحكيم الأفضل والفيلسوف الاسلامى الأعظم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية المعظم رضوان الله عليه ولم يبلغ منه الاسف أقصى درجاته فهو يجهل قدر هذا الرجل الجليل المبرور ومقامه العالى فى الشريعة الاهلية أو هو ....

سأل هذا العاجز بضعة نفر من كبار رجال الاصلاح وزعماء الاتحاد الاسلامى عن السبب فى ترك نشر خبر ارتحال وترجمة حال عالم معالم الحكمة وعارف معارف الحقيقة وكان من اليسير على أن أجيب كلا عن هذا السؤال برقيم خاص ولكن أردت بنشر الجواب فى الجريدة أن أرفع الشبهة من قلوب سائر الناس لكيلا يقولوا اننى غافل أو متغافل

إن من الاخبار ما يورث القلب الهم والغم ويبعث فى الفؤاد ما لا يطاق من الحزن والأسف والطبيعة البشرية ترغب عن نشر مثل هذه الاخبار التى يضطرب لها قلب الكاتب وترتجف يداه ولكن تدوين المآثر والآثار الجليلة لعظيم ذى عظمة وجليل ذى جلالة ورفعة مثل هذا الرجل الكبير هو نوع من الحياة الابدية إذ به يخلد ذكره الجميل على مدى الدهور وهو أيضاً فريضة محتمة على الكاتب فكتبنا ما يأتى مجملا فى جواب السائلين الكرام ليعلم القاصى والدانى أننا لسنا بغافلين عن مستحبات أمورنا بل واجبات أعمالنا ومافرض علينا.

ومع الاسف اننا عند ماسمعنا بهذه الغائلة الهائلة لم نكن نحيط خبراً كما يجب بتاريخ حياة هذا الاستاذ رضى الله عنه وكنا بفروغ الصبر ننتظر وصول أعداد (مجلة المنار) المعظمة التى هى السند الصحيح لجميع الروايات ولكن أضعنا الوقت ولم

تصل . وفى أثناء هذه المـدة كنا نشتغل بنشر قانون حمورابى الذى هو أقدم الشرائع فى العالم والآن قد وصلت أعداد المنار وفيها الشرح الكافى فى ترجمة حياة هذا المرحوم المبرور المغفور له أسكنه الله فى رياض السرور فشمرنا عن ساعد الجد وعزمنا على ترجمته ونقله تباعاً لأن النسبة والمناسبة بيننا وبين المرحوم الاستاذ الأجل الشيخ محمد عبده سقى الله ثراه بجامعة الاسلام أقرب وأكثر من جميع حكماء الافرنج العظام وعلماء النصرانية وغيرهم .

ونرجو الله أن يوفقنا لترجمة وكتابة أخبار هـذا المقتدى فى الاسلام ، والفيلسوف العظيم الشأن ، بأحسن وأوفى من ترجمة غيره من الرجال العظام ولم نترك ولن نترك مثقال ذرة من أخبار هذا الرجل العظيم إن شاء الله تعالى

ثم كتب فى العدد ٣٩٦ الصادر فى ٨ ربيع الاول سنة ١٣٢٤

تاريخ حياة المرحوم الشيخ محمد عبده رضوان الله عليه (١)

من السوانح المحزنة والمصائب الفادحة التى حدثت فى العام الماضى ارتحال العالم المقدم والفاضل المعظم الفقيه الأكرم الأكمل الحكيم الأمجد الاجل العلامة الأستاذ المعلم النقاد المحقق الفريد المؤيد الوحيـد العالم المقدام سند الاسلام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية رضى الله عنه الذى تألمت وأصيبت روح المعارف والحكم الاسلامية بفقده وألبس ثياب الحداد جميع العارفين حقائق الاسلام

آه على ذلك الاوقيانوس الكبير والقاموس المحيط ، وا أسفى على ذلك القلب الواسع والصدر المشروح ، والهفى على ذلك المقـام العالى والقدر الرفيع ، واغوثاه لذلك الغبن الفاحش والكسر الذى عز جبره ، وا كرباه من هذه الليالى المظلمة والايام العصيبة

فغان أزين غراب بين وواى أو	كه درنوا فكدمان نواى أو
غراب بين نيست جذ بيمبرى	كه زود مستجاب شدد عاى أو

---

(١) من اصطلاح علماء الشيعة أن يخصوا هذا الدعاء بأنصار آل البيت من الصحابة

قبل أن تصل سفينة آمال الخلق إلى ساحل النجاة انكسر بيت إبرتها الصحيحة (قطب نما) وقبل أن ينتظم دفتر حساب القوم اختلط بعض أوراقه ببعض ، ضاع مفتاح قفل الكرامة وتقطعت روابط صحائف المعرفة فتناثرت أوراقها ، وفقد مقياس الأميال لخريطة آمال العالم فجهلت مسافاتها ، غادرنا الظهير الذى كان يبث فينا حرارة الحياة الطيبة فأصبحت القلوب باردة ، قطعت يد الأجل طريق التقدم على القطار ، وغلت الأيدى القادرة وقيدت الأرجل الساعية للأمة إذا بكت عيون العقل بدل الدمع دما حق لها ذلك و إذا صارت عيون العلم دجلة وفراتا فما أجدرها بذلك .

يا للعجب يظهر أن روح الحكيم (خاقانى) الشروانى العظيم كانت تنظر إلى هذه الغائلة الهائلة منذ مئين من السنين إذ قالت [1]

آن مصر مملكت كه نود يدى خراب شد
و إن نيل مكرمت كه شنيدى سراب شد
سر وسعادت أزتف خذلان زكال كشت
اكنون برآن وكال جكرها كباب شد
هم بيكر سلامت وهم نفس عافيت
أزد يده نظار كيان در حجاب شد

(و بعد اعتذار عن تأخيره فى الترجمة بمثل ماتقدم فى العدد السابق ذكره قال)

إن العلماء والأعلام والفقهاء الأعزاء ذوى الاحترام هم أئمة الدين وعلو مقامهم ورفعة شأنهم محفوظة فى جميع القلوب لأنهم حفظة الأحكام الالهية ومبينو أصول العقائد ومظهرو قواعد الفرائض والنوافل وهؤلاء العلماء فريقان أحدهم يرى الانقطاع لعلوم الآخرة التى تقرب الانسان من ربه وترك الدنيا وشأنها والآخر يرى أن الدنيا مزرعة الآخرة و إنه لابد لعلماء الدين من النظر فى العلوم

(١ خلاصة مغزاها) أرى مصر العلا أضحى خرابا ونيل المكرمات غدا سرابا
وذا سر والسعادة صار جمرا عليه قلوبنا تشوى اكتئابا
نعم وعلى السلامة والعفاء يد المقدور قد ألقت حجابا

الدنيوية التى ترقى الأمم فى العمران والاجتماع والاستعانة بها على حفظ الدين والملة ورفعة شأنهما وكان فقيدنا المرحوم الشيخ محمد عبده رضوان الله عليه من حكماء هذا الفريق المهذبين وعلمائهم المحققين لأنه رحمه الله كان يرى أن تحصيل العلوم العصرية من ضروريات الحياة فى هذا الزمن وكان يقيس بمقياس رويته هذا الأمر طولا وعرضا وسطحا وعمقا فلذلك كان باذلا جهده وهمته لتقريب أسباب السعادة للملة والملك ووسائل الرفاهة والأمان لآحاد البرية وأفراد الرعية وكان يجاهد جهادا كبيرا عاما فى سبيل إسعاد المسلمين عامة والمصريين — أبناء وطنه خاصة .

تارة كنت تراه يسعى إلى بلاد الافرنج تستشير محقق الغرب السياسيين فى الأمور السياسية ، وتارة كنت تراه يبحث وينقب عن مستحدثات العلوم والأعمال العصرية ، وطورا كنت تراه يغشى المجتمعات العلمية وأندية الفنون ، وآونة كنت تراه ممازجا لأرباب الحل والعقد ، وكان قصده من ذلك كله كشف الحقائق للأمور ذات البال وإدراك الكليات واستنباط الجزئيات فى الأعمال النافعة كما تفوز أمته وأهل بلاده فوزا مبينا .

ومن أعظم أعمال هذا الأستاذ الحكيم والفيلسوف العظيم بيان الطريقة المثلى لتحصيل العلوم والفضائل فميز بين الصفو والكدر و بين الجوهر والخزف فشيد بناء محكما جديدا للدرس والتعليم حتى سهل الحزن وقرب البعيد بيمن قدرته ونفاذا شمة بصيرته وسلامة سليقته وصفاء قريحته فبذلك ارتقى ذروة الكمال فى المعقول والمنقول وأشرع لغيره من المستعدين منهجا واضحا وطريقا لاحبا وكان فى عزمه رحمه الله أن يذلل جميع العقبات ويقيم للمعارف دعائم لاتقوى عليها فواعل الدهر مدى الدهر ولكن — وا أسفاه أصابته عين الكمال فأقعدته عن المسير و إيصال هذا العبء إلى منزل السلامة فأطاحت عثرة رجله رأس الحكمة عن بدنها — ولكن لا يزال أهل الاستفادة والاستفاضة يتمتعون بما تركه من الرياض النضرة إلى يوم القيامة و يحصدون من مزارع علمه سنابل الخير والبر .

كتب ترجمة حياة هذا الأستاذ المعظم والشيخ الأجل قدس سره وحيد

عصره صدر الافاضل وفخر الاماثل محيي رسوم الأدب أعلم محرري العرب سند الفضلاء حضرة السيد محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار المصرية الغراء فأعطى الترجمة حقها كما أن سائر الصحف المصرية كمجلة المجلات العربيـة ومجلة الهلال والمؤيد وغيرها كتبت أيضا ولكن ماسطره القلم الاستاذي المعتبر للسـيد محمد رشيد رضا وفقه الله له امتياز وشأن ليس لسائر الأقلام لأن هذا الرجل هو الداعية لذاك الأستاذ الفياض والفيلسوف المرتاض فكان فى حياته ولايزال بعد مماته يقتفى أثر سيرته السنية ويسلك جادة طريقته العلية وآدابه البـاهرة ورسومه الفاخرة ويرشد العطاش لعين المعرفة والكمال إلى عين حياة الحقيقة ويدعو المستعدين إلى الاستضاءة من مشرق أنوار الحكمة والعرفان، والاستفاضة من أسرار الفضل والاحسان، والانتظام فى سلك مجمع الحقائق اللاهوتية والاندماج فى مستودع الودائع الملكوتية كما قال الواقفون على رموز حقائق الطبيعة، والكاشفون لأسرار فيوضات الحقيقة

درغرا باشد أكرصد نوحه كر آه صاحب دردرا باشد أثر (١)

وفى الحقيقة ان النائح الثاكل فى هذا المصاب هو السيد محمد رشـيد رضا. والخلاصة ان ارتحال هذا الشيخ الهمام سقى الله تربته هو من جلائل خطوب العالم إذ كوى جميع القلوب وتركها حسرى وكتبت جرائد جميع الممالك والأقاليم عامة والاسلامية خاصة عن هذه المصيبة العظمى ما علمت وقالت ماقدرت ولـكن من ذا الذى يقدر أن يعلم ما فوق علمه حقيقة وكما وكيفا. كتبوا ما أملاه حسن الظن وصفاء العقيدة أو مافيه اداء رسوم التحرير والتحبير أومافيه أداء حق الصحافة فى بيان الوقائع وتدوين الحوادث وابن هذا كله من بيان حقيقة المصاب وقدر الرجل على أنهم ساروا بقدم الصدق وخلوص النية ونحن أيضا نقول من بعدهم ما نوفى به الرثاء حقه على قدر العقل الضعيف والدراية الناقصة والفهم العليل والبصر الكليل

إين قدرهم كرنكويم أى سـند شيشه دل أز ضعيفى بشكند (٢)

(وقد بدأ بعد ذلك فى ترجمة مطولة نشرت فى عدة أعداد فجزاه الله خيرا)

---

(١) معناه: لوكان فى المأتم مئة نائحة لما كان لها تاثير آهة واحدة من الثكلى

(٢) معناه إذا لم نقل ما نقدر عليه ولو قليلا تنكسر زجاجة قلبي الضعيف

جريدة الديبا الفرنسية

لم نكد نتم تأبين ماوصل إلينا من الجرائد التركية والفارسية حتى عثرنا على ترجمة ماكتبته هذه الجريدة التي هي من أشهر وأقدم جرائد فرنسا بل أوربا فرأينا أن نختم به أقوال الجرائد وهاكه مترجما من عددها ٢٣١ الصادر فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٠٥

توفى الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الكبير الذى اشتهرت حياته بأمياله الحرة فى تعاليمه التى كان يلقيها فى الأزهر . والذى فاز بفضل اجتهاده ومساعيه المتلاحقة على بعض علماء المسلمين ذوى الافكار القديمة فاختط للتعليم فى الأزهر خطة حرة تخالف أفكار أولئك العلماء فقد ذهبت به رحمة ربه فى الوقت الذى بدأت تظهر فيه ثمار اجتهاده وتعاليمه

وقد كان لوفاته رنة أسف عند جميع عقلاء المسلمين المستنيرين بنور العلم الذى علموا أن تلك المدارك الواسعة راغبة فى أن تختط لأبناء دينها خطة تكون أكثر موافقة المدنية والتقدم الحاليين ولا يخفى على أحد تشوق المسلمين اليوم لمعرفة خليفة ذلك العالم الذى خمدت أنفاسه وجرى له مأتم حافل كبير قام به مشايعوه فى الاسكندرية ومصر واشتركت به الحكومة الانكليزية المصرية اشتراكا أرادت به تأدية آخر واجب لهذا العالم الذى خدم الاسلام حقا خدما جليلة فى تغييره خطة مجراه ودفعه إياه إلى الأمام دفعة نظن انه يسير عليها من بعده

ويود المسلمون ذوو الغيرة على مصلحة الاسلام أن يكون المفتى السابق الشيخ حسونه شقيق الفقيد بأفكاره الحرة خلفا له من بعده لأنه لا يوجد من هو أصلح منه لا كمال ما بدأ به الشيخ محمد عبده أو أقدر منه على انجاح الافكار الحرة التى تطابق روح القرآن وتفيد بهاء الاسلام

(يقول جامع الكتاب) ان الشيخ حسونه النواوى كان مواتيا للفقيد فى الأزهر لم يعارضه فى أصل الاصلاح ولكنه كان يرجىء ويسوف فيه ومع ذلك وصل صيته إلى أوربا وكان الشيخ عبد الكريم سلمان وسطا بينهما وهذان الشيخان أمثل أهل الأزهر وثانيهما أقرب إلى الفقيد فى رأيه واصلاحه

« القسم الثانى فى التأبين »

نشر التأبين الآتى فى جريدة المقطم الصادرة فى ١٧ يوليو سنة ٩٠٥ وهو

ذهب الذى كانت معلقة به حدق العفاة وأنفس الهلاك

تشوقت لدار الآخرة إلى عظيم من عظماء الدنيا أعلاها همة وامضاها عزيمة وأرقاها فكرا وأبعدها رأيا وأعلمها بالدين وأقضاها بالحق ومن إذا وعظ كان هاديا أو أدلى بحجة كان قاضيا لايظلم الضعيف ولا يضعف عن القوى أمار بالمعروف نهاء عن المنكر لايخشى فى الحق لومة لائم فبعث رسول الموت ليختار لها من إرادت ويفرز لها من اختارت فأخذ فى وجه يضرب فى الأرض يعدو الأقوام ويخطى الرقاب حتى وضع يده على أشهر مشاهير الإسلام واعظم عظمائها وأكبر أئمتها فلله أنت أيها الرسول أما علمت أنك روعت أهل العلم وفجعتهم فيه بل سلبت به النفوس وطأطأت الرؤس وقضيت على العلم والسياسة والافتاء واللغة العربية والكتاب والسنة وعلى أنفس كانت حياتها معلقة بالرجل . أما رحمت نفوساً تغولت بها الأرض وضاقت عليها وشقت جيوبها وعافت حياتها . أما رحمت البائس أما رحمت العانى أما رحمت أصحاب النهم إلى العلم اما رحمت من يرجو مستقبلا حسناً وحياة طيبة فكل هؤلاء والله قد ماتوا بموت الإمام شلت يداك أيها المرض مالك سادرا فى عملك قاسيا إذا لم ترحم هذه الأنفس أما وقرت الأستاذ وأيم الله أنه لرزء مفحم ونبأ مؤلم

فرحمك الله فقيد العلم والدين من علم بليغ إذا قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين وإذا كان قدر الرجل على قدر همته وحسن نيته ومراجعة فكره وممـاخضة رأيه فما بال الثريا لم تكن للشيخ وطاء ومابالة ومكانه من العلم والهمة مكان القطر من الرحمة ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير قد تنزل للسائل ولبى الطالب إلا أن القدر السابق قد وقع والقضاء الماضى قد ورد وأمر الله يجب ان يقابل بالرضاء والتسليم ويترك لأجله الهلع جانبا أواه على امام ذبلت لمصابه الشفاه وصمتت الأفواه وقرحت العيون وسالت الشؤن

عبد الرحيم سلام

من تلامذة الفقيد

(ويلى ذلك ثمانية بيوت شعر جيدة النظم مؤثرة)

ونشر فى العدد الصادر منها فى ١٠ يوليو للدكتور محمد أفندى توفيق صدقى الطبيب بسجن طره ما يأتى

أردت أن أعزى الأمة المصرية عن ذلك المصاب الأليم فخاننى قلبي بالبكاء وقلت فى نفسى كيف يعزى الحزين الحزين : اغرورقت العين بالدمع فسال على الوجه وارتعشت اليد وتلعثم اللسان فجاهدت نفسى ولا صبر لى على هذا الجهاد حتى هدأت قليلا ولكنها مالبثت إلا هنية فاستحضرت فى مخيلتها أعمال هذا الرجل والجليل فاختنقت بالبكاء ثم تجلدت لحظة فاعتقل اللسان وانفطر القلب وصاحت آه آه على هذا المصاب الأليم . فقدناه على حين غفلة قبل أن يتم الاصلاح فى أمورنا وأحوالنا فالى من نلجأ لتقويم مازاغ من عقائدنا وما فسد من أفكارنا ؟ من يرد عنا الشبهات ويدرأ الترهات ويحيط الدين بحصون من الحجج البينات ؟ إلى من نذهب لاغاثة المنكوبين وإعانة الضعفاء والمساكين من يرأس جمعياتنا ومجالسنا بالحزم والعقل والارشاد والنصح بالقول والفعل ؟ من يرفع من شأننا بين الأجانب حتى يعرفوا أنه لم يزل بيننا رجال علم وأدب وفضل . تركت مجلس شورانا وقد كان لك فيه الفكر النافذ والرأى الصائب. تركت اللجنة التشريعية ومجلس الأوقاف إلا على والجمعية الخيرية الاسلامية والكل فى أشد الحاجة إلى إرشاداتك تركت الأزهر من غير مصلح ولا هاد . تركت المحاكم الشرعية والمدارس الأهلية قبل أن يتم نظامها واصلاحها . تركت العلم والادب والانشاء وهى فى غاية الاحتياج إلى آرائك . تركت الدين وأهله يخبطون فيه خبط العشواء فى الليلة الظلماء . تركت التفسير قبل أن تزيل ما فيه من الخرافات والأضاليل والترهات . تركت الفقراء والمساكين ولا معين لهم سواك . تركت مصر والمصريين والإسلام والمسلمين ولا مرشد لهم غيرك فوامصيبتاه وامصيبتاه . لكنى أرجع وأقول تصبرى أيتها النفوس الحزينة ولا تيأسى من روح الله فهو القادر أن يعوضنا فى مصابنا خيرا ويرزقنا المرشد الرشيد كما دعا لنا قبل أن تركنا . وأنت أيها الجسد الطاهر استرح الآن فى قبرك إلى يوم بعثك وها أعداؤك قد أخذوا يقرون بفضلك بعد لحدك كما أنبأت به قبل موتك. فامطر اللهم عليه من سحائب رحمتك وأنزل على قبره من غيث فضلك ونعمتك. وأسكن روحه جنانا وألهم كل مصاب به صبراً وسلوانا أنك سميع النداء مجيب الدعاء.

وكتب الفاضل الشيخ محمد القلقيلي فى جريدة النيل ما يأتى :

يا ساكن اللحد

ويا نزيل الثرى

رحماك يا ساكن اللحد ويا نزيل الثرى يا من تركت قلوب محبيك تنفطر جزعاً ، وأكباد مريديك تذوب حزناً وفزعاً ، رحماك لم يبق لى صبر ولا جلد اقدر بهما على أن أمسك هذا القلم الذى طالما أرهفته لأن أطعن به عداتك ، وشحذته لأن أحارب به خصومك ، لا تستطيع يداى أن تقبض على هذا القرطاس الآن لأنهما لم تعرفاه إلا لذكر فضائلك وكمالاتك ، ونشر مآثرك ، والاعجاب بشمائلك ، عفواً إن قصرت فى رثائك وعذراً إن سبقونى فى تأبينك

ياساكن اللحد ويا نزيل الثرى إن بكاك الناس بأقلامهم فأنا الذى أبكيك بدموعى ، وإن وفاك المخلصون بالمقالات فأنا الذى أفى لك بتردد الحسرات ، وتصاعد الزفرات ، وإن ندبك النادبون بالافواه والشفاه فأنا الذى أندبك بفؤاد ملآن بالاحزان ، ونفس تحيط بها الاشجان ، وإن ناح عليك النائحون باللسان ، فأنا الذى أنوح عليك بالجوارح والجنان ،

يا ساكن اللحد ويا نزيل الثرى لولا دين كنت عضده ونصيره وظهيره نهانا عن شق الجيوب ولطم الخدود لشقت عليك جيوب الرجال ، ولطمت من أجلك خدود الابطال ، ولكنهم استعاضوا عن ذلك بشق القلوب وتقطيع الاكباد

ياساكن اللحد ويا نزيل الثرى أتدرى ماذا خلفت بعدك . خلفت عشرات الالوف من العقلاء تبكى علمك وفضلك ومكارم أخلاقك وعلو همتك وغيرتك على هذا الدين الذى لعبت به أيدى الجاهلين ، وعبثت بعقائده خرافات الضالين المضلين . تبكى حميتك على اصلاح هذه الأخلاق الفاسدة والنفوس المنحطة والعادات القبيحة . تبكى دفاعك عن كرامة الاسلام ونضالك عن مصالح أوقاف المسلمين . تبكى تفسير القرآن المجيد وبيان حكمة الله من تعاليمه وإرشاداته وهداياته إذ لم يبق بعدك مفسر غير مفسر الالفاظ والحروف ، ولا مبين غير مبين الاختلافات

والمجادلات ، فى الاشياء التافهات الحقيرات ، تبكى ذلك الصدر الملآن عقلا وحكمة ، تبكى تلك الذات الشريفة التى كانت قبلة لجميع الموحدين فى مشارق الارض ومغاربها شمالها وجنوبها . تبكى تلك الحجج الدامغة والبراهين الساطعة اللاتى أفحمت المعارضين ، وأقنعت المجادلين .

يا ساكن اللحد ويا نزيل الثرى أتدرى ما ذا تركت وراءك ؟ تركت مئات الالوف من الارامل والايتام والفقراء والمساكين تبكى احسانك وجودك ، تبكى حنانك وشفقتك ، تبكى برك ومراحمك ، تبكى لأنك كنت للأرملة خير معين ولليتيم نعم الحنون ، وللفقير أفضل مواس وللمسكين أعظم مساعد .

يا ساكن اللحد ويانزيل الثرى رحلت عن هذه الدار التى لاتصفو إلا لجاهل أو ظالم فمن يقف موقفك فى مجلس الاوقاف الأعلى ويرد عن أوقاف المسلمين أطماع الطامعين . ومن يقف موقفك فى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ويحفظ كرامتها فى عيون الحكومة والمحتلين . ومن يضمن بعدك بقاء الثقة بين الحاكمين والمحكومين . ومن للاقتراحات الساقطة التى يعرضها بعض أعضاء الجمعية العمومية للغايات والاغراض - يفندها ويدحضها ويفضح نيات أصحابها

يا ساكن اللحد ويا نزيل الثرى رحلت وخلفت بعدك اصلاح المحاكم الشرعية جنيناً لم تدب فيه روح ولم يسر فى عروقه دم ولا نفس فاذا تكاملت خلقته غداً وأمضى مدة الحمل وخرج من بطن أمه إلى هذا المعترك الذى أصبح بعد معتركا للفساد والافساد فمن يكفله ويربيه ويجعله عاملا نافعاً يفيد الشريعة فى أحكامها والأمة فى أخلاقها وعاداتها وعائلاتها . آه وأواه كلما تذكرتك — وأنت لا تغيب عن ذاكرتي — وكلما تذكرت مساعيك الخيرية وآثارك الطيبة وهى نصب عينى يغيب صوابى ويزيد حزنى واكتئابى لأنى كلما أجلت نظرى فى هذه الامة الاسلامية لأرى لك مثيلا فى دينك ويقينك بربك أو شبيها فى أخلاقك المحمدية وهممك العالية كنت كالناقش على الماء أو الكاتب فى الهواء وهناك تزيد نار الحزن استعاراً ، وتجرى دموع العين مدراراً

يا ساكن اللحد ويا نزيل الثرى أنت تعلم قبل كل الناس انى أحببتك

وأخلصت لك المحبة فى السر والنجوى وليس لى غاية غير غاية الاهتداء بهديك ، ولا غرض غير غرض الاسترشاد برشدك ، فاذا بكيتك وندبتك ونحت عليك فانما أبكى تلك الفضائل والكمالات وأندب تلك الأعمال الصالحات ، وأنوح على تلك الآثار الطيبات المباركات ، فاعرنى ثوب الصبر الذى كنت لابسه فى حياتك التى أمضيتها وأنت تكافح نائبات الدهر وتدافع حادثات الزمان بقلب أقوى من الحديد وجأش أثبت من الجبال لأحشر فى زمرتك يوم البعث والنشور

ياساكن اللحد و يانزيل الثرى ارقد فى قبرك مستريحا ونم آمنا مطمئنا وإن اتعبت وأقلقت بموتك الأحياء فقد جاهدت فى سبيل الله جهاد الأنبياء والمرسلين وأوذيت فى هذا السبيل كما أوذى من قبلك من قام بالدعوة إلى الله و بذلك سينزلك الله منزلة الأبرار ، و يثيبك ما أثاب به الكرام الأخيار ، وهذه الأمة سيحفظ لك تاريخها تلك المآثر والفضائل و يبقى ذكرك مرددا بكل لسان ، مرسوماً فى الأذهان ، كما أن رسم شخصك لابد وأن يبقى محفوظا فى طيات القلوب ان لم يكن فى طيات الجفون ، ولابد أن تبقى آيات إصلاحك وفضلك وعلمك مرجعاً للأدباء والكتاب ومثالا ينسج على منواله المصلحون إلى يوم الحساب فرحمك الله يا إمام الإسلام والمسلمين وغفر لك يافقيد الملة والدين وأجاب ما دعوته به فى قولك

فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا رشيداً يضىء النهج والليل قاتم

محمد القلقيلى

هذا ما اخترناه من التأبينات التى نشرت فى الجرائد لغير أصحابها وقدمناه على ما يأتى لتقدمه فى التاريخ و يتلوه نموذج مما لم ينشر فيها أوله ما كتبه الأستاذ الشيخ عبد الله دراز المدرس فى الاسكندرية وهو

يالله للمسلمين — رزء الاسلام فى عميده

كأن المنايا تبتغى فى خيارنا لها ترة أو تهتدى بدليل

لقد فجع المسلمون بأفول الكوكب المنير ، و بطل العلم الشهير ، ملاذ البؤساء

وملجأ الضعفاء ، رجل الهمة ، وعنوان المروءة ، والامام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الذى كنا بالأمس شفقة على الناس ورحمة به نتمنى على الزمان محالا أن يرزق المسلمون بمن يدانيه فيساعده على القيام بمهام الناس ومصالح العامة حتى يتاح للمسلمين منتهى السعادتين الذى قضى حياته الغالية فى السعى وراءه وجد جده أملا فى الحصول على ذلك المقصد الأسمى ثم أصبحنا والكل قد ملكته الدهشة واستولى عليه فرط الأسى والحزن بفقده فا كفهر الافق وأظلم الجو وغشى الوجوه جلباب الحسرات ، واغشى العيون انهمال العبرات ، فلا انقضاء لزفرات تتردد ، وحسرات تتجدد ، ولا صبر على كارثة أصابت كبد المجد فمزقت فؤاد الفضل ، صاعقة نزلت على ربوع العلم وميادين الأدب ، مصيبة آلمت الأيتام فى مهدها ، والأرامل فى خدرها ، خطب اضطربت له مجتمعات السياسة العامة ونوادى النظامات ، رزء دهم مجالس التهذيب والارشاد ، فصدع مستودعات الحكم ، ومجالى أسرار الشريعة ففاض ماء الحكمة بعد ما فاض ، وماذا تغنى الأطلال والأنقاض

من معيرى مصة وشل من بحر بيانه فألمع إلى طرف من عنوان مقاصده النبيلة ، وأرمز إلى شىء من نواياه الجليلة ، لبنى دينه وأهل وطنه ، من لى بأن أرطب لسانى بذكر فهرست أعماله الكبرى ، أو أحرك قلمى لتلك الآثار الضخمة ، التى قام بها فى حياة كلها تعب ، حياة أتى فيها بالمعجز من الأعمال فى الزمن الوجيز ، وميدان الأعمال أمامه ممتلىء بالحواجز ، مسدود النوافذ ، وجو السياسة كله ضباب يكاد يسد عليه هواء التنفس

(يالله للمسلمين) فى رجل طالما دافع عن دينهم وحده وهم نيام إلا عن مجالدته مع خصومهم الألداء الأشداء ، خصوم تحمسوا للفتك بالاسلام ، ومست نفثات أقلامهم كرامة أعز عزيز لدينا ، فانتضى عزمه الثابت وجأشه الرابض ، واستجمع من غزير حكمه ، وواسع علمه ، مامزق به جيوش أباطيلهم ، ورد كيدهم فى نحورهم وكفى الله المؤمنين القتال بوجوده ، ولم يريقوا فيها دما ، ولا أنفق سراتهم درهما

(يالله للمسلمين) فى رجل وجدهم نياما لا يتحرك منهم عصب ، ولا يجرى

فيهم نفس ، ولا يرفع لهم طرف ، ولا ينطق لهم لسان ، يتخطفهم الناس من حولهم حولهم أعطاء أيقاظ مجدون فى حركة الحصار عليهم قد كادت تتم لهم دائرته فصاح فيهم بأعلى صوته : ألا فانتبهوا وقوموا من سباتكم العميق . فانتبه لمقصده من سلمت فطرته ، وقوى استعداده ، ولما لم يجد بداً من استعمال منبه الأعصاب مع الباقى حرصا على حياتهم ، واستبقاء لوجودهم قاموا فى وجهة : ألا فاتركنا نستكمل نومتنا : فقاوموه على أن يتركهم ، وإن كانت النهاية وبالا عليهم وهو يأخذهم تارة باللين ، وطورا بالشدة حتى نزع منهم إلى اليقظة خلق كثير وعدد عظيم جرى فيهم نفس الحرية فى القول والفعل ، المنبعثين عن الارادة الصحيحة ، تحركت أعصابهم إلى العمل لما فيه صالحهم ، نطقت ألسنتهم بل تفصحت فى كل معنى يراد فنظرة واحدة إلى ربوع العلم من الأزهر (أنظر أعمال كتاب مجلس إدارة الأزهر المطبوع حديثاً) إلى أصغر مدرسة أنشأها . يابعاث النفوس الخامدة والقلوب الجامدة تكفى لإدراك ما قام به فى هذا السبيل سبيل إيقاظ المسلمين من هذا السبات العميق

(يالله للمسلمين) فى رجل رأى البدع والمستحدثات قد تجاوزت الحد وأبعدت الناس عن دين الله (عز وجل) بمراحل وهى آخذة فى الزيادة وأهلها فى النمو وبمقدار ظهورها يستتر الدين فى ثناياها ولم يقف ذلك عند حد الأفعال والأقوال بل سرى داؤه وطغى تياره على كثير من العقائد وأصول الدين حتى عند بعض من ينتسب إلى العلم فهاله الأمر وأخذ يطارد تلك البدع ويهدم فى معالمها بمطارق من حديد حتى أنحى على الكثير منها وهو لا يبالى بوقوف هذا النفر من المتفيقهين أمامه يدافعون عن البدع بحجة الدين ، ويتمسكون بالشبه فى مقابلة اليقين ، ولا همّ لهم إلا تحريف أقواله ، والتلبيس على الناس فى مرامى أفعاله .
وقد كان لا يثنيه الخوف على عرضه عن الدفاع عن دينه وبيانه على وجهه ، ورد البدع فى وجوه أربابها مهما كان لهم من التصدار والمناصب مما أفضى به فى كثير من الأحيان إلى الشغب ، ومزيد التعب والنصب ، وإليك مثالا من تحريفهم أو تخريفهم بشأن تعليماته ودعوته الناس إلى عقائد الدين الصحيحة ، وهو من

أكبر ما لبسوا به على العامة فى شأنه ومالوا ببعضهم عن الانتفاع به .

نقموا عليه أنه ينكر الشفاعة وهى فى كتاب الله والأحاديث الصحيحة مفعمة بها والاجماع قائم عليها ، وهى من المعلوم من الدين بالضرورة . وجعلوا ذلك مقدمة صغرى إن ثبتت على أى إنسان ، والكبرى سهلة الحصول فالنتيجة أشنع شىء والعياذ بالله تعالى ، وقد تطرفوا فى ذلك فى مجالسهم الخاصة والعامة وتناقلها بعض الأغبياء حتى وصلت بلاد الريف والمدن النائية عن مشاغباتهم وحتى كاد بعض العقلاء البعيدين عن مجالس تعليمه وسماع تقريره تأخذه فيه نعرة النفرة و يرتاب فى أمره ومن العجيب أن المجلس الذى قرر فيه هذه العقيدة ولا يقل السامعون فيه عن الألف من كبار الطبقات فى القاهرة وأنجب النجباء من الأزهريين بين طالب علم ومدرس كان فى منتهى الاعجاب وهزه الطرب بهذه البيانات الجليلة . والاستدلالات القوية ، وقد كنت فى مجلسه تلك الليلة كغالب مجالسه فى التفسير (وا أسفاه على مجالس كانت ذات قيمة يستقى فيها من كتاب الله حكمه العالية أعالى الطبقات ، مجالس كان يختص فيها بعض رؤساء الديانات الأخرى فيخرج مضطرب الفؤاد ، متزلزل العقيدة فى دينه ولقد جاهر بعض هؤلاء الرؤساء بأحقية الدين الاسلامى والحط من كرامة دينه فى الجرائد المصرية وما عهد خر يستوف جباره ببعيد)

قلت إنى حضرت مجلس الشفاعة الذى استمر يقرر فيه نحو الساعتين على ما كان به من قوة البيان وجودة التعبير وفضيلة التأثير وقد قال فى نهايته : ومجمل القول أن الشفاعة ثابتة لايسع مؤمن إنكارها بعد الكتاب والسنة والاجماع ولكننا لا نقيسها بالشفاعة اللغوية المعروفة بين الناس (وساطة الشفيع عند من يملك الانتقام ليرجع عما أراده وعلمه من معاقبة مجرم فى نظره مستعملا فى ذلك أنواع التلطف والتخفيض من حدته حتى تنكسر ثورة غضبه أو تنطفىء فيخفف العقوبة أو يتجاوز عنها) لأنها بهذا المعنى محالة على الله تعالى كما قرر فى علم الكلام أن إرادته على وفق علمه وأنه إذا أراد معاقبة زيد فقد علم أزلا عقابه فلو توسط شفيع بعد ذلك وأرجعه عما علمه وأراده على قياس ما تقدم فى الشفاعة المعروفة بين

الناس لانقلب العلم جهلا والقول بذلك كفر بالاجماع فلتكن الشفاعة الثابتة لابهذا المعنى بل على معنى أن الله يعلم ويريد أنه لايعاقب فلانا المجرم بل يعفو عنه بمحض فضله وكرمه ولكن اظهاراً لفضل الشفيع فى يوم القيامة يوقف ظهور العفو عنه على صورة الشفاعة التى تحصل من الشفيع فى ذلك اليوم : فقدأثبت الشفاعة ونزه الله عما لا يليق به وفى ظنى انه لايسع عاقلا سمع مجمل قوله الا ان يتضرع الى الله ان يبلل ضريحه بصبيب الرحمة والرضوان لا أن يصغى لهؤلاء الغلاة المارقين عن جادة الصواب ولكن هو الحقد غلت مراجله فى صدور هؤلاء المتحذلقين فشنعوا ولبسوا وقالوا اذ ذاك ما قالوا وطاروا بذلك شعاعاً

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً منه وما يعلموا من صالح دفنوا

حتى علق باذهان بعض العوام بالنسبه للاستاذ شىء والله يجازيهم على صنيعهم اسوأ الجزاء لانهم فى الحقيقة ما كانوا يضرونه بمثل ذلك ولا كان يتأذى بسماعه لأن همه وهمته كانا أجل من ان يؤثر عليه القدح او المدح على غير وجهه ولكنهم قد أضروا بكثير من العامة بالقاء هذه الوساوس فى صدورهم ضرراً بيناً شوهد الكثير من آثاره .

بربك قل لى اذا سمع العامى ممن ينتسب الى العلم ان الاستاذ الكبير الطائر الصيت فى العلم قال بإباحة تحريم او بافساد عقيدة مع كون هذا المتعالم لايقدر ان ينتزع من قلبه أن القائل بذلك من اساطين العلم وأنه فى مقدمة العلماء ماذا يكون حال العامى بازاء هذا المحرم أو هذه العقيدة؟ قاتلهم الله أنى يؤفكون

(يالله للمسلمين) فى رجل جمع بين علوم الدين الصحيحة ادراكاً وعملا وتوسع فى أصولها وفروعها حتى كان زملاوه اذا تحككوا معه فى أى فن حسبوه بعيد العهد به تورطوا وحصل لهم مزيد الخجل واطرقوا رءوسهم ريثما ينبههم على ماغفلوا عنه فى هذا العلم طول اعمارهم .

هذه العلوم التى قطع زملاؤه اعمارهم فيها وعرفت مقدار نسبتهم اليه فيها قد أضاف اليها تلك العلوم الجمة والمعارف الكثيرة علوم الفلسفة العصريه ، علوم الكائنات الطبيعية بفروعها الكثيرة ، علوم القوانين الوضعية وقد حصل على ذلك

كله بما منحه الله من الاستعداد الفطرى الذى شهد له به اساتذته « الطويل والبسيوني وجمال الدين » وكان من الاسباب الواضحة فى اظهار آثار مواهبه الالهية اتقانه للغة الفرنساوية حتى درس بهما تلك العلوم ووصل بهما الى تلك المعلومات التى اضافها الى علوم الدين وفلسفته الاولى فكانت عند مجموعة العالم الاسلامى والغربى وأمكنه بحذقه ولباقته ان يتصرف فى الثانى بما يوءيد به الاول ويظهر قواعد الدين على بياضها الناصع بما كان يطبقها على النواميس الكونية التى خبرهـا ووقف على اسرارها وبذلك كان الرجل الوحيد فى العالم بأجمعه الذى أمكنه أن يكون عالماً أزهرياً وقاضياً قانونياً وحكيماً فلسفياً ومفتياً شرعياً ورئيس كل نظام تدعوه اليه ضرورة الحكومة فى نظامها الشرعى والوضعى ومحاضراً فكاهياً لجلاسه من كافة الطبقات والاقطار .

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

هذا الى سمو مداركه وجودة ذهنه وقوة عارضته واختلاب بيانه وكبير همته وعزة نفسه وتواضعه ولينه وصفاء سريرته لكل انسان حتى ألد أعدائه . لقد كانوا يملكونه بكلمة او بزورة لينالوا من وافر حسناته ، وأنى لأعرف واحداً منهم كان يتحكك فيه ويريد مناظرته فى كل عمل حتى فيما يدرسه من العلوم « وليس التكحل فى العينين كالكحل » وكان من المحرفين عليه جاهه وقد زلت قدمه فى منصبه العالى وقد تورط ورطة كادت تقضى عليه فتمسح به وتضرع اليه ان يصفح عما كان منه ويخلصه من هذه الورطة ، الفقيد يعلم ان هذا السائل لئيم وأنه لايلبث ان ينقلب عليه كالافعوان ولكنه ماعتم ان اجهد نفسه عند المقامات العالية حتى استنقذه من زلته ، وانتشله من ورطته ، وبهذا تقيس مقدار اهتمامه بمصالح العباد الذين كان يخصص لهم وقتا من يومه فى كتابة التذاكر الى روءساء المصالح والدواوين وأصحاب التفاتيش والتجار والعمد بما يرفع الظلم عن هذا ويفتح بيت ذاك ويصل عيش هؤلاء ويحمل الاضطهاد عن أولئك حسبة لله تعالى . لقد كان ترى عليه محبة قضاء المصالح للكافة ، من يعرفه ومن لايعرفه فوق محبة غيره للمال والولد يرى أنه ماخلق الا لذلك وهذا فى كرم نفس وسخاء

بعالوجود بما تصل إليه يده فى السر والجهر — أعرف أنه عاد مريضاً عالما وعند خروجه وضع عشرة جنيهات تحت وسادة المريض - (ولمثل هذا سن الله العيادة) وكم بيتا فى القاهرة كان عالة على ماليته الخاصة فاللهم رحماك بعبادك الذين أخذت منهم عائلهم وبأيتامك الذين حرمتهم مبرة خير أب وباصدقائه الكثيرين الذين أصبح كل منهم يقول

وفقدت اخوانى الذين بعيشهم قد كنت أعطى ما أشاء وامنع

فلمن أقول إذا تلم ملمة أرنى برأيك أم إلى من أفزع

فبأى دمع نبكيه ، وبأى لسان ترثيه الجمعية الخيرية الاسلامية التى وضع عملها على أساس متين فأكثر ايرادها ووسع دائرة الاحسان فيها على المعوزين ونظم مدارسها ورفع منارها فى زمن وجيز إلى شأو بعيد ؟

من يترأس بعده على كل المجالس الخصوصية التى تنتخب من أعضاء مجلس الشورى ليقرروا مايرونه فى مصلحة الأمة بأزاء مشاريع الحكومة ؟ من يحسن الفكرة بعده وينعم النظر فى أحوال الاوقاف تنمية وحفظا وصرفا فى أوجه البر الحقيقية لهفى عليك أيها الامام

فمن يسع أو يركب جناحى نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

اللهم لطفا بعبادك ورضاء بالقدر المحتوم . لقد انزوت الآمال ، وهان انقضاء الآجال ، فانا لله وإنا إليه راجعون . اللهم إنك تعلم أن الفقيد فقيد الإسلام ، فقيد العلم ، فقيد المروءة ، وانه جاهد فى سبيل أشق الجهاد ، وأنه لم يدخر وسعا فى نفع عبادك ، ولم يأل جهدا فى سعادة خلقك ، وقد أدى وظيفته فيهم بكل صدق وإخلاص ، وصبر وتحمل ، لما كان يلاقيه من مضايقات الدهر ومكايده ، وقد غرس بيننا غرسا كثيرة من أنواع الفضائل وانبت بيننا نباتا من أفضل ما يستنبت . اللهم فاسق نباته واحفظ غرسه حتى ينضج ما أراده ويثمر ما غرسه وقو من يقوم بأود هذه الفضائل بعده وسدد آراءهم وثبت عزائمهم وأقدرهم على المحافظة والقيام على آثاره وصبرنا على ما لاقيناه فى فقده من البلاء الجسيم ، والمصاب الأليم ، وتغمده بواسع رحمتك وصيب إحسانك ونعمتك واشمله بغفرانك العميم ورضوانك العظيم

عبد الله دراز مدرس بمعاهد العلم باسكندرية

(١٤ ج ٣ تاريخ)

﴿ تأبين جمعية غرس الفضائل ﴾

هذه الجمعية يعقدها أبناء بيت عبد الرازق فى دار عميدهم حسن باشا عبد الرازق ليلة الجمعية من كل أسبوع وكان أول اجتماع لهم بعد موت الفقيد لتأبينه وهذا محضره :

(المحضر الرابع عشر من محاضر السنة الرابعة من ليلة الجمعة غرس الفضائل)

انتظمت الجلسة فى الساعة الثانية العربية من ليلة الجمعة ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ ٢١ يوليه سنة ١٩٠٥ م

وبدأ الرئيس — حسن عبد الرازق بك — ببسم الله الرحمن الرحيم ورتل سورة الفلق الكريمة على جارى العادة

وذكر الأمين — مصطفى عبد الرازق — أعمال الجمعية فى اجتماعها السالف

ثم نهض الرئيس إلى مقام الخطابة فقال : أيها الاخوة

لم أقم هذا المقام فى منبت شعبتنا وموطن أهلنا وعشيرتنا من عامين سالفين لانى قضيت عطلة السنة الفائتة فى الاسكندرية كما تعلمون كما أمضيت شطرا من عطلة هذا العام فى القاهرة لأعمال حكمت بذلك وها نحن — والحمد لله — اجتمعنا فى ديارنا و بين أهلينا هذا وقد كانت عادتى معكم أن أذكر لكم فى نهاية كل عام دراسى مجملا من عملكم فى ذلك العام تنشيطا للعامل وتنبيهاً للغافل لكن وقع تلك المصيبة الاليمة التى أصابت مصر فأثكلتها خيرة أبنائها فقيد العلم والاسلام الأستاذ مفتى الديار المصرية قضى علينا بأن يكون اجتماعنا الليلة لتأبين الفقيد ورثائه واستمطار الرحمة له وفاء بالذمة وعرفانا للجميل .

اننا نرثى الليلة رجلا عظيما ، عليما حكيما، وصديقا حميما، وأبا بارا رحيما. نرثى الشيخ محمدا عبده صاحب الأيادى البيضاء ، والمآثر الغراء ، والأعمال الجليلة ، والمقاصد النبيلة ، نرثى خادم الأمة الأمين ، وركن الاسلام والمسلمين ، وساعد العلم والمتعلمين ، ذلك الرجل الكريم الذى ماتت بموته آمال واضمحلت عزائم والذى ترك من حسن الذكر ولسان الصدق ما هو حياة باقية وأثر لا يفنى . ويا ليت لى براعة فى

البيان وحولا وطولا فى القول حتى أوفى الفقيد حقه واقضى واجب الذكر الجميل لأعماله الطيبة وحسناته التى لا تحصى ، على أننى أترك القول لاخواننا الأزهريين طلبة الأستاذ الفقيد وأبنائه فهم أحق بالكلام فى هذا المقام وان كانت المصيبة بيننا سواء . وانى أسأل الله تعالى أن يرحم الفقيد الكريم رحمة واسعة وأن يرزقنا على مصابه صبرا جميلا .

ولما أتم الرئيس مقاله دعى إلى الخطابة بعده — على عبد الرازق فقال :

وما أحد يخلد فى البرايا　　بل الدنيا تؤل إلى الزوال
أطاب النفس أنك مت موتا　　تمناه البواقى والخوالى
وهذا أول الناعين طرا　　لأول ميت فى ذا الجلال

أيها السادة

لقد اسودت صحيفة الأسبوع المنصرم بذلك الحادث المشؤم الذى صدم القلوب فصدع أركان الصبر ، وهد منازل الجلد ، وطير النفوس شعاعا ، وقضى على حشاشة ثبات نسيتها فى القلوب مصائب الليل والنهار . اغبر أفق الحوادث واضطربت فى دورتها الأفلاك واصطدمت النجوم وانقضت على الرءوس صواعق المنون فغيبت شمسا كان يسطع على العالم لألاؤها ، ويشرق فى الوجود ضياؤها ، واغمدت سيفا كان مسلولا بيد الدين يقطع ألسنة المتهجمين ، ويذود عن حياضه كيد الخائنين ،

دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت　　تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

خطب أصاب الاسلام جسيم ، ومصاب الله يعلم أنه على العلم وأهله عظيم ولكن ما العمل وقد حم القضاء ووقع البلاء وانقطع الرجاء وحال قضاء الله دون كل قضاء وأبت الأقدار إلا أن تظفر المنون فتحتكم فى النفوس وتلعب بالأرواح وتصدع نصالها أكباد من تشاء ويا ليت للمنية اذ قبضت على زمام العالم واستبدت بأرواحه فدت ذلك المصاب بمن شاءت ، وقبضت اليها غيره من أرادت ، ولكن الأمر كما قيل

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب　　تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

ما العمل وقد ضاعت الآمال وجلت الخطوب ، واشتدت الكروب ، وأبت

المنون أن ترمى بسهمها الذى لايطيش إلا سيدا يصدع موته الفؤاد ، و يقطع الأكباد و يدمى العيون و يجرح الجفون فانالله وإنااليه راجعون

محمد لو نفس فدت نفس ميت فديتك مسرورا بنفسى وماليا
وقد كنت أرجو ان أملاك حقبة فحال قضاء الله دون قضائيا
ألا ليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأيام كان حذار يا

مات الأستاذ الامام وما كنت أحسب العلم كله يموت والجود جميعه يضمن فى جوف أربع أذرع فى خمسة وما كنت أدرى كيف يضم اللحد الصغير فى جوفه جبلا اشم كبيرا

فياقبر خبر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قدوسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

أنعى اليكم فى هذا المقام الاستاذ الامام وكلكم يعرف من هو الاستاذ الامام أنعى إلى العلم سيده وإلى الدين مصلحه وإلى الأزهر ظهيره وإلى الأدب نصيره

أنعى فتى الجود إلى الجود ماممثل من أنعى بموجود
أنعى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود
وانثلم المجد به ثلمة جانبها ليس بمسدود
فالآن تخشى عثرات الندى وصولة البخل على الجود

أنعى اليكم هذا الامام الذى لفت إلى الاسلام عزيمته ، ووجه اليه ذكاءه وفطنته ، فوجده قد وقع بين شرذمة لايعون

فمن مشايخ طرق (نعوذ بالله تعالى) ينقضون فى بنيانه و يقربونه ماستطاعوا من أن يكون وثنية لا إسلاما

ومن حملة عمائم يحرفون ما يشاءون ، و يلعبون ما يلعبون و يقولون انما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون

وبه الأستاذ همته إلى الدين فوجده درة قد غطاها الغبار ، و بدرا حجب سناءه الغمام ، وجوهرة لعب بها طغام الاحلام ، فما زال الأستاذ يكر بجيش بلاغته و يدافع بفصاحته ، حتى أظهر الدين للأنام جوهرا لامعاً ، ونوراً ساطعاً ، وعروسا

حليت فى أفخر حللها وأبهى ثيابها فجزاه الله عن الإسلام أحسن الجزاء .

أنعى اليكم رجلا نظر إلى الأزهر بعين الإصلاح ، فأخذ طلابه ليطير بهم إلى حيث تكون السعادة والفلاح ، وحيث يعمل المرء لدينه ودنياه ، وآخرته وأولاه ، ولو ساعد الأستاذ القدر ، وطال له العمر ، لرأيتم الأزهر اليوم خير معهد دينى يهذب الأفكار ويربى الرجال .

سأبكيك ما فاضت دموعى فان تغض فحسبك منى ما تجن الجوانح
وما أنا من رزء وإن جل جازع ولا بسرور بعد موتك فارح
كأن لم يمت حى سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المراثى وذكرها فقد حسنت من قبل فيك المدائح

* * *

مات الأستاذ الإمام ومن ذا يكون بعده للعلم والدين ، والأزهر والأزهريين اللهم إنك قبضت الأستاذ اليك ونحن فى أشد الحاجة اليه فالدين لا يزال شبكة صيد عند قوم لا يعرفونه والأزهر وهو مشرق الاسلام وكعبة الآمال لم تنتظم بعد حاله ولم يستقم أمره . اللهم بمن نستضىء وممن نتعلم وهذا إمامنا قبضته اليك بعد أن اتجهت اليه الآمال ، ونزلت بساحته الرحال . اللهم إنا طلبة الفقيد ظلمنا بمصابنا فيه الدهر ، وخاننا الثبات والصبر ، وإنك سبحانك وعدت بقبول دعاء المظلوم فكلنا نبتهل اليك ، ونشفع فى أستاذنا أحب الأنبياء عندك ، سيدنا محمدا ﷺ فى أن تتجاوز عن زلاته ، وتغفر هفواته ، فإنه عبدك وأنت مولاه ، وإنه فقير إلى رحمتك وأنت غنى عن عذابه ، فقر به إلى جنابك ، واجعله فى جوارك وأسكنه فى مساكن الصديقين والأبرار ، وارزقنا ذلك المرشد الرشيد الذى يضىء لنا النهج ويبين لنا السبيل وهب لنا من لدنك صبرا .

وعلى أثر هذا الخطيب قام الأمين فقال .

أيها السادة .

فى أصيل يوم الثلاثاء لثمانية أيام خلت من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ ﻫ قبضت روح طاهرة وختمت حياة صالحة وغربت فى بلاد المشرق شمس الحكمة

وذوى أنضر غصن فى دوحة الاسلام وطارت الينا الأنباء بهذا المصاب العظيم والخطب الجسيم فأستكت الاسماع وملئت الجوانح غما .

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

مات الشيخ محمد عبده ومن ذا الذى لايموت « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة و إلينا ترجعون »

وكل امرىء يوما سيركب كارها على النعش أعناق العدا والأقارب

لم ير أهل هذه البلاد حزنا كاملا ، وأسفا شاملا ، ومصيبة طارت لها النفوس شعاعا ، وانصدعت لها القلوب انصداعا ، كما رأوا يوم رزىء الإسلام ، بموت الأستاذ الإمام

عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيهم كلهم مأجور

وارحمتاه لهذه البلاد . تنشأ فيها النفوس الزاكية والهمم العالية فلا تكاد تمتد أعناقها إلى ما استعدت له من إصلاح شأن الأمة و يتمهد لها السبيل حتى يخترمها الأجل ويقطع عليها الموت خط السير . ولقد كان العام الحاضر أشد الأعوام محنة لهذه البلاد وأكثرها لها تعاسة وشقاء .

يا أيها العام الذى قد رابنى أنت الفداء لذكر عام أولام

قضى فى أوائل هذا العام (المنشاوى) وهو و إن لم يكن أكثر أبناء هذا القطر نشبا ، وأوفرهم فضة وذهبا ، لقد كان أكثرهم خيرا ، وأوفرهم برا ، وأوسعهم ذراعا ، وأمدهم فى المعروف باعا .

له نار تشب على يفاع إذا النيران ألبست القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

وقفى على أثره (الشنقيطى) وكان رجلا غريبا من هذه الديار ثم حل بها فى آخر عمره وهو واحد عصره فى العلم بالمنقول وانتفعت من معارفه البلاد واغتنم عشرته من اغتنمها من أهل الفضل .

ولم يمض إلا قليل بعده حتى أوهقت المنية حبالها البارودى صاحب السيف والقلم والذى كان إذا قال انقادت له أزمة القول و إذا صال تخاذلت الجماجم والرقاب والقنابل

من النفر الغرّ الذين سيوفهم لها فى حواشى كل داجية فجر
إذا استل منهم سيد غرب سيفه تفزعت الأفلاك والتفت الدهر

ثم جاء بعد ذلك الدهر بالخطب الفادح والرزء الجلل ودهانا بفقد من احتشدنا الليلة نبكيه ونرثيه ونسأل الله أجر المصيبة فيه .

كأن المنايا تبتغى فى خيارنا لها ترة أو تهتدى بدليل

من أمارات الانحطاط فى الأمم وفقدانها مقومات الحياة أن يموت النابغ من أبنائها فلا يلقى له فيما نبغ فيه ولا يشعب ما انصدع بموته من بناء الأمة ومصر فى هذا الدور من أدوار الضعف والانحلال فاذا ثكلت واحدا من بنيها النافعين فقدت معه فضيلة من الفضائل التى لا تحيا بدونها الأمم حياة طيبة .

والمرحوم الشيخ محمد عبده رجل جمع من مزايا الرجال وصفات الكمال ما لا يحوى به رجل واحد اللهم إلا أفذاذ متفرقون يشير اليهم الدهر بأصابع الأجيال .

لو يبعث الناس أدناهم وأبعدهم فى ساحة الأرض حتى يحرثوا الابلا
كى يطلبوا فوق ظهر الأرض لم يجدوا مثل الذى غيبوا فى بطنها رجلا

فالبلاد إنما فجعت بمصائب عظمى جمعت فى مصيبة ودهمت بنائبة تهون من دونها النوائب .

وكانوا غياثا ثم أضحوا رزيئة ألا عظمت تلك الرزايا وجلت

كان الأستاذ رحمه الله على جانب من حسن الخلق يكاد يعلو به من مراتب البشر

خلق كمثل الماء لو أفرغته يوما لسال كما يسيل الماء

أبعد الناس عن النطق بالفحش واستماع الخنا .

يصم عن الفحشاء حتى كأنه إذا ذكرت فى مجلس القوم غائب

كان قريب الخير بعيد الشر .

رحيب ذراع بالتى لا تشينه فان كانت الفحشاء ضاق بها ذرعا

يهب الجزيل ويعطى الكثير ولا يضن بالعطاء إذا ضن الأغنياء .

أقامت فى الرقاب له أياد هى الأطواق والناس الحمام

كان أوفى الأصدقاء وأرعاهم للذمة وأحفظهم للود .

وإذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر أيهما ذوو الأرحام

كان ذكى القلب حاضر الذهن سديد المرمى .

بصيرا بأعقاب الأمور كأنما تخاطبه من كل أمر عواقبه

كان واسع المعرفة غزير العلم يضرب فى كل فن بسهم ويجرى فيه إلى غاية لا تلحق وهبه الله ما وهبه من العلم بأسرار الدين والإحاطة بمعانى الكتاب الحكيم .

كان خطيبا ينفذ بالقول إلى أعماق القلوب وتصيب به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى .

إذا قال لم يترك مجالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلا

كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع لذى إربة فى القول جدا ولا هزلا

كان يكتب فيسحر الألباب وينطق بالحكمة وفصل الخطاب .

له بواتر أقلام مسددة فى حدها الحد بين الجد واللعب

كان أعرف الناس بالله وأشدهم مراقبة له . ولقد نظر إلى ما سرى فى عقائد العامة وأكثر الخاصة من الشرك الخفى فأراد أن يرجع بهم إلى التوحيد الخالص والتنزيه الحقيقى فنفر الناس من دعوته ثم نفذ شعاع الإيمان إلى قلوب المؤمنين الصادقين فتبين لهم أنه الحق . وكان متفانيا فى الدفاع عن الدين وتخليصه من الخلط الذى دسه فيه أعداء أنفسهم وصيانة مصالحه ودفع كيد الأعداء المعتدين عنه وجمع كلمة المسلمين وتوحيد أهوائهم ومنازع قلوبهم .

وفى هذا السبيل أصابه ما أصابه من أذى أهل الشر كافأهم الله .

كان محبا لخير بلاده ساعيا فى ترقيتها ورفع منزلتها .

ولم يحل بينه وبين ما أراده إلا الموت فترك هذه الحياة الدنيا وهو يذكر الإسلام ويدعو له لم تشغله عن ذلك نزوات الألم الوجيع ، وبوادر الفناء السريع وأى دليل بعد ذلك على قوة اليقين ، ورسوخ القدم فى الدين .

الأستاذ الإمام رحمه الله هو أبو تلك النهضة الإسلامية العلمية التى امتد شعاعها فى بلاد الهند ومصر ووصل جيش منها إلى بلاد المغرب وغير بلاد المغرب

من دول الإسلام ولقد كانت له آمال أسمى وأكبر

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليلحق ماقدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائق فى أكمامهـا لم تفتق

هذا هو الشيخ محمد عبده الذى واراه بالأمس التراب.

لعمرك ماوارى التراب فعاله ولـكنه وارى ثيابا وأعظما

وماذا يقول فيه القائل وبم يمدحه المادح ؟ وكل فعاله كرم وخير

يفنى الـكلام ولا يحيط بوصفه أيحيط مايفنى بمـالا ينفـد

وإذا كان الذكر الطيب حياة الرجال بعد انصرام الأجل وانقطاع حبل الأمل فان للفقيد الكريم من ذلك أوفر حظ وأكمل نصيب

فان تك أفنته الليالى فأوشكت فان له ذكرا سيفنى اللياليا

وانى ذاكر لكم أيها السادة كلمات منظومة جرى بها الخاطر فى رثاء الأستاذ الإمام على غير سعة فى الصدر تحمل العناية بتهذيبها وتحريرها

رزىء العلم فيك والإسلام يافقيد الهدى عليك السلام
كنت طودا إذا الخطوب ادلهمت لم تنل همك الخطوب الجسام
رجـل كان حيث يسلك فجاً تتحامى طريقـه الأيام
يادفين القلوب قد هابك الدهـ ـر فكيف اعتدى عليك الحمام
ان فى قبرك السماحة والفضـ ـل وفيـه الثبات والأقـدام
كان مغناك للعفـاة رحيبا نبتت فى رحابة الأيتـام
لم تـكن تحمـل الضغينة والحقـ ـد وان نال من أذاك اللئام
طيب القلب لم تهـم بشر طـاهر الذيل لم يمسك ذام
كنت حى الفؤاد تصدع بالحق فتلوى عنانهـا الأوهـام
كنت سلم الطباع والدهر حرب ساهر العزم والقـلوب نيام
كنت ترمى فى كل علم بسهم لاتباريه فى السداد سهـام
أنت خلفت فى الأنام ثناء تتغنى بذكره الأقـلام
جئت دار الحياة والدهر كهل وتوليت والزمان غـلام

ان قلباً أصفاك بالود حياً صدعته بموتك الآلام
كان فى هذه الحياة رجاء فدفناه يوم مات الإمام
رحم الله منك نفس كريم وقليل من النفوس الكرام

***

وتلا الأمين فى موقف الخطابة ـ عبد الوهاب عبد الرزاق ـ ونص خطابه:

أيها السادة

أصيب الإسلام بهدم عماده ورزىء العلم والمتعلمون بأفول ذلك البدر الذى كانوا به يستضيئون .

هوى من بين أيدى المسلمين بالأمس رجل كان نادرة الفلك وواحد عطارد

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

لقد حق لكل قلب ان ينفطر من شدة الحزن لعظم ذلك المصاب الذى اضطربت منه القلوب وطاشت الأحلام ، خبر وفاة الاستاذ الإمام .

فقدناه والآمال ترجو حياته وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

مات الشيخ الإمام فلله حياة قضاها فى رفع شأن دينه وقوة أنهكها فى خدمة أمته وفكر طالما أتعبه فى ترقية أفكار أبنائه المتعلمين

لاحول ولا قوة إلا بالله إنا لله وإنا إليه راجعون

ماكنت أحسب قبل دفنك فى الثرى أن الكواكب فى التراب تغور
ماكنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدى الرجال تسير
خرجوا به ولكل باك حوله صعقات موسى يوم دك الطور
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه فى قلب كل موحد محفور

اللهم اغفر له وأدخله فى رحمتك انه كان عبدا شكورا

***

وبعد أن كمل مقال الخطيب انبرى للقول وكيل الجمعية ـ أحمد عبد الرازق وقال.

إنا لله و إنا إليه راجعون . رجل قام بيننا ينير ظلام الليل والليل قائم ويأخذ بيد الحق يدمغ بها الباطل ويعيد للاسلام وأهله ثوبهم القشيب . حياته كلها

كانت فى خدمة الدين وأبنائه ، والعلم وطلابه ، والحق ونصرائه ، والفضيلة و رغابها حتى إذا ما أوشك أن يتم عمله و ينمو زرعه سلمت عليه المنية فأفل من بيننا نجمه اللامع ونوره الساطع ، وذهبت بذهابه آمال عظام .

ياليتها إذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

ولكن هيهات حم القضاء وأصاب السهم فالى الله نهرع و إلى كنفه الأعظم نلتجى

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فى غروب ذلك اليوم الذى فارقنا فيه ذلك الروح الطاهر منينا بفقدان علم نافع ، و رأى سديد ، وجد وعزم ومروءة وحزم فما أصعب مصيبته وما أشدها وقعا على النفوس . لله ما أشفق القلب على مصر ، ولدت ذلك الرجل وحيدا وليد الدهر اسلمته ، فسبر غوره ووقف على شره وخيره فاذا هو والحق يعمر قلبه واليقين يثلج صدره و ينابيع الهدى والحكمة تفيض من جانبيه .

موحد الرأى تنشق الظنون له عن كل ملتمس فيها ومعقود

يلقى المنية فى أمثال عدتها كالسيل يقذف جلمودا بجلمود

رفع من شأنها وقد قعد بها كل الأبناء و يهديها الطريق المستقيم وقد عمى عنها الأقرباء والأصدقاء . فاجأه ريب المنون وليس لها فى غيره مطمع وما فى النساء وان أخطأهن العد رحم مثله تدفع

هيهات أن يأتى النساء بمثله ان النساء بمثله عقم

ولئن فات بعضا من أفراد امة الفقيد ان تقدره قدره وتعرف له حقه ، فلقد خلف فينا من الأيادى البيضاء والمآثر الغراء ماسنبكيه عليه أبد الابيد ونشيد له به ذكرا يزداد طيبا كلما كشفت لنا الأيام عن مقاصده الطاهرة وأعماله الصالحة رحمه الله .

***

و بذلك تمت أعمال الجلسة وختمها الرئيس بسم الله كما بدأها

وكتب حضرة الفاضل محمد الشاملى الفار نجل سعادة عبد الرحمن بك الفار

فقيد الشرق

لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم . حم القضاء فلامرد لحكم الواحد القهار . مات مولانا المفتى فمات العلم والأدب والفلسفة والحكمة والهمة والعمل والرأى والتدبير والشجاعة والاناة وعزة النفس . وفقد الاسلام والمسلمون ركن نهضتهم وحامل علم رقيهم وانطفأ المصباح الذى يضىء الخافقين وحال الموت بيننا وبين القمر المنير فى سماء مصر الذى كان يرسل أشعته نوراً إلى العالمين فيهدى كل سائر فى هذه الدنيا ، يسترشد به الشيخ ويزداد العاقل تبصرة والجاهل علما والشاب موعظة والحكيم عبرة والرجل خبرة (ولكن قتل الانسان ما أكفره)

عاش مولانا ٥٧ عاما معلما مهذبا مرشدا طبيباً للنفوس مصلحا لأداء العمران فنغصنا عيشه وقتلناه بأعمالنا السيئة

أيها الناس أى عمل قام به مولانا (رحمه الله) ولم نعارضه فيه ؟ أى مشروع أدبى بدأ به ولم نقف أمامه حجر عثرة ؟ أى خير فعله ولم نقل انه الشر والاثم والزور والبهتان ؟ أى تعليم له نقلبه عليه بدعوى انه يريد مخالفة ماقرره السلف الصالح ؟

ولكنها همة فوق السحاب ونفس كبيرة وأخلاق شريفة رضية وبحر علم خضم لم تؤثر فيه الترهات أو تمنع ظهور فضله كثرة الأعادى والحساد فعاش كغيره من الأنبياء والحكماء والملوك كثير الأعداء كثير المحبين وهى ميزة كل نابغة عظيم القدر والمقام وإذا كان نصف الناس أعداء لمن ولى الأحكام فلا غرابة إذا رأينا ثلاثة أرباعهم مبغضين لمن ولته الزعامة الدينية الأدبية علومه ، ورفعته إلى أوج الكرامة فضائله ، وداس على رقاب خصمائه بقدم همته ، فكان أينما تحرك تحركت الدنيا وحيثما حل تطلعت اليه الأبصار وحامت القلوب ، والناس بين مقدس لتلك الفضائل مدحاً ، أو عامل على غمطها ذما وقدحاً ، وكلا الاثنين العدو والحبيب كانا فى مستوى واحد نحو تلك الحياة الممتلئة بالمفاخر والآثار

كم من العلماء تركوا الأزهر واشتغلوا بالقضاء ، كم من المصلحين ومحرري الشعوب أقصتهم الحكومة عن البلاد ؟ كم من رجال العلم تولوا الافتاء ؟ كم من الأفاضل أنابتهم الحكومة عنها فى مجلس الشورى والجمعية العمومية؟ عشرات ومئات تقلبوا فى هذه المراكز الخطيرة وأتى بعضهم بكثير من جليل الأعمال ؟ ولكن بينهم فردا واحدا كان طالب علم ، وكان شيخا متنورا طالبا للحقيقة المجردة ، وكان مدرسا ، وكان خطيبا بليغا ، وكان محررا صحفيا ، وكان قاضيا ، وكان مستشارا . ومات مفتياً ، وهو فى كل مركز من هذه المراكز العضو المتحرك لخير الانسانية والعلم المفرد الساعى وراء ترقيـة أبناء أمته ودينه ، والبطل الشجاع الذى لم يخش فى حياته وطنيا أو أجنبيا لعلمه أنه يعمل على مايقوى ساعد الملك و يوثق روابط الألفة بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة .

هو مولانا الشيخ محمد عبده فقيد الاسلام الخالد الذكر

فتى ريفى ألهم الله والده بأن يعلمه فبعث به الى الجامع الأحمدى بطنطا حيث كانت الجوامع دون سواها مواضع تلقى العلم والمعرفة فاختلط بشبان وشيوخ يظنون أقوالهم الحكمة وآراءهم فصل الخطاب ويخيل لهم أن كل العلم والدين منحصر فى متن معقد وشرح أكثر تعقيدا ، وتأويل غامض ، وتفسير مبهم ، فاخترق بحاد بصيرته أن علم هؤلاء جهل وصحيحهم غلط ، فعف عن العلم أياما ثم آب اليه وافترش صحن الأزهر طالبا لفائدة عقلية أو نقلية فلم يجد إلا مناقشات وجدالا ومغالطات كان يخرج منها على غير هدى ولكن ذلك كله لم يمنعه عن استئناف بحثه وتنقيبه محكما عقله فى الاستدلال والاستنتاج فرماه سادتنا علماء الأزهر بالميل عن الصراط السوى وادعوا أنه يذيع بين الطلاب مذهب المعتزلة وكادوا ينشبون به أظفارهم لولا أن قيض الله له من أخذ بيده ، ونصره عليهم وعلى وقته ، وهو ذياك الحكيم الشرقى الشيخ جمال الدين الأفغاني فتمازجا روحيا وعرف كلٌ ما يكنه صدر الثانى من صنوف العرفان والميل لهدم صروح الفساد والجهل المستولى على أفئدة المسلمين عموما والمصريين خصوصا ، ولكنهما لم يبدءا بنشر تعاليمهما حتى كثرت الوشايات وعمت السعاية والنميمة ، واعتصب ضد فقيدنا علماء الأزهر ، ولولا أن الشيخ

العباسى المهدى أنصفه لما أنالوه درجة العالمية ، وما كاد ينجو بعلمه من شر الأزهر يين وغباوتهم حتى وقع مع زملائه أبطال النهضة الفكرية فى شرك نصب له فأبعده إسماعيل باشا عن عاصمة القطر إلى مسقط رأسه فى مديرية البحيرة ولم يعد إلا بحسن رعاية الوزير الخطير دولتلو رياض باشا أحد العارفين بفضله ، الراغبين فى إفادة البلاد بواسع علمه . فولاه منصب تحرير الوقائع المصرية ، وكانت كحالها اليوم عبارة عن إعلانات رسمية مع بعض أخبار إدارية ووقائع محلية ففك قيودها وتوسع فى طرق تحريرها أو بعبارة أفصح حررها من سجنها إلى فضاء الحرية فنقد الأخلاق والعادات وأشار بمواضع الخلل فى أعمال الحكومة ودوائرها وفتح للكتاب أبواب التحرير التى كانوا لا يعرفون غير اسمها . فكانت نهضته فى الانشاء هى الخطوة الثالثة من أعماله التى أظهرت مواهبه ، وخالف بسيره فيها ما كان يظنه البعض أساسا لا ينقض فهدم أبراج خزعبلاتهم ، وأبان لهم كيف يجب أن يكون العالم وكيف ينبغى أن يكون الامام المصلح وما يفرض على من تلقى اليه أزمة التحرير لأمة جاهلة وحكومة دستورية اسما مطلقة فعلا .

هبت الثورة العرابية وكان فقيدنا فى فجر حياته ومطلع شهرته فلما دعى أجاب وهو يرمى إلى غير غرض عرابى وسامى وعبد العال كان يعتبر هذه الثورة خطوة فى سبيل التحرر من رق الأجانب ، كان يظن أن ثمار كتابته وأقواله قد اينعت فجاهد جهاد العقلاء وقدم الرأى عن شجاعة الشجعان ووضع الحكمة والسداد موضع الجهل والرعونة والتسرع ، ولكن ذلك كله لم يغنه فتيلا فلا أقنع غفلا لا يعرفون غير السيف والمدفع ، ولا أرضى فئة كبرى كانت تؤيد سمو الخديوى والحكومة وكانت نتيجة هذا الموقف الحكيم أنه سيق مع العصاة والمتمردين ، وحوكم كما حوكموا ، وصدر الأمر بإبعاده عن القطر ليس بصفة ثائر مثير بل خوفا من أن يكون لوجوده بعد الثورة تأثير فى الأذهان المتأهبة لقبول الآراء الجليلة الحرة التى لا تلائم الاحتلال وهو فى مهده ولهذا كان الأمر العالى الصادر بنفيه ممتازا بأنه يجوز له الاقامة فى أى قطر أراد ، ويجوز له العودة بأمر خديوى وهكذا كان . فحل سوريا حيث لقى القلوب متعطشة لنهلة من بحر علمه واجتمع حوله عدد كبير من الطلاب

فأرواهم من وابله وشرح نهج البلاغة وعنى بطبعه ثم انتقل الى باريس وقابل فيها السيد الأفغانى وهنالك رأيا أن أحسن خدمة تؤدى للعالم الاسلامى توحيد كلمة المؤمنين على اختلاف الملل والنحل فأنشئا معا جريدة « العروة الوثقى » التى صدر منها ١٨ عددا هى نموذج البلاغة وحسن البيان وأول ما كتب فى اللغة العربية من أساطير السياسة الدينية الدينوية ولم تشغله هذه الصحيفة عن الاستفادة من مقامه فى عاصمة الفرنسيس فدرس لغتهم وترجم بعض كتبهم وقابل كبار وزرائهم فكان هناك سفيرا متطوعا لخدمة المسلمين واظهار عواطفهم نحو أبناء الغرب فعرف علماء أوربا قدره وأنزلوه مكانته وكانوا يودون لو بقى بين ظهرانيهم يبدد عن سماء أذهانهم ظلمات الجهل بحقيقة الاسلام والمسلمين ولكن دعته الحكومة المصرية تكفيرا عن ذنبها واعتقادا بأن البلاد فى حاجة له فعين قاضيا بالمحاكم الجزئية ثم المحاكم الكلية ثم مستشارا فى الاستئناف فمفتيا للديار المصرية .

تولى المنصب الاخير وهو موضع نقمة الاهالى ونقطة دائرة سخطهم يظن الجميع بأن الداء استحكم منه ولا يقدر ان يبرأه منه طبيب فخيب الله ظنهم وعاد للافتاء سابق مجده بحسن عناية الفقيد الذى كلما زادت شهرته اتساعا وشمس فضله نورا كثر مبغضوه وكيف لا يعادى من تفرد بالحكمة والرزانة والمهابة - من كلما أرادت الحكومة او الامة رجلا لعمل لم ترسواه فبينما هو يدير مركز الافتاء تجده العضو العامل فى مجلس شورى القوانين لاتؤلف لجنة لعمل ادارى او اقتصادى أو مالى او زراعى حتى يكون من أعضائها ، تجده كبير المستشارين فى ديوان الاوقاف لايتم عمل صغير أو كبير دون أخذ رأيه واستفساره تجده مؤسس الجمعية الخيرية الاسلامية جائلا فى عواصم المديريات يحث السراة والاغنياء على البذل والعطاء لتشييد دور التربية والتعليم ، تجده متربعا فى الرواق العباسى يلقى دروس الحكمة والمنطق والبلاغة والتفسير تجده فى منزله بعين شمس وقد التف حوله الراغبون فى علمه يفيض عليهم من نوره ، تجده فى تونس والجزائر يداوى أمراض المسلمين ، تجده فى اوكسفرد وكمبريدج ينظر فى كيف ترتقى الأمم ، تجده يكتب الفتاوى العصرية التى أقامت الدنيا وأقعدتها فاخرست الاعداء وافحمت المعارضين

وانقسمت لأجلها البلاد قسمين انتصر أصحاب الحق منهما على مدعى الباطل

هذا هو الرجل الذى كان يبتعد عن السياسة و يتحاماها ولكن أبى مركزه إلا أن يرغم القابضين على أعنتها على الاحتكاك به والوقوف أمامه موقف الأعداء حيناً والمحبين تارة فلم يخش سلطة أمير أو وزير حتى كان ما كان مما فصلته الجرائد فى سنتيه الماضيتين من المنازعات والاختلافات التى قامت بين الفقيد ومبغضيه وأهمها فتوى ذبائح الكتابيين وتحليل إيداع الأموال بصندوق البوستة، ومسئلة العلماء ، ورفع رواتب رجال الأضرحة والمساجد، وحادثة الأزهر الأخيرة التى دوى صداها فى أرجاء المسكونة وحملت لنا صحف الهند استياء المسلمين لكل ما صدر ضد فضيلته رحمه الله . ولم ننس بعد تلك التهمة الفاسدة التى عزيت إلى فضيلته بينما كان يتقلب على فراش مرضه الأخير وسجن بسببها حموه . وكانت سبباً فى الاجهاز عليه أثابه الله وعفا عن الظالمين وقد أمضينا الاسبوعين الفارطين مع جم غفير محتاطين بسريره وكلنا ألسنة داعية لفضيلته بعاجل الشفاء ولكن قدر كان فذهب مبكيا على شمائله مودعا من الجميع بالأسى والأسف والكل يرددون : إن السعادة التى تنعمت بها مصر فى حياة مفتيها و إمامها العظيم كانت كالحلم الجميل ولكنه حلم سيبقى أثره فى النفوس وتأثيره فى العادات والأخلاق والهيئة الاجتماعية المصرية فى كل دقائق حياتها كما يبقى اسم مولانا الشيخ محمد عبده الأجيال الطويلة عنوانا للمجد والفخر فنسأله تعالى أن يهبنا نعمة الصبر على فقده ولا يحرم الشرق من ظهور نابغة يحل محله والسلام .

محمد الشاملى الفار
نجل سعادة
عبد الرحمن بك الفار بدسوق غربية

(و يلى هذا أبيات من الشعر حذفناها اختصارا)

وكتب الفاضل الشيخ محمد فراج الأزهرى ما يأتى :

لا غرو ولا عجب ولا استنكار ولا إنكار . فى ذلك الخطب الجلل الذى قد وقع بالمصريين عموماً وأسرع الاسلام والمسلمين خصوصا . ولا أكون مبالغاً إذا قلت بالعالم أجمع (فسبحان من يرث الأرض ومن عليها) ولو زلزلت

الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها ، لما تلجلج لسان الاسلام هذا التلجلج ولاتزعزع عن مركزه فى موقفه ، ولما وقف موقف الحيران لايبدى حراكا عن نفسه ، ولا يدفع خطباً إذا وقع به ، ولما أصابه ما أصابه من الجبن والوهن الذى لحقه لفقد الامام العلامة النابغه الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده فقيد الافتاء فى هذه الديار المصرية . فلقد اقتطفت المنية غصنا مثمرا ، واختطف جوهرا من الامة جيدا ، وهدمت ركنا من الدين عاملا ، فكم ناداه الاسلام فلباه ، وكم دعاه الازهر فأجاب دعوته ، وكم طلبه الرأى بالشورى فأسرع اليه وأعطاه حقه ، وكم مد الجمعية بنفسه ونفيسه حتى أحياها بعد أن كانت ميتة فأى حادث وقع بالمسلمين كهذا ؟

ولو نظرت أيها العاقل إلى هذه الحياة لوجدتها لفراقه اياها متلجلجة اللسان متزعزعة الفكر متقطعة القلب باكية العيون ساكبة الدموع لفقدها حكيما كان يمدها بجياد فكره وسعة علمه وقوة جنانه ، فكيف لاتندبه وقد ماتت بموته ، لفقد الامداد عنها بفقده . خطب قد ألم بقوم فأفقدهم مسعاهم ، وحادث قد وقع بهم فأفقدهم مثواهم . وزرء جسيم ، ومصاب أليم . قدأفجعهم على غفلة منهم فزعزع أساسهم ، وهدم بناءهم ، فوربك ان اغتيال المنية اياه أمر قد صير الخطب بيننا جللا ، والأيام بيننا دولا . فمن لى بعد هذا من يكون من أبناء الدين للدين ناصرا فلقد سقط نجم الاسلام ، وهدمت قوة المسلمين ، واشتد الكرب ، وعظم الخطب ، فالحادث فظيع ،ولله الامر من قبل ومن بعد و به الحول والقوة فكم من ضلالة أحياها الاجنبى فأماتها . وكم من صالحة أماتها الغبى فأحياها ، وهاهى قضية تلك الغرانيق تشهد له بما قد ابرزه من الحقيقة فيها ومناظرة هانوتو فانظر اليها ترها عروسا بكرا قد زفت إلى هانوتو مجللة بضروب الحلى والآداب بعد أن أسس جدارها وشيد بنيانها ورفع أعلامها حتى صارت ولم تزل تنادى له بالفضل والرحمة بكرة وعشيا ثم ارجع الى الازهر وحول النظر ثانية إليه ترأنه قد انشأه نشأة ما كان ينتظر أن يكون عليها بالامس . فكم خاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وحرك الحواس ، حتى أثرت كلمته فى القلوب بعد ان اخترقت حجب الاباطيل ، واعدت عددا

عظيما من الافاضل قد أناطوا أنفسهم اليوم باستكناه المعقول تارة و كشف المجهول اخرى ، خدمة للدين ، وقياما بحقوق العالمين ، وذلك النجاح ما كان يمكن أن يناله الانسان قبل ، وما كان يخرج التلميذ عن دائرة التلمذة إلا بعد أن يبلغ من العمر أرذله وربما كان بعدهذا الشقاء ، لم ينتظم فى سلك العلماء ، بل فى سلك اولئك الذين فارقوا الدنيا بعد أن خسروها والآخرة « ذلك هو الخسران المبين » فياتعاسة حظ الازهر والازهريين ، و ياخسوف نجم سعد المسلمين ، فقد الكل رجلا كانت الحاجة اليه ماسة وقضايا الدين اليه داعية ، ومصالح الحكومة له نادبة ، ودعك مما يقوله فيه المشاغبون ، و إذا رأيتهم يخوضون ، فاعرض عنهم ودع أذاهم وذرهم فى طغيانهم يعمهون ، فانك إذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فيه تتمتع روحه السعيدة وحسبك دليلا على ذلك ما قد أعقبه للدين من الآثار

تلك آثارنا تدل علينا — فانظروا بعدنا إلى الآثار

فكم استغاث به الفقير فأغاثه و كم أنصف المظلوم فيه وأعطاه الحق ، و كم أدب الظالم لاعتدائه الحدود وانذره ، وكم سار فى الارض امتثالا لقوله جل وعلا (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين — أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) ولايسعنا اليوم إلا أن نرجو الله تعالى أن يغمره بعميم رحماته ، وأن يهب الاسلام رشيدا بعده ليقوم به حالهم و يصلح به شأنهم ، انه علي مايشاء قدير و بالاجابة جدير آمين

محمد فراج الازهرى
المنياوى طالب علم بالازهر
ومن تلامذة الفقيد

وكتب حضرة الفاضل محمد افندى الهراوى بالمعارف ما يأتى

مات الامام ولم يمت

كأنك اذ علوت اليوم نعشا — خطيب ان تؤثر من سكات
وان الناس قد جاءوا لوعظ — كما عودتهم حال الحيـاة

هل مات الإمام، هل راح امير الكلام ، هل قضى حجة الإسلام ، هل توفى حكيم مصر ، هل ذهب فيلسوف العصر ، هل مضى فاعل الخير ؛ هل انزوى نابغة الشرق ، هل ودع نصير الحق ، هل بلى لسان الصدق ، هل مشى ابن السياسة، هل قبر أخو الكياسة ، هل دفن أبو الرياسة ، هل عدم شديد اليأس ، هل آب عظيم المراس ، هل بعد قوى الحجة على الناس ، هل اختفى الرجل الصبور ، هل فقد الشهم الغيور ، هل ولى الليث الجسور ، هل طوى رب القلم ، هل سار ناطق الحكم ، هل انتقل الرجل المحترم ؟؟

الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية

نعم مات ، مات وكان للشرق تاجا فسقط بموته ذلك التاج ، وقد وكان لمصر سراجا ، فانطفأ بفقده ذاك السراج الوهاج ، وذهب وكان لدين الله حصنا يرد عنه غوائل المعتدين ، فذهب بذهابه ذلكم الحصن الحصين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . إنا لله و إنا إليه راجعون .

من تعاسة الشرق وحظ الغرب فى كل شىء أنه إذا مات بالثانى نابغة فى فن قام بعده ألف نابغة فى كل فن . و إن ظهرت بالأول نادرة ، لا يلبث أن يؤوب إلى الدار الآخرة ، ولله فى خلقه شئون

ألم تر إذ ما كان فينا محمد ... يمثل فضل الشرق والشرق يجهله
وها هو قد ولى لحال سبيله ... فيا رب بعد الشيخ من ذا يمثله

لا أحد والله يمثل بعده فضل الشرق والشرقيين ، ولا رجل يخلفه لينهض بالإسلام والمسلمين ، فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله و إنا إليه راجعون

مات حكيم الشرق النابغة ، وله فى كل فن يد بالغة ، فكان فى اللغات متمكنا ، وفى أصول الشريعة أمكنا ، وفى الآداب متضلعا ، فهو فى أحكام الدين أبو حنيفة النعمان ، وفى البلاغة والبيان ، قس وسبحان ، وفي الحكمة لقمان ، وفى الفلسفة ابن رشد هذا الزمان ، وفى الكرم والسخاء حاتم الطائى ، وفى المروءة والوفاء السموأل والطغرائي ، هو الكاتب إذا كتب لو أعطى قلمه أميا لأصبح بفضل الله كاتباً بارعا ، الخطيب إذا خطب لو أعار لسانه أعجميا لأضحى ما شاء الله خطيباً

مصقعا إذا علم فهم ، و إذا حاج أفحم

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وقد مات واحد الدنيا فى المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله و إنا إليه راجعون . لو كان ذلك الرجل اليونانى الفيلسوف الذى حمل فى يده مصباحا والشمس تكاد تحرقه وأخذ يبحث عن شىء فى الطريق حتى إذا سأله سائل عما يبحث قال إنما أبحث عن رجل ـ لو كان هذا الرجل الحكيم معاصرا لفقيدنا المرحوم لا كتفى بأن يراه فى جنح الظلام . رجل في أبهى مظاهر الرجال العظام ، أما وقدمات الشيخ محمد عبده ودفن تحت التراب فليحمل الشرق بأجمعه فى كلتا يديه ألف مصباح ومصباح وليستعن بالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار اذا جلاها ثم ليبحث بين رجاله من بعده على رجل مثله

***

إذا صحت دعوى المدعين ، بأن لأولياء الله الصالحين ، من الأجسام أربعين فقد صدقت دعواهم على نفس فقيد الأمين . فبينما تراه طيب الله ثراه يدخل حجرته ، يرد على هانوتو فريته ، تجده فى دار الافتاء ، يفتى بالشريعة الحنيفية السمحة ، فاذا بك تلقاه فى الجمعية العمومية ، يبدى الآراء الذهبية ، فاذا بك تلقاه فى مجلس الشورى يترأس اللجان الفرعية . فاذا بك تنظره في ديوان الأوقاف يسوى كل خلاف فاذا هو فى الداخلية ، له يد فى الأمور الادارية . فاذا هو فى الحقانية له الفصل فى الأمور القضائية ، وترتيب المحاكم الشرعية ، فاذا هو فى نظارة المعارف العمومية ، لإصلاح المعاهد العلمية ، فاذا هو فى مجلس الأزهر يدخل فيه العلوم العصرية ، فاذا به وهو فى دار الجمعية الخيرية الإسلامية ، يفكر فى خيرها من الوجهتين المادية والأدبية ، فاذا بك تراه يفسر آيات الله تفسيرا ما أحلاه وأجلاه ، فاذا أنت تبصره فى قرى الأقاليم ، يحتفل بافتتاح معاهد العلم والتعليم ، و إنك لتعلم أنه بمدائن القطر ، يوالى دعوة سراة بني مصر ، لاغاثة منكوبى الجر بميت غمر فاذا أنت تسمع أنه عضو لجان المحكمين ، لتسوية الخلاف بين الأهلين ، و بالجملة فانه ماراح أو حضر إلا وله فى كل واد أثر . أفما خسرنا فى فقد هذا الرجل ألف رجل ؟ ورجل فلا حول ولا

قوة الإيمان بالله العلى العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون

***

تولى القضاء فحكم بين الناس بالعدل، وولى الأحكام فقضى بما يرضى الله والعقل، فتمسكت القلوب به وتعلقت بحبه، وقدره العارفون حق قدره، وشهدوا له برسوخ قدمه فى الفضل والنبل، ولم ينفر منه إلا الحاقدون عليه لعلمه وفضله وعلو مرتبته أو على رأى المثل

إن نصف الناس أعداء لمن ولى الأحكام هذا ان عدل

وتجاهلوا فجهلوه، وعرفهم فلم يعرفوه، والفضل يعرفه من الناس ذووه وأحسن إليهم فأساؤوه، وبعلمه أحبهم وبجهلهم عادوه، والجاهلون لأهل العلم أعداء

كان يتواضع كثيرا وهو عال علوا كبيرا، ويعمل المروءة بقصد المروءة ولا يبغى عليها جزاء ولا شكورا

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة؟
فقالت: كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلق الله ماتوا

نعم ماتوا ودفنوا تحت الطين فلا حول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون

محمد الهراوى بالمعارف

وكتب الفاضل الشيخ توفيق أبو خليفة ما يأتى

أكتب هذه الأسطر بدمع عين ملؤها الحزن والكآبة، عين زاغ منها البصر وما طغى. لقد رأت من آيات ربها الكبرى. فسحت سحابتها الملتفة بالويل فسقت حطيم الآمال التى التوى غصنها، وجف غضها، وانصرم قويها، وبعد مزارها، واتسع خرقها، وطحنتها صروف الدهر طحنا، ومزجتها بكأس من حميم، وجعلتها صورة سوداء مكتوبا على جبينها آية الاستحالة، ووضعتها فى جيب الأرض. أجل انها وضعت تحت امامنا الأكبر وتحت ساعده الأيمن سيد المفسرين وملاذ العالمين، وملجأ المشتبهين، رضوى زمانه، أبو حنيفة أوانه،

سيد كل عليم ، وامام كل فهيم ، من لايسعنى أن أصرح باسمه ، حيث استئار العالم بخواصه ورسمه ، ذلك المقدام الذى تدكدك لهوله الطور ، وغاض منه البحر المسجور ، ونكست رأسها الاقلام ، وخرس له كل لسان ، و بكت عليه السموات والارضون ، واظهرت حدادها ، وانقلب كيانها ، وهدأ دويها ، وكثر صريخها ، وندب صريخها ، و بكته الثريا وتفرق شملها ، وانفصمت عروتها ، حيث كانت معلقة بذيله ، وخادمة لنيله ، وطوع اشارته وأمره ، وانخسف القمر ، واقتربت الساعة وكرت علينا أحزاب الهموم زمرا ، فأخذنا نريق غرب الدموع عبرا ، كما أراقها على يوسف يعقوب ، ونشق الجيوب بباتر الأسى ، والقلوب تتلو سورة الانشقاق ، والصدور كتبت فى طيها سورة اللهب ، والجسم عصفت عليه أعاصير النحول الذاريات وتوالت عليه مرسلات البؤس المغيرات ، فعبس جيش الصبر وتولى ، وتركه أسير الاخوان وولى ، فتبا لدهر كسف منا هذا البدر . وجعل موعد لقائه الحشر

دهر ان صفا يوما تكدر أعواما ، وان أضحك شهرا أبكي دهرا ، فها هو قد وقف بالمرصاد ، وعضنا بأنياب حداد ، واستلب منا ما كان نجلا فى عينه . ولعسا فى شفته ، وعقدا فى جيده ، وعبيرا تتأرج الارجاء عند هبته ، وروحا لجسم المجد ، وانسانا لعين الرفد ، وزندا لكف الدين ، وواسطة لعقد المتقين ، وحرما للآمال . أبيح فيه صيد المال . فان انت لامسته لامست شهما ، وان مارسته مارست ضيغما . وان جالسته جالست امثلا ، وان هاديته هاديت أجدلا . وتالله كان يومه ينافس فيه أمس ، والعالم تفخر به كما فخر عصام بالنفس .

أها وآه رحمك الله ياعليم الاقطار فلئن عزت حياتك ، لقدهدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك ، ولنعم الروضة روضة ضمت ضريحك ولنعم الجنة جنة فيها فسيحك . ولنعم الحور حور تلقتك بكأس دهاق من الكوثر فطبت حيا وميتا وعشت جليلا ومت جليلا فلنعم الجليل . فلتهنأ بك الجنان ، وليبكك الزمان فهذه الارض قد اشفقت عليك من الاعداء . فوضعتك فى الاحشاء ، فترفق أيها

الجدث فقد نزل بجرعائك القطر. اللهم الهمنا والامة الصبر . واجعل له بهذا الفادح خير اجر

توفيق ابو خليفة
الجرجاوى بالازهر

وكتب الفاضل عز الدين افندى صالح ما يأتى

انا لله وانا اليه راجعون

لقد ذوى غصن البيان . وهوى نجم العرفان . على أثر مرض أعيى الاطباء وروع الاوداء ، فياعيون تفجرى . ويادموع تحدرى

ويامهجتى ذوبى أسى وصبابة ويا كبدى عز اللقا فتفتتى

فقد هلعت القلوب ، وتفاقت الخطوب ، وتزايدت الكروب : وضعف الطالب والمطلوب . وبلغت الروح التراق . اذا انفصمت عرى التلاق

وقد ماتت الفتيا بموت (محمد) واوحش دين الله وازور جانبه
وأظلم هذا الكون بعد ضيائه فقد كان من لفظ(الامام) كواكبه

فنزل بنا ما لو نزل بالجبال لمادت رواسيها . وبالارض لدكت أعاليها ، وبالبحر لغاض ماؤه . وبالبدر لذهب سناؤه . وبالشمس لم تظهر وبالنجم لم يسره

والصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه لايحمد

لا كان قلب لايستصغر جمر الغضا لفراقك أيها المفتى ، ولاعين تبخل بهواطلها ولاتجود بهواملها ، ولا كان اليراع ان سطر غير مراثيك ، ولا اللسان ان نطق بغير ذكرى معاليك

سكنت رمسا وياليته كان بين جوانحنا ، وتحجبت عنا بالتراب وعهدنا بالبدر التقنع بالسحاب

وقد كان بطن الارض يغبط ظهرها عليك فأمسى البطن يحسده الظهر

يبكيك الافتاء، ولانبكيك . وينعيك الاسلام ولاننعيك . وتشج رؤوسها

الاقلام حزناً عليك ولا نموت جزعا . ونرى الشورى فى ضجة ، وطلبة الأزهر فى صيحة ، ولاتأخذنا رجفة الفراق

شمس فضل مال بها الزوال إلى النزول ، و بدر أدب جنح به التمام الى الافول و بحر جف ، وطود خف . فحمل على الاعناق ، و إلى ربك يومئذ المساق

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى علي أيدى الرجال تسير

والله لو أن الموت يقبل الرشا ، أو يسمح بالفدا لفديناك بأرواحنا وأموالنا أو كان يسمع أو يعقل لافحمناه بحجج دامغة و براهين ساطعة ، حتى لم يجد اليك سبيلا ولكن

الموت داء لا دواء له يمحو من الدنيا أمانيها
وطبعه نقض المعالى لذا أفني محمدها ومفتيها

الهمنا الله وآلك صبرا واسكنك جنات تجرى من تحتها الانهار وعوض الاسلام فيك خيرا . ماقال الصابرون إنا لله و إنا اليه راجعون

عز الدين صالح
تلميذ بمدرسة رأس التين
باسكندرية

و كتب الفاضل الشيخ احمد مختار الحنبلى

عظة الدهر برجل العصر

من كان يعلم مابأمسه . ورآه أصبح كفين رمسه . علم ان الدنيا كدرة مبغوضة . وانها لاتزن عند الله جناح بعوضة . غرارة ميالة . وحلوة فتانة . خطوبها كثيرة وحادثاتها عديدة . ولاخطب فيها اكبر مما دهانا . ولا سهم منها أشد مما رزانا . رزانا بوفاة العالم النحرير . والفيلسوف النقريس ارسطا طاليس زمانه . وافلاطون أوانه . من له من سحبان بيانه . روح هيا كل المعارف والآداب . وسويداء القلوب ونقطة عين أولى الالباب . شيخنا العلامة

الشيخ (محمد عبده) مفتى الديار المصرية وناموس أسرار الشريعة الاسلامية

مولاى ننعيك ، ولكن بأى لسان أم بأى قلم ؟ نبكيك قدر ما آثرته علينا وبما قد اخلفته الينا ، من طرق التربية والنهضة العالية واوقفتنا على كثير من العلم والحكمة . وارشدتنا الى مطالب الحياتين . فنال كل فريق بك مآربهم ، وشرب كل اناس منك مشربهم . اذ أنت بحر العلوم وقنطرة الوصول ، ولدتك أمك فسلمت فطرتك وكملت فطنتك . وعلت همتك ، فكنت اماما محققا . ذليقا مدققا كاتبا مقنعا . وخطيبا مصقعا .

تسنمت حتى عجب منك أخوك المصرى . و بهت منك الهندى والتركى . وهرع لك البدوى والزنجى . وشهد لك المسلم والافرنجى ، شهادة معاصرين لمعاصر عجبت منك الآباء والابناء بل الامهات ولا عجب (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) شيخ ولكن تقلدت وسام القضاء الاهلى ، وامام بك ارتفع المقام الشرعى ، تزين بك مجلس الشورى والمجلس الأعلى . وأقيمت بك الجمعية الخيرية الاسلامية والجامع الاسنى ، ففتحت بيوت البائسين ، وضربت على أيدى الظالمين ، فالتجأ لك عداد الفقراء والمساكين . فمن لهم بعدك . فوالله لولا التدين لقلت انك خير من سلف وأعظم من جاء وأفضل من خلف ، قاومتك الليالى فقاومتها حتى ناجتك المعالى فساعدتها ؛ فضربت بهمتك الامثال ، و كنت للفضائل خير مثال

مرضت فأمرضت القلوب وأبكيت العيون والناس كما يصبحون يمسون . ولكن جاء قضاء الله ولا راد لقضائه . وفاجأك الموت فلا محيص من لقائه . ألا انه لحياتك ارتجت الارض ولموتك اهتزت . فبكاك الاذربى ونعاك الالمعى والقلوب انفطرت لفراقك أذنت المساجد . ودقت النواقيس فى الكنائس اشعارا واعلاما بانك رجل الدنيا وواحدها . تطاير اسمك وعلا ذكرك ورفع شأنك . فنعتك جرائد الشرق وصحف الغرب ببعض مافيك من شيم . رحمك الله فأنت الذى بمشهدك امشيت المسلم والكافر والرجل المطيع والآخر الفاجر . ذلك المشهد الذى عبر عنه بمشهد افتتاح الاسلام ثانيا واختتامه . أو (أول مشهد ارتباط جديد فى الخلق) ماسبقت بمثاله فيه رجال الدين والدنيا . كيف وأنت

الذي مهما يكن لانقدر حق قدرك . وهذا بيننا بقلمك وهذا من عملك . وان آثارك خير مدح وأجمل عزاء . ياعالما لم تجاره العلماء ، مت ولم تمت فمن بقيت آثاره لم تمت حياته فرحمك الله ورحمك الله احمد مختار الحنبلي

أحد طلبة العلم الشريف

وكتب الفاضل الشيخ محمد موسى الاجرب ما يأتى

بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون . لقد نكس الاسلام أعلامه ، وعض بنواجذه بنانه ، وابيضت عيون المناصب حزنا ، وتفطرت قلوبها شجنا ، والكل بلسان الحال ، يندب الاطلال ، وينعى البلاد والابطال . أسفا على من بموته مات العلم والفضل ، وبفقده فقد القسط والعدل

الا وهو فقيد الملة والدين ، وحكيم الأمة وطبيب المسلمين ، فيلسوف زمانه ونابغة دهره وأوانه ، امام الامة والعلماء ، وشيخ المشايخ والعظماء ، استاذنا الاكبر الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، تغمده الله برحمته المرضية ، وأسكنه فسيح جنته العلية آمين . فمجلس الاوقاف الأعلى كان يود ان يخلد حيا ، والآن يندبه ويقول (ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) ومجلس الشورى يدعو اله العالمين (انى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) والمحاكم الشرعية تبكيه بدمع غزير (فالحكم لله العلى الكبير) ومنصب الافتاء يندبه على فقدنظره العميم (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وأهل الازهر يبتهلون الى الله من الويل المبين (ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين) والجمعية الخيرية تنادى الا لاتهضموا حقوقهم (وآتوا اليتامى أموالهم) ورده على مسيوهانوتو ينادى بأعلى صوت شديد (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) والمحاكم الاهلية تبتهل لماضى مستشارها الكبير (انى لما أنزلت الى من خير فقير) وجميع المسلمين يرجون اتمام النساء (١) واحكامهن (ويستفتونك فى النساء

---

(١) يشير الى ان الفقيد لم يتمم تفسير سورة النساء

قل الله يفتيكم فيهن) وجامعة الاسلام أصبحت تتلو علي المؤمنين (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) ومدرسة القضاء الشرعي تتضرع إلى الله بكرة وعشيا (رب هب لى من لدنك وليا) وزيد وزينب يتبرآن مما ينسب إلى نبيكم [1] (ذلكم قولكم بأفواهكم) وتأسيس المساجد يدعو له والمنابر (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وحادث ميت غمر [2] قد لباه إله العالمين (انا لا نضيع أجر المحسنين) وعلوم التوحيد أصبحت تلبي إلهاً واحداً (فلا تدعوا مع الله أحداً) وعلوم البلاغة أقامها من وهدة الانحطاط فكان لها من الحافظين (ان فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين) وعلوم الحكمة أنقذها من رتبة الجهل فسرت به سروراً (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) وعلوم الرياضة تطلب من الله جزاءه وما أراده (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) هذا — وان مشهده الأعلى يتلو فى الوجود (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وملائكة الرحمة قد احتفوا به فرحين مسرورين (ادخلوها بسلام آمنين)

قد مات الاستاذ الامام وما هو إلا مصير الأولين والآخرين ولكنه قد أرشدنا إلى طرق الصبر وعلمنا كيف نتسلى ونتصبر نعم انه قد مات ولكن لحياة علومه ومعارفه وعموم نفعه للمسلمين هو حى بتلك الآثار (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) واني لم أزل أكرر آية الصبر لى ولعموم المسلمين ممتثلا قول الله تعالى (و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا اليه راجعون) ومتمثلا بقول الشاعر :

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فعوضنا الله والمسلمين خيراً فى عظيم مصابنا ورزقنا وآله الصبر والمسلمين على ما ألم بنا آمين

محمد موسي الأجرب مجاور بالازهر
من محلة فرنوى بحيرة

---

(١) يشير إلى رده الشبهات فى مسألة زيد وزينب (٢) يشير إلى جمعه المال لاعانة الذين أصيبوا بالحريق فى ميت غمر وغيرها

حفلة التأبين والرثاء

عند القبر

جرت العادة عند الازهريين بأن يرثى كل عالم عند الصلاة على جنازته فى الازهر بقصيدة تنشد على دكة المؤذنين فى الجامع وكان الاستاذ الامام عليه الرحمة والرضوان أبطل هذه العادة وقد حاولوا أن يعودوا اليها برثائه فمنعهم صديقه الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان . وتقدم ذكر ذلك فى تأبين الجرائد

وجرت عادة الفضلاء من كل أمة بأن يؤبن بعضهم من يموت من أهل الفضل وأصحاب المكانة عندهم عقب الدفن وقد أراد العمل بهذه العادة بعضهم عند دفن الامام فرأى صديقه حسن باشا عاصم كثرة ازدحام الناس وما هم فيه من الحزن والكرب مع شدة الحر والتعب من طول المسافة التى مشوها من محطة مصر إلى القرافة فقام فى الناس فقال مامعناه : ان أصدقاء الفقيد ومريديه استحسنوا أن يرجئوا التأبين إلى اليوم الأربعين لوفاته فانصرفوا أيها الناس مأجورين مشكورين

وقبل مجيء الموعد علموا أن الذين يريدون التأبين والرثاء من العلماء والأدباء كثيرون وان تقديم بعض على بعض أو الاذن لبعضهم دون بعض فى إلقاء ما أعده لا يليق ولا يحسن ، فكان الرأى أن يعين المؤبنون والراثون وأن يكونوا بحيث يستغرق مايلقونه الوقت الذى يجتمع فيه الناس للاحتفال بذلك فاتفقوا على أن يكون المؤبنون والراثون خمسة — حسن باشا عاصم يذكر ملخص تاريخ حياته لاسيما عمله فى الجمعية الخيرية فى مدة رئاسته لها وقبل ذلك . إذ كان الفقيد عضواً مؤسساً وعاملا — والشيخ أحمد أبو خطوة القاضى فى المحكمة الشرعية الكبرى وأحد علماء الازهر الاعلام وأن يكون أخص مايذكره خدمته للأزهر والمحاكم الشرعية — وحسن باشا عبد الرازق أحد أعضاء مجلس الشورى وأن يكون من أخص مايذكره خدمته للحكومة وللأمة فى المجلس — وقاسم بك أمين المستشار فى محكمة الاستئناف والعالم البارع فى علوم الاخلاق والاجتماع وأن يكون أخص مايذكره أخلاقه وفضائله واصلاحه فى الامة — وحفنى بك ناصف القاضى فى محكمة مصر الاهلية وأحد

الادباء المتخرجين على الفقيد في الازهر ودار العلوم — وحافظ افندي ابراهيم أشهر شعراء مصر وأعرفهم بمزايا الامام كل منهما يرثيه بقصيدة

هذا ما اتفق عليه الاصدقاء والمريدون وأذاعوه في الجرائد ولما جاء اليوم الموعود وكان يوم جمعة اجتمع الالوف عند القبر حتى ضاق بهم الحوش الذي هو فيه والفضاء الذي بجانبه حتى كدنا نظن انه لم يبق في القاهرة أحد من علمائها إلا وقد حضر بل حضر أيضا كثيرون من وجهاء الاسكندرية وسائر جهات القطر ولما حانت الساعة التي عينت في الجرائد للبدء في الاحتفال تلا بعض القراء آيات من القرآن العظيم خشع لها الحاضرون ثم ألقى كل واحد من المؤبنين ما يأتي عنه

﴿ تاريخ حياته ﴾

لسعادة حسن باشا عاصم

ولد الفقيد في سنة ١٢٦٦ للهجرة الشريفة من أبوين متوسطي الحال ووالده من بلدة (محلة نصر) في مديرية البحيرة ووالدته من بنت عثمان من بلدة (حصة شبشير) بمديرية الغربية وينتمي بيت والدته الى بني عدي من العرب ويقال انهم من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت أخلاق والديه الفطرية سليمة يغلب على والده الكرم والشجاعة والوقار وتعرف والدته بالبر والرحمة بالمساكين فلهذا في أخلاقه الكريمة أصل يرث عنه ويزيد بحسن التربية التي صادفها ما شاء الله أن يزيد رفعة وكمالا

بدأ في تعلم القراءة بعد أن جاوز العاشرة من سنه فأتم حفظ القرآن على حافظ مخصوص ثم أرسله والده إلى طنطا لأجل تجويد القرآن في الجامع الأحمدي فجوده

وفي سنة ١٢٨١ هـ شرع في طلب العلم بذلك الجامع فأقام سنة ونصفا لم يفهم شيئا مما يلقى اليه لوعورة طريق التعليم ومفاجأة المعلمين للطلاب بما لا يعرفون من الاصطلاحات وصناعة الاعراب فسئمت نفسه وترك الطلب وعزم على الاشتغال بالزراعة وتزوج على هذه النية فكان هذا أول برهان على سلامة فطرته وذكائه إذ لم يرض باضاعة زمنه بما لا فائدة منه لكن والده ألزمه بالعودة الى الجامع الاحمدي لطلب العلم كأنه تفرس فيه الذكاء والاستعداد فلم يرض له باضاعتها فأركبه فرسا وأرسل معه رجلا شديد البأس ليوصله الى محطة ايتاى

البارود حيث يركب القطار الى طنطا فاشتد عليه الحر فى الطريق ففر من رفيقه يعدو بفرسه الى قرية تسمي (كنيسة أورين) بمديرية البحيرة وانما فر الى حيث يقرع باب العلم والتربية الصحيحة التى كانت السبب فى سعادته كما كان يقول تحدثاً بنعمة الله تعالى . ذلك انه كان فى الكنيسة رجل عالم فاضل مستعد لارشاد غيره ولكنه كان يشتغل بالزراعة لا بالارشاد فكأن الله تعالى خلقه لأجل أن يربى فقيدنا إذ لم يرب أحداً سواه

ذلك الرجل هو الشيخ درويش خال والد الفقيد وكان قد ساح فى الأرض فوصل الى طرابلس الغرب فأخذ العلم والطريقة علي السيد محمد المدنى وتربى على طريقة الصوفية الحقيقية وعنى بتفسير القرآن وحفظ الموطأ وكتبا أخرى في الحديث

فلما نزل الفقيد ضيفاً فى داره رحب به وكلفه أن يقرأ له جملا من كتاب خطى جاءه به فأبى عليه فما زال يلح عليه مع التلطف به حتى قرأ أسطراً فلما قرأها اندفع الشيخ يفسرها له ثم عاد اليه يكلفه القراءة فيقرأ فيفسر له ثم يتركه يلهو ويلعب مع شبان القرية فما جاء عليه اليوم الخامس إلا وقد عشق القراءة ومقت اللعب واللهو وهذا دليل على أن تركه أولا لطلب العلم كان لعدم الفهم لا لضعف الاستعداد

لم يكن ذلك مرغباً له فى العلم والقراءة فقط بل كان مرغباً له فى العمل بالعلم وتربية نفسه وتهذيبها به . فقد كان ذلك الكتاب مجموعة رسائل كان السيد محمد المدنى أرسلها الى بعض مريديه يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويرغبهم فى تصفية النفس وتحليتها بالكمال . فسأل الفقيد الشيخ درويشاً عن طريقتهم مظهراً له الرغبة فى سلوكها معهم ، فقال طريقتنا الاسلام قال الفقيد وما هو وردكم قال هو القرآن مع الفهم ، والذكر مع الحضور . ثم فرض عليه أن يقرأ كل يوم أربعة أرباع مطالباً نفسه بفهمها وكان هو يفهمه ما لم يفهم . فأخذ الفقيد ذلك بجد واجتهاد وانقطع للقراءة والذكر ، وبعد أسبوعين ذهب الى طنطا لطلب العلم ففتح عليه حتى كان الطلاب يجتمعون اليه ليطالع لهم الدروس التى يحضرونها وبعد ذلك انتقل الى الازهر فى شوال سنة ١٢٨٢ هجرية فكان يطلب العلم مع الاشتغال بالتصوف . فنهاره تعلم واستفادة وليله تلاوة وذكر وعبادة ،

واعتزل الناس فلم يكن يكلم أحدا الالضرورة . وكان يعرض كما يعرض له من احوال الصوفية على الشيخ درويش فى مدة بطالة الازهر وكان هذا الشيخ ينتظره فى بلدة (محلة نصر) يدارسه القرآن والعلم .

كان الشيخ درويش يرغب الفقيد فى أن يتعلم كل علم فكان يسأله هل تعلمت الحساب والهندسة هل تعلمت المنطق هل تعلمت كذا ؟ فلذلك كان رحمه الله يبحث عن العلوم التى لا تقرأ في الازهر ولم تمض عليه أربع سنين فى الطلب حتى رأى نفسه قد حصل كل العلوم الأزهرية وطفق يبحث عن غيرها لاسيما العلوم العقلية والرياضية . وكان من عناية الله تعالى به أن ساق اليه ذلك العلامة الحكيم السيد جمال الدين الافغانى فأخذ عنه الكلام والتصوف والاصول والحكمة والعلوم الرياضية والاخلاق والسياسة وتخرج على يديه فى الكتابة والخطابة ولم يكن شيء من هذا فى الازهر وانما قلنا ان الله ساقه اليه لأنه لم يحضر عليه جميع ما قرأه سواه على كثرة الذين كانوا يترددون على السيد جمال الدين رحمه الله .

وقد عرض الفقيد نفسه فى سنة ١٢٩٤هـ علي مجلس الامتحان طالباً شهادة العالمية من الأزهر فنال الشهادة رغما عن تشديد أكثر المشايخ عليه لحضوره على السيد جمال الدين فهذا دور التعلم والتربية وأما دور العمل والاصلاح فقد بدأ به فى أثناء الطلب . كان يقرأ دروسا فى التوحيد والمنطق وغير ذلك يحضرها الجم الغفير من الازهريين فيرون كتبا جديدة من كتب سلفهم وأسلوبا جديدا يتدفق فصاحة و بلاغة وفتح لهم باب المذاكرة والبحث فكانوا يسهرون لذلك حتى مطلع الفجر

و بعد أن صار مدرسا رسميا زادت عنايته بذلك وكاد الازهر لذلك العهد ينهض نهضة تحيي العلم والدين ولكن حال دون ذلك اضطهاد المرحوم الشيخ عليش للفقيد لوشاية مكنها من نفسه حضور الفقيد على السيد جمال الدين .

كان يدرس فى الازهر وفى بيته فبدأ بكتب العقائد وهو اول من قرأ علم الاخلاق للازهريين فى هذا العصر لماله من العناية بتربية النفوس وتخريج الرجال العاملين وقرأ درسا خاصا في السياسة .

وكان غرض السيد جمال الدين الاصلاح الاسلامى بواسطة الحكومة لأنه

اسرع فائدة وأينع ثمرة لوتم وقد مهد له السيد بتلاميذه ومريديه حتى كاد ينجح بعد عزل الخديو اسماعيل وتولية الخديو توفيق الذى كان متصلا به قبل ذلك . وكان هو المأمول لتنفيذ الاصلاح ولكن ما كاد يستقر على كرسي الخديوية حتى أوغر الوشاة صدره علي السيد وعلى تلميذه الأول ويمينه في العمل أعنى فقيدنا رحمهما الله فنفى السيد الى خارج القطر وذهب الشيخ الى بلده (محلة نصر) وكان ذلك فى رمضان سنة ١٢٩٦ ﻫ

كان الفقيد قبل ذلك عين معلما للتاريخ فى مدرسة دار العلوم وللغة العربيه فى مدرسة الالسن لجرى فى التدريس على طريقة جديدة كانت مبدأ الإصلاح والنجاح وكان يقرأ فى مدرسة دار العلوم مقدمة ابن خلدون ولم تقرأ قبله درسا فى مصر وكان يسلك فى تدريسها مسلك الاستاذ المجتهد في علم الاجتماع والعمران ولو طال الزمان على درسه هذا لربى رجالا وأحيا آمالا .

وفى سنة ١٢٩٧ﻫ عينه صاحب الدولة رياض باشا محررا فى الجريدة الرسمية ثم جعله رئيس التحرير فيها ورغب اليه فى سن قانون للمطبوعات ففعل . وكان من أحكام ذلك القانون انه يجب على جميع مصالح الحكومة ان تخبر قلم المطبوعات باعمالها واحكامها ومشروعاتها وان لرئيس التحرير حق الانتقاد على مايراه منتقدا منها كما أنه له حق المراقبة علي الجرائد التى تنشر فى البلاد المصرية ومعاقبتها حتى بالتعطيل الدائم . ومن أحكامه ان ينشىء رئيس التحرير فى الجريدة الرسمية قسما أدبيا تنشر فيه المقالات فى التربية والآداب والتدبير وغير ذلك من الامور النافعة فى الاخلاق والعادات .

بهذا القانون صار الفقيد رحمه الله تعالى كالمسيطر على عمال الحكومة والمربى للامة وقد قام بالامرين حق القيام فكانت الجريدة الرسمية تنتقد ماتكتبه مصالح الحكومة حتى اضطر رؤساء الكتاب الى تلقى دروس فى العربية وأنشئت لذلك مدارس ليلية كان الفقيد تبرع بالقاء دروس فى بعضها وتنتقد الاعمال حتى كان ذلك عونا على اصلاحها لما يتوقاه العمال من الانتقاد والتشهير بل من المؤاخذة بعد ذلك اذ المنتقد انما ينتقد بلسان الحكومة — بل كان من القانون ان لرئيس

التحرير الحق فى مطالبة الحكومة بالتحقيق مما تقوله الجرائد المحلية فى عمال الحكومة فإن ظهر صدق طعن فى أحد فعلى الحكومة أن تؤاخذه وكان يؤاخذ الجرائد بفساد عبارتها حتى أنذر بعض الجرائد بالتعطيل إذا لم تأت بمحرر بارع يصحح عبارتها بعد أيام حددها ففعلت فكان وجوده فى المطبوعات مبدأ النهضة القلمية فى القطر المصرى بعد أن أعده السيد جمال الدين وأفراد آخرين لذلك . وقد كان من أثر انتقاده على الحكومة انشاء مجلس أعلى لنظارة المعارف هو أحد أعضائه والغرض منه ترقية التربية والتعليم فى البلاد

بعد ذلك جاءت الثورة فأوقفت سير هذا الإصلاح فى اللغة والأعمال والآداب كما أوقفت غيره مما كانت الحكومة شرعت فيه بهمة رياض باشا

لذلك كان الفقيد رحمه الله تعالى شديد الانتقاد على العرابيين قولا وكتابة ولكن الوشاية اتهمته فحكم عليه بالنفى ثلاث سنين

إذا أراد الله بعبد خيرا أهله للاستفادة من كل شىء ولقد كانت تربية الفقيد تحتاج فى كمالها إلى السياحة فى الارض واختبار الأمم فتم له ذلك بهذا النفى

ذهب إلى سورية وأقام فيها نحو سنة ثم سافر إلى أوربا وأقام نحو عشرة أشهر التقى فيها بأستاذه وصديقه السيد جمال الدين على موعد وأصدرا جريدة العروة الوثقى التى كان لها أعظم تأثير فى العالم الإسلامى ولكن لم يطل عليها العهد إذ منع دخولها فى مصر والهند وهما القطران المقصودان بها أولا وبالذات ثم عاد إلى سورية مارا بتونس فأقام فيها عدة سنين

كان فى بيروت يدرس العقائد الإسلامية فى المدرسة السلطانية ويقرأ درساً فى التفسير فى الجامع الكبير ودرساً آخر فى جامع آخر وكانت داره ملتقى العلماء والفضلاء من جميع الطوائف

وكان يكتب فى الجرائد بعض المقالات النافعة والنصائح الدينية وقد اختبر حال المسلمين وغيرهم من الطوائف أتم الاختبار

وفى سنه ١٣٠٦ عاد إلى مصر وتسابق العظماء إلى الشفاعة فيه لدى الخديوى السابق فتكلم بعض أمراء الأسرة الخديوية وصاحب الدولة الغازى احمد مختار باشا

وجناب اللورد كرومر فعفا عنه وأمر بأن يعين قاضياً فى المحاكم الأهلية فلما علم بذلك استاء وسعى فى أن يكون معلما فى دار العلوم قائلا انى خلقت لأن أكون معلما لاقاضياً على انني ارتقى فى القضاء ولا ارتقاء فى التعليم فلم يقبل الخديوى إلا أن يكون قاضياً فرضى رحمه الله بالقضاء وعزم على أن يجعله وسيلة للتعليم ولاصلاح الأزهر

ارتقى فى القضاء إلى أعلى مرتبة فيه وكان فيه قاضى العدل والانصاف لاقاضى القانون والرسوم فقد كان لا يحكم بنص القانون إذا لم ينطبق معه على العدل والانصاف بل يعمد إلى الصلح وكان يتوخى التربية فى أحكامه حتى طهر بعض البلاد التي تولى القضاء فيها من دنس التزوير.

منذ أكثر من ثلاثين عاما فكر بعض عقلاء هذه الأمة فى طريقة لارتقاء علماء الدين إلى درجة ينفعون بها العالم الاسلامى كما نفعه سلفهم فكان رأى البعض أن لا سبيل لذلك إلا بإيجاد مدرسة تدرس فيها علوم الدين والعلوم الأخرى وكان من وراء ذلك إنشاء مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٠ هـ والبعض الآخر كان يرى أن أقرب الطرق للوصول إلى هذا الغرض اصلاح الأزهر . وكان الفقيد رحمه الله على هذا الرأى ولذلك ما كان يجد فرصة إلا انتهزها لتحقيق أمانيه حتى انه لما اتصل بسمو الجناب الخديوى عباس الثانى فى أول ولايته ونال الحظوة عنده تعين عضوا فى مجلس إدارة الأزهر وتمكن من العمل فى إصلاح التعليم والتربية الدينية فيه لاعتقاده انه إصلاح اسلامى عام ينتشر نوره فى جميع بلاد الإسلام وفى سنة ١٣١٧ قلد سمو الجناب الخديوى فقيدنا منصب افتاء الديار المصرية فكان به لهذا المنصب الشان العظيم حتى كاد يكون مرجع الافتاء فى العالم الاسلامى

وكان من مقتضى منصب الافتاء أن كان رحمه الله عضوا فى مجلس الأوقاف الأعلى فكان نبراسا للمجلس يستضىء برأيه فى تطبيق أعماله على أحكام الشرع الشريف وفى حل المشكلات ومن اقتراحاته المفيدة أن تشكلت لجنة تحت رئاسته وضعت نظاما للمساجد لو عمل به كما هو لعمرت بيوت الله و بيوت خدمتها ولكانت عونا على إحياء علوم الدين

عقب تقلده منصب الافتاء عين عضوا فى مجلس شورى القوانين فكان

للمجلس على عهده من الخدمة النافعة والاحترام مالم يكن له من قبل . فقد كان رحمه الله عامل التوفيق بين المجلس والحكومة وكان أهم غرض له من التعب الشديد فى المجلس تعويد الأمة على دقة البحث فى أمورها وتربية الرأى العام فيها .ولا ننس من خدمته للعلوم الاسلامية رئاسته لجمعية إحياء العلوم العربية فقد أسست هذه الجمعية فى سنة ١٣١٨ لإحياء كتب سلف هذه الأمة وأفاضل علمائها وكانت فاتحة أعمالها طبع كتاب المخصص لابن سيده فى اللغة وهو كتاب لانظير له فى موضوعه . وقد تولى رحمه الله تصحيحه مع علامة اللغة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطى وإن الفضل فى خدمة الشنقيطى لهذا الكتاب راجع إلى فقيدنا فانه لولاه لما أقام فى هذه البلاد . وقد شرعت الجمعية بعد طبع المخصص فى احياء مدونة الإمام مالك رضى الله عنه وللفقيد من الخدمة فى استحضار نسخها من تونس وفاس وغيرهما من البلاد ما لولاه لم يكمل لنا استنساخ الكتاب كله .

كان رحمه الله يعتقد أنه لايرجى خير لأمة إلا إذا دبت فى أفرادها روح الاعتماد على النفس بعد التوكل على مسبب الأسباب وعلى التعاون على خدمة العامة الأمر الذى لايتأتى إلا بالتربية والتعليم . ولما كان رحمه الله يرى نفسه مخلوقة لتربية الأمة وتعليمها . فقد كان من المؤسسين للجمعية الخيرية الاسلامية فى سنة ١٣١٠ هجرية وله من العمل فيها مايجعله فى مقدمة أعضائها . فانه كان يحض الأمراء والعظماء والسراة على الاشتراك فيها ويحصل قيم الاشتراكات بنفسه إذا اقتضت الحال ذلك ، ويعمل كل مافى جهده لارتقائها واتساع نطاقها .

وكان يرى أن الفائدة الكبرى من هذه الجمعية هى تعويد المسلمين على الاجتماع لأجل التعاون واشعار قلوب الأغنياء عاطفة الرحمة والاحسان على الفقراء كما كان يصرح بذلك فى الاحتفال السنوى من كل عام و له فوق ذلك كله خدمة جليلة فى الجمعية ذلك أن ذوى الغايات وشوا بالجمعية عند أولى الحل والعقد لدرجة كادت تقضى عليها لولا أنه دافع عنها حتى أزال سوء الظن فيها وحلت الثقة التامة بها وقد ترأس عليها من سنة ١٣١٨ لغاية وفاته رحمه الله.

أما نجاح الجمعية فى عهد رئاسته لها فيظهر من المقابلة الآتية :

	سنة ١٣١٧		سنة ١٣٢٢
الإيراد	٤٤٣٠	جنيها	١٠٣٩٥
عدد المدارس	٠٠٠٤	مدارس	٠٠٠٠٧
عدد التلاميذ	٠٣١١	تلميذا	٠٠٧٦٦
عدد الأطيان التي تملكها الجمعية	٠٢٨٠	فدانا	٩٠٥٣٣

هذه هي حياة المرحوم الشيخ محمد عبده وقفها على خدمة دينه ووطنه وأمته . فطيب اللهم ثراه واجزه عنا أفضل ماجازيت به ناصحا فى دينه أمينا على مصلحة قومه ، ووفقنا اللهم لاقتفاء أثره فى هذه الحياة انك سميع مجيب الدعوات يارب العالمين آمين .

﴿ مكانته واشتغاله بمجلس الشورى ﴾

لسعادة حسن عبد الرازق باشا

خطب جسيم ، وفاجع أليم ، انقض على صرح الأمة الاسلامية فهدم ركنا من أركانها وأودى بطود من العلم والحكمة كان مفزع الموحدين ، وموئل المسلمين ، فأى نفس لم تتصدع ، وأى حشاشة لم تتقطع ، وأى جفون لم تقرحها العبرات ، وأى زفرات لم تصعدها الحسرات — ليس على وجه البسيطة ولا بين أرجاء العالم من لم يدم هذا المصاب فؤاده و يندب سوء تأثيره على الاسلام والمسلمين .

النـاس مأتمهم عليه واحد في كل دار أنة وزفـير

فما بالكم بمن عاشر الفقيد رحمة الله عليه عشرة الصديق وأصفاه الوداد وأخلص له الولاء وعرف من كمالاته وفضائله وجميل مزاياه وجليل شيمه مايزيد ألم المصيبة فيه و يضاعف الحزن عليه حتى أخذ الأسى بمجامع قلبه وعقد لسانه ومزق درع اصطباره ، فلا غرو أن رجوتكم أيها السادة أن تقنعوا مني بما تيسر من القول فى مآثر الفقيد وهو قليل فى جنب ماينبغى أن يقال فى تأبين رجل

كانت حياته كلها خيراً لأمته ودينه - ما كان فقيدنا رحمة الله عليه من الرجال الذين ينبغون فى كل جيل ، أو ينشأون من كل قبيل ، ولكن من النوابغ الذين يأتي بهم الدهر آحادا وتتحلى بهم العصور فى أحقاب متفرقة فينشأون وقد أعدهم الله لجلائل الأعمال وعظائم الأمور ومنحهم فطرة تعلو على سائر الفطر وميزهم بسداد الرأى ورجاحة العقل و بعد المرمى وسعة الصدر وقوة القلب فاذا نبت أمثال هؤلاء فى أرض صالحة ووجدوا فى أمم مستعدة للرقى طامحة إلى ادراك المعالى عرفت اقدارهم ووزنت أعمالهم واهتدت بهديهم فساروا بها فى سبل السعادة ورفعوا مقامها على هام السماك سيما إذا طال بهم الأجل واتسعت لهم مدة العمر وكان نصيب بلادهم وأهلها منهم خير نصيب . هؤلاء الرجال العاملون لخير أممهم يجدون من قومهم فى البلاد الحية ما يزيدهم اقداما وثباتا و يملأ صدورهم ثقة ورجاء فيعيشون مايعيشون مؤيدة كلمتهم مكرمة رتبتهم محفوظا لهم الجميل و بذلك يشتد ساعدهم وتنمو ملكة الاصلاح فيهم وكلما زادهم قومهم قبولا واقبالا زادوا رغبة فى العمل ولا تجد أنشط للعامل من أن يرى لعمله عند أمته قبولا

أما إذا قضى الله لاولئك النابغين أن يكونوا بين أمم فسدت أخلاقها وتمزقت روابطها و بعد ما بينها و بين الحياة القومية وتمكنت منها الغفلة وساد فيها الجهل فانهم يجدون من قومهم حربا عوانا كلما أرادوا بهم اصلاحا لانهم يريدون ان يزحزحوا الناس عن ملكات فاسدة رسخت فى نفوسهم واطمأنت لها قلوبهم و يعملون لتحويل وجوههم إلى الرشاد بعد أن انصرفت إلى الغى وأنست به وما أصعب نقل الطباع فى الأمم من الفساد إلى الصلاح وما أشد مدافعة الجاهلين عن اهوائهم وشهواتهم ولكن قد يوجد فى تلك الأمم الميتة بعض أفراد يوفقهم الله لتمييز الصواب من الخطاء ومعرفة النافع من الضار فيقبلون على أولئك المصلحين بوجهم و يصغون لندائهم فان مد الله لهم فى حبل الحياة أثمر غراسهم وتركوا من يخلفهم فى أعمالهم أما إذا أسرع إليهم الحمام كان نجاح عملهم بطيئاً

ولايخفى عليكم أيها السادة حال أمتنا المصرية وما لاقى الأستاذ الفقيد رحمه الله منها ابتداء من مناصبتها له ووضعها العقبات فى سبيله ولولا ما منحه الله من سعة

الصدر وقوة الصبر ما استطاع أن يقاوم تلك المصاعب أو يصبر على هاتيك النوائب وان يعيش حياته فى جهاد مستمر ثم لا يزيده ذلك إلا ثباتا على الحق والدعوة إليه .

أبعد الأستاذ رحمه الله عن بلاده بزعم مما لأته للقائمين بالثورة العرابية ويعلم الله أنه لم يكن من جناتها ولقد كان بينه وبين القائمين بها من الخلاف فى الرأى ما بين الحق والباطل على أن هذه الغربة وان نالته ببعض الأذى بالضرورة فقد انتفع منها واستفاد خيرا لنفسه ولأمته فتعلم هناك ما تعلم من لغة الفرنساويين وخبر أحوال الغربيين ظاهرهم وباطنهم وعرف ما عندهم من العادات الطيبة والخصال الذميمة وكان أكبر غرضه من ذلك أن يحمل قومه على الطيب وينفى عنهم الخبيث ولم تصرفه الشواغل فى غربته عن العمل لدينه وأمته فكان لايدع فرصة للنداء بما ينفع المسلمين إلا انتهزها على ألسنة الصحف وبطون الكتب

وهذه رسالة التوحيد وغيرها من الكتب النافعة التى ألفها فى غربته وماكتب من المقالات فى العروة الوثقى وغيرها أيضا تشهد له بالعناية الكبرى بالدين وتحسين الآداب وتهذيب الأخلاق بين المسلمين

ولما عاد إلى مصر مشرق شمسه ومنبت غرسه كان قومه قد فطنوا لبعض حسناته وتنبهوا للقليل من فضائله وكانت الحكومة أيضا قد عرفت شيئا من شأنه وإذ ذاك كانت أنشئت المحاكم الأهلية فعين فيها قاضيا ابتدائيا ثم قاضيا فى الاستئناف وكان فى كل منصب يشغله مثال الجد فى العمل والحكمة فى الرأى وكان يملأ المناصب حرمة ووقارا ونورا وبهاء وترك فى كل وظيفة تولاها ذكرا جميلا وأثرا جليلا ولم تذهله كثرة الأعمال عن العناية بحال الأمة ولا شغلته عن النظر فى شأن الاسلام وتخليصه من دسائس المفسدين وأوهام الجاهلين . ثم ندب لوظيفة افتاء الديار المصرية فوجد منفذا لسوق الاصلاح إلى المسلمين باديا ظاهرا واتسع له المجال وعظمت عنده الآمال . بذل وسعه فى جمع كلمة المسلمين على الحق واصلاح ذات بينهم وتعهد معاهد العلم وتطهيرها من ادران النقائص والمعايب ولم يبال بما قام بين يديه من العقبات ولم يحفل بما ثار أمامه من غبار النزعات

لأن الحق كان فى جانبه وعند ذلك اتجهت اليه وجوه المسلمين فى جوانب الأرض وجعلوه مفزعهم فى كل شبهة وملجأهم عند كل ملمة فلقد كان يهرع اليه المسلمون المهضومون فى الممالك النائية فيتوسل إلى دولهم بالرفق واللين حتى يرد عنهم ظلم الظالمين فازدادت منزلته علوا بين المسلمين وغير المسلمين وعرف الأجانب من فضله أكثر مما عرف قومه وعشيرته .

وإن وجلا هذا مركزه فى الهيئة الاجتماعية وهذه مكانته من الفضل وعلو الشأن فى النفوس لا يستطيع القائل أن يوفيه ما ينبغى له .

ولكن أرى من الواجب على أيها السادة أن أذكر لكم مجملا من مآثره الغراء ، وأعماله الجليلة فى مجلس شورى القوانين ، لأننى رافقته فيه فى أغلب أوقاته وشاركته فى معظم أعماله وعرفت من حسن نيته وصدق عزيمته ما لا يعرفه كثير من الناس

اختارت الحكومة الأستاذ رحمة الله عليه عضوا فى المجلس وتعين بأمر عال فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٩٩ وأول جلسة حضرها كانت يوم الخميس ٢٩ منه وكان إذ ذاك بين أهل الحل والعقد فى الحكومة وبين رجال الشورى شىء أشبه بالخلاف فى الرأى أدى إلى أن الحكومة نفذت كثيرا من المشروعات التى كان المجلس يرى الخير للأمة فى عدم العمل بها وصرفت النظر أيضا عن كل أوجه التعديل فى المشروعات التى كان يرى أن الصلاح والنفع للأمة فى تعديلها فلما جاء الأستاذ إلى المجلس ونظر فى الأمر نظرة الحكيم البصير ، وعرف أن ليس هناك ما يدعو الى هذا الانفراج ، وإنما هو سوء التفاهم باعد ما بين المشارب على تقاربها سعى رحمه الله فى أن يزيل أسباب هذا الخلاف فكان ما أراد ، وعرفت الحكومة أن المجلس إنما يطلب ما فيه السعادة للأمة ، و يبتغى الخير لها ، وأن ليس له غرض فى مصادمة آراء الحكومة ومطالبها ما دامت تتفق مع مقصده وعلم المجلس أيضاً أن الحكومة لا تقصد إلى شىء وراء ما يقصده لمصلحة البلاد ، و بذلك اتفقت الكلمة فى الغالب ولم يعد بين الهيئة الحاكمة والهيئة النيابية من الخلاف ما يتعسر حله .

كان الأستاذ رحمة الله عليه واسطة العقد فى مجلس الشورى فالتفت حوله

القلوب وعرف الكل مكانته من قوة الحجة وسداد الرأى وطهارة النية ، وكان إخوانه من رجال الشورى يلجئون اليه إذا اشتبه الأمر وخفى الصواب فينطق بالحكمة وفصل الخطاب وكان مع هذا أسرع الناس قبولا للحق وأوسعهم له صدرا فاذا سقت اليه الحق هشت له نفسه وقرت به عينه ولم يصرفه عنه تمسك برأى ولا تعصب لمشرب .

وكثيراً ما كنا نباحثه في أمر اختلف النظر فيه بيننا و بينه فيرجع الينا و يوافق رأيه رأينا ولم نر مثله فى احترام الآراء مادام مصدرها شريفا لم يشبه الغرض

ولقد كنا نختلف معه فى رأى ويجاهر كل منا برأيه و يدعو إليه اعتقادا منه أنه الحق ولا نزال بعد ذلك أخلص الناس سرا وأصفاهم ودا .

كان رحمه الله يتألم كثيرا لما عليه المحاكم الشرعية الآن من عدم كفاءة العمال وخلل النظام فى الأعمال ، ونزارة رواتب القضاة والموظفين ، وقلة العناية بشؤونها حتى فى محال مراكزها التى لا تليق أن تكون مستقرا لإصدار أحكام الشرع الشريف . وكان منذ تقلد وظيفة إفتاء الديار المصرية لايزال يلفت الحكومة و يلح عليها بتلافى هذا النقص فعهدت إليه أن ينظر فى الأمر ويبين لها كل ما فى نظام المحاكم الشرعية من العلل وما يلزم لإصلاحه ، فقام بالأمر خير قيام وطاف لذلك كل المحاكم فى الوجهين القبلى والبحرى ، ودقق البحث فى أحوالها وأعمالها وقد أودع ذلك فى تقرير بين فيه بالتفصيل حقيقة الداء وما يجب له من الدواء وقدمه للحكومة وها هو لا يزال فى محفوظاتها كما أن صداه لا يزال يقرع الأسماع إلى الآن .

وكان الشعور باحتياج المحاكم الشرعية إلى الاصلاح قد امتلأت به نفوس أعضاء الشورى أيضا وانتشر بين أعضاء الجمعية العمومية حال انعقادها فجاهرت به وطلبته من الحكومة ، وأحيل هذا الطلب على مجلس الشورى لبحثه وهو أحاله على اللجنة التى كان يرأسها الفقيد رحمه الله وفوض لها مخابرة الحكومة فيما ترى لزومه و بعد أن بحثته وقررت مارأته فيه عرضته على المجلس وهو أقره أيضا فانتهز الفقيد و إخوانه أعضاء المجلس هذه الفرصة وأظهر للحكومة بأقوى حجة وأوضح دليل

ان الضرورة قاضية باصلاح المحاكم الشرعية وجعلها فى مصاف المصالح الاولى للحكومة فاقتنعت بما تقدم من البراهين وشكلت لجنتين تحت رئاسته الأولى مركبة من نخبة أفاضل العلماء وكلفتها بجمع مايلزم لعمل القضاة من الأحكام الشرعية والثانية مؤلفة من أكابر رجال العلم والعمل أيضاً وكلفتها وضع مشروع لمدرسة القضاء الشرعى وجعل نظامها كافيا كافلا لايجاد العمال الا كفاء فكان رحمه الله مع ما فيه من شدة ألم المرض يواصل العمل فى ذلك ليله ونهاره حتى أتمه وقدمه إلى الحكومة قبيل قيامه إلى الأسكندرية ببضعة أيام والله يعلم ما سيؤول إليه بعده أمر هذا المشروع الخطير

ان تفصيل أعمال الأستاذ ومآثره فى مجلس الشورى لا تتسع له هذه الفرصة ومجمل ما يقال انه لم يعمل عمل فى المجلس مدة وجوده إلا كان له فيه الرأى الرشيد والقول السديد فما انتخبت لجنة فى مشروع إلا كان أول المنتخبين ولم يتألف وفد لمفاوضة الحكومة فى أمر إلا كانت له الصدارة وهو فى كل ذلك عضو عامل وعليم متبصر

كان رحمه الله واسع الاطلاع نير البصيرة فى كل ضرب من ضروب الاصلاح فاذا عرضت المشروعات القانونية كان بها خبيرا بصيرا وإذا قدمت اللوائح الادارية لم يكن أقل من أهلها علما بدقائقها وأسرارها، واحاطة بمنافعها ومضارها، وإذا جاءت المسائل المالية رأيته ماهرا بأساليب الحساب، عارفا بفنون الاقتصاد، فكنا نجد منه فى سائر الأبواب علما جما، ومعرفة وفهما، ورأيا صائبا، وذهنا ثاقبا ولم يزل هكذا يعمل وهكذا يجاهد حتى عجزت قواه عن العمل، وحال بينه وبين مراده الأجل.

قضى هذا الفقيد الكريم مدته بيننا وهو كالقطر حيثما وقع نفع وانا لنعلم ان البلاد ثكلت بموته رجلا لاتعوضه الرجال وانثلم بفقده بناء الاسلام ثلمة جانبها ليس بمسدود.

نسأل الله تعالى ان يجزل حظه من الرحمة وأن يبوأه دار الكرامة وان يعوض الأمة والإسلام فيه خيرا.

﴿ اشتغال الفقيد باصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية ﴾

لحضرة القاضي الفاضل الأستاذ الشيخ أحمد أبي خطوة المدرس بالأزهر والقاضي بالمحكمة الشرعيه الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله إلا الله محمد رسول الله . لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . إنا لله وإنا إليه راجعون

اجتمعنا اليوم هنا حوالى هذا القبر المجلل الموقر الذى انتهى إليه أمر الامام الكبير الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ليذكر كل منا ماعرفه من مزاياه رحمه الله وهى كثيرة متفرقة يعرف البعض منا مالايعرفه الآخر منها وهى عادة وان كانت مستحدثة لاعاظم الرجال إلا أنها لايأباها الشرع بل ربما ندب إليها إذا أدت بالاحياء إلى الاستكثار من الحسنات والاستزادة من الخيرات ليذكروا بها بعد الممات وها أناذا كر ماعرفته من أيادى المرحوم على الأزهر والأزهريين بعد ذكر اشتغاله بالعلم والتعليم لأنني واحد منهم ومخالط له فيه

ولد المرحوم فى سنة ١٢٦٦ هجرية وأكمل حفظ القرآن الشريف فى سنة ١٢٧٩ هجرية وقصد الجامع الأحمدى فى طنطا سنة ١٢٨٠ هجرية لتلقى العلم فيه ثم جاء إلى الأزهر فى أخريات سنة ١٢٨٢ هـ واشتغل بتحصيل العلوم المتداولة فيه فما لبث غير قليل حتى صار شريكا لأكابر اساتذته فى العلوم سواء فى ذلك فهم العبارات بمنطوقها ومفهومها وما اشتملت عليه من الأحكام والحكم مع تمييز الصحيح منها من السقيم واشتغل بالبحث عن مآخذها وراجع كثيرا من كتبها الصحيحة القديمة التى تركت وأهملت مراجعتها حتى وصل إلى جواهرها الحقيقية مبرأة من علل الأوهام . وكان جل اهتمامه موجها إلى العلوم الشرعية والعربية خصوصا مايتعلق بمتن اللغة وفنها وآدابها وتاريخها ثم ارتفعت به تلك الهمة العالية إلى الاشتغال بالعلوم العقلية من الطبيعيات والرياضيات والالهيات والامور العامة على مااصطلح عليه أهلها القدماء ثم طلب أرقى من ذلك لمعرفته ان العلوم لاتزال تتزايد بتجديد الأفكار فحصل اللغة الفرنسوية ليطلع على مايتجدد من تلك العلوم ففاز منها بالقدح المعلى وحاز قصب السباق بين أهلها شرقيين وغربيين

فأقروا له بعلو المنزلة بعد ما كانت معهم فى ذلك الوقائع المشهورة

كان شغله الشاغل لأوقاته هو الأزهر وأهلوه لعلمه أن فى صلاحه صلاح المسلمين. ولقد نقل عنه وهو بالشام أنه لا يرتاح ولا يهدأ خاطره إلا إذا صلح هذا المكان، وأنه لا بد أن يجهد نفسه ويعمل فكره، ويعمل فى صلاحه وإنه إن مات فى هذا السبيل مات قرير العين. ولهذا كان دأبه السعى فى مصلحته وهو غير مكلف به إلا من نفسه. فلما ان كلف به من الحكومة المصرية فى ١٧ رجب سنة ١٣١٢ وصدر الأمر العالى بتعيينه عضواً فى مجلس ادارة الأزهر رأى أنه سيصل إلى ضالته المنشودة وأخذ فى كل ما يرقيه من كل جهاته ووافقه وساعده على ذلك بعض كبراء مشايخ الأزهر وأعضاء مجلس ادارته خصوصاً عضده وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان.

ابتدأ بالبحث عن أهل الأزهر وسيرهم وأخلاقهم ومعيشتهم ومساكنهم والعلوم المتداولة بينهم وطرق التعلم والتعليم. فعلم أنهم يستوجبون العناية والالتفات خصوصاً فى أمر معيشتهم لأن أكثرهم من الفقراء الضعفاء. وليس لهم إلا القليل من خبز الجرايات يقدر بنحو خمسة آلاف رغيف فى اليوم وقليل من مرتبات النقود لا تزيد عن ٣١٠ جنيهات مرتبات شهرية و٣٦٧ جنيها مرتبات سنوية وهي المعروفة ببدل الكساوى، وأن مساكنهم عتيقة ضيقة فرأى أن من أول الواجبات أن يتقدم الاصلاح المعنوى اصلاح الماديات فاجتهد مع من بيدهم الأمر فى الحكومة حتى زيد فى المرتبات الشهرية المرتبة من المالية ألفا جنيه فى السنة ووعدوه بالمزيد إلى عشرة آلاف جنيه متى ظهرت فائدة الاصلاح ثم استمطر فيوضات الجناب العالى الخديوى حفظه الله فأفاض ما أوجب على الأزهر يبين شكر أياديه وأصدر أمره السامى إلى ديوان الأوقاف بترتيب ثلاثة آلاف جنيه وثلاثمائة وأربعة وسبعين جنيها فى السنة وزيد فى خبز الجرايات مبالغ وافرة وعم هذا الخير الجهات الملحقة بالأزهر كالجامع الاحمدى والدسوقى وعلماء دمياط والاسكندرية حتى بلغ الآن مجموع مرتبات الازهر وملحقاته أربعة عشر ألف جنيه وسبعمائة وخمسين جنيها بعد أن كان فوق الأربعة آلاف بقليل وذلك غير ما زيد لبعض أشخاص

منهم وغير مازيد فى رواتب الخدم والمرظفين وقد بلغت الجرايات العمومية والخصوصية فى اليوم بخصوص الازهر نحو ١٥٠٠٠ رغيف بعد أن كانت ٥٠٠٠ رغيف كما قدمناه وذلك غير مارتب من الجرايات للملحقات المذكورة . وأما مايتعلق بالمساكن فانه رحمه الله قد عرض أمرها على الجناب العالى الخديوى فصدر أمره السامى بشراء الاماكن المجاورة للازهر من جهته الغربية ليجعل مكانها أماكن لسكنى المجاورين واستتبع هذا هدم كثير من الأروقة المعدة لسكنهم وتجديدها فكمل هذا وذاك على أحسن مثال مراعى فيه النظامات الصحية . ثم توجهت الفكرة إلى نظافة الأزهر بتمامه فبعد أن كان يفرش فى السنة مرة واحدة صار يفرش فى العام مرتين و بعد أن كان يضاء بالزيت القليل الضوء حسب العادة أصبح يضاء بمصابيح الغاز التى تكفى القاوىء والكاتب فسهل على الطلبة الاشتغال ليلا و بعد أن كانت المياه المستعملة فيه معينة مالحة راكدة قذرة لاتوجد إلا بمزيد التعب والمشقة أدخلت فيه حنفيات شركة المياه فأصبح ماؤه يتجدد كل يوم نقيا صالحا للاستعمال

كان أمر الصحة فى الأزهر مهملا بالمرة وكانت الأمراض المعدية منتشرة فيه فعين له طبيب يعرض عليه كل من يريد الالتحاق بالازهر من الطلاب و يعالج المرضى و يراقب تنفيذ الأمور الصحية وأنشئت له اجزاخانة بالرواق العباسى ومحل لعيادة المرضى و يراقب تنفيذ الأمور الصحية وأنشئت له اجزاخانة بالرواق العباسى ومحل لعيادة المرضى وصرفت لهم الأدوية مجانا فأصبح ولأهله عناية تامة بالصحة من أنفسهم . ولما كان هذا المحل المعد لعيادة المرضى لايسعهم اشتغل رحمه الله فى ديوان الأوقاف حتى تقرر انشاء مستشفى فسيح بجوار الأزهر فى شارع الشنوانى أعد لاقامة المرضى ومعالجتهم فيه خصوصا فى زمن الامراض الوبائية دفعا لحدوث مثل حادثة رواق الشوام المشهورة وسيفتح قريبا إن شاء الله .وناهيك بأمر صيانة نظام الضبط والربط فى الأزهر فقد زيد عدد خدمته وملاحظيه بنسبة عدد المجاورين فيه . فامتنع بذلك حدوث كثير من الوقائع والمشاجرات ونيط ببعضهم المبيت فى الأزهر منعا لحدوث الحوادث الليلية وكل ذلك كان بمساعيه رحمة الله عليه .

كانت مشخية الأزهر تدار أعمالها بمنزل من يكون شيخا له يتحمل أهله مشقة الذهاب والاياب على اختلاف ابعاد المسافات بين الأزهر وبين بيوت مشايخه وكان له كاتب واحد يجلس فى الأزهر حيث شاء . وكانت سلطته عامة طامة لترك شيخ الجامع التصرف له وعدم مباشرته لشيء من أشغاله إلا مايرجع إليه لأخذ رأيه فيه من المهات . فكان من عمل المرحوم وسعيه أن أنشىء فى المبانى الجديدة مكان للمشيخة والادارة . وتبينت كثرة الأعمال وان كاتبا واحدا لايكفيها فزيد فى عدد الكتبة خمسة ووظف لمجلس الادارة العدد الكافى من الخدم حتى صارت الادارة ديوانا كبيرا واستراح العلماء والطلبة من قطع المسافات وتضييع الأوقات فى الذهاب إلى بيوت المشايخ ونجزت الاعمال فى أوقاتها

كانت المرتبات فى الأزهر مبعثرة مشتتة لاضابط لها سنوية كانت أم شهرية كانت تمنح لأناس دون آخرين فكان لبعضهم نحو الستة عشر قرشا فى الشهر وللكثير منهم الحرمان ولبعضهم ما فوق الستمائة قرش وكان لأولاد العلماء بعض هذه المرتبات يعطونها بلا شرط ولا قيد حسبما يراه شيخ الجامع وحده فجاء نظام المرتبات الذى اشتغل به الشيخ المرحوم أول الأمر ودفع كل هذه الاستثنارات فجعل العلماء درجات علم كل منهم درجته ومقدار مرتبه فكان يأتيهم بدون كد ولا رجاء وكذلك صار الحال فى المرتبات السنوية التى هى بدل الكساوى فكان لكل نوع من هذين النوعين ضوابط استوفى بها كل واحد مرتب درجته وانتفع به بلا حاجة إلى الرجاء والاستجداء وأما أولاد العلماء فقد جعل لهم فى استيلائهم المرتبات المنحلة عن آبائهم شروطا وقيودا الغرض منها استدامة اشتغالهم بطلب العلم ليخلفوا آباءهم فيه وبسبب هذا النظام استقال كثير منهم من طلب العلم لما عرفوه فى أنفسهم من الضعف عنه فحرموا من المرتب بمقتضى هذا القانون . ولكن الشيخ رحمه الله قد رثى لفقرهم وجمع لهم من أهل البر والخير صدقة واسعة ها هى مودعة فى خزينة الأزهر ليصرف عليهم منها كل شهر مقدار ما كانوا يأخذون من الأزهر تقريبا وربما زاد

أما الجرايات فكان من الهمجية بمكان لا يتصور ما هو عليه ولا كيف

رضى به اهلوه فلم تكن إلا منبع ثروة للنقباء ومشايخ الاروقة والحارات وسببا للتخاصم والتحاسد بين أهليه ولذلك رأى الشيخ رحمه الله أن يجعل لها نظام عام واشتغلت بذلك مشيخة الأزهر ومجلس ادارته وانتهى الأمر بتشكيل لجنة للنظر فيها ووضع نظام يعم جميع الاروقة والحارات على اختلاف مقادير الجرايات فيها وجهات ورودها مراعى فيه شروط الواقفين ان كان لها شروط معينة وإلا فيرجع إلى قواعد الشرع الشريف فشكلت تحت رئاسة الأستاذ الشيخ الرافعي وأطالت البحث فى سجلات الأزهر والوقفيات المقيدة بها ورجعت فى معظم أعمالها إلى النصوص الشرعية حتى أكملت المشروع على الوجه المشروع مستوفى جميع ما يحتاج إليه فى هذا الموضوع ثم قدمته إلى مشيخة الأزهر فى أواخر سنة ١٣١٦ ولكن قد طرأ على المجلس أمور كثيرة عاقته عن النظر فيه واصدار القرار بتنفيذه

وكذلك وضع لكساوى التشريف نظام حتى لا تكون فى اعطائها والحرمان منها موكولة إلى رأى واحد وحتى لا يدخل فيها من ليس من أهل العلم كما كان جاريا من قبل فصار استحقاق الكسوة العلمية مشروطا بشروط مقيداً بقيود الغرض منها أن لا تمنح الكسوة إلا لمن وضح نفعه فى التعليم مع مراعاة الاقدمية عند التساوى و بذلك انتقل الحال فيها أيضا من الهمجية إلى النظام.

هذا ما وجه إليه المرحوم فكرته من إصلاح الماديات الذى جعله مقدمة لاصلاح المعنويات و بعد الفراغ منه وجه فكرته إلى وضع نظام للتدريس والامتحان فكان كذلك واشتغلت مشيخة الأزهر ومجلس الادارة بوضع قانون عام لذلك بينت فيه مقاصد العلوم ووسائلها وما يجب لعلوم المقاصد من العناية وتوسيع الزمن و بينت علوم المقاصد بانها هى التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والأخلاق الدينية و بينت الوسائل بأنها هى المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة وعلم مصطلح الحديث وضم إليها الحساب والجبر وتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وآدابها ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان وألزم طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية بأدائه فى المقاصد و بعض الوسائل والحساب والجبر ثم حتم القانون على معلمى العلوم الآلية خصوصاً علوم البلاغة أن يدربوا الطلبة على تطبيق

العلم على العمل وأن يتجنبوا فى السنين الأربع الاول قراءة الحواشى والتقارير صيانة للوقت من الضياع وغير ذلك من الأحكام الكثيرة التى ترجع كلها إلى تحصيل جواهر العلوم الدينية فى زمن معلوم بطريقة سهلة التناول والتحلى بمحاسن الأخلاق الشرعية والاقتدار على الانتفاع بما حصلوه من العلوم . وبهذا تحول الأزهر من فوضى التدريس إلى نوع من النظام ولقد كانت العادة أن لا يتجاوز عدد الممتحنين من طالبى الامتحان الكثيرين عن ستة أشخاص فى السنة وقد يكونون فى الغالب ثلاثة أشخاص لا غير فوصل عدد الممتحنين بعد وضع هذا النظام وتنفيذه إلى خمسة وتسعين فى السنة ربما نجح منهم ما فوق الثلث وبذلك سار الامتحان فى طريق التقدم وتجددت عزائم الطلبة وتكاملت رغباتهم فى التحصيل وكانت المدة التى يشتغل فيها الطالب فى السنة قبل وضع هذا النظام فى الأزهر لا تزيد عن أربعة أشهر مقطعة فى السنة كلها فصارت الآن بعد تحديد أيام المطلة بمقتضى هذا النظام تزيد عن الثمانية شهور

هذا ما يتعلق بأصول العلم والتعليم وقد اشتغل رحمه الله بأفكار تكميلية لهذا النظام كان يعرض كل ماسنح له منها على مشيخة الأزهر ومجلس الادارة فاشتغلوا جميعاً بوضع قرارات تكميلية لهذا النظام صارت قواعد أساسية إلى اليوم منها مايرجع إلى كيفية تعليم المعلم ومنها مايبين الواجب على المشايخ فى أثناء التعليم وأن يكونوا قدوة للطالب فى مكارم الأخلاق ومنها ما يتعلق بسير الطالب وآدابه مع الأستاذ وإخوانه من الطلبة المتعلمين معه ومنها ما يتعلق بتبيين الطريقة المثلى فى تعليم العلوم الآلية حتى يتوصل بها إلى المقاصد وتستثمر بها الحكم التى قصدها الشرع الشريف من الأحكام فأقبل العلماء المعلمون والطلبة المتعلمون على عملهم بالجد والنشاط واشتغل الكثير من المدرسين بتبيان الحكم التى أودعها الشارع فى كلامه وفى أقوال وأفعال النبى ﷺ واستعان مجلس الادارة بما زيد فى نقود المرتبات على هذه الامنية خصوصا فيما يتعلق بالعلوم الحديثة فانه خصص منها ستمائة جنيه لمعلمى تاريخ الاسلام والحساب وتقويم البلدان وانتخب لتعليمها فى الأزهر معلمين كانوا تخرجوا فى الأزهر إلى مدرسة دار العلوم حتى لا يكون معلموها أجانب عن

هذا المكان وخصص كذلك ثلاثمائة وستين جنيها لتعليم الخط فأصبح هذا الفن مع سابقيه منتشرا فى الأزهر بين كل الطلبة واستفاد أهلوه من ذلك فائدة عظيمة فأصبحوا فى هذه العلوم على حال لم تكن تنتظر منهم فانه يوجد فيه الآن خمسة عشر عالما يدرسون الحساب على أحسن ما يكون فى تدريسه بالمدارس الأميرية وثلاثة يدرسون علم تقويم البلدان و واحد يدرس علم الاملاء والكثير من الطلبة قد أدى الامتحان فى الحساب والجبر العالى ويحصل على الشهادة با كال دروسها ومن بينهم عدد كبير تقدموا فى امتحان الأساتذة بالمدارس الأميرية ومدارس الأوقاف والمدارس الأهلية وحازوا قصب السبق فيه على المتخرجين من تلك المدارس وأحرزوا وظائف الاستاذية فيها باستحقاق وهذه إحدى النتائج الحسان التى ربما كانت لايحلم بها ولا تخطر على البال

ولما لغط اللاغطون فى أن هذه العلوم الحديثة ربما حالت بين الطالب وبين العلوم القديمة المتداولة فى الأزهر رأى المرحوم أن يعمل إحصاء عن الطلبة الذين يتقدمون لامتحان المكافآت فى كل عام يقصد فيه تبيان حال من اشتغل بهذه العلوم الحديثة مع العلوم القديمة ومن لم يشتغل بهذه العلوم الحديثة واقتصر على العلوم القديمة فكان كذلك و وضع رحمه الله طريقة لهذا الاحصاء فظهر من بعد البحث الدقيق والتحرى السديد الشديد أن نسبة الناجحين فى العلوم القديمة المتداولة المقتصرين عليها أقل بكثير من الناجحين فيها من المشتغلين بالعلوم الحديثة معها وتلى ذلك فى مجمع من العلماء يوم توزيع المكافآت على الناجحين بحضور شيخ الجامع وأكابر العلماء وظهر من ذلك ظهورا جليا أن العلوم الحديثة العقلية تثقف الطالب وتقويه فى فهم العلوم الشرعية وغيرها من العلوم المتداولة فى الأزهر

وقد رأى المرحوم أن الوسيلة فى تدريس كل العلوم وتلقيها هى الكتب فلذلك وجه همته إلى جمع ماتشتت من كتب الأزهر وجعله فى مكان واحد ليمكن الانتفاع منها وقد كانت الكتب موزعة مشتتة فى خزائن الأزهر الموضوعة فى بعض الأروقة والحارات و بعضها كان فى المساجد القريبة من الجامع الأزهر كجامع الفاكهانى وجامع العينى نيط حفظها بأشخاص يقال لهم المغيرون .

وحقيقة أنهم مغيرون لأنهم غيروا وضع الكتب وشتتوا جمعها ومزقوا جلودها وأوراقها وتركوا مالا عناية لهم به منها يأكله العث ويبليه التراب وباقيها تصرفوا فيه تصرف الملاك وصار فى أيدى باعة الكتب يباع على نفاسته بالثمن البخس وما وصل منها إلى خزائن كتب الغربيين بهذا الطريق كثير وبالجملة فلم يكن ليعرف لتلك الكتب قيمة حتى اجتهد رحمه الله فى استدرار فيض ديوان الأوقاف من لدن المكارم الخديوية وأعد فى الأزهر رواق الابتغاوية مكتبة يجمع فيها ما تفرق من تلك الكتب وعين لها العمال اللازمون فجمعوا الكتب ورتبوها تحت ملاحظته فكان يؤتى بتلك الكتب من خزائنها محشوة فى الغرائر والمقاطف . ثم تفرغ تلالا بينها الأتربة والجلود البالية ليس بينها كتاب مستقيم الوضع إلا مالا يكاد يذكر واستخلص من بين تلك الدشوت والأوراق المتفرقة كتب معتبرة فى كل الفنون ثم اشتغل العمال بعد ذلك فى توحيد الفنون وأعد لكل فن موضعا مخصوصا فى المكتبة فعرف بذلك ان فى الأزهر دار كتب فأقبل عليها أهل البر وأعانوها بهدايا من نفائس الكتب وأهمها هدية كتب المرحوم سليمان باشا أباظه فان ورثته لثقتهم بالشيخ المرحوم قبلوا إشارته وقدموا كتب أبيهم رحمه الله إلى مكتبة الازهر مشترطين أن يفرد لها خزائن مخصوصة فكان كذلك وجاءت هذه الهدية بأحسن زينة لدار الكتب الأزهرية

ولم يكتف رحمه الله فى أمر الكتب بهذا القدر من العمل بل رجع إلى الاروقة الشهيرة فى الأزهر وهى اروقة الترك والشوام والصعايدة والمغاربة وجعل الكتب التى بقيت فيها تحت مراقبة أمين المكتبة الازهرية . وطلب من ديوان الأوقاف مبالغ جديدة لترتيب كتبها وتنظيمها فأجيب الطلب وتعينت العمال واشتغلوا فى تلك الاروقة على الطريقة التى كان العمل عليها فى انشاء المكتبة . وبعد مراجعتها وترتيبها وضعت فى خزائن جديدة صنعها ديوان الأوقاف على نفقته وجعل مقرها أروقتها تحت مراقبة ذلك الأمين . وقد اشتريت كتب كثيرة من كثير من التركات حتى ضاقت عنها دار الكتب على سعتها فاضطر المجلس إلى أخذ رواق الطيبرسية وأصلحه ديوان الأوقاف وأقام فيه الخزائن وامتلأت بمعتبرات الكتب

ونفائسها ما يتجدد شراؤه كل حين من المبالغ المقررة لذلك

كان رحمه الله شغوفا بنشر العلم وتوسيع دائرته فى القطر المصرى على أن يكون مركز هذه الدائرة هو الجامع الأزهر وأن يمتد سلطان اصلاح العلوم فى جميع القطر من هذا المنبع المنيف فجاء فى فكره ان الجهات البعيدة عن الأزهر التى يدرس فيها علومه كالجامع الأحمدى والجامع الدسوقى ودمياط والاسكندرية والمنصورة وغيرها من بنادر الوجهين البحرى والقبلى يجب أن تكون ملحقة بالجامع الأزهر وتابعة له يمتد نظامه إليها فيحفظ فيها التعلم والتعليم فاشتغل لذلك بهمته المعروفة المشهورة وعاونته فى ذلك مشيخة الأزهر ومجلس ادارته ووقع هذا الطلب من الجناب العالى موقع القبول لتحققه من فائدته ومحبته لا يجادها وصدرت أوامره العالية فى تواريخ مختلفة بحسب مقتضيات الظروف والأحوال بالحاق تلك الاماكن الشهيرة السابق ذكرها بالجامع الأزهر وفوض لمجلس ادارته أن يضع لها النظامات والقوانين وسعى الشيخ رحمه الله سعيه السابق ذكره فى ايجاد المرتبات كما تقدم فسار التعليم فيها سيرا حسنا وأقبل العلماء والمتعلمون فيها على التعلم والتعليم على أحسن وجه يناسبها وأرسل إلى بعضها علماء أزهريون لتوسيع دائرة العلم فيها وأجريت فى بعضها امتحانات التدريس فكانت النتيجة ولله الحمد أحسن ما ينتظر وتواردت عليها الطلاب من البلدان القريبة والنائية وأنشئت فيها دور للكتب على نظام دار الكتب الازهرية وعين لها موظفون ومبالغ لشراء الكتب فى كل عام والتعليم فيها الآن سائر من حسن إلى أحسن بعد ان لم يكن له أثر يذكر — ويمكننى هنا أن أستلفت سامعى قولى هذا إلى مجموعة ظهرت حديثا جمعت أعمال إدارة مجلس الازهر جمعاً حسناً تاريخياً مبرهناً بالرسميات من أول تأسيسه من أول سنة ١٣١٢ إلى أن استقال منه ألاستاذ المرحوم هو وزميله فى أواخر سنة ١٣٢٢ يظهر أن بعض الواقفين على الحقائق الأزهرية ألفها لتكون تاريخا للاخلاق فى الأزهر ولما أجملناه من هذه الاعمال الجسام وهى مطبوعة تتناولها الايدى

كان للشيخ المرحوم وجهة خصوصية لم يشتغل بها أحد كاشتغاله بها وذلك فيما يتعلق باللغة العربية وانتشارها واستعمالها فاشتغل بها من أول صباه ومارسها

قولا وكتابة قولا فى المجامع العمومية وكتابة فى الجرائد السيارة خصوصا زمن وجوده فى الجريدة الرسمية فانه اشتغل بإصلاح الكتابة فى كل دواوين الحكومة إذ جعل قسما كبيرا من هذه الجريدة خاصا بانتقاد كل ما يصل اليها من رسائل الحكام والدواوين والمصالح ومجالس الأحكام وإصلاحه بعد تلخيصه ونشره فيها ليكون مثالا لمعشر الكتاب ولما جاء إلى الأزهر ووجده على حال لا يليق به من التأخر فى اللغة العربية التى هو شديد الاهتمام بها المحب لانتشارها حتى لقد كان يود أن لا يحصل كلام ولا كتابة إلا بها خصوصا فى التعليم ومذاكرات العلم اجتهد فى طبع كثير من معتبرات كتبها كالمخصص وقاسى كثيرا من المتاعب فى تصحيحه مع الأستاذ المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطى ثم إنه عمل على ذلك فى دروسه التى كان يلقيها فى الأزهر وفى محادثته مع علمائه وطلبته ليفهمهم أن اللغة العربية هى أساس الدين وقوام أصوله التى هى تفسير القرآن والحديث . ومن العار أن يكون الأزهر وهو منبع العلوم الدينية خلواً من المتضلعين فى هذه اللغة وآدابها وتاريخها حتى تقرر ذلك فى أذهان الكثير منهم ورجعوا إلى تحصيل مادة اللغة وتطبيق العلم على العمل فيها وتوقى كثير منهم الغلط الفاحش عند الكتابة . واهتدى البعض إلى كيفية مراجعة المعجمات بعد أن كانوا يجهلونها وواجم معظمهم ما يعرض فى كتب النحو من الشواهد العربية حتى يخلص من التخبط فى قراءتها وأحب رحمه الله أن يزيد رغبتهم فى هذا العلم فاقترح أن يطلب من ديوان الأوقاف مبلغ لترقية التعليم فى علوم اللغة العربية وأجيب هذا الطلب وقرر مبلغ مائة جنيه سنويا لهذا الغرض وتعين أحد علماء الأزهر للتدريس فيها فقرأ كتاب الكامل للمبرد وهذه من غريب مزاياه رحمه الله .

وفوق هذا فقد كان رحمه الله يحب للأزهر أن يبلغ به الغاية القصوى من الكمالات العلمية والأخلاق الدينية يرمى بذلك فى مخالطتهم فى محل الإدارة وفى بيته أو أى مكان أثناء كلامه معهم وكان دائما ناصحا أمينا مبينا مكارم الأخلاق والآداب الدينية مظهرا مقاصد الشرع وأسرار التشريع وصلاحية الشريعة المطهرة لكل زمان ومكان خصوصا فى هذا الزمن الذى انتشرت فيه الأفكار

والمدنية الغربية معلما أن الشريعة الإسلامية تنطق على كثير من العلوم والمعارف والصنائع العصرية وأن جوهر الشريعة يطلب من المسلمين المؤمنين الكمالات من كل وجه وأنه يجب على المسلم أن يكون متحليا بالفضائل متخليا عن الرذائل وكان شديد الحرص على ذلك فى كل مجالسه ومحادثاته سواء كانت مع الأزهريين أو مع أى طبقة من طبقات الناس وكان شديد التحذير من المؤلفات التى شوهت وجه محاسن الشريعة وأحلت محدثات البدع محل الآداب الشرعية .

وكان رحمه الله كثير الحث والتحريض على الاشتغال بالقرآن والحديث والسير الصحيحة حتى يتبين مقصد التشريع وروحه وتعرف كيفية استخلاص الأحكام ومكارم الأخلاق من الشبه والبدع العامة فكان الرائى إذا رآه فى أى حال من أحواله كأنما يرى خطيباً يعظ الناس بما يفيدهم فى أمر المعاد والمعاش ولما رأى أن الأزهر والأزهريين أهم الذين يمكن أن ينتشر بسببهم ذلك الفكر بين العامة اشتغل بتدريس بعض ما كتبه فى التوحيد وبتدريس بعض كتب المنطق وكتب الشيخ عبد القاهر فى البلاغة لتكون مقدمة للأزهريين فى استفادة العلوم الأخرى التى اشتغل بها رحمه الله فى آخر الأمر ومنها تفسير القرآن الكريم فلقد كان يستخرج من درر الكتاب العزيز ماشاء الله أن يستخرج من العقائد والأحكام وأسرار التنزيل وكيف تنطبق هـذه الأحكام والأسرار على كل زمان وحال وكيف اشتملت الشريعة على أحكام النـاس مع بعد ما بين أحوالهم من الصلاح والفساد فكان رحمه الله فى درس التفسير ينبوع كل العلوم إذا جاء ذكر السموات والأرض والشجر والدواب والسحب والمطر والرعد والبرق ينهمر سيل معارفه بالفلكيات والمواليد وعموم المعادن والنبات والحيوانات والتركيب والتحليل واستخراج أسرار حكم الله من الآيات فى المكونات وإذا جاءت آيات العبر والنصائح تفجرت ينابيع حكمه فى الأخلاق ومكارمها والضار منها والنافع والحث على اجتلاب النافع ودرء الضار إلى غير ذلك من ضرب الأمثـال وتبيين ما للأمم الغابرة والأمم الحاضرة من الأحوال وما يستوجب سخط الله وما يستجلب رضوانه ليعمل ويحذر النـاس وبالجملة فقد كان رحمه الله فى هـذا الباب مثال الصدق والإخلاص للإسلام

والمسلمين ولطالبي الحق الراغبين فيه .

أما معاملته رحمه الله لأهل الأزهر فقد كانت أكبر من معاملته لعامة الناس لعلمه أنهم أقرب الناس اليه وأولى من ينتفع به فقد كان شديد الرأفة بفقراء الطلاب والعلماء وضعفائهم يصرف عليهم جزءا كبيرا من أمواله وجراياته الخاصة به وللكثير منهم فى دفتره الخصوصى مرتبات شهرية وكان يصرف عليهم كل ما وصل اليه من مرتبات الأوقاف التى تولى أمرها كوقف المرحومة زينب هانم ووقف رستم افندى رسا ووقف خليل أغا اللالا وسليم باشا أوتوزبير وهى مبالغ ذات قيمة ومن أجل ما نفعهم به فكرة مشروع المساجد فانه رحمه الله سعى فى وضع لائحة يجعلها ديوان الأوقاف نظاما للأئمة والخطباء والوعاظ والمدرسين فوضعت على حال يجعل الإمام والخطيب من المدرسين فى الأزهر ويكلف الإمام بأن يدرس فى الجامع الذى يوظف فيه درسا لعامة الوافدين عليه والمصلين فيه ويكون مرتب الإمام والمدرس من ثلاثة جنيهات إلى ثمانية فى الشهر . ومع ما لاقاه هذا المشروع من الصعوبات الكثيرة المعروفة أراد الله ببركة الاخلاص فى العمل تنفيذه بمعناه ونفذ فى كثير من المساجد والوجهة الآن متجهة إلى تنفيذ باقيه وهو مع اشتماله على منفعة أهل الأزهر اشتمل كذلك على نشر الدين بين طبقات الأمة من طريقه الصحيح .

ومن شفقته بأهل العلم الفقراء أنه كثيرا ما حمل أهل الخير من الموسرين على ترتيب المرتبات و إنشاء الأوقاف والصدقات معونة للمحتاجين من أهل العلم حتى لقد مات رحمه الله وفى خزانة الأزهر من الصدقات ما يكفى مرتبا لكثير منهم نحو سنتين . ولا تنكر مدافعته عن أهل الأزهر إذا عرض لأحدهم ما يستوجب معونته ودرء الظلم عنه فقد كان رحمه الله يجهد النفس و يتكلف الذهاب إلى الحكام لدفع ما يصيب الواحد منهم من الشر ظلما وعدوانا .

وبالجملة فان مقاصده بالأزهر والأزهريين كانت خيرا محضا لا يشوبها شائبة وكانت كلها لوجه الله تعالى وابتغاء أن يترقى أهل هذا المكان المنيف إلى ما يجبه لهم من كمال الأخلاق وعلو المكانة بين الناس والحمد لله لم يجعل الله أتعابه سدى

بل قد أثمرت وهو حي وأنبتت نباتا حسنا فنجب من شبان الأزهر ومن علمائه من يقدرون العلم حق قدره ويعملون بعمل الأستاذ وفكره وسيكونون إن شاء الله فى المستقبل قدوة حسنة لغيرهم ويصل ثواب ذلك إن شاء الله إلى من بذر هذا البزر الحسن وتعهده بالتربية والتغذية .

هذه بعض أعماله الناشئة عن كامل أخلاقه فى الأزهر ومنها يعلم أنه رحمه الله كان يحب أن يترقى كل المسلمين إلى الحد اللائق بهم من الكمالات كما كان دأبه فى كل حركاته وسكناته وفى كل محادثاته فى جميع مجالسه الخاصة والعامة وإنما خص الأزهر لعلمه أنه هو منبع سعادة الأمة إذا صلح فاهتم بتربية أبنائه ليكون نفعهم عاما لكل المسلمين — أما قيامه فى وجه كل من تكلم فى الإسلام وحاول المساس بمعتقد المسلمين فهو أشهر من نار على علم ومقدرته على ذلك دون سواه أجل من أن تبرهن ورسالته الرادة على هانوتو وكتابه فى الإسلام والنصرانية قد طبقا مشارق الأرض ومغاربها وحازا عند الله والناس أكمل القبول .

ولما أن ولى الاستاذ رحمه الله منصب إفتاء الديار المصرية فى أوائل سنة ١٣١٧ هجرية الموافق لشهر يونيو سنة ١٨٩٩ أفرنجية لم يجعل هذا المنصب قاصرا على إعطاء الفتوى على ما يرفع اليه من الاسئلة فى الحوادث بل نظر فيه إلى ما هو أرفع من ذلك وأول فكرة عرضت له هى التفتيش على المحاكم الشرعية ليتحقق بنفسه حال من فيها من القضاة والعمال وكيف يسيرون فى الفصل بين عباد الله بمقتضى شرع الله فعاونته عليها نظارة الحقانية وذهب إلى التفتيش فى كل أرجاء القطر ولم يدع محكمة مديرية أو مركز إلا شاهدها بنفسه وبحث أعمالها بحثا دقيقا وتعرف حال قاضيها من قوة أو ضعف وضبط العمل أو الاهمال فيه ثم عاد ووضع تقريره المعروف عن المحاكم الشرعية وطلب فيه ما طلبه من الاصلاح وحجته فى ذلك أنه شيخ الحنفية من جهة وأنه من أعضاء المجلس الذى ينتخب القضاة من جهة أخرى فلابد أن يعرف حال الموجودين منهم فى الوظائف وأن يهيء لها فى الازهر من يخلفهم عند انفصالهم منها وقد تضمن هذا التقرير كل وجه من أوجه الاصلاح سواء كانت متعلقة بجوهر القضاء أو بترقية حال

القضاة واحترامهم فى نفوس المتقاضين أمامهم

ولما وصل تقريره هذا إلى الحكومة أحلته من الإهتمام بشأنه المحل اللائق به وشكلت فى نظارة الحقانية لجنة للبحث فيه . وتقرير ما يمكن تقريره مما فيه من أوجه الاصلاح

وبعد هذا صار عضوا فى مجلس شورى القوانين فوجه فكرته إلى هذا الغرض المهم عنده وهو إصلاح المحاكم الشرعية وساعده على هذه الفكرة رجال من عقلاء الأمة وأكابرها ورفعوا الصوت جهرة بطلب هذا الإصلاح وحصروه فى أمور بينوها رسميا للحكومة فاهتمت الحكومة لذلك وكلفته رحمه الله بأن يؤلف لجنة تحت رئاسته للبحث فى كل طرق الإصلاح . وعرضها على الحكومة لتنفيذها واشتغلت هذه اللجنة بالفعل ببعض الشغل وقدمه إلى الحكومة للعمل بما فيه

وقد كان رحمه الله شديد الحرص على أن تكون هذه المحاكم محترمة موقرة فى أعين الأمة بتمامها رفيعها ووضيعها وأن تكون محفوظة الحق لا يتعدى عليها غيرها من الجهات القضائية وحادثة الحكم فى قضية وقف المرحوم راتب باشا التى حكمت فيها محكمة الاستئناف الأهلية لدولة بهية هانم بأنها ناظرة لذلك الوقف بعد حكم المحاكم الشرعية فيها أصدق شاهد على ما قلناه . فانه رحمه الله جزم أن حكم محكمة الاستئناف الأهلية فى هذه المادة جاء من غير جهة مختصة فاشتغل بالأمر حق الاشتغال حتى صدر الأمر العالى بتشكيل هيئة تحت رئاسة ناظر الحقانية كان هو من أعضائها للفصل فى الخلف الذى وقع بين المحاكم الأهلية والمحاكم الشرعية فى هذا الموضوع وقد جاء حكم هذه الهيئة موافقا لرأيه . فقضى بأن الذى ينفذ هو حكم المحكمة الشرعية دون حكم المحاكم الأهلية . وبهذا انتهى الخلاف . وحفظت كرامة المحاكم الشرعية حفظا لا خفاء فيه

ولما استقال رحمه الله من إدارة الأزهر لم تقعد به تلك الهمة العالية عن النظر فيما يصلح الأزهر والأزهريين خصوصا ما يتعلق بانجاح المحاكم الشرعية وإيجاد العمال الذين يكونون أمام الناس مثال التوقير والاحترام فاشتغل مع الحكومة السنية فى إنجاز المشروع القاضى بفتح مدرسة يتخرج منها القضاة والكتاب والمحامون

الشرعيون فرضيت منه الحكومة بذلك . وشكلت لجنة تحت رئاسته لتضع نظاما لهذه المدرسة يبين فيه ما يصرف عليها كل سنة وما يعلم فيها من العلوم . والمدة التي يمكثها المتعلم فيها وكيفية إدارتها . ومراقبة سير التعليم فيها . فكمل ذلك فى أقرب وقت على أحسن ما يكون من الوضع وقدم المشروع إلى الحكومة قبل سفره إلى الاسكندرية بأيام قلائل وقد علمنا أن الحكومه تقبلته أحسن قبول ولم تلاحظ عليه شيئا لا فى مبناه ولا فى معناه ولا نظمها إلا عاملة به إن شاء الله

لم يبق لنا إلا أن نستهمى رضوان الله ورحمته إلى ساكن هذا القبر الامام الجليل ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل للاسلام والمسلمين أجمل العزاء على مصابهم فيه وأن يثيبه على عمله هذا بما هو أهل له إنه نعم المجيب

اخلاق الفقيد وفضائله وامامته

لحضرة القاضى الفاضل قاسم بك أمين المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية سادتى

إذا أصيبت أمة من الأمم الغربية بفقد رجل من رجال العلم أو الأدب أو السياسة كانت تعتمد عليه فى إصلاح شأن من شئونها قال قومه ليس فى الوجود إنسان لا يعوض ووجدوا فى الحال بين أهل طائفته أو صناعته من يسد الفراغ الذى تركه ويأخذ مكانه

أما الحال عندنا فليس كذلك . مهما قلبنا النظر ودققنا فى البحث والتفتيش فلا نجد فى أمتنا من يعوض علينا ما خسرناه بفقد أستاذنا الشيخ محمد عبده لا أقول ذلك محاباة لصديق كانت محبته من أسباب الشرف والسعادة لشخصى ولا موافقة للعادة المتبعة فى رثاء المتوفين حيث يحسن غض النظر عن عيوبهم ومنحهم صفات وفضائل لم يعترف لهم أحد بشىء منها مدة وجودهم بين الأحياء

وإنما هذا هو الحق الذى يجب إعلانه اعترافا بالفضل لمصرى وصل إلى أسمى مقام لا يمكن أن يناله إنسان فى هذه الحياة . مقام لم يستمد وجوده من

منصب عال فى الحكومة ولا من رتبة رفيعة ولا من ثروة طائلة ولا من نسبة إلى بيت قديم ولا من شىء آخر من ألقاب الشرف المعروفة التى اخترعت لتحل محل شرف النفس ، مقام اهتدى اليه بشعوره واكتسبه بجده وعمله وحافظ عليه بقوة إرادته وحسن سياسته وخدم فيه بعلمه وعمله ، مقام مكنه من أن يمسك بيده زمام أمة بأسرها ويحركها نحو الخطة التى رسمها ويسوقها إلى طريق المستقبل الذى هيأه لها ، مقام الامامة بأوسع معناها ، تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد فى مصر واحد يجرأ على أن يدعى فيه استحقاقا بعده .

لهذا رأينا مدة مرض الامام ويوم وفاته حركة فى شعور الأمة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ حياتها

تتذكرون يوم السفر إلى الأسكندرية حيث كان المئات من أصدقائه ومعارفه وزملائه وتلاميذه يودعونه فى المحطة وجميعهم فى سكون وقلق وخوف على حياته وتتذكرون إقامته فى الرمل والزائرون من جميع طبقات الامة ومن جميع جهات القطر يتوافدون عليه أفواجاً فى كل ساعة من النهار وهم يترددون بين الأمل واليأس يسألون عن صحته ويرسلون أخباره إلى محبيه الكثيرين الذين كانت تمنعهم أشغالهم عن زيارته ، وتعلمون الاحتفال الجليل الذى قام به سكان الثغر والعاصمة بعد موته .

رأينا كثيرا من العلماء والذوات والامراء مرضوا وماتوا فكانوا موضوعاً للمظاهرات الرسمية ولم نشاهد أن عددا يذكر من الأمة غير أقاربهم وأصحابهم اهتم لحادث من تلك الحوادث وأظهر شيئا من شعوره

ذلك لأن اولئك العلماء والذوات والامراء انما عاشوا لأنفسهم لكن امتنا قد شعرت فى هذه الدفعة بحسن غيرتها انها فقدت رجلا كان عائشاً لها أكثر من كونه كان عائشاً لنفسه ولعائلته

هذا هو سر الشعور الجديد الذى رأينا لأول مرة فى الامة المصرية شعور الاتحاد فى الكدر والحزن لحرمانهم من إمامهم المحبوب

فكأن هذا الحادث العظيم مبدأ الاتحاد والتضامن بين عدد كبير من الامة

المصرية جمعهم إحساس واحد . وهذه خطوة فى سبيل التقدم الأدبى الذى هو فى نهاية الأمر عبارة عن ترقى الاحساس إلى درجة يميل معها إلى الجميل وينفر من القبيح فى جميع أشكالها ومظاهرها

سادتى : إن كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح . والكمال أكثر من غيرها فتنمو زهرة الجمال فيها نموًّا عجيبا وتتكاثر فروعها وتمتد طولا وعرضا ولا تترك محلا لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها

ومن هذا القسم الممتاز كانت نفس إمامنا العزيز نفس خلقت على أحسن شكل . زينها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالا فى الجمال يجب أن نضعه دائما أمامنا لنعلم منه مقدار ما يصل الجهد فى العمل عند رجل اقترب من سن الستين وكان يطالع ويتعلم ويعلم ويفتى ويجلس فى جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الأوقاف الأعلى ويترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع المشروعات للأزهر وللمحاكم الشرعية ويمتحن طلبة العلم وتلامذة المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن الدين إذا طعن عدو عليه ويراسل علماء المسلمين فى جميع الأقطار التى يسكنونها ويتخابر مع رجال الحكومة لتنفيذ مقاصده وكان مع ذلك يجد وقتا ليزور أصحابه ويشاركهم فى جميع أفراحهم وأحزانهم

ونتعلم منها أيضا مبلغ ارتقاء الخلق فى إنسان أجهد نفسه وهذبها ورباها حتى أرسلها إلى أقصى ما تصل إليه نفس بشرية من الجمال والكمال

بلغت فيه طيبة النفس إلى درجة تكاد تكون غير محدودة . كان يجذبه الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع إليه ويسعى إلى كل نفع للغير عام أو خاص . كان ملجأ الفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين بأى مصيبة وأهل الأزهر الذين هم أكثر الناس احتياجا إلى المساعدة لأنهم فى وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن أنفسهم فى ميدان حياتنا الجديدة . يبذل إليهم ماله ويسعى لهم عند ولاة الأمور بهمة لا تعرف الملل كأنما كان يسعى لأعز إنسان لديه — يسعى مرة ومرتين وثلاثا إلى أن يقضى حاجتهم وهم جميعهم

فى نظره مستحقون سواء كانوا كذلك فى الحقيقة أم لا . بل كان يسعى إلى صاحب الحاجة وهو يعلم أنه أساء إليه وقدح فيه وتحالف مع خصومه فى ترويج عبارات القذف والنميمة التى لم تنقطع عنه يوما مدة حياته

لا يصل الانسان إلى هذا الخلق العظيم إلا إذا ربى نفسه على أن تتغلب على الغرائز القبيحة الملازمة للطبيعة البشرية وصار حاكما عليها يحاسبها على كل عمل أو نزعة أو فكرة أو خاطر مما يرد عليها . كان الأستاذ يرى أن الشر لافائدة منه مطلقا وان التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد فى إصلاح فاعله كان متفقا مع فلاسفة العصر على أن الخير لا يتولد إلا من الخير والشر لا ينتج إلا من الشر

نعم كان للامام الكبير الذى فرض على نفسه اصلاح أمته خصوم وأعداء كثيرون وهم جيش الجهل المركب من عامة الناس الذين لم ينالوا من التربية والعقل ما يؤهلهم لأن يدركوا مقاصده ويفهموا مباحثه فيقتصروا على التمسك بما وجد عليه آباؤهم من قبل — وعلى جوانب هذا الجيش يحرض على الطعن عليه الحاسدون الذين يتألمون إذا ارتفع واحد من الناس عنهم فلا يجدون راحتهم إلا إذا أنزلوه من مكانه ووضعوه فى مستوى واحد معهم — وفى مقدمة هذا الجيش كقواد له أرباب الغايات الذين يسيرون بسفينة مصالحهم من حيث تأتى الرياح .
فكان الأستاذ يقاوم ويحارب هذا الجيش الطويل العريض بقوة وعزيمة يحار العقل فيهما ولكنه كان يدافع بقدر الضرورة ولا يتعداها ويحارب حرب الشجاع الكريم الذى لا يطعن من الخلف ولا يخدع ولا يغش . وكان فضلا عن ذلك لا يكره خصومه ولا يبغض أعداءه وإنما يناقش أفكارهم ويطعن على أوهامهم ويهدم معتقداتهم الباطلة ويرجو لهم الهداية ويرشدهم إلى الصواب

كان الكثير من أصحابه ينصحونه أن يجتنب أسباب العناء ويترك إدارة الأزهر والدروس التى كان يلقيها فيه ومجلس الأوقاف ومجلس الشورى والافتاء ويعود إلى مركزه فى الاستئناف براتب أعظم مما كان يكسبه وعمل أخف مما يكابده فيعيش كغيره خاليا مستريحا مطمئنا ولكنه لم يسمع قول نصوح ، وأقول

أنه كما عرفته كان من المستحيل عليه أن يعيش عيشة أخرى

وكان الكثير من الناس يعترضون عليه قائلين: ما هذا الشيخ الذى يتكلم باللغة الفرنساوية ويسيح فى بلاد الأفرنج ويترجم مؤلفاتهم وينقل عن فلاسفتهم ويباحث علماءهم ويفتى بما لم يقل به أحد من المتقدمين ويشترك فى الجمعيات الخيرية ويجمع المال للفقراء والمنكوبين ؟ ان كان من أهل الدين فليقض حياته بين الجامع والبيت وان كان من رجال الدنيا فانا نراه يعمل فيها وحده أكثر من جميع الناس. كان الأستاذ يسمع ذلك ولا يلتفت إلى أقوال المتقدمين حسنات نيتهم أو ساءت

من يرى أن الحياة لهو وزين له أن يعيش ليأكل ويشرب ويسافر وينتقد أفكار الباحثين وعمل العاملين. أولئك لا يعلمون أن إمام مصر كان محركا بقوة فوق الاعتيادية وان عقله كان ملآنا بالفكر إلى حد أنه ما كان يسعه كله فكان يفيض منه بالرغم عنه. وان قلبه كان ملتهبا بحب وطنه فلا يستريح الا وهو مشغول به وبسعادته ومستقبله وانه كان مثل جميع نوابغ الرجال لا يبالى بالألم الذى يأتيه بسبب أمنيته التى كان يعزها بل كان يجد الألم فيها لذيذا كما يلتذ العاشق بما يقاسيه من العذاب فى هوى من يحبه

كم من مرة سمعته يؤكد بأنه صمم على ان لا يتداخل فى شىء من هذا القبيل ثم رأيته فى الغد منغمساً فيه أكثر مما كان

ذلك لأنه كان يعكس ما يراه عموم المصريين فى أنفسهم عنده أمل لا يزعزعه شىء فى إصلاح أمته. كان عنده اعتقاد متين فى أن البذرة الطيبة متى ألقيت فى أرض بلادنا الخصبة نبتت وأزهرت وأثمرت كما نبتت وأزهرت وأثمرت بذور الفساد فيها

لهذا كان يلقى بملء يديه كل ما جمعه فى حياته من الأفكار الصالحة والعواطف الشريفة والتعاليم المفيدة - كأنه كان يشعر أن حياته ليست طويلة وكان يعجل ببذل جميع ما كان عنده

وهل كان مخطئا فى آماله ؟ كلا وإنما يخطىء من قنط ويأس من مستقبل أمته إن لم تسمح القدرة لإمام مصر بإتمام مقاصده جميعها فلا ينكر أحد أن تعاليمه قد أثرت فى عموم الأمة وفى أهل الأزهر على الخصوص تأثيرا حسنا .

ولكن ينبغي أن لا يغيب عن فكرنا أن الأمم التي تستفيد من الاصلاح هي التي تستحقه أي تدركه وتفهمه وتحبه وتطالب به وتكرم رجاله وتحترمهم وتعزهم وإلا فكل اصلاح فيها مصيره الزوال السريع .

إنه يجب علينا أن نضع يدنا على بناء الاصلاح الذي وضع الامام أساسه ونحافظ عليه وندافع عنه ونضيف إليه إن أمكننا حتى نتركه إلى ذريتنا كميراث نفيس تنتفع منه وتزيد عليه ثم تتركه إلى من يأتي بعدها وهكذا ينمو الاصلاح فينا كلما مرت الأيام والاجيال كما هو الحال عند الأمم الحية .

سادتي : نحن اليوم في عصر توفرت فيه ظروف عديدة تساعد على ارتقاء بلادنا إذا نحن عرفنا أن نستخدمها نحن في عصر النظام والحرية التي لاتقف إلا عند حد القانون وأرى المفسدين منا تجارتهم رابحة يتكلمون بصوت عال و ينشرون مايوافق مصالحهم و يختلسون ثقة الجمهور ورضاء ولاة الامور . أراهم بالاجمال ينتفعون من الحرية التي منحها المصريون وأرى بعكس ذلك أن الطيبين منا الصادقين الذين يريدون الخير لبلادهم لايستعملون حريتهم ولا ينتفعون منها بشيء ، يتكلمون بصوت منخفض أو لايتكلمون ولا ينشرون أميالهم وآراءهم و يبتعدون عن ولاة أمورهم و يترفعون عن المناقشة والجدال ولا يميلون إلى الجهاد في سبيل الحق والعدل والمنفعة العامة فكان ضعف هؤلاء وجراءة أولئك من أهم العوائق التي صادفها الامام في طريق الاصلاح .

إذا دام هذا الحال كان نصيب ماشيده من البناء الخراب والسقوط

أما إذا عدل محبو الاصلاح منا عن خطتهم وجاهروا بأفكارهم ودافعوا عن آرائهم وتركوا ما اعتادوا عليه من الافراط في الحرص على راحتهم والمسالمة الزائدة عن حد المعقول وساروا في الطريق الذي رسمه لهم امامهم ملهمين بروحه مهتدين بنوره مقتدين بسيرته معجبين بما أظهره في حياته من علو النفس وشهامة الخلق وشجاعة الرأي وثبات العزيمة ، فلا ريب أن البناء يكمل والاصلاح يتم ويحقق ما كان أستاذنا و إمامنا يريده وما يتمناه كل مصري من الشرف والمجد والسعادة لأمته .

رثاء حفنى بك ناصف

لمَ لا تجيبُ وقد دعوتُ مرارا ... يكفى سكوتك أربعين نهاراً
كثر التخبُّطُ والحقائق حجبت ... عنا وأمسى المسلمون حيارى
يتساءلون وقد عرتهم سكرةٌ ... عما عراك وما همُ بسُكارى
فاجلُ الصواب لنا كما عودتنا ... يققاً ومزّق دونه الأستارا
ماكان عهدى حين يقصدك الورى ... عند اشتداد الخطب أن تتوارى
فيم احتجابك فى فلاة بلقع ... لادارة فيها ولا ديارا
الكون عن مسعاك ضاق نطاقهُ ... فعلام تتخذ المقابرَ دارا
للمسلمين إليك أكبرُ حاجة ... فاذا قضيت فما قضوا أوطارا
من ذا يناضل شريعة أحمد ... ويذود عن أكنافها إلا خطارا
ويصون دين الله من شُبه العدى ... ويردُّ غارة من به يتمارى
ويذب عن آى الكتاب بحكمة ... ويذيق من باراه فيه تبارا
ويجىء فى تفسيره بعجائب ... ويذيع من مكنونه الاسرارا
ويطهّر الاسلام مما شابَهُ ... ويزيل عن غدرانه الاكدارا
ويذكر العلماء أن لايغمضوا ... عما اقتضاه زمانهم أبصارا
ويجادل الاشرار بالحسنى ولا ... ينفك حتى يصبحوا أخيارا
ويجدد العربية الأولى وقد ... صارت بغفلة أهلها آثارا
ويعيد للانشاء سابق مجده ... ويشيد فى أنهاره ما انهارا
ويرد أعواد المنابر جذلة ... لا تحسدُ الاعواد والاوتارا
ويبث بين الخلق غر خلائق ... بعظاته وينبه الاغرارا

ويحث أهل المال أن يتوسطوا ... فى البذل لاسرفاً ولا إقتارا
ويرود مرعى الجود فى وزرائنا ... ليحط عن فقرائنــا أوزاراً
يقضى حوائج سائليه فلا يرى ... فى نفسه سأما ولا استكبارا
ويعلم الناس الأمانة والوفا ... والصدق والإخلاص والإيثارا
ويظل بالاصلاح مغرى كلما ... وجد السبيل إلى صلاح سارا
حتى كأن عليه عهداً للعلا ... أن يصلح الأخلاق والأفكارا
ان كان فينا مرشد يقوى على ... ذا العبء أوسعنا لك الأعذارا
أولا فأولى أن تفيض نفوسنا ... هلعاً ونسعى للمنون بدارا
مات الإمام فياسماء تفطرى ... فلذاً وطيرى يابحار بخارا
وتصدعى ياأرض وانضب فجأة ... يانيل وامطر ياسحاب حجارا
وقفى مكانك ياكواكب واسقطى ... كسفاً وخرى ياجبال نثارا
وذرى رحاب الجو تبعث صرصرا ... ياريح واسرى بيننا إعصارا
لاخير بعد محمد فى العيش إن ... كانت نفوس الخالفين صغارا

رثاء حافظ أفندى ابراهيم

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجى ... على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله ... فأصبحت أخشى أن تطول حياتى
فوالهفى والقبر بيني وبينه ... على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً ... كأنى حيال القبر فى عرفات
لقد جهلوا قدر الامام فانزلوا ... تجاليده فى موحش بفلاة

ولو أضرحوا بالمسجدين لانزلوا بخير بقاع الأرض خير رفات
تباركت هذا الدين دين محمد أيترك فى الدنيا بغير حماة
تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ولانت قناة الدين للغمزات

***

زرعت لنا زرعا فأخرج شطأه وبنت ولما نجتن الثمرات
فواهاً له أن لا يصيب موفقا يشارفه والأرض غير موات
مددنا إلى (الاعلام) بعدك راحنا فردت إلى أعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغى سواك عيوننا فعدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك فى ذات الآله وأنكروا مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى فى جانب الله لذة ورحت ولم تهمم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبا فى غياهب ومعرفة فى أنفس نكرات
أبنت لنا التنزيل حكما وحكمة وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجى فاطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت (لهانوتو) و(رينان) وقفة أمدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله فى كل موقف فخافك أهل الشك والنزغات
وكم لك فى إغفاءة الفجر يقظة نفضت عليها لذة الهجعات
ووليت شطر البيت وجهك خاليا تناجى إله البيت فى الخلوات
وكم ليلة عاندت فى جوفها الكرى ونبهت فيها صادق العزمات
وأرصدت للباغى على دين أحمد شباة يراع ساحر النفثات
إذا مس حد الطرس فاض جبينه باسطار نور باهر اللمعات
كأن قرار الكهرباء بشقه يريك سناه أيسر اللمسات

فياسنة مرت بأعواد نعشـــه لأنت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفاً وعطلت منبرا وأذويت روضا ناضر الزهرات
وأطفأت نبراسا وأشعلت أنفسا على جمرات الحزن منطويات
رأى فى لياليك المنجم مارأى فأنذرنا بالويل والعثرات (١)
ونبأه علم النجـــــوم بحادث تبيت له الابراج مضطربات
رمى السرطان الليث والليث خادر ورب ضعيف نافذ الرميات (٢)
فاودى به ختلا فمال الى الثرى ومالت له الاجرام منحرفات
وشاعت تعازى الشهب باللمح بينها عن النير الهاوى الى الفلوات
مشى نعشه يختال عجبـا بربه ويخطر بين اللمس والقبلات
تكاد الدموع الجاريات تقله وتدفعـه الانفاس مستعرات
بكي الشرق فارتجت له الارض رجة وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفى الصين جازع وفى مصر باك دائم الحسرات
وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب وفى تونس ماشئت من زفرات
بكي عالم الاسـلام عالم عصره سراج الدياجى هادم الشبهات
ملاذ عيايـيـل ثمال أرامل غياث ذوى عدم إمام هـداة
فلا تنصبوا للناس تذكار عبده وان كان ذكرى حكمه وثبات
فانى لأخشى أن يضلوا فيومئوا الى نور هذا الوجه بالسجدات
فياويح للشورى اذا جد جدها وطاشت بها الآراء مشتجرات

(١) يشير الى ماجاء فى تقويم عن احداث هذه السنة (١٣٢٣) وهو

ألا يارحمة الرحمن صبى على قبر حوى جسم الامام
ويإذا الازهر اندب ليث غاب فمن يفتى إذا الامام نام

(٢) يشير الى موت الامام بداء السرطان إذ كانت الشمس فى برج السرطان

ويا ويح للفتيا إذا قيل من لها ... ويا ويح للخيرات والصدقات
بكينا على فرد وان بكاءنا ... على أنفس لله منقطعات
تعهدها فضل الامام وحاطها ... باحسانه والدهر غير موات
فيا منزلا فى عين شمس أظلني ... وأرغم حسادى وغم عداتى
دعائمه التقوى وآساسه الهدى ... وفيه الأيادى موضع اللبنات
عليك سلام الله مالك موحشا ... عبوس المغاني مقفر العرصات
لقد كنت مقصود الجوانب آهلا ... تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة أرزاق ومهبط حكمة ... ومطلع أنوار وكنز عظات

(يقول جامع الكتاب) قد استعاد الناس كثيراً من أبيات هذا الرثاء لما كان لالقائه من شدة التأثير ولا تسل عما جرى عنده وعند سابقه من انحدار العبرات وتصعد الزفرات ، الذى اشترك فيه جميع الطوائف والطبقات ، وما كاد يتم الرثاء حتى آذنت الشمس بالغروب فوقف حموده بك عبده فشكر للناس جميلهم ودعالهم بعبارة بليغة لائقة بالمقام وآذن حسن باشا عاصم رئيس الحفلة الناس بالانصراف مأجورين مشكورين ، بعد أن ختمت كما افتحت بتلاوة آيات من الكتاب العزيز

وقد كان هذا الاحتفال مجدداً لتحريك أقلام الكتاب بالثناء والدعاء كما حرك الالسنة والقلوب . ولو أردنا أن نثبت ذلك كله لأعدنا نحو ما بدأنا به ولكن نذكر جملة وجيزة من جريدة كنا أضعنا تأبينها وهي جريدة العصر الجديد المصرية لاسكندر بك شاهوب قالت :

« كانت حفلة التأبين التي أقيمت أمس فى قرافة المجاورين إحياء لذكرى إمام الشرق الاوحد ونابغته الفريد المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقاً بالغة حد النهاية في المهابة والوقار حضرها عدد عظيم من كبار الأعيان والموظفين وأصحاب الحيثيات الرفيعة والمقامات العالية من الأمراء والكبراء ورجال الصحف وأرباب الأقلام والخطباء والشعراء الذين انتدبوا لرثاء الفقيد وقد تصدر الحفلة سعادة الفاضل حسن باشا عاصم بصفته نائب الجمعية الخيرية الاسلامية وكان عدد الحاضرين لا يقل عن الخمسة آلاف نسمة غير الذين منعوا عن الدخول منعاً للزحام ولكن السكون كان سائداً والهدوء شاملا وكان الناس كأن على رؤوسهم الطير » الخ ما كتب وهو زهاء عمودين

التعــازى

لقد كان الاستاذ الامام عليه الرضوان آية فى حياته وآية فى مرضه وآية فى موته وآية فى التعزية عنه فما رأينا ولا سمعنا قبل موته أن أحدا من العلماء أو الأمراء أو الزعماء مات فرأى جميع الطبقات من أمتهم أن مصابهم فيه كمصاب أهله فأنشأ يعزى بعضهم فيه بعضا ذاكرين أن مصابه مصاب الأمة والدين فى كل قطر. هكذا كان شأن الناس فى تعزية بعضهم بعضاً عن الأستاذ الامام ، واننا نذكر نموذجاً من تعازى أهل هذا القطر وغيره من الأقطار مبتدئين بتعزية بعض المصالح ثم بتعزية بعض المصريين الذين كانوا فى خارج القاهرة ثم ببعض تعازى أهل المشرق فتعازى بعض أهل المغرب

تعزية محكمة الاستئناف الأهلية بلسان رئيسها

إلى حضرات المحترمين أعضاء عائلة المرحوم الشيخ محمد عبده

لم يكد يتصل بنا خبر ذلك المصاب الجلل خبر وفاة زميلنا الفاضل العلامة الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية حتى شملني أنا وحضرات زملائى المستشارين الكدر العظيم والحزن الشديد لما كان عليه المغفور له من أجمل الصفات وأحسن المزايا

خدم رحمه الله تعالى القضاء خدمة جليلة وأقام بيننا طول مدته عنوان الاستقامة ومثال الفضيلة

تركنا وقد خلد له بيننا ذكرى حسنة إلى وظيفة الافتاء حافظا لمركزه فى محكمة الاستئناف وقضى هذا الفقيد العظيم رحمه الله تعالى وهو على هذه الحالة فكان من الواجب علينا أن نظهر على وفاته بعض ماشملنا من الحزن فأوقفنا جلسة المحكمة صباح وفاته حدادا عليه وشيعه رجال قضاء هذه المحكمة والمحكمة الابتدائية

وقد رأينا أيضا اتماما لما يجب علينا أن نحرر هذا لحضرتكم اظهارا لأسفنا العظيم وكدرنا الشديد على فراقنا لهذا العالم الكبير. ونسأل الله تعالى أن يشمله بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته ويمطر علي جدثه صيب الرحمة والرضوان ويلهم آله وزملاءه ومحبيه جميل الصبر وخير السلوان انه تعالى سميع مجيب

تحريرا بمصر فى ١٧ يوليه سنة ١٩٠٥ (محل الامضاء والختم)

تعزية الجمعية الخيرية الاسلامية

بلسان سعادة حسن باشا عاصم وكيل الجمعية

مصر بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ نمرة ١١١

حضرات المحترمين أعضاء أسرة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده

ما كان للمرحوم الاستاذ الفاضل الرئيس والعالم الكامل الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعيتنا الخيرية الاسلامية من الأيادى البيضاء فى توطيد دعائم الجمعية وتشييد أركانها جعلها اليوم من أكبر عضو لاصغر طالت فى حزن اليم وألم عظيم لفقد عضدها القوى وركنها القويم

ولذا قد حق علينا نحن أعضاء مجلس إدارة الجمعية بالاصالة عن أنفسنا والنيابة عن اخواننا أعضائها وأولادنا طلبة مدارسها أن نعقد مجلس إدارتها خاصة لنشترك جميعا فى العزاء على الفقيد الكريم ونسأل الله له خير الجزاء على حسناته وان يسكنه فسيح جناته

وقد تقرر فى جلستنا هذه تحرير هذا الكتاب لحضراتكم قياما بواجب العزاء لاسرته الكريمة وبيانا لكدرنا الشديد وحزننا الأليم على فقد هذا الاستاذ الحكيم والله يلهمكم وايانا جميل الصبر ويعظم لنا فيه الأجر انه هو الرحمن الرحيم

تعزية الامير محمد بك ابراهيم

وكتب صاحب الدولة الأمير محمد بك ابراهيم أحد أعضاء الاسرة الخديوية إلى حموده بك عبده كتابا من باريس فى ٢٤ يوليو هذا نصه بعد رسم الخطاب

انتقال الشيخ محمد عبده إلى دار الفناء هوى على مثل الصاعقة وتمزق قلبى من هذه الداهية الشنيعة فانى كنت للمرحوم ولى حميم واثق زكاءه الساطع واتبع نصائحه الطاهرة وابتغى مجلسه الشريف

حينما أظلم الموت عينيه احتجبت أيضا فى السماء الكواكب وانتفت العلم معه وأضاع مصر أفخر رجاله فارتدى فؤادى بأزر الحداد وتبكى عيونى دمع الشؤون فما فى طاقتنا استرداده فاللهم يكنف قبره برحمته العزيزة . ويدوم ذكر محمد عبده فى مصر كانجم فى الآفاق .

أدعو الله بأن يماطل كربكم ويعطى لعائلته الشريفة الصبر والسلوان

(الامضاء)

تعزية ابراهيم بك الهلباوى المحامى

والمستشار القضائى بديوان الأوقاف

من بروكسل فى ٢٣ يوليو

حضرة الاستاذ الشيخ عبد الكريم

ماذا أكتب لك والخطب إذا عظم يبلبل الخواطر ويجرح القلب ويمسك اللسان عن الكلام ثم إذ استطيع القول فماذا عسى أن أقول وبأىّ عبارة أعزى ؟ ان كان شيء من هذا فلن يوجه العزاء فى هذا الفقيد ؟ ألعائلته (زوجته و بناته واخوته) مع انها لم تكن أكثر حظاً وفائدة من كثير من الطبقات الأخرى التى كانت مغمورة بفيوضات الاستاذ رحمه الله

ألعشيرته من رجال العلم والدين بالجامع الازهر المعمور على حرمانهم من رجل قضى فوق الاربعين عاما بين طالب ومدرس وموظف وهو يجتهد فى تحسين حال أهل هذه الطبقة أدبيا وماليا وان المرتبات التى توالت عليهم من نظارة المالية أو من مصلحة الاوقاف كانت من نتائج مساعيه ؟ أللناشئة الجديدة من المدرسين والطلبة وقد كان شغوفا ولوعا بالعناية بتربيتهم و بث روح الدين الخالى عن الخرافات والأوهام فى نفوسهم . وقد كان تفانى المرحوم فى الاشتغال بتثقيف

عقول هذه الناشئة الجديدة من الازهريين واعدادهم للقيام بواجب الدعوة فى الناس إلى نبذ ماعلق بنفوسهم من الفساد والخمول والكذب حتى يكونوا أمة عاملة صالحة تشبه رجال السلف الصالح من الأمور التى أوشكت أن تتجاوز حد الاعتدال كان بالرغم عن متاعبه وأشغاله المتعلقة بوظائفه العديدة اليومية لاينقطع عن الذهاب إلى الأزهر لإلقاء دروسه فى أوقاتها المعتادة فضلا عن كونه كان فاتحاً بيته فى عين شمس ومحل إدارته فى الأزهر لجميع الطلبة على اختلاف مذاهبهم ليلقنهم و يغذى نفوسهم بحكمه العالية ، وقدلا أخطىء إذا قلت انه كان الازهر محل شروق الاستاذ ومنبت علمه وحكمته فيجوز أن يكون هو أيضا من الاسباب الكبرى لعلته وغروب شمس علومه ومن حوادث الأزهر الأخيرة من عهد حادثة رواق المغاربة إلى وقت استقالة شيخ الأزهر السابق الاستاذ الشيخ على الببلاوى إلى استقالتكم واستقالة الفقيد من مجلس إدارة الازهر عبرة لمن اعتبر.

ألأهل القضاء والموظفين بالمحاكم الشرعية وفي التقرير الذى تقدم من الفقيد لنظارة الحقانية المتعلق باصلاح المحاكم الشرعية و بيان وسائل الاصلاح ما يدل على ان إصابة المحاكم المذكورة بوفاة المرحوم ليست أقل من مصاب الجهات الأخرى

أرجال القضاء الأهلى على فقدهم رجلا كان لايزال حافظا مركز القضاء بمحكمة الاستئناف على الخدم الجليلة التى أداها فى المحاكم الأهلية مدة الاحدى عشرة سنة التى لبثها موظفا بها بين نائب قاض وقاض بالمحاكم الابتدائية ومستشار بمحكمة الاستئناف ، ان ما عرف به الفقيد فى تلك المحاكم من الذمة والاستقلال والكفاءة العالية أقام برهانا للحكومة على أنه يمكن الاعتماد على رجال الدين في الوظائف الكبرى القضائية مع انهم لم يتعلموا فى مدارس الحقوق علم الحقوق وعلى أثر ذلك دخل فى وظائف القضاء الأهلى عدد عظيم من هذه الطبقة و كان أول فاتح للطريق الاستاذ الشيخ محمد عبده بكفاءته وعلمه

أم نعزى على هذا المصاب مجلس الشورى ورجاله وهم يعلمون كما يعلم الجميع أنه من عهد دخول الاستاذ فى عضويته والمجلس فى حالة أعز وحسن الظن والثقة به

تضاعفت من جانب الحكومة وصارت المداولة فى المشروعات بين مندوبى الحكومة والمجلس كالمناقشة بين متكافئين وجهتهما واحدة ومى الاصلاح ودرء الضرر .

أم نعزى مصلحة الاوقاف الذى كان المرحوم عضواً فى مجلسها الأعلا .
كان عضواً عاملا مثابراً على العمل ملتفتاً لكل صغيرة وكبيرة تعرض على المجلس فتنال من رأيه و إنصافه ما تستحقه والناس تعلم أنه فى المسائل الكبرى التى لابد وأن يدونها التاريخ لهذه المصلحة فى عهدها الاخير كان الشيخ من أكبر عوامل المدافعين والمحافظين على كيان هذه المصلحة . و بسبب هذه المصلحة أيضاً قد أضاع الشيخ وضحى كثيراً من منافعه الشخصية وزاد فى هياج أعدائه

أم نعزى فتوى الديار المصرية ؟ ما من وظيفة دخلها الشيخ إلا وألبسها ثو باً جديداً من الرفعة والجلال . كان معظم الذين سلفوا الشيخ فى هذه الوظيفة الكبرى يظن أنه انما تعين مستشاراً دينيا لمصالح الحكومة فلا يكتب ولا يفتى إلا عن المسائل التى تحال عليه من تلك المصالح وكل طلب يعرض له من الافراد عن أى مسئلة يطلب فيها معرفة حكم الله فيها يضرب به عرض الحائط . فلما تولاها الشيخ رفع بقدرها الى الدرجة التى يجب أن تكون عليها وفتح أبوابه لافادة الافراد كما فتحه لافتاء الحكومة لأنه بتعيينه فى هذا المسند الجليل صار المرشد والمفتى الأكبر لكل قاصد له فى هذه البلاد

على هذا المبدإ عم الآفاق اسم مفتى الديار المصرية بعد أن كانت الوظيفة أشبه شىء بالتقاليد القديمة التى لا عمل لها وصار يقصدها القاصى والدانى من مشارق الارض ومغاربها وكان أهم هذه الفتاوى بيان أحكام الله فى الاحوال الجديدة التى نشأت عن اختلاط أمم الاسلام بالامم الاخرى ودخولهم تحت أحكامهم من الاحكام التى تطلب العلم بأصول الدين و بيان الغرض من أصول الاحكام.

أم نعزى الجمعية الخيرية الاسلامية ومدارسها والفقراء والايتام الذين يلتجئون لما أصابهم من نوائب الزمان لأبوابها ؟ ليس فضل الشيخ فقط أنه كان رئيساً لهذه الجمعية وخدم فيها كثيراً بهذه الصبغة بل فضله الاكبر أنه كان من أول المؤسسين لها وأول الناشرين لدعوتها بين الأمراء أعضاء العائلة الخديوية وكبار

الأعيان والوزراء . لم يكن همه وعمله فيها قاصراً على فرع من فروع الاعمال ، بل كنت تجده الاول فى كل فرع منها . إذا التفت الى باب الحث على الاشتراك فى عضوية الجمعية رأيت الشيخ أول العاملين ، أو الى تحصيل الاشتراكات أو المساعدات كان الشيخ كذلك ، أو الى انتقاء الموظفين للمدارس والاشتغال بامتحانهم أو امتحان تلامذة تلك المدارس كان الاستاذ أول العاملين ، أو الى حضور جلسات مجلس الادارة كان الشيخ من أول المواظبين أو الى دفع الاشتراك الشخصى الذى يجب على كل عضو كان الشيخ من أول المنجزين

أم نعزى العائلات المنكوبة فى رؤسائها حيث كان الشيخ لمثل هذه العائلات والد من لا والد له أو عائل من لا عائل له ؟ خصوصاً العائلات التى كانت ترتبط رؤساؤها بالفقيد قبل وفاته كأنه خلق بين البؤس والبؤساء والتعاسة والتعساء ، اذا رأيته في دعوة فرح فاعلم أنه انما توجه لداعى المجاملة وسنة إجابة الدعوة ولكنك تراه مقابل ذلك مئة مرة مشيعاً للجنازات ومواسياً للمصابين فى المآتم .

كان أول مثال للوفاء مع أهله وأصدقائه غير متغير فى أمياله ولا مباديه الذين اتخذهم فى أيام شبيبته الاولى أصدقاء وأصفياء هم الذين بقى معهم الى الايام الاخيرة من حياته . كان من أولى الهمم الشماء والمروءة الكبرى كان كما كان مقصوداً لكل قاص ودان لحاجة العلم كان مقصوداً للمساعدة على حاجات هذه الحياة الدنيا من مال أو توظف أو أى مساعدة أخرى

ان رجلا كانت حياته لكل الناس كرجلنا الفقيد انما نعزى فيه الامة بأسرها وحيث كنت أيها الاستاذ منه بمنزلة هارون من موسي عضده ومعينه ورفيقه الاول من عهد الطفولية الى اليوم وجهت كتابى هذا اليك معزيا فى شخصك كل الذين أصيبوا بوفاته والله يوفقك إلى إتمام ما بدأ به المرحوم ويرزقنا وإياك الصبر والسلام .

ابراهيم الهلباوى

وكتب الى حموده بك ما يأتى :

فى كتابى الذى كتبته للاستاذ الشيخ عبد الكريم بعض ما ينبغى أن أقوله لك لمناسبة المصاب فى شيخنا الأكبر رحمه الله

وغاية ما أقول لك ان فزعي من هذا المصاب أقلق راحتى وسود الدنيا فى وجهى حتى تركت أولادى فى فرنسا وصرت هائما أنتقل من بلد لأخرى ولما استطعت أن أمسك القلم كتبت اليوم إلى الشيخ عبد الكريم ثم كان جوابى الثانى هذا الخطاب اليك أرجو به قبول عزائى وتبليغه أيضاً للسيدة عائشة و بقية إخوتك آل الفقيد والله يعوضنا فيه خيرا و يبقيك سنداً للعائلة والسلام ؟

الاحد ٢٣ يوليو سنة ٩٠٥ إبراهيم الهلباوى

تعزية الشيخ مصطفى عبد الرازق

وكتب الأديب الفاضل الشيخ مصطفى عبد الرازق نجل سعادة حسن عبد الرازق باشا الى جامع هذا الكتاب .

حضرة أخى السيد الكريم

إن نبأ المصيبة العظمى بوفاة الأستاذ الإمام قد صدم القلوب صدمة زلزلت أركانها ، وصدعت جوانبها ، وأخذت منافذ الصبر عليها

ليت الجبال تدكت يوم مصرعه دكاً فلم يبق من أركانها حجر

خان العزاء وضاق الصدر ، وجل الأمر ،واشتد ساعد الجزع ، وهرمت عزيمة النفس ، وعثر جواد الأمل .

وفاضت دموع العين من كل عبرة إذا وردت لم تستطعها الأضالع

وكيف لا يعظم الخطب ،ويشتد الكرب ، وتطيش الاحلام ، وتشيب النواصى ، وتميد الرواسى ، وقد نزلت الفاجعة وفجعت النازلة وكان ماخفت أن يكونا

دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

فقد الدهر غرته ، والفضل جبهته؛ وغربت شمس الحكمة ، وورثت هذه الامة

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

تداعى جدار الدين ، ومات إمام المصلحين

وانثلم المجد به ثلمة جانبها ليس بمسدود

فالآن يخشى عثرات الندى وصولة البخل على الجود

فجع طلاب العلم النافع ورغاب الفضيلة الصحيحة والمستعدون لوعي الحكمة في مشرق ضيائهم ، وموضع رجائهم ، وأشدهم بأسا على أعدائهم

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة أثنى عليها السهل والاوعار
(سلكت بك العرب السبيل الى العلا حتي إذا سبق الردى بك حاروا)

غلبت على النفس فورة الهم حتى أنكرت كل ماعرفت من شأن الصبر واسترسلت مع الاكدار واستعصت على الناصح ونسيت وعد الله للصابرين

سأبكيك لامستبقيا فيض عبرة ولا راجيا بالصبر عاقبة الصبر

ولقد خشيت أن تجمح فى بيداء الجزع فلايردها راد ، ولايصدها صاد ، ولايدفعها عن الغى رشاد ، لكن أبت عزيمة الاسلام ، وأبى يقين ورثناه عن الاستاذ الإمام ، إلا أن يؤوب الرشد من غيبته ، ويصحو العقل من سكرته . على عظم الرزية وشدة البلية

هممت بأن لا أطعم الدهر بعده حياة فكان الصبر أبقى وأكرما

فرضينا بحكم الله واستسلمنا لما جرى به القدر وقلنا ما يقول الصالحون ، إنا لله وإنا اليه راجعون

وقد فارق الدنيا الاحبة قبلنا وأعياد دواء الموت كل طبيب

وإنا وان أخذنا بالحزم ورزقنا الصبر فما نحن بغافلين عن عهده ولا ناسين من أبوته

وكيف أنساك لا نعماك واحدة عندى ولا بالذى أوليت من قدم

نسأل الله تعالى أن يهب الفقيد الكريم من رحمته ورضوانه خير مايهب عباده الشاكرين

رحم الله منك نفس كريم وقليل من النفوس الكرام

ونرجوه جل شأنه أن يمهد لك السبيل ويرزقك الثبات ويعصمك من الزلل ويسددك إلى الحق ويحيي بك آمالا كان يخشى الاستاذ أن تموت بموته ، وتفوت بفوته ، وأن يوفقنا لنصرتك ، وتأييد حجتك ، والسلام عليك ورحمة الله

أبوجرج — فى يوم الثلاثاء ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣

وكتب الفاضل الموحد محمد أفندى عارف الذى لم يلبث أن لحق به (رحمهما الله) إلى جامع الكتاب

من حلوان فى يوم الجمعة ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٣

حضرة صديقى العلامة السيد محمد رشيد رضا الأفخم

السلام عليكم تحية مسلم لمسلم و بعد فأخبر حضرتكم أنه قد جف قلمى وماجفت دموعى من البكاء المتواصل والحزن الكامل على ساكن سويداء قلبى وغذاء روحى المرحوم الموحد الاستاذ فقيدنا أسكنه الله فسيح جناته حتي لقد اعترانى من أفول شمس حياته مرض مصحوب بحمى شديدة كادت تلحقنى به عقب نوبة حزن ببكاء وعويل حيث اعتبر المرحوم انه هو الجوهر الفرد وهو القمر المنير لذوى العقول الدراكة وآلت نفسى أن لا ينفك حزنى عليه حتى القى الله و يجمعنى الله وإياه فتأخرى عن مقابلتكم ومشاركتكم شخصيا فى الحزن والاسى كان بسبب المرض قوانا الله و إياكم على احتمال فواعل هذا الحزن والكمد الشديد انه فعال لما يريد وانا لله وانا اليه راجعون

ولا يعزب عن فكركم السامى شدة حرصى على الحصول والوصول لكل مؤلفاته رضى الله عنه وكل شىء قيل و يقال فيه ممن قدره حق قدره ومقداره العظيم مع صورته رضى الله عنه فساعدونى ولا تحرمونى من تلك الآثار النفيسة وانى مستعد لبذل النفس والنفيس فى هذا السبيل ومنتظر أمركم والسلام

وكتب الفاضل الذكي عبد الحميد أفندى زكي الضابط بالجيش المصرى الى جامع الكتاب ما يأتى :

الخرطوم فى ١٧ يوليه سنه ٩٠٥

سيدى العزيز

أزعجنى خبر وفاة المرحوم وأنا فى طريقى عائد من مصر ففقدت صوابى وحزنت كما حزنتم وحزن جميع من هنا لهذا المصاب العظيم نسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته و يعوض الاسلام والمسلمين عنه خيراً وأن يكون لنافى وجودكم خير تعزية لهذا المصاب العظيم والفاجعة الكبرى وأن تكونوا لنا وللمسلمين خلفه الرشيد (الامضاء)

وكتب الفاضل الأديب أبو المجد افندى من الخرطوم الى جامع الكتاب

حضرة الفاضل المحترم السيد محمد رشيد رضا

أخى إنى أسأل الله ذا الجلال أن يلهمك صبرا جميلا وعزاء جزيلا على المصاب العام والخطب الجلل بفقد محيي السنة ومميت البدعة وباثّ روح الحياة العلمية فى هذا العصر الاستاذ الامام رحمه الله رحمة واسعة من عنده لأن هذا الرزء وإن كان عاما إلا انى أعتقد ان لك منه الجزء الأكبر من التأثر لما كان بينك و بين الاستاذ من الروابط والصلات التى كادت أن تكون كصلة الأهل والعشيرة بل ربما ساوتها ولا أبالغ اذا قلت بل فاقتها والارواح جنود مجندة والنفوس لها استعدادات مخصوصة وفقك الله لاعلاء منار الدين ورفع معالم الهدى

محمد أبو المجد بكلية غردون

نموذج من التعازى البرقية

كانت البرقيات ترد كل يوم بالعشرات على حموده بك عبده أخى فقيدنا وعلى أشهر أصدقائه ومريديه لا سيما الاستاذ الشيخ عبد الكريم وهذا الفقير وهي على بنائها على الاختصار لا يخلو شيء منها عن تعزية الاسلام والامة كلها عنه كما ترى فى المثال الآتى :

أرسل الينا الاستاذ الفاضل الشيخ حسين والى أحد علماء الشافعية المدرسين فى الازهر البرقية الآتية من كفر سليمان وكان هناك :

السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بمصر

بشارع درب الجماميز

أعزى نفسى وأعزيكم وأعزى الأمة الاسلامية (الامضاء)

وجاءتنا البرقية الآتية من الفاضل المخترع عبد اللطيف أفندى فهمى مأمور مركز شربين :

الشيخ رشيد صاحب المنار بمصر

تحسرت جدا والله لفقد ساكن الجنان امام الاسلام ومقر الحكمة وعم الحزن جميع الأمة ألهمكم الله وإيانا الصبر الجميل (الامضاء)

وجاءتنا البرقية الآتية من الأفاضل المشار اليهم فى أولها من دنقلا (السودان)

المنار بمصر

المدرس الأول والثاني والامام وعبد الله وعبد اللطيف يشاطرونكم الأحزان وعموم المسلمين بأنحاء المعمورة والخضرى واسماعيل خليل بوفاة الاستاذ الحكيم.

نكتفى بهذه المثل من تعازى البريد والبرق التى كان يرسلها أبناء هذا القطر الذى يفخر بالامام على سائر الاقطار إلى العاصمة وقد فاتنا كتاب بليغ أرسله أحمد فتحى بك زغلول رئيس محكمة مصر من أوربا إلى حسن باشاعاصم فقرأه فى حفلة التأبين فكان له من التأثير ما ينتظر من مثل الكاتب فى شدة إخلاصه للمرحوم ومكانته من مريديه و بلاغته فى القول والكتابة . وقدضاع الكتاب نفسه فلم نر بدا من التنويه به فى ختام التعازى المصرية

نموذج من تعازى الأخيار فى سائر الأقطار

نبدأ ببعض ماجاء من سوريا لقربها فغيرها من بلاد المشرق ثم ببعض ماورد من بعض بلاد المغرب

كتب الكاتب البليغ صاحب السعادة الأميرشكيب ارسلان من بيروت الى الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان ما يأتي :

مولاى الاستاذ أيده الله

والله لاأدرى ماذا أقول ولا أجد كلاما يشفى مابي من غليل الحزن ولاعبارة تفى بهول هذه المصيبة والله لا أكاد أصدق ان الاستاذ الشيخ مات بدون أن أراه وهو فى الليل والنهار أمام ناظرى كأنه يعاتبنى على تركى زيارته كل هذه المدةحتى فارق هذه الدنيا وأنا أؤجل وأسوف وأعلل النفس بالآمال . أيها الاستاذ منذعقلت على نفسى لم أدر مصيبة عظمت عليّ مثل هذه المصيبة حتى لوقلت ان مصابى بوالدى لم يكن أعظم عندى لصدقت مع أنى يوم وفاة والدى كنت شارخاً وأنا الآن ذرفت على الخمس والثلاثين وصرت كهلا وألفت نفسى المصائب وما يوازى حزنى

على ارتحال الاستاذ الأندى على تأخير زيارته حتى مات ولم أره وكتبه عندى وهو يستدعينى ويستنجز وعدى . أيها الاستاذ أحس أن الدنيا قد فرغت بالنسبة لى وما فرغت هى ولكن فقدت منها من كان ملء قلبي وعينى ومن كان ذخرى في الشدائد فالآن كأن الموجود غيرموجود ومع كثرة الأعوان والأحباب أرى نفسى وحيدا وا أسفاه هل الأحباب بكثرة العدد وهل فى كل يوم صاحب كالشيخ محمد بل فى كل عمر بل فى كل دهر . قد فقدته مصر بل فقده الاسلام بل فقده الشرق ولكن خصنا نحن فى مصابه مالم يخص غيرنا وفقدناه مع الناس وفقدناه فى أنفسنا إنا لله و إنا إليه راجعون . منذ بلغنى هذا الخبر ماقويت أناملى أن تمسك القلم وها أنا ذا الآن اكتب لك هذه الاسطر تعزية وأريد أن أشكواليك بثي وحزنى لأنك كنت أقرب الناس إلى المرحوم فصدرى ضائق والى من أفيض بما فيه من الحرقة والوجدان ان لم تكن أنت ، حقا عادت الدنيا فى عيني أحقر من النواة واستوى عندى الماء والخشب وهان فما أبالى بالرزايا نعم أزداد حباً لمن كان يحب الاستاذ وأشعر نوعا انى إذا خاطبتك فكأني خاطبت روحاً ثانية له لم تزل فى الحياة واسأل الله أن يجعل العوض في سلامتك وهو تعالى المسؤول أن يجعل مقام استاذنا فى أعلى عليين وأن يجزيه خيرا ماجزى عباده الصالحين وأرجو منك أن تجاوبني لأتسلى بكلامك وأن لاتعاملنى على جفائي . والله لوعرفت وانى لى أن أعرف أن أجل الشيخ قريب لتركت وطني ولازمته حتي ارتويت من مشاهدته وسماع حديثه أهد سلامى إلى الاخوان وما أشك أن ذكر الاستاذ حى وان الزمان لايزيده إلا خلودا ولكن غيبة وجهه عنا لايسدها شيء لاحول ولاقوة إلا بالله . سأحرر الى حموده بك وأقبل وجهك الآن عن بعد ودمت

لمحبك

تحريرا فى ١٥ تموز سنة ٩٠٥ شكيب أرسلان

وكتب العلامة الفاضل والانسان الكامل الشيخ ع . ب أحد علماء دمشق الشام الاخيار إلى جامع هذا الكتاب رقيما قال فيه بعد رسوم الخطاب : وأتذكر الأيام الماضية ، وما شاهدناه من عنايتكم الوافرة الوافية ، وفى حينها كانت شمسنا طالعة وضيئة ، وأيامنا بإمامنا وضيئة وفرحنا به متزايدا ودهرنا

لنا موازرا ومعاضدا ؛ فحسدنا الدهر عليه وغيبه عنا ؛ وعوضنا عنه مدى العمر حسرة وحزنا ، وستر الثرى تلك الذات المصونة عن معيون ، وان كان ذكرها الجميل قد ملأ السهول والحزون ، وأعلن بأنه فرد الزمان ، ورب المعانى والبيان ، فلاحول ولا قوه الا بالله ، ولا كان الا ما أراده الله ، فهذا الذى شهدله فضله بانه مليك الفضائل وقوله بأنه مورد البراهين والدلائل ، فكيف لاتكون دموعنا عليه ممزوجة دما ، وقد أصاب عين الدهر به مرض العمى ، فلا عجب أن شق الزمان عليه فؤاده وقلبه ، عوضا عن ان شق عليه جلبابه وجيبه ، أبقى الله ذاتكم وعوضنا خيرا ، والهمنا عنه رضى وصبرا غرة رمضان سنة ١٣٢٣

وكتب الاستاذ الكامل والعالم العامل . . . أحد علماء طرابلس الشام الى جامع هذا الكتاب رقيما قال فيه .

سيدى الأخ الحميم أدام الله به النفع العميم ، وأيده بروح منه .

. . . وبعد فانى لا أحصى لك ماحصل لى من عظيم الحزن والأسف وانصداع القلب لذلك المصاب الفاجع الأليم والرزء الفادح العظيم الذى أصاب كبد الاسلام وتلاشت دونه المصائب الجسام .

أى ثلم فى الدين ؟ أى انصداع فى سما الفضل أى خطب مهول ؟
بوفاة الامام مرشد هذا الـ عصر شيخ الاسلام والتأويل

أسف يصهر الجسم ويذيب العظم ويفنى مهجة الصبر بل * حزن مع الدهر لايبلى ويبلينا * فانا لله وانا اليه راجعون ولهذا المصاب عنده محتسبون فأعزيك وجميع المسلمين والشرق والغرب والعلم والدين والاصلاح بهذا المصاب العميم وأسأل الله تعالى أن يتغمد الاستاذ الامام برحمته ورضوانه ويجزيه عن الاسلام والدين ما هو أهله وأن يجعلك خير خلف له تنتشر علمه ورشده وتتبع هديه وجده وتنهج فى الاصلاح نهجه فلقد أصبحت بفضل الله عليك موضع الرجاء ومطمح الآمال اذ كنت وارث علمه وخازن سره ومنتهى رجائه وثقته (وكان فضل الله عليك عظيما) إذ جعلك علما من أعلا الدين وإماما من أئمة الهدى ونورا يستضاء به * وانا لنرجو فوق ذلك مظهراً *

وكتب العلم الضليع والكاتب البليغ السيد الشيخ عبد الحميد الزهراوى من حمص الى جامع الكتاب .

عن حمص فى ٣ جمادى الثانية سنة ١٣١٤

الى الولى الحميم الرشيد الحكيم

إنا والحزن يساورنا لفى دائرة ضيقة اذا لمسنا الرَّوح فيها لم نكد نحسه فكن لى عاذرا اذا رأيتني قطعت هذه الرسل المرقومة لأن سبيلها من القلب والفكر والقلم وحالة البريد مقطوع وطم هذا السيل اذ فاجأتنا تلك الفاجعة العظمى .

فاجعة لا أجد فيها قولا ، ولا أجد فيها عن الهلع حولا ، فمن كلفني البيان فيها كلفني مالا أطيق ولن يجد لدى لطاعته سبيلا . كنا والامام يفيض على الدنيا سواطع أنواره فى فسحة من الامل بانتشار الأصلاح الذى نعشقه وفى عزاء عن ضيق دائرتنا بسعة سلطانه فما حال رجائنا وقد طارت تلك الروح القدسية الى عالمها الأسنى .

ثم إن فى قيام الولى الرشيد فى هذا الامر لعزاء لمن كان نظره شاخصاً الى الأرواح دون الأشباح ولكن ذلك لايدفع عن الولى (أطال الله بقاءه) ولا عن سائر الاخوان ألم هذا الفقيد العظيم ، وحسرة هذا الفراق الأليم . وما حال محب كان يرجو ان يرى طلعة ذلك الحبيب الكريم عما قريب فحال بينهما برزخ المنون ؟ قد والله ملىء الحشا حزنا وان كنت من الصابرين . وانى لالتفت يمينا وشمالا فلا أجد الا من هو الجدير ان نعزيه بهذا الخطب ولكن كيف يعزى المصاب مصابا . سامحنى حفظك الله بابطائى عن تعزيتك فعندى مثل ما عندك فى هذا الامر وأنا أخوك في السراء والضراء وأخوان آخران هما لكم وارثان معنا هذا الاسف، ومحافظان على آثار هذا السلف، عنيت بهما الرفيق الكريم والصديق الحميم ، ولقد تشابه عليّ الامر فان أدرى أبداً بتعزيتهما أم بمباركة هذا الاخاء وتحبيذ هذا للقاء ، أم بتعزية نفسى لاخذى سهمين أليمين العامّ بفقد الامام والخاص ببعدى عنكم أيها الاولياء وتعوق هذا الرجاء ، أم بتعزية العموم أصابهم من ذلك السهم العام. لأتركن هذا كله الآن فالبيان لايواتينى اليوم وأبداً

بأمر واحد غير هذين ذلك استمرار الشوق واـخن العوائق تترى: نحن اليوم فى حال حرج كما أسلفت بيانه ولكننالم نزل فى موقفنا من الصبر والاناة والثبات حتى يفل جيش هدانا جيش ضلالهم والله مع الصابرين

هذا وقد رأيت من الواجبات أن أعلن الأسف لفقد الامام الماثل ذلك من الفوائد العائدة للاحياء ولما أن ذلك بعض ما يجب فى مكافأة الاحسان فعمدت إلى موحيات الشعر وأخذت نصيبى من لدنها كلمات تدل على ما أحس به فان لم ترزق رونق الصبغة الشعرية كغيرها فقد أغناها الله بسلامة الضمير الذى أملاها وأعاذها من كلف تلك الزينة التى لا محل لها فى هذا المقام فان رأى الولى رأيى فى اضافتها لغيرها (من المقبولات التى سينشرها فى دفتر خاص) فذاك وإلا فرأيه الاولى والأعلى. ولك التفويض بما ترى الأصلح فى أمر التوقيع رمزا أو تصريحا ولا رأى لى معك فى هذا ولكن لى ان أقول ان التصريح أقرب نفعاً فى إباء الضيم الذى يسومنا إياه اناس لم يرعوا فينا معنى الانسانية ولا أخشى فى إباء الضيم من مناقشات الحساب، ولا أرجو فى محادة الأثرة الا دار السلام. اللهم ارزقنا السلام وسلم وبارك على الاخوان الكرام ؟

﴿ تعزية من الهند ﴾

وكتب الأمير السرى والجواد الأريحى صاحب السعادة الشيخ محمد باشا عبد الوهاب أمير دارين رقيما من بمبى (الهند) إلى جامع الكتاب وكان قد أرسل يسألنا عن صحة الامام بالبرق ودارت بيننا الرسائل البرقية بذلك وهذا نص رقيمه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من بمبى إلى مصر فى ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣

إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم الأخ العزيز العلامة الفاضل مدير مجلة المنار الاسلامية الغراء السيد محمد رشيد رضا المحترم

أحييكم تحية زكية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحال محبكم من فضل الله فى خير وعافية لازلتم بهما لقد انحلت العزائم وتغلبت الكآبة وتحكم الحزن

واشتد الألم وجل الخطب وعظم الرزء وكبرت المصيبة بورود البرق الخصوصى من حضرتكم لنا والبريد بعده ينعيان فقيد العلم والحلم فقيد الاسلام فقيد أهل الفضل من موافق ومخالف له فى القول والأعمال فقيد اليتامى فقيد مصر ، فقيد الصدق والوفاء ، فقيد النصح والاخلاص . فقيدنا الخاص شيخ الاسلام ومفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ محمد عبده تغمد الله برحمته الواسعة ورضوانه العظيم ونسأله سبحانه وهو أكرم مسئول أن يعزينا به و يرزقنا وآله ومحبيه الصبر الجميل والأجر الجزيل ويعيض الأمة والعلم والعرفان عنه عوضا نافعا واننا نعزى حضرتكم بذاك الفقيد العظيم تعزية خاصة لأن حضرتكم من أعز أبنائه وعرفائه وأخص المقربين من فنائه ، وكذلك نعزى حضرة أخى الفقيد الشيخ حموده عبده وجميع عائلتهم وذويهم وألهمنا و إياهم الصبر والسلوان .

محبك

محمد عبد الوهاب

﴿ تعزية من البحرين ﴾

وكتب التقى الفاضل والخير المخلص الحاج مقبل عبد الرحمن الذكير من وجهاء العرب فى جزيرة البحرين إلى جامع الكتاب .

الحمد لله الباقى بعد فناء خلقه والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

جناب الأجل الأمجد الأفخم سيدى العزيز السيد محمد رشيد رضا دام وجوده آمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله و بركاته على الدوام أولا السؤال عنكم ثانيا بلغنا ما كدر الخاطر وأدمع الناظر وفاة المرحوم المبرور المنتقل إلى الجنان الحور مفتى الاسلام ومصباح الظلام العالم العلامة والحبر الفهامة الشيخ محمد عبده ، فلقد عظمت المصيبة وضاقت البسيطة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عظم الله لنا ولكم الأجر وألهمنا و إياكم جميل الصبر .هذا حال الدنيا ومصير الأحياء لا لنا ولكم إلا الرضا والتسليم على قضائه وقدره نسأل الله له الغفران ولمن يعزى به الصبر والسلوان ا. الحقيقة أن الفقيد ركن من أركان الاسلام رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنة تجرى من تحتها الأنهار ، صلى الله على سيدنا محمد الخ (الامضاء)

﴿ تعزية من سنغافوره ﴾

وكتب النابغة الفاضل ، والاجتماعى الكامل . الرحالة النبيل السيد محمد بن عقيل رقيما إلى جامع هذا الكتاب من سنغافوره هذا نصه :

من سنغافوره إلى مصر فى ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٣ .

الحمد لله على كل حال ، وفى الله عوض عن كل هالك وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله أهل الصبر والاتباع وسليلهم العلامة الجليل أخى الناصح السيد محمد رشيد رضا المحترم أسبغ الله نعمه عليه – ووفقه لما يحبه منه وأعانه على كل خير آمين .

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ، وقد بلغنا نعى مجدد القرن الثالث عشر الأستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده أمطر الله عليه شآبيب رحمته وأسكنه بحبوح جنته . وأخلفه على ذويه وخاصته والمسلمين أجمعين بخلف صالح و إنا لله و إنا اليه راجعون فعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم وألهمكم ما هو الأحرى وكان لنا ولكم فى الدنيا ولأخرى ، ولقد عم الأسف أفئدة جميع المسلمين ومن عرف الفقيد من عقلاء الطوائف الأخرى و إلى الله المشتكى ولقد صدق شيخنا ابن شهاب فى قوله

رزئت مصر لا بل الإسلام وأرتنا اقتدارهـــا الأيام

ربنا يلهمنا إعداد أحسن زاد للمعاد بمنه وحررت هذا لأداء مسنون العزاء داعيا لكم بطول البقاء ، محرضا لكم على الجد فى نصر الشريعة المحمدية . والله يتولاكم ، و بعين عنايته يرعاكم ، ولا قوة إلا به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم كتب الينا كتابا آخر فى ٨ من هذا الشهر قال فيه :

« وقد تقدم اليكم كتاب تعزية فى المصاب الجلل والخطب العظيم ولا قوة إلا بالله وقد صلي على الفقيد بالمسجد السلطانى هنا بعد الجمعة جبر الله مصيبة الاسلام بمنه ثم إني رأيت فى بعض الجرائد اقتراحا لبعض محبي مجدد العصر فى عمل صورة للاستاذ الامام الخ فلم يعجبنى ذلك » الخ ثم اقترح هو طبع آثاره ونفثات يراعه وضمها إلى ترجمته وكذلك كان .

﴿ تعزية من جاوه ﴾

وكتب الفاضل الغيور الحسيب النسيب السيد محمد بن عبد الله الشاطرى من بيتنزغ (جاوه) إلى جامع هذا الكتاب رقيما قال فيه بعد كلام :

وهذا اليوم وصلت الجرائد المصرية معلنة بوقوع المصيبة العظمى والداهية الطالة الظلما هو اخترام حكم القضاء بفقيد الاسلام والمسلمين و إمام أئمة المصلحين المغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية رحمه الله رحمة الأبرار وجعل قبره روضة نعيمه وأنزله من جنانه المنازل الكريمة عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم ، وغفر له ، وألهمكم الصبر الجميل ، وجبر القلب العليل بالثواب الجليل والأمر لله إنا لله و إنا اليه راجعون .

يارب واجمعنا وأحبابا لنا   فى دارك الفردوس أطيب موضع
فضلا و إحسانا ومنا منك يا   ذا الفضل والجود الأتم الأوسع

وعظم الأمر على المسلمين فى (بتاوى) و (بيتن زرغ) وصلوا عليه صلاة الغائب بعد أداء فريضة الجمعة »

﴿ تعزية من إيران ﴾

وكتب رب الفضل والعرفان أحد فضلاء إيران ميرزا جعفر بن الحاج على أكبر رقيما إلى جامع هذا الكتاب من تبريز هذا نصه :

تبريز ٢٥ شهر جمادى الثانية سنة (١٣٢٣)

حضرة الفاضل المعظم والعالم الكامل السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار) المحترم

نعب الغراب (ياللأسف) مصاب الحبر الجليل ، الشيخ النبيل ، العلامة النحرير ، الحكيم الشهير ، ركن العلم والأدب ، وقوام المكرمة والحسب ذى الفضل الهمام ، الأستاذ الامام الشيخ (محمد عبده) عظيم مصر فأودع خبر وفاته فى القلوب حسرة وكآبة وسلب من العقل رشده وصوابه . أوقع محبيه فى لوعة الغم والتأسف فاسترسلوا إلى الحزن والبكاء .

كيف لا وقد قضى رجل عظيم صاحب المآثر (وقد كان للاسلام أكبر ناصر) كان يدافع عن الاسلام بالتحرير واللسان ويخدم الملة فى السر والعيان مات (وكل نفس ذائقة الموت) ولكن (هيهات أن يأتى الزمان بمثله الخ) مات ولن يموت ذكره، ذهب وباق فى صحائف الزمان اسمه، قال عز من قائل (كل شيء هالك إلا وجهه) ونعم ما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

الموت لا والداً يبقى ولا ولداً هذا السبيل إلى أن لا ترى أحداً

فنلتمس من الحى القديم أن يعزى آله الكرام ويعزيكم على فقده ويلهمكم وإياهم جميل الصبر من بعده طالبين من حضرتكم ترجمة حاله فى مجلة (المنار الغراء) وفقك الله لما يحب ويرضى.

جعفر بن الحاج على أكبر خامنه

﴿ تعزية من روسيا ﴾

وكتب العالم المصلح والغيور المفلح قاضى قضاة المسلمين وعضو الجمعيه الخيرية العامل فى أوفا (روسيا) رقيما إلى جامع هذا الكتاب هذا نصه:

حضرة السيد محمد رشيد رضا سلمه الله تعالى وعافاه. قد كنا من زمان كثير نتوقع تشريف الامام الأستاذ مفتى الديار المصرية إلى هذه الديار الروسية ولكن أبى الله إلا حرماننا من تلك النعمة الكبرى. ومات ذاك الرجل العظيم وما قدر الله كان. جعل الله مقره الجنة وصب عليه مغفرته الجمة ولا حول ولا قوة إلا بالله. وموصل هذا المكتوب من تلاميذى الخاصة زكى أفندى وهو من مخلصى المنار هذا.

٢٤ شعبان سنة ١٣٢٣

رضاء الدين بن فخر الدين

﴿ تعزية من تونس ﴾

وكتب الأستاذ الفاضل والعالم العامل الشيخ طاهر بن عاشو من علماء تونس المصلحين رقيما إلى جامع الكتاب هذا نصه :

المرسى فى ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣

إلى الأستاذ العلامة النقاد أخينا الشيخ سيدى محمد رشيد رضا

أقاسمك الأسف والغم على مصيبتنا ومصيبة الاسلام والعلم والحكمة بمفارقة أستاذنا الذى كان علمه نزهة أبصارنا وذكره أنس نفوسنا . أقاسمك الأسى وإن كنت أوقن أن ملازمتكم له وتمتعكم السنين بمشاهدة ذاته الشريفة التى هى مثال الفضائل والحكمة تجعلكم أشد شوقا إليه ولكنى أرى نفسى من جهة تعطشى إلى ما كنتم منه تشربون أشد منكم حسرة على ماعدمت وفاتنى من مجالس الأستاذ والانتفاع بعلمه وحكمته وكلا ذينك سبب أسف وحزن فلا بدع أن يكون أسفنا متوازنا متساويا .

عرفت الأستاذ الامام معرفة شهود بتونس فى سنة ١٣٢١ فعرفت من ملاقاته الأولى رجل العزم والإرادة والفكر و بلاغة القول وشدة الفراسة وتكافؤ القوى العملية والفكرية حتى لقد كان من سكون نفسى إليه و إلفها به واعتلاق صداقته فى أمد وجيز مايكون مثله فى السنين الطوال فصارت ذكراه تفعل فى نفسى فعل ذكرى والد رحيم فلا تسل عن أسفى وآلامى التى رمانى بها بريد منعاه فبقيت يوما كاملا لاأستطيع حركة فكرية تسبح بى الكآبة فى بحار من الفكر الساذج وتهيم بى فى أودية من الحزن واليأس ، ولقد كنت من جلالة الخطب كمن لم يصدق بذلك الخبر الأليم ثم ثاب إلى بعض الرشد ففكرت فى حال الاصلاح بعده ولم أملك عبرانى عن التساقط عند ماقرأت أبياته الأخيرة الدالة على أنه كان يفكر فى الاصلاح فى ساعة لايذكر فيها المرء غير نفسه .

يكون الأسف فى عادة النفوس على المصائب جديدا ، فإذا خلق المصاب رث الأسف ولكن ذلك الاسف عن الشوق إلى ذات ، فأما أسفنا على الاستاذ

الامام فلا شك أنه يجد كلما حارت الأفهام فى المشكلات وخارت القوى فى مقاومة البدع وجراثيم التأخر .

يقابلنى تمثال الأستاذ الامام فى منزلى مرات وأذكر كلماته وتفسيره مهما قرأت سورة فى صلاتى فكان ذلك يهزنى فخرا و يجدد فى روح النشاط والعزيمة فصرت الآن يزيدنى ذلك كله أسفا على أسفى وغماً بعد غمى حتى سئمت الحياة وصغرت فى عينى الدنيا بأسرها.

أردت مشاركة المشجيين على الامام وأنتم منه بمنزلة الابن البار من الوالد النصوح ولذلك عزمت على البدار بمراسلتكم لأبوح لكم بمقدار أسفى ويأسى ومرارة الحياة فى فمى ولكنى شغلت عن ذلك (أولا) بعجزى عن إعمال شىء مالامتلاك المصيبة جميع قواى (وثانيا) بشغلى فى تحرير ترجمة الأستاذ مع كلمات تأبين تعرب عن بعض مقداره لمن كان بعيدا عن استكناه عظمته وأنفذت ذلك لينشر فى صحيفة . . . ليعلم الناس أن أهل الاصلاح والنصيحة لا يعدمون نصيرا يعترف بمقدارهم و يقتبس من أنوارهم ، ولقد تم لى ذلك فى يوم وسترونه فى هاته الجريدة ، رأيت هذا المصاب العظيم قد اهتزت لنبئه نفوس الأحياء من أصحابنا التونسيين فطفق متنورهم ومحبو الاصلاح منهم إلى نظم تأبين للأستاذ الامام وكان غالبهم يسلمه إلى . . . . .

ولقد اقترحت فى آخر ما كتبت على من له انتساب إلى الأستاذ الامام (رحمه الله رحمة واسعة) أن يسعى فى جمع آثاره وأنتم أول مريديه والمنتمين اليه فلهذا أكرر بلسان الأخوة عليكم هذا الاقتراح وأرجو أن تسمحوا بالقرب فى طبع جميع تآليفه وآثاره ورسائله الأدبية والعمرانية العليا ولو باكتتاب عمومى كما يفعل أهل أوروبا فى تآليف وآثار عظمائهم .

وأن تفضلوا لنا فى المنار تاريخ حياة الأستاذ ومهام أعماله وتعددوا لنا تآليفه ما عرفنا منها وما لم نعرف وأن تتفضلوا باعلامى خاصة هل توجد أعداد جريدة العروة الوثقى التى كان يحررها الأستاذ الامام فانى لا أملك منها إلا عددا واحدا

زادنى شوقا إلى جمع قرنائه اليه وأن تخبرونى هل كتب الأستاذ شيئا فى رحلته إلى الجزائر وتونس والاستانة وغير ذلك من البلاد .

وفى ختام قولى أرجو للمنار تقدماً ولجنابكم عمرا طويلا فإن بحياتكم وتقدم المنار تحيا مبادىء الأستاذ الامام وأرجو من الله أن يجمع كلمة المنتحلين الاصلاح وينبههم برزية إمامهم إلى وجوب اتفاقهم حول مبادئه عسى أن يصلوا إلى ما كان يرجيهم اليه وتقبلوا أطيب التحية وأزكى التسليم من حليف أخوتكم .

طاهر بن عاشور

﴿ تعزية من صفاقس ﴾

وكتب العالم النير الذهن البصير القلب الشيخ محمد شاكر من علماء صفاقس إلى جامع الكتاب ما يأتى

بسم الله الرحمن الرحيم — ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : ما أعظمها رزية رزىء بها الاسلام والمسلمون فإنا لله و إنا اليه راجعون .

سلام أيها الأخ الكريم ، وعزاء فى هذا الخطب الجسيم ، خطب ينعدم معه الصبر والجلد ، و يتضاعف به الأسى والكمد .

كل الخطوب و إن تفاقم أمرها   هانت وهـــذا ما أراه يهون

كيف يهون وهو نعى ذلك الامام المعظم ، والأستاذ الحكيم ، والمصلح الكبير ، والعالم الخبير ، ذلك الذى كان الاسلام يرجو أن يرتفع به مناره ، والعلم يأمل أن تسطع فى الخافقين أنواره ، ذلك الذى زحف بجيش إقدامه على البدع والأوهام ، وفتح ميادين حصون أسرار لم تسبق اليها الأفهام ، ولا غرو فقد جرت سنة العناية الالهية أن تختص من شاءت بالاختصاصات العلمية ولذلك يأتي الآخرون ، بما لم يأت به الأولون ، ولقد أتى هذا الفقيد المقدس من الأقوال والأعمال الجليلة ، بما أجمع به القوم أنه رجل الدنيا ، وشمس الفضيلة ، لسان بالحكمة ناطق ، وعزم فى إحياء الدين صادق ، وثبات فى تأييد الحق ، وكمال فى صبر على أذاية الخلق ، فهو القائم بوظائف الوراثة النبوية ، والحريص على دينه

وأمته حتى فى آخر أدواره الحيانية ، كسا الله تلك الروح الزكية خلع الرضوان والشرف ، وعوض المسلمين من ذلك الكوكب النير خير خلف ، وأفاض صبرا جميلا على المعاهد العلمية والخيرية ، وعلى الآل والأصحاب وكل من عرف مرتبته الكمالية . (الإمضاء)

﴿ تعزية من الجزائر ﴾

وكتب الينا أحد فضلاء الجزائر (ع . ز) ما يأتى .

الحمد لله واليه المآب

إنا لله وانا اليه راجعون ، قد أصاب العالم خطب عظيم ، وحزن جسيم ، فبكى الانسان واستبكى ، ولبس ثياب السواد الحلكى ، لوفاة الفاضل الأكمل ، والكامل الأجل ، من أعاد المكارم فأحيا رفاتها ، وأنشر أمواتها ، فيلسوف الاسلام ، وعلامة الأنام ، أستاذ الاساتذة ، المغفور له مولانا الامام مفتى الديار المصرية الشيخ محمد عبده أسكنه الله فسيح الجنان ، وألبسه حلل سندس الرضوان ، آمين آمين آمين

وعليه بعد تقديم التحايا والسلام لحضرة المحترم الزكى الشيخ محمد رشيد رضا مدير مجلة المنار الاسلامية فاننا ندعوا لكم ولحضرة اخوان المرحوم وأبنائه وأحبائه بالصبر الجميل ، وأقوى الثبات الجزيل ، وأن يجملكم البارى تعالى خلفاءه قائمين مقامه فى سلوك طريقته التى كان رحمه الله قاصدا بها احياء الإسلام وبث العلوم ونشرها . وها نحن حامدون الله حمدا لا غاية لحده ، ولا حصر لعده ، على أن من الله علينا برؤية حضرته الغراء ، وطلعته الزهراء ، فى السنة الماضية فى أيام الراحة فى فصل الصيف ومكث عندنا عشرة أيام وحاضرناه وشافهناه وظللنا معه فى تلك الأيام كل يوم وسامرناه ومسارح الأشباح نابغة بالفرح والسرور . ومخارف القلوب يانعة بالابتهاج والحبور ، ونلنا منه فى تلك الأيام القلائل ماشاء الله ان ننال . وخاطبنا بخطاب أشهى من طعم الضرب ، بأفصح كلام العرب ، ترى الدر يقطر من عذبة لسانه ، فيبرىء الانسان من أحزانه ، وكشف لنا عن

دقائق المسائل ؛ والناس حوله بين مصغ وسائل » — إلى أن قال —
« وبالجملة قد أصبنا فى هذا السيد العظيم حتى كاد يقع لبعض الجزائرين ماوقع لسيدنا عمر بن الخطاب فى موت خير الأنام حيث قال للناس من قال منكم مات محمد أضرب عنقه » — وساق الحكاية وذكر ان بعض العلماء لايزال ينكر موته إلى وقت ارسال الكتاب — ثم اقترح « نشر محرراته وجميع مافاه به فى حياته لتتم فائدة الجميع »

(تعزية من أوربا)

وكتب العلامة الطويل الباع . الواسع الاطلاع . الدكتور أدورد برون الانكليزى المدرس فى مدرسة كمبردج الجامعة كتابا باللغة العربية التى يتقنها إلى حموده بك عبده هذا نصه

فى ١٦ آكست سنة ١٩٠٥

سيدى الفاضل المكرم : لاأعلم بأى لسان أعزيكم وكل المصريين بل كل المسلمين بل كل العالمين على هذه المصيبة العظمى التى عمت الناس كلهم أجمعين وخصت المصريين ومنذ ورود هذا الخبر الهائل رب يوم أردت أن آخذ القلم بأصابعى لكى أعرب عما فى القلب من الحزن والغم الشديد ووضعته يأسا وعجزا لأن هذه المصيبة وراء الكلام

خبر مُرٌّ نابنا مصمئلّ جل حتى دق فيه الأجل

ياسيدى فى مدة عمرى رأيت كثيرا من البلاد والعباد ومارأيت مثل الفقيد المرحوم قط لافى الشرق ولا فى الغرب فوالله كان وحيداً فى العلم وحيداً فى التقوى والورع وحيداً فى البصيرة والاطلاع على ظواهر الأمور وبواطنها وحيدا فى جميل الصبر وخلوص النية وحيدا فى البلاغة والفصاحة عالما عاملا محسناً ورعاً مجاهدا فى سبيل الله محباً للعلم ملجأ للفقراء والمساكين

شامسا فى القر حتى إذا ما زكت الشعرى فبرد وظل

كيف أصف بهذا اللسان العاجز هذا الرجل الوحيد الفقيد الذى كنت

أفتخر بأن أحسب من أقل تلامذته إنما أرجو من سيدى أن يقبل منى تعزية من قلب حزين غير قابل للتسلى على هذا الفقدان العظيم .أريد إن شاء الله أن أكتب شيئاً باللغة الانكليزية فى ترجمة حال الفقيد وقد جمعت كل ماوجد فى الجرائد العربية فى هذا الباب وأرجو من حضرتك أن تعينونى فى ذلك بارسال الترجمة الموعودة فى المؤيد إذا طبع على حدة لكى أستفيد بما فيه من المعلومات فتقبل ياسيدى المكرم فى الختام أخلص تعزيتى وأذكى السلام . المخلص

ادوارد برون

(أقول) لما اطلعت على هذا الكتاب أرسلت إلى هذا الفاضل ما كنت نشرته فى المنار من ترجمة الإمام (والمؤيد لم ينشر ترجمته) ووعدته بارسال ماسأكتبه بعد ذلك فكتب إلى مايأتي :

فى يوم الخميس ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٥

حضرة العلامة المفضال

لقد تشرفت منذ أسابيع بجوابك الكريم ونسخ المنار الثلاث المشتملة على ترجمة حال فقيدنا العديم المثال وقرأت ما كتبت فى هذا الموضوع الشريف وفرحت كثيراً بما الأيت أن هذا كلام شاف واف كاف صادر من ضمير منير يطلع على كل مايتعلق بالمطلب ظواهره و بواطنه ونيتى إن شاء الله اذا رأيت حضرتك ذلك وسامحتنى فى ذلك أن أجعل ما كتبت بقلم الصدق و بنان الاخلاص أساساً وأصلا لما أريد أن أكتبه فى ترجمة هذا الرجل العظيم التى أريد أكتبها باللغة الانكليزية فوالله مارأيت فى جرائدنا فى هذه الواقعة العظمى والمصيبة الكبرى إلا ما أستحيى عن نقله إلى حضرتك بسبب عدم كفايته وقلة اطلاعه على بطون الأمور كأنهم زعموا أن هذا الأستاذ الأكبر الذى كان فى زماننا مثل الأكسير عديم النظير كان كأحد الساسيين القشريين ولكن من حيث إن حضرتك طلبت منى كل ما كتب فى هذا المطلب فى جرائدنا فانى مرسل اليك بمقالتين مارأيت فى الجرائد الإنكليزية غيرهما يعنى مقالة مأخوذة من جريدة التيمس المؤرخ يوم

السبت ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٥ ومقالة كتبها المستر هارولدا سبندر فى جريدة الديلى كرونيكل . وأما سائر الجرائد الفرنساوية وغيرها فليس عندى شىء إلا ماراًيته عند صديقنا المستر ولفرد بلونت

أشكرك ياسيدى على حسن التفاتك إلى وأرجو أن يحصل بيننا ملاقاة عن قريب إن شاء الله تعالى وأنا دائماً أطلب فرصة لزيارة مصر مع أن نور مصر قد انطفأ عن أنظارنا . أتمم هذا الجواب فى كال العجلة ، سلم كثيرا على كل أصدقائى

الداعى الحقير

ادوارد برون

هذا واننا نختم فصل التعــازى بما كتبه أخونا الأعز حموده بك فى الجرائد شكراً للحكومة ولجميع المعزين وهو :

شكر للحكومة والأمة

إن أكبر عزاء لنا عن فقيدنا هو مارأيناه من مشاركة الأمة لنا فى المصاب من جميع الطبقات وافصاحهم لنا عن ذلك بالمشافهة ممن حضروا المأتم وبالرسائل البرقية والبريدية من الغائبين فى مدن القطر وقراه ودعائهم لأنفسهم ولنا بالصبر على هذا الرزء العام وأن يعوض الله الأمة الخير ويجزل لها الأجر فلا ندرى لمن نشكر والناس يعزى بعضهم بعضا ويدعو بعضهم لبعض حتى بواسطة التلغرافات ولا على أى شىء نشكو سوى أنهم جعلوا دارنا أجمع محلا لاظهار شعورهم وابداء تعازيهم ليكون حظنا من العزاء أكبر كما أن سهمنا فى المصاب أوفر .

واننا رأينا الأمة شاكرة للحكومة السنية مشاركتها لهـا فى الحزن والاسف وقيامها بالاحتفال بالجنازة فى الاسكندرية ومصر على أتم وجه وأكمله ونقلها جثة الفقيد فى قطار خاص واستقباله فى محطة مصر ، فكان من الواجب علينـا أن نعلن هذا الشكر للحكومة بالنيابة عن الامة على لسان الجرائد التى تفضلت بتأبين الفقيد خير تأبين والله يجزى الشاكرين

حموده عبده

مراثي الشعراء

﴿ تذكر مرتبة على حروف الهجاء ﴾

﴿ حرف الهمزة ﴾

رثاء الامام فقيد القطر

الشيخ محمد عبده مفتي مصر

لحضرة الأديب الفاضل محمد افندي أبو طالب من الاسكندرية

رحلت وما للمبغضين بقاء … ومت وعيش الحاسدين فناء
وما الموت الا حلة في غضونها … يغيّب من يسعى إليه قضاء
وعنك أخذنا علم أن نفوسنا … خوالد بعد الموت ثم جزاء
فللطيبات المحسنات لنوعها … نعيم واما عكسها فشقاء
وأنت على مايشهد العلم والهدى … نصيبك في دار النعيم هناء
وذكرك في الدنيا يدوم مخلداً … يجدده في البائسين ولاء
لقد قمت فينا للهداية مثلما … أقام لنا من راحتك عطاء
فبينت ان الجود للعلم صاحب … وذلك ما لم ترضه الفقهاء
فلم ترمنهم قبل جودك محسناً … يجاب به للسائلين نداء
فمن لفتاة مات ذخر حياتها … وما ضاع منها في نداك رجاء
ومن لامرىء أخنى عليه زمانه … فساعدته حتى استقام بناء
ومن لبلاد كنت فيها حياتها … أحاطت بها من بعدك البرحاء

ومن لكتاب الله يتلوه شارحاً ... بما فيه للقلب السقيم شفاء
لئن سكبت عين الأمالى دموعها ... فقد فاق عنها فى البكاء سخاء

﴿ دمع الحزن على فقيد الوطن ﴾

لحضرة الفاضل الشيخ محمد زناتى الأزهرى أحد تلاميذ الامام :

أى شىء به يرد القضاء ... حسبك الدمع لايفيد البكاء
ياعيون الاسى كفى بك حزناً ... قد نزفت الدموع وهى دماء
صبر قلبى علمت عهدك تصبو ... للبقا كيف نال منك الفناء

(ومنها)

أم نعى الخبير من به رزىء الدي ... ن وسارت بنعيه الأنباء
منبع العلم معدن الفضل من كا ... نت تشير النهى له والعلاء
هو بدر العلا محمد المف ... تى إليه انتهى الحجا والذكاء
رزىء الدين فيه رزءا عصيباً ... عطلت منه بيننا (الافتاء)
ليته كان فى الحياة وتفنى ... قوم جهل حلومهم أهواء
حسبه فى العلا فخاراً إذا ما ... فخر القوم عزة واباء
من لنا بعده بحلم وعلم ... كان يروى ماليس يرويه ماء
ليت شعرى من ذاك مثل امام ... شاد قدراً كما يشاد البناء
كنت إن أشكلت لدى أمور ... جئته حلها وزال الغطاء

(ومنها وهو خاتمتها)

قد أتاه مبشراه وقالا ... لك فى جنة النعيم الهناء
نلت ما نلت عزة أرخاها ... نلت فى جنة العلا ما تشاء

سنة ١٩٠٥ ... ٧ ... ٤٨٠ ٩٠ ٥٣ ٢٤ ١٣٢ ٤١ ٧٠٢ =

﴿ خطب الإسلام بوفاة الامام ﴾

مرثية لصاحب الامضاء الفاضل قال فيها بعد أبيات

فعلينا نوائب الموت هانت ... اذ ألمت بسيد العلماء
واكتست مصرنا بفقد إمام الا ... مصر نوب الاقذاء والا كداء
كافل يلتجى اليه بركن ... شامخ مانع رفيع البناء
مرجف كل معتد بيراع ... يتراءى كصارم فى مضاء
مرشد المعتق بشمس بيان ... أوضحت فى العلوم كل خفاء
كان فينا إذا دجى ليل لبس ... صاحب البينات والآلاء
يتمت مصر بعده ثم ضلت ... عن سبيل الهدى بموت الرجاء
وغدت وهى عاطل من سنا الا ... علم وجرت مطارف الظلماء
وعجيب تغتاله سطوة المو ... ت وكانت من بأسه فى التجاء
فلعمرى هذا مصاب جليل ... أورث المسلمين كل عناء

مرمى شاكر

وقال معدن الاخلاص والفضل الاستاذ الشيخ محمد بن القائد على الامام بالجامع الجديد فى مدينة الجزائر

غاض بحر العلوم أين العزاء ... وعيون الأنام سحب دماء
فبكى المسلمون حزنا عليه ... وبكى الدين والتقى والحياء
وبكى الفضل والفضائل طرا ... عن إمام الورى يحق البكاء
عبده الفيلسوف أحيا قلوباً ... ميتات أماتها العلماء
حجة الله والرسول بعصر ... جاء يهدى أقوامه فأساءوا

فسر الذكر الحكيم بفهم عجزت عن أدائه البلغاء
وكتاب التوحيد فهو لدينا مغنطيس القلوب بل كهرباء
طالما كان ساعياً فى صلاح الـ مسلمين حتى اضمحل الرجاء

ومنها

عبده كنت بالجميل تربى صبية العلم والعلوم غذاء
عبده كانت المحافل تزهو والنوادى وأنت فيها سماء
عبده أين من يروم صلاحاً لاناس غووا وعز الدواء

وقال فى آخرها مشيراً إلى زيارته الجزائر

قد سعدنا بزورة منه جاءت بسعود يغر منها الشماء
كم سهرنا ومنه نلنا علوماً ماسمعنا بها ولا الآباء
لم تحط ألسن الرثاء بفضل لم تسعه الغبراء والخضراء
رب أنزل عليه وبل رضاء فى رضاء فنعم ذاك الرضاء

﴿ حرف الباء ﴾

خطب الاسلام بوفاه الاستاذ الامام

للأستاذ الفاضل الشيخ حسين أبو على محرر مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية بالاسكندرية

نفوس بأيدى الحادثات تقلب وأقضية تأتى عليها وتذهب
تضللنا الآمال يلمع برقها وبرق الأمانى لاأبا لك خلب
فزعنا الى الآسى نداوى كلومنا فكان الردى البرء الذى نتطلب
ومازال باسم الطب فى يد جاهل سلاح المنايا بالدماء مخضب

سكتنا وصم الدهر عن بث ما بنا   وقام على هاماتنا الموت يخطب
أجدك لا ينفك جيش عرمرم   لعزريل يغزونا فنبكي وننـدب
وكيف وإن الشر بالشر يتقى   نلوذ بأطراف الشعاب ونهرب
فأين العتاق الجرد فوق متونها   كماة ببيض الهند تسطو فتغلب
وأين الأنوف الشم والخلق الذى   نفلّ به حد الخطوب ونشعب
غدا كل هذا فى يدينا كأنه   مخارق طفل فى يديه تقلب
أجل ليس للسيف اليمانى مضرب   إذا ما بدا للموت ناب ومخلب
ولا للشجاع القرم عند نزوله   بكلكله مما يحاول مهرب
ولا لجموع الأهل والصحب حيلة   يرد بها سهم القضاء المصوَّب
برغمك مأفون يعمر سالماً   وأحزم فى سن الفتوة يعطب
وأعلم وثّاب إلى كل غاية   من المجد لا يلوى ولا يتنكب
يثير عليه الدهر حرباً فتنية   فيقضى ويبقى أخرق أو مذبذب
وكم مرة ناواه جيش جهالة   فأرداه لا يخشى ولا يتهيب
وما بالحسام العضب كان يفله   ولكن بسيف الحق والحق أغلب
دهتنا الليالى السود فيه ولم يكن   يضيء الليالى السود لولاه كوكب
وخلفنا حزبين حزب على هدى   وآخر فى تيه الغواية يدأب
فياليت شعرى هل يثوب مضلل   إلى الرشد أم يعدى السليمين أجرب
بلى سوف يبدو الحق أبيض ناصعاً   ويدنو منار الدين منا ويقرب
ويطلع من ذاك (المنار) مؤذن   إلى الله يدعو جاهداً ويثوب
فيسمعه من لم يصخ لندائه   ويمحى من الأذهان ذاك التريُّب
(محمد) إن الله يختار (عبده)   وليس امرؤ فى الله مثلك يرغب

قضيت فما للموت بعدك مأرب ... وما للرزايا بعد رزئك مطلب
وقد كنت فينا أى شمس مضيئة ... بها انجاب عن وجه الشريعة غيهب
كأن الردى دهقان يبتاع أنفساً ... فأكرمها خيماً اليه محبب
كأن عيون الناس يوم نعيه ... جداول تجرى أو سحائب تسكب
كأن الغفير الجم حول سريره ... خضم كأن النعش يعلوه مركب
كأنا وقد شقوا له اللحد شققت ... أضالعنا أو أضرمت تتلهب
وكدنا عليه وهو فى القبر نرتمى ... فنتبعه حياً وميتاً ونصحب
كأنا وقد أبنا عن القبر جحفل ... تقهقر مذ أودى الرئيس المجرب
ألا فى سبيل الله روح سما بها ... إلى الله من جند الملائك موكب
(فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المغرّب)
لها هللت أهل السماء وكبرت ... وطل غراب البين فى الأرض ينعب
محمد لا يحزنك إعراض معشر ... محضتهم النصح الصريح فكذبوا
أقمت لهم نهجاً إلى الله واضحاً ... يسيرون فيه راشدين فنكبوا
لهم أعين لا يبصرون بنورها ... وأفئدة كالصخر أو هى أصلب
ضلال قديم لا يريم صدورهم ... فسيان منهم ذو شباب وأشيب
وجهل مقيم خيمت بعقولهم ... عناكبه والجهل للعقل يحجب
وأخلاق سوء سلمتهم زمامها ... قديماً فكل فوق عشواء يركب
وما هم سوى قوم لمجدك حسد ... إذا زدت قدرا أو علا بك منصب
حلمت وقد خفت عليك حلومهم ... فما كان إلا أن نصرت وخيبوا
لئن مت يا محيى النفوس فلم تمت ... مآثر تبدو للعيون وتكتسب
إذا رام يحصيها على الدهر حاسب ... قضى عمر نوح وهو لا زال يحسب

أزحت ظلام الجهل عنا فأشرقت   سماء بلاد نجمها كاد يغرب
وخلصت دين الله من كل فرية   وترّهة كانت إلى الدين تنسب
فأنت إمام الناس غير مدافع   وأنت حكيم الشرق حين تلقب
عليك سلام الله ما لاح بارق   وجادك هتان من الغيث صيّب

حسين أبو على أحمد تلامذة الفقيد

مرثية الأديب الذكى الشيخ أحمد إبراهيم أبو السعد البلقامى الأزهرى

أيهذا المحب للاعجاب   هل رأيت المآب غير التراب

ومنها بعد أبيات

غير أن الهداة ضلت ضلالا   عند موت (الإمام) عالى الجناب
كامل العلم شامل الحلم ندب   علم الدهر همة الأنجاب
راقب الله كيف كان فأعطا   ه إله الانام فصل الخطاب
وتحلى بحكمة وعفاف   لا بفضل الثياب والجلباب
وحمى الدين حقبة وتولى   فبكى الدين بعده بانتحاب
أيها الحتف فت قشراً غليظا   واقتطفت الغداة لب اللباب
كيف يا حتف لا يروعك منه   هيبة الليث بين خيس وغاب
أأراك ابتسامه لعفاة   كابتسام البروق بين السحاب
أم له كنت بالجنان بشيراً   غبّ ما جزت زمرة الحجاب
إن تكن مت يا حكيم فما الذكـ   ـر بميت كميتة الهياب
أو يكن أوجز المؤبن قالا   فصفات الحكيم فى إسهاب
فلئن مت حقبة فسميرى   فكر شيخى الحكيم لا أحبابى
ولئن مت حسرة فبكائى   غسل جسم ومهجة فى التهاب

(رثاء الشرق)

لأحد تلاميذ المدارس النجباء ص . ق

رأيتك يا دهر تبدى العجب بفعلك إما ونى أو وثب
تدير المنية فى ذا الوجو د فهى الكؤوس ونحن الحبب
تمزق أكبادنا فجأة بأنباء حزن تشب اللهب
ألا حسبنا داؤنا جهلنا ! فحتى م تصدعنا بالنكب ؟
وتفجعنا برجال الصلاح رجال هم المصلحون الشعب

(ومنها)

رزئنا بفقد حكيم الورى رزئنا بفقد عليم العرب
إمام عظيم أقام سنين يهدى أناسا بعزم الدأب
إذا بث قولا لدى العالمين غدا لفوائده فى نهب
وتحمله سائر الحكماء مميزاً لها أينما تنقلب
ويروونه حكماً أودعت صحائف علم وصحف الكتب
وتدرس فى كل قطر وفى بلاد بها النور لا يحتجب

(ومنها)

فيا كوكب الشرق أبدى سناً وما كاد يهديهم إن غرب
ويا منبع الفضل للمسلمين ما كاد يحييهم أن نضب
لقد أودعوك ببطن الثرى ولو أنصفوا أودعوك الشهب

عزاء الأمة والشرق

للشاعر الأديب الشيخ إبراهيم الدباغ صاحب مجلة الإنسانية

أردنا لهذا الدهر غفر ذنوبه فجدد ماضيها بأدهى خطوبه

وسدد سهما ما تخطى فؤاده ... وأصبح لم يقنع بشق جيوبه
أصابت صروف الدهر خير رجاله ... ولا زال دأب الدهر حرب أريبه
ورب قناة لا تلين لغامز ... حمتنا فأرداها القنا بكعوبه
وما الدهر فى حال السكون بساكن ... ولكنه مستجمع لوثوبه
فلم يرم إلا هضبة العلم والتقى ... ويفجع إلا غصنها بكثيبه
أناخ على ذاك الامام لأنه ... تنزه عن زلاته وعيوبه

(ومنها بعد أبيات كلها درر)

إذا ما مضى صرف الزمان بليثه ... على غرة منا فويل لذيبه
أأمضى حسام يقرع الدهر كلما ... تلألأ نور الله بين غروبه
فرى قلب (هانوتو) وأوهى دليله ... ورد إلى (رينان) مكر خلوبه
رمانا ولولا أنت للدين لا كتست ... عمائمه الكبرى بعار معيبه
وأركبته المتن الذى هو مأزق ... يفضل دوس الجمر دون ركوبه
دوى صوته فى الغرب والشرق زاريا ... علينا وأعلى منه صوت مجيبه

(ومنها)

لفقدك فقد للعلى وسبيلها ... وموتك موت للهدى ودروبه
تود درارى الأفق لو أن دارها ... ضريح يضم المجد بين جنوبه
نعاك لنا الناعى وبات غرابه ... يقطع أوصال الورى بنعيبه
تعاظم رزء الدين فيك وساءه ... شماتة أهليه بموت نقيبه
فكم منبر شيدته لهداية ... تماثل للاقواء بعد خطيبه
وكم جاهل بالدين عالجت داءه ... فأصبح لا يؤسى لفقد طبيبه
تركت الربوع الآهلات دوارسا ... وأجفاننا كالغيث عند سكوبه
فلم يفقد الاسلام غير نصيره ... ولم يصطف الرحمان غير حبيبه

(حرف التاء والثاء)

﴿ فيض . الأسى رثاء الأستاذ الامام قدس الله روحه ﴾

(بالمطرية — دقهلية)

لحضرة الأديب حسين أفندى عبد الفتاح الجمل من وكلاء البريد

ما للعيون دمعت مثل السماء أمطرت
ما للجموع ازدحمت هل النفوس حشرت ؟
أم السماء انفطرت أم النجوم انكدرت
أم الأراضى زلزلت أم الجبال سيرت
أم البدور أفلت أم الشموس كورت
أم الامام قد قضى شهيد حرب كبرت
حرب العلوم والجها لات التى قد كثرت
نعم قضى فغربت شمس علوم بهرت
شمس تود الشمس أن تكونها لو قدرت
كان المعد للعدا وحربها إن شهرت
فمن لها إن أقبلت كالأسد إما زأرت
وكان للدين حمى إذا الرماح اشتجرت
يفعل بالآراء ما عنه السيوف قصرت
بالأمس عزت دولة الأ قلام حين انتصرت
كانت قبيل عصره مكسورة فجبرت
كانت مصابيح الهدى مطفأة فنورت
كانت ينابيع الندى غائضة ففجرت
كانت مغانى العلم فى غنى به فافتقرت

كانت به معرفـــة ‏ بموته قـــد نكرت
فأصبحت تبكى فتى ‏ بمثـــله ما اشتهرت
يبكى عليه الشرق والـ ‏ ـغرب بعين فترت
هل فى بنى العلم فتى ‏ دموعـــه ما انحدرت
لو أنصفته النجم[1] من ‏ حزن عليه انتثرت
وجاملته الشمس إذ ‏ راماً له ما أسفرت
فأظلم الـــكون حدا ‏ دا لمعـــال دثرت
كان حيـــاة أنفس ‏ لولا الرجاء قـــبرت
من لـــلأيامى واليتا ‏ مى ويلها قد خسرت
لولا نهى الله عن اليـ ‏ ـس النفوس كفرت
ليت الردى كان افتدا ‏ ه بالوف كـــثرت
فـــلو جرى لرضيت ‏ به وما تأخرت
يا أمة قد صـــبرت ‏ على اصطبار أجرت
الصبر حق والأسى ‏ فرض على من صبرت

(رثاء الامام فقيد القطر (٢))

بفقدك بات الحزن للقوم ديدنا ‏ فلسنا نبالى من تغول الحوادث
وفيك رمانا الدهر فانهد ركننا ‏ ولاحت على دين النبى الكوارث

(١) النجم : الثريا وهو اسم علم لها

(٢) هذه المرثية لحضرة محمد أفندى أبو طالب الاسكندرى وهو من عشاق المرحوم على انه لم يره وقد نظم مراثى كثيرة أراد أن ينشرها فى ديوان مستقل فرأينا من الشكر له أن ننشر له غير واحدة منها

ألم تك للاسلام سيفا على العدا تحز رقاب البغى ان جـد حادث
وتدفع عنـــه كيد كل مفاجىء فأنت له عند الشدائد حارث (١)
فمن لذوى الحاجات والبؤس والعنا إذا مادعا يوما إلى الجود باعث
ومن لكتاب الله يحسن فهمه فيقنع منه بالتفاسير باحث
ومن يتصدى المشكلات يحلها وتفحم تأويلاته والمباحث
خسارة أهل القطر فيك عظيمة وحزنهم من بعد بعدك ماكث
سيلبث فيهم مادعا الله سائل كما أنت فى دار الكرامة لابث .

(حرف الجيم والحاء)

﴿ رثاه الامام فقيد القطر ﴾

مختار من مرثية الفاضل محمد أفندى أبو طالب الجيمية ما يأتى

مالى أرى دمع عينى بالدم امتزجا هل مات من منه كنا نأمل الفرجا
لا والذى أسكن الأستاذ جنته مامات غير أناس أسلموا المهجا

(ومنها)

فدع قشور مقال الحاسدين وخذ من لب إصلاحه الاسلام ماوهجا
من رد كيد (هنوتو) وهو فى لجج من الضلال على الاسلام قد خرجا
ومن يدانى امام الشرق فى همم وكل ذى فطنة أمسى بها لهجا
فالله يرحمه تعداد أنعمه ويرزق الدين من يهدى به النهجا

(رثاه الامام فقيد القطر)

(مرثيته الحائية)

كان الامام لدين أحمد حجة سطعت وكان فؤاده المصباحا

(١) يقال للأسد الحارث وأبو الحارث

لو يفتدى ميت لتحيا أمة — لغدا الفداء لشيخنا الارواحا
ما أصبر القلب الذى من بعده — يحيا ولا يفنى عليه نواحا
فصيبة الاسلام فيه جسيمة — إذ كان للدين الحنيف سلاحا
فلطالما سلب العداة نفوسهم — وأعادهم من حربه أشباحا
من ذا الذى ينسى (هنوتو) بعدما — ملأ الفضاء بما افتراه صياحا
والله لولا الشيخ لم يك عالم — ممن تراهم يستطيع كفاحا
أنسيت اذ شط اليراع بكاتب — ظن ابن رشد جاحدا وأباحا
فمن انبرى للذود عنه بقلبه — الا الامام فرده مرتاحا
هل كان قبل امامنا جمعية — تهب اليتامى المسلمين صلاحا
ومن الذى بذل المساعى جمة — لينال أزهرنا الرقى فلاحا
فلو ان ربى مد فى أيامه — لم تلق أفئدة الورى أتراحا
ولبان للسفهاء سوء فعالهم — إذ يعلمون الحق منه صراحا
لكن قضى المولى بأن نحيا على — حسد لمن يبغى لنا الا صلاحا
فجزى الاله الشيخ بالحسنى على — تعب واسكنه العلى وأراحا

﴿ حرف الدال ﴾

قال الشاعر المطبوع الشهير أحمد أفندى الكاشف

هل بعد خطبك أستفيق فأنشد — لا هيم وجداً أو تعود مهد
فارقت قومك والليالى صارم — دان إلى أعناقهم يتهدد
وتركتهم فى الخطوة الأولى إلى — ما كنت تأمل فالقطيع مشرد
أين الضياء لهديهم أين الزلا — ل لريهم لمساقهم أين اليد

ياويحهم والبر قفر شائك	متزلزل والبحر مرغ مزبد
كنت الامام ومت مكبودا فما	يدرى من الاحياء الا الاكبد
ما كنت تخشى عائقاً غير الردى	لك فى سبيل الله عما تقصد
تفنى بدافعهم إلى نفاعهم	فتعينك الفتوى عليه وتسعد
وتكون عدتهم ليوم جهادهم	ان خانهم هذا الزمان الأنكد
وتفسر القرآن تسترعى به	أبناء دينك عصرهم وتزود
وتجادل البلغاء عنهم بينما	يخشى الجرىء ويهمد المتوقد
وتروج اللغة الصحيحة فيهم	من بعدما عشقوا الركيك فأكسدوا
وتقوم بالشورى إذا طاشت بها	الأحلام توترها لهم وتسدد
وتؤلف الكتب الثمينة للورى	تجلو قرائحهم بها وتجدد
ماكنت ترضى فى الحكومة منصباً	الا لتظهر كيف يقضى السيد
من للرئاسة والسياسة والعلى	ان كان فيها ذو التجارب يزهد
لم تعطك الالقاب إلا همة	ملء الوجود وأنعم لا تنفد
فأريت أهل الشرق أن صلاحهم	بنفوسهم لا بالملوك مؤكد
وأبنت للمغلوب علة عجزه	ومراس غالبه فهم يقلد
من بعد ما أمضى الليالى خائفاً	مترقباً أو ذا شكاة يحقد
وأضله نفر يرون نجاته	فى أن يسبوا من بغى ويعربدوا
وفقت بينهما فذو غرس كما	ترجو وذو رزق يطيع ويحصد
ذكروا نصيحتك التى لو صانها	زعماؤهم من قبل لم يستأسدوا
لولاك لا تبعوا العناد فقاتلوا	واستهدفوا أوأذعنوا فاستعبدوا
فلو احتذى منهم مثالك خمسة	عاد الفخار اليهم والسؤدد

يتطلب الدستور أقوام ولو وليت حكم شعوب قيصر أخلدوا
وغدا يود غلاته وحماته لو أطلقوا لك أمرهم وتقيدوا
وقضيت فيهم مستبدا عادلا فجمعت شملهم وأنت المفرد
وكسبت مالا يكسبن متوج صعب الشكيمة بالجيوش مؤيد

***

ولقد تغالى الناس فى الشهوات لا يعنيهم فى الكون إلا المسجد
رانت على ألبابهم شبهاتهم فى الدين فاتهموا اليقين وفندوا
وتوهموه مقعداً للناس عن علم وعن مدنية وتشددوا
وجروا سراعا فى فسيح ظنونهم وشكوكهم متخبطين فألحدوا
حتى إذا بلغوا المدى جادلتهم فأعدتهم مستسلمين فوحدوا
هل بعد ماحكمت عقلك فيهم يبقى من العقلاء من يتردد
أنصفت حتى ما يسر لمسلم متنصر حقدا ولا متهود

***

ما قمت بالاصلاح إلا بعد ما قدرت قوة من يكيد و يفسد
وجعلت عفوك عن عداتك سنة للقادرين بها إليهم تمهد
ما الحرب تقتيل العدى لكنها نزع الحكم من الورى ما عوّدوا
ماأنت فى الهيجاء خصما فاتكا تسقى المنية كل من يتمرد
ما عذر ذى الثقة الكبيرة نفسه ان لم يجد عذراً لديه الحسد
وبأى طب يستطاع علاج من يستنكر البرهان وهو مجسد
ويرى التنقل فى الممالك بدعة حين ارتحالك ناقداً تتفقد
من بات غيرك والخطوب محيطة بالمغرب الأقصى رقيباً يرصد

لو طال عمرك حقبة وصنعت ما أزمعت صغت ولاية تتبدد
أنهم بالاعباء عنهم ثم لا يرضيهم إلا الخمول المقعد
ما ذا يضرك إن أبيت النفع لو حجبتك دار عنهم أو مسجد
ما كان يبرد غلهم ياسيفهم حتى تبيت وأنت فيهم مغمد
ونطقت بالشعر الصراح مودعاً فتركته وهو الأجل الأمجد
أيضيعه أحد وتلك وصية لذويه بالحق الذى لايجحد
هذى حياة الجد فى القوم الأولى هزلوا وجد سواهم يتصيد
يامكبرين محمداً سيروا على آثاره إن الطريق ممهد
اليوم يجلو الشعر عبرة أمسكم فاستجمعوا لغد يكن لكم الغد

﴿ رثاء المفتى ﴾

لحضرة الشاعر الأديب حسن افندى صبحى (من طنطا)

مضى قضاء الله فى عبده فما احتيال الناس فى رده
لا حول للمرء ولا قوة تعصم فاه من ردى ورده
الموت سيف فوق هاماتنا آجالنا تجرى على حده
كم آمن يخطر فى أهله وحتفه يخطر فى برده
وبارق أفرحك الدهر فى ايماضه والحتف فى رعده
قد احتسبناك أباً راحماً زعزع ركن الدين من فقده
على الذى الارزاء من عنده ونائبات الدهر من جنده
لنا بموت المصطفى عبرة مثلى وبالفاروق من بعده
فأنت مذوارى حجاب الثرى جسمك ماس غاب فى صلده

أو درة درت إلى لجة ... أو صارم رد إلى غمده
رب رجال بل ذئاب عوت ... من زمن كنت أبا أسده
واستعبدوا الشرع لحرزته ... حين أتى يرسف فى قيده
عز عليك الدين إذا هان فى ... قوم قضوا عمداً على مجده
عضوا على القشر بأنيابهم ... كأجرب عض على جلده
وأفلتوا اللب فما أفلحوا ... وابتعدوا بالشرع عن قصده
هم قد أطاعوا أمر أحلامهم ... وأخرجوا الحق إلى ضده
وطاعة الجهل على غيه ... معصية للعقل فى رشده
فبعدك الفقه هوى ركنه ... وانفرط التوحيد من عقده

***

وقائل فسر لنا آية الـ ... ـموت فيالله من حقده (١)
أما كفاه ان خير الورى ... فسرها قبلك فى لحده
مات كما مت فلم تفده ... رسالة الله ولم تجده
وان تمت بالداء مستعصياً ... فالداء لم يردك عن عمده
وليس فى عزمك من حطة ... تزريك فى عجزك عن رده
فالبحر لا يملك من نفسه ... فى جزره شيئاً ولا مده
وحيلة العاجز فى دفعه ... للموت كالمفرغ من جهده

(١) يشير إلى أبيات ثلاثة نظمها أحمد شوقى بك شاعر الخديو أنكرها الناس عليه وهى

مفسر آى الله بالأمس بيننا ... قم اليوم فسر للورى آية الموت
رحمت مصير العالمين كما نرى ... وكل هناء أو عزاء إلى فوت
هو الدهر ميلاد فشغل فمأتم ... فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصوت

ما أكفر الشامت والدهر لا يترك من شيء على عهده
من غره العمر فلا يغره بالناس ان الموت لم يرده
ما أسرع الدهر إلى دأبه فى نقضه المبرم من عهده
ايعاده أصلح من وعده وهجره أنفع من وده
وبعده أقرب من قربه وقربه أبعد من بعده
جانبت داراً ظلها زائل وبت جار الله فى خلده

وقال الأديب حسين أفندى عبد الفتاح الجمل

ياراحلا اجدى ترحله الأسى ومضى كما يمضى الغمام حميدا
ماذا تركت لمعشر عزب العزا عنهم فخلد حزنهم تخليدا
هل غير علمك فى البلاد تعلة للناهجين سبيلك المحمودا
ومن اتخذت على العلوم خليفة انى لأرجو أن يكون رشيدا

﴿ لسان الصدق ﴾

لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ حمزة الفقى

أرقت ولذ لى فيهم سهادى وهمت وقد تهنوا بالرقاد
سألت الوصل قالوا يامعنى معاد وصالنا يوم المعاد
وناديت القبور وقد أجابوا أهذا الحشر أم يوم التناد
رجعنا للرماد وكل حى وان بلغ السها فالى الرماد

(وقال عن لسان الفقيد)

رجعنا للتراب وقد تركنا لطلاب العلا سبل الرشاد
ومارسنا العلوم وقد أبنا لمن يرجو الهدى عين السداد

وقد قمنا بمجد واجتهاد وأوضحنا الحقيقة للعبـــاد
وعممنا المعارف فى البرايا فما قصرت فى نفع البلاد
وقاومت الجهالة فاستكانت ولى فى أهلها أجر الجهاد
فللنا حدها بحسام عزم يرد الخصم مفؤود الفـؤاد
(فهانوتو) رأى رجلا كريما يذب براعه عن خير هاد
ودين محمد أقوى وأرقى من التضليل أو نزق المعادى
وكنت أود لو جدلا تمادى وكنت أريكمو عقبى التمادى
فمقلة أحمد بالحسن تجلى برق للطفهـا قلب الجماد
واضمرت الصلاح لاهل عصرى فما فهموا وقد جهلوا مرادى
وحاربنى الزمان ولن أبالى ودست بأخمصى شوك القتاد
ومذ رمت الفلاح تناوشتنى بسهم اللوم ألسنة الأعادى
فيامصر الاسيفة جاملينا وجرى بعدنا ثوب الحداد
فلو دمنا لدام العلم يسمو ولو عشنا لاصبح فى ازدياد
وعار أن يسود الجهل بعدى وأنتم نخبتى وذووا اعتقادى
فلا تهنوا فسيف العلم ماض ليوم كريهة أقوى عتاد
وروحى بينكم كالضوء تسرى فلا يوهى عزائمكم بعادى
فجثمانى بترب قد توارى وسرى بينكم كالشمس بادى
تركت لكم علومى فادرسوها فمنها يستقى من بات صادى
وقابلت الآله بخير فعل وحسن بضاعة وجميل زاد
وقلت حدنى وشبا لسانى فويل للطروس وللمداد
ونمت عن الفضائل أجتليها فيالهفى وما كان اعتيادى

وبات عكاظها يبكى وينعى عميد الفضل أو قس الإيادى
وبين جوانحى كنز ثمين أقول القول لا أخشى انتقادى

***

محمد كنت فينا خير داع لدين الحق زينة كل ناد
عليك سلام ربك مابكت كرام الناس من حضر وباد

وقال المؤرخ الاجتماعى والكاتب الشهير رفيق بك العظم

إن الأسى بعد هذا الخطب مفقود والمبكيات وإن جلت أناشيد
مابعد خطبك خطب تتقيه وهل يحس يوما بوقع السهم مفؤود
ياغرة الشرق إن الشرق فى هرج وكل أهليه مذعور ومزءود
لما نعتك لسان البرق واضطربت لفقدك الارض واهتزت بنا البيد
وقيل هذا عميد المسلمين قضى والقوم من حوله بك ومعمود
لو ساومتنا المنايا فيك ماظفرت بأنمديك وفى الانفاس ترديد
لكن من عادها خطف الرجال فما يغنى النضال ولا تغنى المناجيد
من للأرامل والايتام بعدك من لابن السبيل إذا انبتت به القود
من للمشاكل إن مرت وليس لها إلاك حين يقال اشتد تعقيد
أحييت قومك والاسلام واعجبى محيي يموت وميت الأمس موجود
وكافحتك الخطوب الدهم فانقلبت وكل ذى شوكة ناواك مخضود
فما لعزمك فلته المنون وما لعلمك الحي وهو اليوم موؤود
وما لهمتك الشماء قد وهنت وغاض فيضك عنا وهو مورود
لله رزء أصاب الدين حين قضى مفتيه وانهد ركن منه معدود
قضى محمد والاسلام فى دعة منه وكل رجاء فيه معقود

قد كان يصدع بالحق المبين فما ... يثنيه عنه من الأعداء تنديدا
حتى جنى ثمر الاصلاح مغتبطاً ... فتح من الله أوتيه وتأييد
وناط بالله آمالا فأدركها ... كأنما هو بالتحقيق موعود
فأين منه شيوخ العلم قاطبة ... وأين من عزمه الصم الجلاميد
شجاعة وترامى همة لمدى ... هيهات تبلغه فى نفسها الصيد
وحكمة نفثت فى صدره فغدا ... يمدنا منه تفسير وتوحيد
ياراقدافى الثرى أوحشت قومك من ... علم وجود فلا علم ولا جود
أنبت فينا نباتاً للهدى حسنا ... وسوف يأتى زمان وهو محصود
وجدت بالنفس تفنيها لتنفعنا ... كأنما أنت للاصلاح مرصود
فنم طويلا بعفو الله مغتبطا ... فأنت والله فى الأحياء معدود
ومن يغادر ما غادرت من أثر ... حياته أبداً ذكر وتخليد
أحسنت فى الدين والدنيا فنم وعلى ... جلال قبرك ظل الله ممدود

وقال الفاضل عبد الرحمن افندى عزمى بادارة بوستة الاسكندرية

عزاء على فقد الامام محمد ... عزاء على طود العلوم المشيد
عزاء على ركن من الدين قد هوى ... وبحر بأمواج المعارف مزبد
عزاء على حصن حصين ومعقل ... منيع وسيف للاله مهند
تبدلت الأيام حتى كأنها ... من الحزن فى ثوب من الليل أسود
وحالت فمن ذا نرتجيه لغارة ... تطيش لها الأحلام فى كل معهد
ومن ذا (يضىء النهج والليل قاتم) ... ويرشدنا للحق يا خير مرشد
رحلت والعلم المبين مدامع ... تسيل وللاسلام لوعة مكمد
وردت حياض الموت جذلان باسما ... فأوردتنا حوض الأنين المردد

توسدت أطباق الثرى لك مضجعا فكم فى الثرى من كل قلب موسد
وهل أنت إلا كوكب يهتدى به إذا ضل عن نور الحقيقة مهتد
وهل أنت إلا آية أرسلت لنا تبين آيات الكتاب المجدد

(ومنها)

فديتك هل ألفيت غير حشاشة تذوب أسى أو غير جفن مسهد
وغير زفير قد أكنته أضلع تراوح ما بين البكا والتنهد
دعوت اصطبارى حين ولى فخاننى وجدت بدمع كاللآلى منضد
وناديت قلبى والدموع غزيرة (رويدك لا تهلك أسى وتجلد)
فيا راحلا عنا إلى خير منزل لساحته الأبرار تهفو وتقتدى
حباك إله العالمين بفضله عن العلم خيراً أو شريعة أحمد
سنبكيك ما الشمس المنيرة أشرقت وما غيبت فى الغرب عنا الى غد
وما صال أبطال اليراع وسددوا سهامهم فى كل ناد ومشهد
وما لاح فى الشرق الضئيل تطلع لنيل علاه فى طريق ممهد
سنبكيك ما فى الغرب قام معانه وأشهر نحو الشرق كل مهند
سكبنا دموع العين وهى عزيزة وكم من عزيز هان بعد محمد

يوم وفاة الامام نظم الأبيات الآتية الوجيه عبد الله بك شريف عمدة صهرجت الكبرى بالدقهلية ثم طبعها ووزعها .

أبا حنيفة لا دمعى بمنقطع حزنا عليك ولا همى بمحدود
قد مزق الموت ثوباً كنت لابسه من نسج حمدك لا من نسج داود
وقبل موتك لم نندب على أحد واليوم بعدك لم نحفل بموجود
وليس بعدك من يرجى لنازله فانما أنت مفقود بمفقود

لو رتل الدهر آيات أتيت بها لم نلبس الحزن من آياته السود
مازلت تدعو إلى الرحمن مجتهداً حتى دعاك اليه خير معبود

وقال الفاضل علي افندي السيد بورشة العنابر بالاسكندرية

أسفنا وهل يغني التأسف أو يجدي وقد فجع الإسلام في العلم الفرد
إذا ما قضى الله القضا فهو نافذ وإن حمت الأقدار فالحر كالعبد
مصاب دهى مصرا بفقد حكيمها وأستاذها المشهور بالحزم والجد
فقدنا إماماً كان والله شاهد اذا عاش أغنانا عن الجيش والجند
هوى كوكب من مصر فاعتل جسمها وعم الأسى حتى على الصين والهند

(ومنها)

كفاك افتخاراً أنك اليوم آية ولست بذي ند وذكرك كالند
محمد قد ماتت عداك ولم تمت لأن لك الأفضال جلت عن العد
عرفناك لما ان نبغت وفتهم وفت الورى والشيء يعرف بالضد
لئن جحدوك اليوم والقوم حسد ففي غدهم لا يقدرون على الجحد
وبعد قليل يعرفونك مصلحاً فتم آمنا حتى ينادوك في اللحد
لبست لهم بردا يخالف شكلهم وكان الحجى والله في ذلك البرد
لقد نقموا جهلا عليك وما دروا بأن لباس الحر من حلل المجد
تصدرت للافتا فكادت صدورهم تشب بها النيران من شدة الحقد
وناصبك الجهال حتى عمائم كبار ولكن ليس فيهم أخو رشد
وهل فيه من لوم عليك وأنت قد بذلت لإرشاد الورى غاية الجهد
دفعت عن الاسلام كل ملمة وأنت قوي البطش في الأخذ والرد
لقد كنت لا تخشى سوى الموت نازلا وحقا فلم يفقدك شيء سوى الفقد

أضاعوك والإسلام فى فاقة الى نهاك وكتب العلم تحتاج للنقد
تلاقى العدى بالحلم حتى إذا طغوا هجمت عليهم هجمة الأسد الورد
فان رمت فعلا كان فعلك ماضيا وان قلت قولا كان كالصارم الهندى
اذا ما رميت الخصم بالحجة التوى وأصبح ميتا لا يعيد ولا يبدى
تعبت وأصحاب العمائم فى هنا وناموا وقرحت الجفون من السهد
وضعت لأعلام الشريعة مبدءا قويما وبات اليوم يخفق كالبند
فمن أنت موصيه فقد حار فكرنا ومن منهم يدعى وليك فى العهد
فيا أيها المفضال هل أنت سامع وهل مصر بعد اليوم تظفر بالقصد
ويافيلسوف الشرق ما أنت صانع وقدمت والأعلام كالطفل فى المهد
ترحلت والآمال فيك كثيرة وما ان لها من بعد بعدك من عود
سيذكرك التاريخ من بعد موتنا ويثنى عليك الناس بالشكر والحمد
اذا ما رثتك الطيبات فانما رثاؤك شعرى وهو أفضل ماعندى
عليك سلام المخلص الود والوفا فانك بعد الموت أخلص للود
هجرت شقا الدنيا وفارقت أهلها فلا زلت جار الله فى جنة الخلد

وقال مؤرخاً

الله قد رفع الشيخ الإمام الى جواره وحباه منتهى القصد
لما رقى قلت مما بى أؤرخه محمد عبده قد صار فى الخلد

سنة ١٣٢٣ ٩٢ ٨١ ١٠٤ ٢٩١ ٩٠ ٦٦٥

وقال الشاعر الناثر الأديب فؤاد افندى سليم

لا تعذلانى اذا ما بت مفؤدا فالخطب صير منى القلب معمودا
وخلقانى كسيف البال مكتئبا أبكى أسى وأقضى الليل تسهيدا

أبعد موت (امام الدين) يبسم لى دهرى وأبصر عقد الانس منضودا
أبعد ماقد ثوى فى قبره ومضى أروم عيشاً وأبقى فيه مجـــدودا
مات الامام وفخر الدين فانقلبت أضواء أيامنا من بعـــده سودا
من للمعاوف والفتيا وربهما أضحى بحكم قضاء الله مفقودا
من لليتامى ومن للبائسين وما لغيره نسبوا الاحسان والجودا
من للمجالس والشورى وقد فقدوا من كان فوق رجال العلم تسويدا
قد كان سيفاً بكف الحق منصلتا فكيف أصبح فى الارماس مغمودا
قد كان ركنا لدين الله يعصمه فكيف أصبح هذا الركن مهدودا
جرى القضـــاء بأمر لامرد له وكان قبـل قضـاء الله مشهودا
فقـدس الله روحـاً منه طـاهرة وزاد ذكراه بين الناس تخليداً

كتب الينا الفاضل فؤاد أفندى مغبغب باشكاتب مديرية أعلى النيل بالسودان كتاباً وصف فيه حزنه على الامام وقال انه لسوء حظه لم يره ولكن قرأ له فى مجلة المنار ماقرأ ثم قال «وقد بلغنى الخبر المحزن وأنا أطالع كتاب الاسلام والنصرانية الذى لايمكن لأديب أن يقرأه سواء كان مسلماأو نصرانيا بدون أن يعترف بفضل الامام الـكاتب ويعجب من قوة براهينه وحجته : وقد كتبت الأبيات المدونة المرسلة مع هذا وإنى مقر بأننى لست شاعرا بل هذه أول أبيات نظمتها فى حياتي »
ثم خيرنا فى نشرها وإننا ننشر منها مايأتى شكراً لاخلاصه قال:

وقع القضاء فخـاب منا المقصـد وقضى الالآه بأن يغيب الفرقـــد
فلذا ترى شمل الأسى كل الورى ولطرف أهل العلم جاء المرمد
والكون قاطبة رثى لمصابنا ومناقب المفقود بات يردد
بكت المكارم ربها وكذا النهى وبكته كل الأرض حتى الجلمد

رب المعارف والفضائل والتقى وامام كل الشرق كان محمد
لولا اتقاء الكفر والاشراك بالر حمن كان له بحر ويسجد

وقال الفاضل محمود أفندى خيرت أحد معاونى الادارة من قبل وطلاب الحقوق الآن وقد حذفنا قليلا منها

خطب دهانا راع كل فؤاد وأضاع فى الإسلام كل رشاد
فانهل محمر الدموع من الأسى يحكى انهمال السحب وهى غواد
ولرب رزء يستخف به الفتى فيمر مثل الطيف عند رقاد
لكن رزءاً مثل رزء محمد كنز الفضائل ليس رزءا عادى
فلقد يكون بفقد فرد واحد فقد يحل بسائر الأفراد
ياأيها السمح الذى ضنت به أيدى المنون وانهن عوادى
انا لنذكر ذلك الجهل الذى دارت رحاه فساد كل فساد
حتى بعثت لنا لتهدينا إلى خير السبيل بحكمة وسداد
فقضيت أدوار الحياة مجاهدا فى محو ليل الجهل خير جهاد
ونشرت أنوار المبادىء بيننا تختال فى حلل من الارشاد
وأعدت للاسلام سالف عزه فغدا بفضلك شامخ الاطواد
وتبسمت أعلامه خفاقة فى حين أخفق سعى كل معاد
ياأيها المنذ الذى خسرت به فى مصر روح العلم خير عماد
قد كنت هادينا إلى سبل الهدى ولقد ذهبت فما لنا من هاد
انا لنؤثر فيك أنفسنا فدى لو ان داعى الموت يقبل فادى
ونصيح فوق ثراك ماعشنا المدى لو كنت تسمع صوت كل منادى
ونذيب أكبادا عليك سليمة لو رد روحك ذائب الاكباد

جنت مدامعنا عليك من الأسى ... وكذاك بعدك جف كل مداد
ورثتك أقلام بكفك لم تكن ... إلا قذى فى عين الاستبداد
ونعتك سوق العلم تندب حظها ... لما كساها الحزن ثوب كساد
وبكتك آيات الكتاب وقد قضى ... حامى معانيها من الأحقاد
ياقبر إنك لم تضم محمداً ... جسداً لديك كسائر الأجساد
لكن ضممت الدين والدنيا وأخلاق الكرام وصولة الآساد

﴿ مرثية للمرحوم العلامة الشيخ محمد عبده ﴾

لحضرة الفاضل محمود افندى الجبالى بمجلس النظار نلخص منها ما يأتى:

الروح تنأى ويقبر الجسد ... ونحن نمشى وبيننا الحسد
والناس قسمان ضل بعضهمو ... وبعضهم يصلحون ما فسدوا
ياراقد الجفن هل أمنت غدا ... قم نبه الجفن فالحمام غد
ان غدا بيننا كحاملة ... فى الحى هلا علمت ما تلد
كنا وكان الامام سيدنا ... ما باله سار وهو منفرد
قد طبق الأفق ذكر حكمته ... وهو على الله عاش يعتمد
فلو شكونا الزمان من نوب ... إليه بات الزمان يرتعد
يكفيه أن الاله فضله ... والعدل فيما يقول والرشد
فليس للعلم بعده أحد ... وكيف يرجى من بعده أحد

وقال بعد تنويه بإصلاح الدين واللغة وتعريض بمن عبثوا بهما

فارجع إلى ربك الذى وسعت ... رحمته الناس قادر صمد
فجنة الخلد منك فى جذل ... وان للمتقين ما وعدوا

﴿ رثاء الامام فقيد الشرق ﴾

وقال الشاعر المجيد محمد افندى امام العبد الشهير

فداك أبى لو يفتدى الحر بالعبد ... لأن حياة الآل بعدك لاتجدى
نقمت على الأيام بعد محمد ... وقد غدرت بي بعدما حفظت عهدى
وكيف يطيب العيش للمرء بعد ما ... تلاعب ذاك الدهر بالأسد الورد
ذهلت فلم أعلم أماء غمامة جرى ... أم دموع العين فاضت على خدى

ومنها :

منى النفس أن تبقى لترشد أمة ... أبى الجهل أن تهدى إلى منهج الرشد
خلقت لها فاستعصمت بظنونها ... وسارت الى قصد وسرت الى قصد
فمن لكتاب الله إذ غالك الردى ... وغادرته كالفكر يسرى بلا حد
ومن للهدى والعقل كالليل مظلم ... ومن للمعالى والفضائل والمجد
خرجت إلى الاولى بيرد من السنا ... وعدت إلى الأخرى ببرد من الحمد
ولو عرفتك الناس بعد محمد ... لما زعمت أن الهداية للمهدى
وكنت ذكاء ما اهتدوا بضيائها ... لانك كنت النور للأعين الرمد
تحارب أرباب الضلالة بالهدى ... لتبدل ذاك النحس فى مصر بالسعد
وتركب متن الصعب من غير جحفل ... كأنك بالاقدام والرأى فى جند
فيا دافنيه ما دفنتم محمـداً ... ولـكن دفنتم آية الله فى اللحد
سئمت حياتى بعد موت محمد ... ولو أننى بشرت فى الدهر بالخلد
فيا ثاويا فى قلب كل موحد ... عليك سلام الله فى القرب والبعد

وقال الاستاذ الفاضل الشيخ محمد جوده أحد علماء دمياط والعضو بالمحكمة الشرعية الكبرى بمصر

هنيئاً لمفتى الديار بمصر بدنيا وأخرى سما القوم مجده
قضى عمره فى أشد جهاد وما الجاه أو نضرة المال قصده
ولكن يناضل عن خير دين ويدفع عنه الردى ويرده
وما بارزته الأجانب إلا تكلل بالنصر والفوز جنده
به أزهر العلم طاب جناه وفاح شذاه وأزهر ورده
وكان به مجلس الوقف أعلى ومستخدموه أتى الكل رفده
له فى القوانين منشور عدل ففوق اللوائح يخفق بنده
له صائب الرأى والأمر شورى له باهر النصر والدهر ضده
له همم ترهب البيض منها فكم صارم ظل يخفيه غمده
له شيم كالحدائق لطفا حلت مشربا راق المذوق ورده
فتاريخه كله حسنات على صفحة العصر يقرأ حمده
أقام سعيداً ومات حميداً وراح شهيداً فلله سعده
دعاه آله كريم فلبى سريعاً بفرط اشتياق يمده
ون ودعته الالوف لحدث عن الملأ استقبل الروح وفده
فكم من ملائكة فى انتظار وكم من وصيف تهلل خده
بمقدار ما اشتد حزن البرايا تبسمت الحور وانسر لحده
سيلقى بدار الخلود جزاء ويشهد مالم تقدمه يده
رأيت الخلائق تهدى اليه من الأجر ماليس يحصر عده
فمنهم أخ يسأل الله رحمى عليه وللذكر يشتد وجده

وآخر يهديه من حسنات ويحمل اصرا فيضعف جهده
نفائس تأتى اليه جزافا فيشرق منها على الجيد عقده
على أنه كم عفا عن مسئ وسامح عن قدرة من يصده
ويار بما اغدق الخير فيهم وواقاهم بالمبرات جده
فيارشا اغمر ثراه ببر فكم سار للبر واهتز قده
وعوضه عن عين شمس مقاما بجنات عدن يطب فيه خلده
اجاب نداك وقد أرخوه مضى لكريم (محمد عبده)

٨٥٠ ٣٠٠ ٩٢ ٨١
سنة ١٣٢٣

مرثيتان بتاريخين

نظم الفاضل صاحب التوقيع قصائد ومقاطيع فى الرثاء فى كل منها تاريخ أو تاريخان فاخترنا منهاما يأتي من قصيدتين وهو

الكون ممتلىء سواداً والشرع قد لبس الحدادا
والناس من هول المصيبة كلهم فقدوا الرشادا

(ومنها)

كيف التصبر والمنيــــة خانت المفتى العمادا
مفتى الديار وقطبها علما وفضلا واجتهادا
بل عالم الدنيا الذى انقادت له الدنيا انقيادا
بل حجة الدين الحنيف إذا تكلم أو أفادا
بل آية الله التى حج الآله بها العبادا
من للشريعة بعده يرجى إماماً واعتماداً

أو من لوحى الله يظ ـهر من بواطنه المرادا
أو للفتاوى كلما زادت مشاكلها انعقادا
أو للتقى والوعظ والار (م) شاد لا يألوا جهادا
أو للعلوم يحل من معقول معناها القيادا
خلت الديار فليس بعـ ـد (محمد) نرجو عمادا
من قال لا فليأت با برهان أو يذر العنادا
من ذا يطاوله وكا ن يطاول السبع الشدادا
ولقد أتى تاريخه فى بيت شعر لا يحادى
طاف الردى بمحمد بسكندرية فى جمادى
٩٠ ٢٤٥ ٩٤ ٧٤٦ ٩٠ ٥٨

سنة ١٣٢٣

ما لقلبي عن السرور تجرد واستبد الأسى به وتفرد
قد دهى الناس هول يوم عصيب مس فيه الردى حياة (محمد)
ذلك المرشد الأمين الذى أطـ ـلق بالهدى كل لب مصفد
ذلك المصلح الذى دأبه الرأ ب لما أنشأ الفساد وأوجد
ذلك العالم الإمام فقيه الـ ـكون طرا ملاذ من يتشهد
الإمام الجليل حجة أهل الـ ـعلم ذو الاجتهاد فى دين أحمد
الإمام العليم مظهر سر الـ ـوحى مفتاح كل علم مؤصد
الإمام الحكيم من كان للأر واح طبا وللبصائر إثمد
فيلسوف الإسلام آية إعجا ز النهى مرجع الكلام الأوحد

التقىّ النقىّ محيي لنا الد(م)ين بروح من الإله مؤيد
صاحب الوقت حجة الله فى الع لم رب الهدى السراج الموقد
لهف نفسى عليه إذ حملوه وهو فى نفسه مسجى ممدد
حملوه على الرقاب يسيرو ن بطود من الرواسخ مفرد
حملوه وسار من خلفه النا س حيارى حسراتهم تتردد
حملوه الى مقام كريم ونعيم لدى الإله مخلد
كيف لا وهو قد أقام لدين الله (م) فى الناس بيت عز مشيد
أبهذا الحكيم مالك فى صم ت وعهدى بك القؤول المسدد
كنت فينا طلق اللسان جليل الا فعل عف المقال فى كل مشهد
كنت فينا أبا اليتامى ومعوا ن الأيامى وذخر كل موحد
كنت فينا إذا هممت بأمر ماضى العزم كالحسام المهند
كنت فينا من الوقار مهيبا طيب النشر بالجلال مقلد
وحمام الإمام خطب اجسيم مطلق فى الوجود غير مقيد
ليس يبلى ولو تقادم عهدا فهو فينا مدى الحياة مجدد
لا تأسى لنا ولو أرخوه فى نعيم الخلود قر محمد
سنة ١٣٢٣ ٩٠ ١٧٠ ٦٧١ ٣٠٠ ٩٢

محمد فاضل
صاحب جريدة المطالب

وقال الأستاذ الأديب الشيخ مهدى أحمد خليل من معلمى المدارس الأميرية

هوى فوق هام الفضل عرش من المجد وغاضت من الدنيا بحور من الرفد
هو الدهر يطوى كشحه عن ذوى النهى ويفتح حضنيه الى القمدد الوغد
وددناه أزمانا فعادى ومثله يجازى أعاديه على البغض بالود

وهذى الليالى ما رمتنا وإنما   رمت نفسها بالسهم فى موضع الحقد
وما نحن غيبنا امرأ فى غيابة   من القبر بل علما دفناه فى اللحد
خذوا قودا للفضل من بنت دهره   فقد قتلت نفس المكارم عن عمد
فياليتني عوجلت بالموت قبله   وياليت صرف الدهر أمهله بعدى
فهذى خطوب الدهر سدت مسالكى   وذى نوب الأيام قد كدرت وردى
تنازعنى فى فقده عاملا أسى   فجسمى فى سقم وروحى فى جهد
ولى كبد محروقة من لظى الأسى   ولى مقلة سالت دماه على الخد
تولى فأجفان الأباطيل فى كرى   طويل وأجفان الحقائق فى سهد
اذا ما بكى باك بمصر لفقده   أجاب صداه فى الشآم وفى الهند
اذا الشرق لم يجزع لموت إمامه   فقد آثر الشرق الضلال على الرشد
فكيف نرجى بعده صفو عيشة   بدار علا فيها الشقاء على الجد
رجوناه للجلى فعاجله القضا   وقد يثبت الحرمان فى غيضة الكد
رمينا به الأيام فارتاع لبها   وباتت أكف الحادثات بلا زند
تطيش نواحيه إذا سئل الجدى   وتثبت أن أوفى على الأسد الورد
حبته علوم الدين حمدا وإنما   يضوع بجو الجود عرف من الحمد
فمن بعده الاوقاف تندب حظها   ومن بعده الفتيا تنوح من الوجد
وفى مجلس الشورى كآبة واجد   على رجل الاصلاح والبطل الفرد
وجمعية الاسلام تذرف دمعها   على كعبة الآمال والنائل الجعد
وذا الكون مذ سارت للحد ركابه   تدثر فى ثوب من الحزن مسود
لئن أرجع الرحمن للخلد عبده   فان مآل العاريات إلى الرد
حياة المعالى فى حياة محمد   وفى موته موت الفضيلة والمجد
إلى ساحة الرحمن سار مكرما   ونحن بدار الهون نرسف فى قيد
تباعد فى قرب المزار فإنه   هو البدر يدنو وهو فى منتهى البعد
أقام (بعين الشمس) فاشتاق بعدها   إلى منزل أعلى فسار إلى الخلد
على قبره غيثان غيث ترحم   وغيث دموع فاض من مقلة (المهدى)

﴿ مرثية لفقيد الاسلام المرحوم الشيخ محمد عبده ﴾

من نظم الأستاذ الأديب الشيخ أحمد الاسكندرى من معلمى المدارس (ناظر مدرسة معلمى الكتاتيب بالفيوم الآن)

من الموت لا ينجو مسود وسائد ... فياشامتا فى الموت هل أنت خالد
وهل أنت يا ابن الميتين تعافها ... تجرعه من قبـل أم ووالد
بلى انه الانسان ينبت للردى ... فما ذاك محصود وذلك حاصد
وذو الروح بين الحل والعقد دائر ... من الطين يأتى وهو للطين عائد
ولو أن عبد المال بالعيش عهده ... لقام له من دون ربك عابد
لنا فى رسول الله أحسن أسوة ... وفى آله الاطهار للصبر قائد
لئن بك مفتى مصر قابل ربه ... وآهل منه الرمس أروع ماجد
لقد كان يجلو الخطب والخطب دامس ... وقد كان ينكى الخصم والخصم حاقد
وقد كان بالاسلام يقترن اسمه ... ويقصد بعد الله والله واحد
وقد كان عضباً لا يفل غراره ... اذا ثوّب الداعى وعز المساعد
وكان اذا ماصاح بالدين صائح ... وطافت عليه البارقات الرواعد
ونالت يد الاعداء منه وفوقت ... إلى لبه منهم سهام صوارد
فما هى الا نفثة من بيانه ... يجيش بها صدر على الزيغ واجد
فكل فؤاد بين جنبيه واجب ... وكل لسان بين شدقيه جامد
فأسفر دين الله أبلج ناصعاً ... وشبهات أهل الافك عنه شوارد
عزائم أغنتنا عن البيض والظبى ... على حين أبلسنا ونام المجاهد
فمن لمريد الحق بعد محمد ... اذا خانه فى الحق دهر مناكد
ومن لليتامى والأرامل بعده ... ومن يتولى أمرهم ويساعد

فيا راحلا عن أمة لم يكن بها ... سواك يرامى عنهم ويجالد
لئن جهلوا بالأمس قدرك بينهم ... وفيك سعى منهم غشوم وحاسد
لسوف يرون النائبات تنوشهم ... ولا دافع إذ ذاك عنهم وذائد
وسر حيث يرتاح الكرام فطالما ... جهدت وما يجدى المناحيس جاهد
وسر أنت مبكياً عليك من العلا ... بأحسن ما يبكى حبيب مباعد

وقال الأستاذ الأديب الشيخ محمد عبد المطلب المدرس فى المدارس الاميرية

إلى الله فى رضوانه سار (عبده) ... مجداً فأبكى أعين المجد فقده
بكى الشرق لما قيل أودى (محمد) ... بجفن من الأحزان أدماه سهده
بكت مصر من أبنائها بحر حكمة ... إذا مد يغشى سائر الأرض مده
بكته السحاب الغر كان يمدها ... نداه الذى عم الأنام ورفده
بكته الأيامى والأرامل من لها ... سواه إذا واراه فى التراب لحده
بكته اليتامى والمساكين حسبهم ... أسى بعده ريب الزمان وجهده
بكت حلقات الدرس كانت مآبا ... يشاربها أرى الكلام وشهده
بكى القلم الفياض جف مداده ... وقد كان من سحر البيان يمده
فيالبنى الاسلام دعوة واجد ... بحر الأسى أفنى الجوانح وجده
أعيروه قلباً لايذوب لحادث ... أصيب به الاسلام واندك طوده
هوى كوكب العلياء غيبه الثرى ... ويا أسفى لايرتجى بعد عوده
هوى بدر تم كان نوراً لقومه ... وسيفا لدين الله واراه غمده
فكم من يد للدين أسدى وموطن ... تبين فيه للذى ضل رشده
وما نسى الاقوام موقفه الذى ... به رد (هانوتو) وقد ضل كيده

وكان يظن ابن الفرنسى أنه   أتى بالذى لا يمكن الناس جحده
ويوم رمى الافرنج دين محمد   بمنكر قول أعجز القوم رده
وقالوا ضلالا دين ظلم وقسوة   قضى بهما فيه حسام وحده
فجرد فيهم مقولا ذا ذؤابة   صقيلا بنور الحق يزهو فرنده
وصال عليهم صولة رجموا بها   يعافير دوٍّ تقتفيهن أسده
ومهما تعالى باطل بين معشر   وأيده جهلا على الحق جنده
فللحق سيف لو نضاه مدافع   عن الحق فى صلب الحديد يقده
ولكن إذا لم يحمل الامر ناصح   خبير بسبل الرشد لم يور زنده
سقى الله قبراً حل فيه محمد   رضاه يظل الدهر ينهل جوده
وأنزله فى حضرة القدس منزلا   يطيب له فيه نعيم وخلده
تولى وأكباد المعالى قريحة   عليه وحزن المكرمات أشده
وخلى الندى والعلم هذا دموعه   غزار وهذا ينفح الارض نده
فلم يرث أهل الدين والعلم مثله   إماماً ولم يخلفه فى الناس فده
فياثاويا فى لحده وهو روضة   يضوعه فيها عبير ورنده
يحييك ذو حزن عليك ولوعة   إليك بما يسطيع فى القول جهده
تحييك بالرضوان والفوز أمة   لها منك إرشاد النصوح ورشده
ويامعشر الباكين حول ضريحه   سلاماً له يستغرق الحصر عده
فديناه لو أنا ملكنا فداءه   ولكن حكم الله ماض ووعده

حرف الذال

رثاء الامام فقيد القطر الشيخ محمد عبده مفتي مصر

من مراثى الفاضل محمد افندى أبو طالب الاسكندرى

عم المصاب فكلنا أمثال مذ غيبت أيدى الردى الاستاذا
سلبت به مصر أجل ذخيرة إذ كان فيها للعفاة ملاذا
قد كان يطمع فى الحياة لكي يرى مصرا تفوق بعلمها بغداذا
فأبى عليه الجاهلون مراده ولكم تصداه السفيه وآذى
لكن بحسن تدبر وروية راحت قلوب معانديه جذاذا
من مثله أمضى الحياة مدافعاً عن دين أحمد هادياً ومعاذا
من مثله قرأ الكتاب مفسراً وعلى القلوب استحوذ استحواذا
من مثله فى المكرمات وكفه أحيا نداها من به قد لاذا
ياليت شعرى هل لذلك وارث يدعو فينقذ مصرنا انقاذا
ياليت شعرى هل أرى من أمتى حبرا يكون فؤاده فولاذا
والله بعدك يامحمد لانرى شيخاً لسيف عقولنا شحاذا
فعلى ضريحك يا امام سحابة تهمى عليه وابلا ورذاذا

حرف الراء

نظم الفاضل صاحب الامضاء هذه المرثية فاخترنا أوائلها وهي

يانائيا بالله صبرا كيما تمتع منك مصرا
روعتها بالخطب إذ فاجعتها وأفلت قهرا
خلفتها فى مهد عز(م) عم فى الآفاق ذكرا

بين الحواضر كالعرو س تفوق أعلاهن قدرا
كم من يد بيضاء منـ ـك بسطتها وكشفت ضرا
بالجد كم أذخرتها من كل كنز فيك ذخرا
فى الدين كم جاهدت اذ آتيتها بالعلم فخرا
هذا كتاب الله يز منك بالتفسير قدرا
أظهرت فيه حقائقا خفيت عن الابصار دهرا
بالحزم كم أجريت فى مجرى السياسة منك بحرا
وقد ارتوى من فيضه قوم براح الذل سكر
نهضوا ولكن مالبثـ ـت اذ المنون دهتك غدرا
فتركتهم والغرب يضـ ـحك اذ أتته اليوم بشرى
والشرق يندب حسرة بغزير دمع سال نهرا
يامصر كفى عنك لا يجدى الحزين الحزن أمرا
الا انحطاط عزائم كانت لعين (الحر) سحرا
لكن (امامك) فيك أو لح حيث انبت منك نضرا
خلفا له عونا على التـ ـحرير والاقلام أحرى
فالناس بث العلم فيـ ـهم روح ذاك النهج عمرا
حتى بدت فيهم بشا ئر نهضة الاسلام بكرا
لله من أثر أضا ء بمصحف التاريخ شطرا
لك يا اماماً كنت قبـ ـل اليوم للتمهيد صدرا
فلقد أتاك الأمر من أعلاك واستدعاك سرا

لبيت لكن فى قلو ب الناس قد أضرمت جمرا
أسفاً عليك فكل انـ سان لتربك صب قطرا

أحمد شكري
بميت أبو الحسين (دقهلية)

رثاء الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية
لحضرة الاديب حسن افندى السقطى بجمرك بورسعيد

لاتسل عن مدمعى كيف جرى فوق خديّ يجارى الانهرا
ودع الاحزان لاتبقى على مهجة حرا عراها ماعرا
واطرح الصبر فقد حال الاسى دونه حتى غدا مستنكرا
أى صبر بعد خطب لم يزل جمره فى مهجتى مستعرا
أى صبر بعد ان مات الذى لم يكن للدين (الاحمرا)
كان للاسلام منه ملجأ أقبل الدهر به أو أدبرا
كان للعافين جوداً صيباً وذوى البؤس سحاباً ممطرا
ما سمعنا قبل هذا الرزء ان تدفن الحكمة فى بطن الثرى
من لنا بعدك هاد مرشد يرأب الصدع ويحيى (الازهرا)
من اليه تسند (الشورى) ومن يكسب (الافتاء) حظاً أوفرا
ماعهدنا قبل ان حل الاسى ان نرى بدر العلا مستترا
كنت للشرق حياة وهدى كنت فى العصر تباهى الاعصرا

***

يا أبا الطيب إما شعرا وابن زيدون اذا ما نثرا
وابن ادريس بشافى فقهه وابن عباس اذا ما فسرا

أوقع الدهر بنا فانفطرت مهج سالت نجيعاً أحمرا
غالك الموت اماماً مصلحاً فغدا قلب التقى منكسرا
ليت شعرى هل رأوا بعدك من يحسن السير ويحيى السيرا
في اعتقادى انهم لم يجدوا ولعمرى كل حى سيرى
أمة قد فقدت واحدها فبمن تأمل أن تستنصرا
فقدت فيه شعوراً طاهراً بين جنبيه وقلباً أطهرا
فقدت فيه صلاحاً ظاهراً وتجاحاً فى المساعى أظهرا
كم رأى الاسلام منه نصرة يوم لاقاه العدا فاستظهرا
عزمة وجهتها الحق اذا وجهت تعنو لها أسد الشرى
همة كم حاولوا اقعادها فأبت ذاك الجود المنكرا
وعلا لو نسب النجم له كان فى جانبه مستصغرا
كيف أودى ذلك المجد الذى ملأ الآفاق حتى اشتهرا
كيف يقضي الحلم والعلم معاً رزىء الشرق فعاد القهقرى
تلك حال الدهر ما أبقى على أمة الا بها قد غدرا
قد ظلتنا العيش صفوا سائغاً وحسبتا الدهر يغشاه الكرى
فجع الاسلام فى ناصره كل صفو بعده قد كدرا
طيب الله ثراه بالرضا قدر ما خلف فينا أثرا
يابنى مصر عزاء انني لا أرى الأيام الا عبرا

وقال الفاضل حسين افندى شفيق المصرى

ترد بثوب الصبر ان أمكن الصبر ومرنى اذا بالصبر تم لك الاجر
وأما وقد أبصرت دمعك جارياً يجور بخارا كلما اشتعل الصدر

وكل امرىء يدعو ثبوراً ونفسه تذوب فلا نهى على ولا أمر

وقال فى آخرها

فان حيــــاة المرء بعد محمد عناء و بعد اليسر يستصعب العسر
لقد كان سبـاق الرجال الى العلى بحق ولا فخر هناك ولا كبر
اذا قال قال الناس قال امامنا وابطلت الآراء وانحسم الأمر
ستندبه الفتيا اذا ضاق ذرعهـا وتنـدبه الشورى اذا مسها الضر
وتندبه العلياء والمجـد والنـدى وتندبه الاقطـار لا سيما مصر
فان نضب الدمع الغزير تحولت كبود الورى ماء هو الادمع الاحمر
ولو كان للاستـاذ ند لخف ما نلاقى ولـكن ليس كالجدول البحر
وهل يستوى الراوى الحديث بربه وهـذا له قول وهذا له فكر
سلام على الاستاذ رضوان ربه عليه وان نهلك أسى فلنـا أجر

وقال الشاعر الفياض خليل أفندى نظير المصرى

أيود طرفك أن يبيت قريراً هيهـات كلفت الزمان عسيراً
يا خاطب الدنيا حذارك انها تلد الخطوب عشيـة و بكوراً
دارت على داراوكم هى دمرت للملوك تدمر أربعـاً وقصوراً
وعـدت لى عاد سوابقها التى تركت سنابكها الديار دثوراً
كسرت لكسرى الصولجان وغللت سيف بن ذى يزن فعـاد كسيراً
وتتبعت أثر التبـابعة الذيـ ن تفيؤوا ظل الجلال دهوراً
قصرت لها أيدى القياصرة الأولى كان الفخـار عليهم مقصوراً
قد أنذرت بالمنذرين وحذرت بابنى ! ربيعـة بعدهم تحذيراً
أمسى مهادهم الرغام وطالمـا تخذوا السماك أريكة وسريراً

ورضو المنام على الهوان وقبله عافوا النمارق أن تكون حريراً
عرضت لهم سنة فلما استيقظوا كان الممات لحلمهم تفسيرا
سل عنهم هـذا الصعيد فانه يدرى الجواب ويحسن التعبيرا
كم ساورتنى الحادثات ونفرت عن ناظرى ذود الكرى تنفيرا
فوقفت وقفة اصمعى قلبه ندبا على كيد الزمان صبورا
حتى نعى الناعى الامام فلم يزل نبأ بتصديع الكبود جديرا
يا يوم قيل قضى وجاور رمسه لا زلت يوما بالاسى مذكورا
كم عـبرة أجريتها وحشاشة شذبتها أسفا وهجت زفيرا
ودت نفوس أن تكون فداءه مختارة لو تملك التخييرا
أهون بكل مصيبة من بعده تدع الجليل من الخطوب حقيرا
يا جابرا كسر العفاة بسيبه اليوم أصبح جبرهم مكسورا
أمحمد مالى دعوت فلم تجب حتى الكلام رأيته محظورا
ما عذر عينى فى الجمود وقد عرت نكباته تدع يذبلا وثبيرا
أبكي عليك بكاء ثكلى فوجئت بوحيدها وأراه فيك يسيرا
من لليتامى والايامى أصبحت تدعو على عظم المصاب ثبورا
وبمن تقوّم فى الشريعة أمرنا ان أحدثت غير الزمان أمورا
كم مجلس عطلته من هيبة وجلالة تدع الكبير صغيرا
كم موقف لك فى الخطابة زانه لفظ يفصل لؤلؤاً منثورا
كم غمرة من بعد أخرى خضتها وخرجت منها فائزاً منصورا
لم يحسدوك وانما هم ضاعفوا لك شهرة بالفضل لا تشهيرا
لا تأس على عمائما نبهتها تصحو فتسعى سعيك المشكورا

ان يتبعوك فلا المفاسد نتقى — فى ديننا أبداً ولا التأخيرا
شهدوا وقالوا صالح والله يعـ — لم أنهم لا يشهدون الزورا
لولا التقى لتخذت قبرك قبلة — ولكان حجى نحوها مبرورا
ولطفت سبعاً حوله أشكو الذنو — ب واكثر التهليل والتكبيرا
ان كنت فارقت الديار فانما — عوضت عنها جنة وحريرا
أو كنت غصناً صوحته يد البلى — فهناك تلقى نضرة وسرورا
والصبر أجمل بى عليك من البكا — لو كان أمر الصبر لى ميسورا

وقالت الأديبة الفاضلة زينب فواز

يا للرجال أرى المدامع تمطر — خطب دهانا فالمصيبة أكبر
تبكي المحابر والقلوب تفطرت — اذ مات مولانا الامام الأنور
حتى كأن الافق أظلم نوره — والراسيات لهوله تتفطر
حتى كأن الشمس يوم مصابه — وجلت وهذا اوجه منها أصفر
طود هوى والجمع صاح كأنه — في يوم بابل والمرائر تفطر
ما كنت أعلم قبل موت (محمد) — ان الثرى فيه بدور تقبر
فعجبت من تابوته حمل الندى — (وتراه لا يخضر منه ويثمر)
وعجبت كيف الماء راق لغسله — والمجد يبكى والمدامع تمطر
هلا تغسله دموع أذرفت — لمصابه وهو التقى الأطهر
تبكى الجموع وطالما أضحكتها — بجميل أعمال تجل وتكبر
أمفصل الآيات هل من عودة — تعلو على نور الصباح وتسفر
أسفي عليك وهل يرد لآسف — ما فات من يوم الحياة وينشر

طوقت بالتأييد دين محمد منناً على مر الزمان تكرر
قد سار نعشك والمحاجر خلفه تجرى سيولا حيث ضج الازهر
ورأيت وجه الحق أغبر آسفاً حزناً عليك وكيف لا يتكدر
أرجو من الرحمن يجزى (عبده) عنا بما أسدى وربى أقدر

خير الكلام لفقيد الاسلام

من نظم الشاعر الأديب الشيخ صادق عمران

حياتك آى والقضا الآية الكبرى أمات وأحيا العلم والحزن فى مصرا
دعاك من الرحمن أفضل دعوة اذل بها الأولى وعز بها الاخرى
فتلك عظات ان أعش بعد أو أمت أذكر بها دهرى وأنى له الذكرى
وما المرء إلا قصده بيد أنه وديعة غيب ان قضي قدم العذرا
وان الذى يبني الفخار لأمة تربت على جهل غدا نجحه نزرا
اذا هز فرع المجد يجنيه أنكروا وقالوا جنى أو رام فى أمره أمرا
فيقضى فيقضون الغداة بأنه لا فضل هاد ميز الخير والشرا
فيا ساكن الجنات انى تركتنا سراحاً بلا راع وكنت لنا ظهرا
حشا الله لم ترغم بروح سلبتها ولكن رأيت الخير انجازك الامرا
على ان ما أحدثت أفني طلابه ملوكاً رأوه من عزائمهم عسرا
كفاك من الآيات انهضت أمة رأت ربها كانت بتقليدها سكرى
كفاك من الآيات ما بيّنت به غوامض وحى الله من حكم غرا
كفاك من الآيات أن شدت عنوة ذرى حجج الاسلام انتهدم الكفرا
كفاك من الآيات فتيا هديتها مع العدل والشورى وقد أوديا دهرا

رأينا بك المهدى فى طى حكمة تطهر أرواحا وتحيى لك الذكرا
فتبكيك دار العلم والخير والقضا وتبكيك ايتام رأوا بعدك الفقرا
وطافت بك الأرواح مثل طوافنا بقبرك شعثا تبتغى عندك الأجرا
حنانيك روحنا بروحك أو فر نفوس الورى تقضى فقد نعت الصبرا
لقد كنت نعمى يسعد الناس شكرها فردت ليشقوا إذ أسروا لها الكفرا
وكنا جدادا حلية الناس فانبرت حلانا ونشريها فصرنا لها نشرى
نعض على بعض الحديث وطالما أضعنا حديثاً ما قدرنا له قدرا
محمد تدرى ان آل محمد رأوا بعدك الويلات فاعتنقوا القبرا
وطافوا سراعاً بالمراثى وجلدهم بكي بكية الخنساء إذ فقدت صخرا
فمن (صادق) فيها مجيد (ناصف) ومن (حافظ) ابكي بتأبينك الشعرا
عليك من الرحمن ياعبد رحمة وان نلت فى الفردوس ماشئت أوأحرى
لقد ألبستنا الحين فيك غلائلا من الحزن لاتفنى ونفنى بها العمرا
ولكن صبرا للمنون فعودها الينا وان أوفى بآجالنا دهرا

وقال العالم الفاضل الاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى المدرس بمدارس الحكومة

أمانى طاشت فى المهامه والقفر وأرزاء بؤس مرسلات علي مصر
فحل عراها واستبان صغارها وراح الاولى شادوا المعالى كالقصر
فما ثاكلات كللت بقتادها بوائس من أم شفوق ومن ظئر
إذا ما رأين الطير فى وكناتها شجون على المقبور فى بلد صفر
يجاوبنها تجواب يأس وحسرة يتابعن بالآلام يهطلن كالقطر
بأبأس من مصر لفقد محمد وهل ينفع المفئود أدوية الصبر

سواك بكته الباكيات وقد بكت … عليك رجال الدين والعلم والعصر
وكانت تلام النادبات لنعشها … ولولاه لم تحسب من الانجم الزهر
ألم تر ان النعش فوق رؤوسنا … نجوم عليها القطب فى فلك يجرى
ولولا التقى والدين قلت تفزعت … لمصرعه الافلاك والكوكب الدرى
وشابت ذوابات الدرارى فى الدجى … فتندبه الشعر وتلطم بالنسر
جوامدان لم تذرف الدمع أعين … عليك الا أن الجوامد فى خسر
خليلى اما شمتما المزن ليلة … تروح وتغدو هاطلات على النهر
فقولا لها يمن قبر امامنا … وأسقينه سقى النعيم الى الحشر
فديتك قل لى هل نزلت من السما … لنا ملكا آخى البشائر بالنذر
تهيمن أوقافا وتنشى مدارسا … وتكفل ايتاما وتبذل بالبشر
ومصيبة مصرية قد عهدتها … بكتك بجنح الليل أو مطلع الفجر
وشاعر آفاق ومفت مثقف … ومغتبط التأليف والرجل المثرى
ومجلس شورانا وقاضى ديارنا … وواعظ اخرانا ومصطنع البر
وأنت لهم روح وأنت لهم نهى … وأنت لهم نور لموهبة الفكر
الا يالحى الله المنايا فانها … ترد الامانى البيض سودا على الأثر
وكان مرجى فى الحياة فمذ مضى … ذهبت أناجى الروح فى روضة القبر
فياقبر هذا عالم وسع الورى … فكيف وسعت الملك فى مأزق الشبر
وياقبر هذا البحر يبدى عجائبا … ولم أر بحرا قبل فى مهجة البر
وياقبر هذا عالم الشرق كله … أأفتاك ان تختص بالعالم الحبر
وياقبر هذا صفحة الكون كله … فكيف كتبت اللوح اجمع فى سطر
هنالك لاحت نحو سرى نفحة … وآيات عرفان ووحي الى السر
ألا يانجى اليوم شأنك والعلى … وسابق لنشر العلم فى السر والجهر

ولا تبتئس يوما بكارثة ولو فرتك الاعادى بالمثقفة السمر
فدونك هذا الموت راحة عالم مضى نصبا فى سعيه أمد العمر
وما هذه الدنيا سوى البرق لامعا فهذا به يلهو وذا رائد القطر
وما هذه الدنيا سوى الروض يانعا وأثماره حسن الاحاديث والذكر
وقل لبنى الدنيا سلاما عليكم سلام اب فى كل صالحه بر
وقل لهم قوموا لنشر فضيلة وترقية الابناء بالعلم والصبر
فاني رأيت المجد عندكم به وعند بنى الاخرى لدى عالم النشر
وقل لبنى مصر سلاما عليكم وسلم على أهل المعارف فى مصر
وقل لهم اني نشطت من العنا وكنت علي أمر فدوموا على أمرى
فقلنا قبلنا النصح فاقبل تحية وعش رغدا فى جنة أمد الدهر

وقال الفاضل صاحب التوقيع

مصاب ولما استطع معه صبرا ألم وقد أجرى من الدمع ما أجرى
ففى كل قلب جذوة قد توقدت ومن كل عين قد جرى ماؤها نهرا
ولولا التأسى ذاب قلبي من الاسى لعمرك هذا الخطب قد قصم الظهرا
لقد افلت شمس المعارف والهدى لموت امام كان أعلى الورى قدرا
(محمد) رب العلم والحلم والتقى ورب النهى والجود والايدى الغرا
اذا عد أهل الفضل فهو إمامهم وأفصحهم نطقاً وأعطرهم ذكرا
وأطيبهم نفساً وأسمحهم يدا وأرشدهم رأيا وأصوبهم فكرا
وأصدقهم وعدا وأحفظهم عهدا وأغزرهم علماً وأوسعهم صدرا
حكيم له ألقى الكلام قياده ودان فلا يعصى له ابداً امرا

علي حبه كل الخلائق أجمعت فكل فؤاد فى محبته مغرى
فقل للذى يبغى يعدد فضله مناقبه لاتستطيع لها حصرا

ثم أنشأ هو يعد منها ما هو مشهور وقال فى الختام

فمن بعده نرجو لاصلاح حالنا فموت امام العصر فادحة كبرى
ومن للفتاوى والتفاسير والهدى ومن للمعاني والبلاغة فى مصرا
ترى الناس حول النعش يمشون خشعا ينوحون كالخنساء اذ فقدت صخرا
ومر وكل الناس مابين آسف عليه وباك صدره يقدح الجمرا
وما حملوا الا العفاف مجسما بل المجد والمعروف والفضل والطهرا
ما دفنوا إلا السماحة والندى وما ودعوا الا الذى فاقهم طرا
فطوبي لقبر قد حوى جسدا له ولم تر عيني ان قبرا حوى بحرا
سقاه وحياه الحيا كل ساعة ورحمة مولاه على قبره تترى

عبد الحميد راشد قبانى — بالجمالية بمصر

رثاء المفتى

للفاضل محمد افندى توفيق جانا من عكا (سوريا)

صبر جميل فمن ذا يدفع القدرا أمر المهيمن فلنرضى بما أمرا
تبكي الامام عيون المسلمين فلا قلب لذا الخطب الاذاب وانفطرا
تبكى الشبيبة شمس العلم اذ أفلت فمن لها اليوم من يبدى لها القمرا
من للديانة من يبدى فضائلها وللشريعة من يقضي لها الوطرا
وللبلاغة من يعلى منائرها وللفصاحة من يدرأ لها الخطرا
محمد وكفى للمشرقين به فخر اذا الغرب فى ابنائه افتخرا
عار على الشرق ان لم تجر أدمعه بحراً يخفف عن اخلافه الكدرا

﴿ مرثية الجزائر ﴾

من نظم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة
المدرس بجامع سفير بمدينة الجزائر وصاحب التصانيف الشهيرة

مصاب جسيم عم كل العشائر ... واسلمنا قهرا لحكم المقادر
رمينا بخطب لا يقاس بغيره ... فجئنا برزء ماله من مناظر
وأكبادنا ذابت أسى وكآبة ... وأعيننا مثل العيون الهوامر
على موت مفتى المسلمين وفخرهم ... ومن كان للاسلام نور البصائر
بكت مصر والدنيا جميعاً لفقده ... وأبناؤها من كل باد وحاضر
وأبدى جميع الناس حزناً وحسرة ... وأجروا دموعا كالغيوث المواطر
وأثنوا عليه بالذى هو أهله ... ثناء جميلا طيباً كالعنابر
على مثل ذا كل الجرائد أجمعت ... وما شذ عنها غير خاس وخاسر
يحاول نقص البدر ليلة تمه ... باظهاره الممقوت فى كل عامر
فقل لحسود الشيخ قد ذهب الذى ... تهاب محياه فحول القساور
وتعنو له طوعاً أئمة وقته ... ويلقاه بالتبجيل كل الاكابر
فطب وانشرح صدراً اذا كنت خالداً ... ولكن ستلقى فى حفير المقابر
ولا تحسبن الله عنك بغافل ... فان لم تتب تصلى بنار التهابر
وماماتمن قد كان فى الكون آية ... أوائله محمودة كالأواخر
تآليفه تنسيك ما حيك قبلها ... وتغنيك عن جل الطروس الكبائر
أفادت من التحقيق كل يتيمة ... تقاصر عنها كابر أثر كابر
وحلت بتدقيق عويصاومشكلا ... بحيث غدا كالبدر يبدو لناظر
عليك بها إن رمت تجنى هداية ... وتصبح أستاذ العلوم الغزائر

وانشاؤه قد زاد حسنا و بهجة على الدر بل زهر الدراری السوافر
اذا خط أعيا الكاتبين وكم أتى بسحر بيان فی معان زواهر
قمرونه الوثقى تريك بلاغة يدين لها قس وعبد لقاهر
فواها على شمس المعارف والتقى وواها على التذكير فوق المنابر
وواها على وتدريس فی كل مذهب وواها على الاقلام بعد المحابر
وواها على التوحيد والفقه واللغى وواها على التفسير أصل العناصر
وواها وواها ألف ألف ولن أفي ولو انني نمقت كل الدفاتر
وانى لنا الصبر الجميل وقد هوى منار الهدى واندك طود المفاخر
وروض الامانى والمكارم قد ذوى وقد كان للعافين أجدى الذخائر
وغيض عباب العلم والجود فی الثرى كذا فليكن غيض البحور الزواخر
فمن لكتاب الله يكشف سره ويشرحه وفق الفنون الحواضر
فقدنا إماما كان حجة عصره وقدوة أرباب النهى والمظاهر
حكيما سما فوق السماك بهمة هماما جليل القدر حر الضمائر
فيأمر بالمشروع فی كل محفل وينهى عن المحظور طبق الاوامر
ويصدع بالقول الصحيح نصيحة ولا يرهبن فی الحق أقسى الجبابر
وكم ذب عن دين النبی محمد ودافع عنه بالردود البواتر
فضائله سارت إلى كل وجهة وأخلاقه مثل الرياض النواضر
وما دأبه إلا اتخاذ صنيعة وكسب معال وابتناء مآثر
وانفاق مال فی سبيل مبرة واسداء معروف لبر وفاجر
وارشاد ضلّيل واصلاح فاسد وابداء مستور واحياء داثر
وتقويم متآد وتوضيح منهج موارده مأمونة كالمصادر

مناقب لم يبلغ مداهن ناثر فصيح ولم يستوفها نظم شاعر
عليه سلام الله ما عبرة همت وما فاه بالتأبين عبد جزائرى
فيارب قابله بعفو ورحمة وعامله بالغفران ياخير غافر
واحسن اليه وارض عنه وارضه بكل نعيم لم يجل في الخواطر
وبالحور والولدان آنسه منة وانزله فى الفردوس دار الاخاير
وارو صداه من رحيق ختامه هو المسك يزرى عرفه بالازاهر

وقال من مرثية طويلة الفاضل الشيخ محمد حسن مرسي الدمياطي بمدرسة روضة العلوم الإسلامية فى ميت غمر.

وكيف لنا صبر وان محمدا امام الهدى للناس غيب فى الثرى
امام حوى لا ريب كل فضيلة ومن مثله قد طاب أصلا وعنصرا
فكم كان للارشاد والخير داعياً وما عن دعاء الخير يوماً تأخرا
وكم حث ميسورا الى البر والتقى وبين فضل الله فيه وأظهرا
فلباه مذ ضاءت سماه فؤاده وأثر فيه الوعظ منه وأثمرا
وجاد ببذل المال عن طيب نفسه وأوقف ماينمو دواماً ليؤجرا
وكان كثيرا ما يجول بفكره الى حال اصلاح الورى متبصرا
فحين رأى حكم الشريعة عاطلا أجاد بمشروع النفوذ مدبرا
فيا حزن أحكام الشريعة بعده فقد كان للاحكام والدين ناصرا
وصبى أيا (ميت غمر) كل عشية دموعك حزناً واجعلى الدمع أحمرا
فهذا الذى أحيا معالمك التى أزال وأفناها الحريق ودمرا
فلولاه ما فقت المراكز رونقاً وما عاد منكوب الحريق ميسرا

﴿ مرثية لفقيد الوطن والعلم الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل العلامة الأوحد والفهامة الامجد الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله ﴾

من نظم الفاضل صاحب التوقيع

على مثل هذا الخطب عز التصبر فكيف يعزى القلب أم كيف يصبر
فما كل شيء يستعاض بغيره وما كل عبء حمله متيسر
ولكنما الأيام لادرّ درها تحملنا مالا يطاق فنصبر

(ومنها)

وما كل خطب مثل فقد محمد امام الهدى من فضله ليس ينكر
فمذ بارح الاحياء مفتى ديارنا قد اشتدت البلوى وعيل التصبر
فمن مثله يلفي لكل ملمة ويسهر للخيرات وهو يدبر
ومن مثله للرأى ان حل طارق به ارتجت الدنيا وحار المدبر
ومن مثله للقول فى كل معرض ومن مثله للصالحات ميسر
خبير بكنه الحادثات مجرب يطالع أحوال الزمان ويخبر
هوالفرد فى مصربل الفرد فى الدنا وأوصافه كالشمس بل تلك أشهر

(منها)

لقد كان فى المنقول ثبتاً وحجة كذلك فى المعقول أعلي وأشهر
ولولا تلاميذ له بعد موته تقوم بنشر العلم ما كان ينشر
ولولا تآليف بحسن عبارة لما كان در اللفظ فى الكون ينثر
ولولا رجال هذبتهم علومه لما كان نور العلم فى الكون يظهر
ولولا تقارير أراد بنشرها صلاح الورى من كان للحق ينصر
ولولا ردود ما سمعنا بمثلها لكانت نبال الطعن فى الدين تكثر

ولولا تدابير بثاقب فكره   لما كان روض العلم ينمو ويثمر
فللرأى أقوام وللخير عترة   وللعلم أنصار وللحق معشر
وما كل رام يستفيد برميه   وما كل من قد حاول الأمر يظفر
وما كل ذى لب مثال محمد   فان مثال الشيخ لا شك يندر

محمد غنيم المدرس بالمدارس الأميرية

﴿ رثاء الأستاذ الامام ﴾

للأديب الفاضل (م . غ) من إحدى مدن القطر السورى

رويدك ما هذى الخلائق يا دهر   فأنت خؤون العهد دائدك الكبر
وأينك تعتام الكرام من الورى   وترفع مخفوضا وتخفض من يسرو

ومنها فى خطاب الموت

كأن الملا ملك ليمينك ماتشا   فعلت فلا نهى عليك ولا أمر
وتغتال أهل الجود والندب تصطفى   ويدفع فى تيار أهوالك الحر
وتبقى على أهل النفاق وحزبهم   ولو كان من أعمالهم يهضب الشر
وتمهلهم والكون يشكو فعالهم   وأن وفرت أرهاطهم ونما الوزر
فهل لكرام الناس عندك دمنة   فتطلبها أم ذلك الخلق الوتر
ففى كل يوم منك هول يخيفنا   وذا اليوم خطب شبه أهواله الحشر
نضوت علينا فيه تبغى قراعنا   بواتر من أغرابها يهمع الضر
مصاب به عم الأسى الكون كله   وأضرم فى الأكباد مادونه الجمر
وقطع أصلابا ونكس أرؤسا   وأجرى دموعا لا يقاس بها البحر
وأهلك أجساما تفانت بحبه   كأن أقصدتها فى الحشى قضب بتر
وأخرس أفواها حبسن لمدحه   يفوح لها فى كل مجتمع نشر

فيالك من رزء عظيم لو انه أناخ بأصلاد الصفا هالها الأمر
ووا أسفاه يا موت كيف تغوله وتترك هذا الكون ادمعه غزر
فهات من الارزاء ما شئت بعده فصار سواء عندى الحلو والمر
فقد كان للاسلام حصنا وموئلا وسيفا صقيلا إن سطا حادث نكر
وكان لنا فى كل مشكلة صوى وبدرا ينير النهج إن فقد البدر
فاما عويص العلم عسعس ليله أتاح له من شمس أفكاره فجر
بتفسيره الشافى شفى الروح والحجى فزالت به حجب أظلتهما كثر
فكم آية أعيت أزال لثامها فهانت لدينا وهى من قبله بكر
ومن بعد للفتيا يقوم بعبئها ويغنى كفتياه ولو بحر النحر
فياويحها بعد الحكيم معينها إذا ماذيول الجهل فى الدين قد جروا
ومن بعده للمشكلات ينيرها إذا ما ادلهم الخطب أو أغطش الأمر
ومن يصدم الاخطار إن نزلت بنا وفى صدرها الرحب الضغينة والوغر
ومن بعده للدين يعلى مناره إذا ما بنوه بالغواية قد أثروا
إذا ما عن النهج القويم تنكبوا وفى لجج الأوهام سفن الهوى أجروا
إذا ما شيوخ ران فوق عقولهم تقاليد ترديهم ولو كرم النجر
فقد خاف أن يقضى على الدين بعدما أشيدت صياصيه وينثغر الثغر
ويهدمه أهل العمائم ضلة فويلهم فى تلكم الدار والخسر
أجل كان ما يخشى الامام وقوعه فهم هدموا دينا دعامته الدهر
وكان لهذا الدين قطب شؤونه ومرشده والأمر مشتبه وعر
فقام به خير القيام بهمة مضت أين منها العضب والفتكة البكر
وقاوم أرباب الضلال فحطهم الى درك الخذلان لم يثنه غمر

وجاهد فى الرحمن حق جهاده ولم تلهه دنيا وماراقه نضر
فطوبى لأرض مس جسمك تربها وضمت بها أعضاء جسانك الطهر
فانك سيف الله ياعبده الذى بك الدين يزهى والفضائل والفخر
وأنت لدين الله ترس يصونه وأنت له فينا أنامله العشر
بنيت مبانى عزّها بعد هدمها وقمت بعبء الأمر رائدك الصبر
فكم لك يامولى العظام وبدرها مناقب جلت أن يحيط بها الفكر
إذا أشرقت فى حندس الليل أفزعت كتائبه كلورق طاردها النسر
مناقب أين الصبح من نور وجهها وأين السهى والشمس والانجم الزهر
فلو رام حساب البسيطة حصرها لاعجزهم فى عشر معشارها الحصر
ويكفيك مما نلته من فضائل مهابة ذكر لا يطاوله ذكر
وحلم وحزم واقتدار وحكمة وفرط بيان لا يقاس به السحر
وكم لك فينا من أياد طويلة سيحملها من فوق عاتقه الشكر
ونرسمها فى صفحة القلب بالثنا ونذكرها بالمدح مابقى الدهر

ونظم الفاضل الشيخ حامد محمد مدرس العربية بمدرسة الجمعية الخيرية بطنطا مرثية طويلة منها :

أياموت موّت الجميع بموته وصُلت على الآداب والدين والطهر
فياضيعة الاسلام من بعد فقده ويا ظلمة الأيام بعد اختفا البدر
قضى فانقضى عصر المروءة والندى ومات فماتت دولة المجد والفخر
مضى وله الذكر الجميل مشيع وقد شاع عنه كل مكرمة بكر
مضى فرأينا العلم أول نادب وأول مفجوع بذا العلم الحبر
مضى وقلوب المجد حرّى لفقده وأكبده شقت على ذلك الحر

بكته عيون كالعيون سوائل وكالسحب تبكى فى الرياض على الزهر

(ومنها)

مآثرك الغراء أضحت كأنها نجوم أنارت فى الدياجى لمن يسرى
ألست الذى قد جمل الدين بعدما تشوه بالالحاد فى الاعصر الكدر
أقمت بناء العدل بعد انهدامه وقمت بأمر الله فى السر والجهر
وكنت لنا بحرا يفيض بدره وكنت لنا عونا على نوب الدهر

(حرف السين)

﴿ رثاء حكيم الشرق ﴾

من نظم الشاعر الأديب السيد حسين وصفى رضا شقيق جامع الكتاب

ماتت لموتك يا إمام الناس فى شرقنا ونزلزلت آساس
كنت الرجاء لأمة منهوكة أودى بها التقليد والوسواس
كنت الزعيم ومصلح الشرق الذى ألقت إليه رجاءها الأجناس
كنت الذى اماً أخذت براعة شخصت لتعرف ماتقول الناس
أنت الذى أوجدت فينا نهضة لو أنها دامت لزال الباس
أنت اقتلعت اليأس من ألبابنا حتى إذا ما زلت عاد الياس
أنت الذى لا يرتجى خلف له أو من برب المصلحين يقاس
بل أنت فرد فيك قد جمع الورى وحكيم أهل الشرق والنبراس
كم أيم لولاك سادت حالما وبيوت مجد هاضها الافلاس
حاولت أن تحيى شعوبا غالها ما فرط العلماء والسواس
وانتشت قوماً من براثن صيلم نجبوا وكادت تخمد الانفاس

ودلت منبرنا على طرق الهدى ... وحننتهم أن يرأفوا ويواسوا
نازلت (هاتوتو) وآب وقد نسى ... ما هاجت اللوردين والألزاس
ورددت (ريبان) الجحود مغاضباً ... متمنياً لو مزق القرطاس
لولا فئات أخطأت سبل الهدى ... لنما غراسك بل ذوت أغراس
نصبوا الحبائل يبتغون لك الأذى ... فزجرتهم لم يثنك الايجاس
زعموا بأن هداك لا يجديهم ... ما دام إجماع لهم وقياس
فتنكبوا النهج الذى أشرعته ... ولهم من الخزى المشين لباس
جاسوا خلال الدار يبغون الأذى ... ثم انثنوا يرجون لو ما جاسوا
يتربصون بك الدوائر حسبما ... يوحى إليهم ذلك الخناس
حاربت جيش الجهل فينا حقبة ... فأراد صدك معشر انكاس
فهجمت حتى أن تركت جموعهم ... متخاذلين وكلهم أنداس
وبدت لهم أخلاق صيد منك ما ... شاء الإله سماحة وحماس
راموا لحاقك يا إمام وفاتهم ... هم انهم خزف وأنك ماس
ياويح قوم ضيعوك وفرطوا ... فكأنهم باتوا ولا احساس
ياويح هذا الشرق مات حكيمه ... فغدا كجسم حز منه الرأس
كانت مجالسنا كأعراس به ... فغدت مآتم تلكم الأعراس
كانت منازله القلوب فبدلت ... وقد استعيضت بعدها الأرماس
فلتندب الأيتام بعد كفيلها ... ومجامع التدريس والجلاس
ولتبكه الزورا ومصر وفارس ... والهند ثم الشام ثمت فاس

(حرف العين)

﴿ رثاء الإمام ﴾

للشاعر المجيد أحمد افندى محرم الشهير

خفض الصوت أيهذا الناعي | رحمة بالقلوب والأسماع
أنعيت الإمام يعتصم الاسـ | ـلام منه بشاهق ذى امتناع
أنعيت الامام يحيي به العلـ | ـم ويغدو مناره فى ارتفاع
أنعيت الامام يأوى إليه الـ | ـفضل والنيل والعلى والمساعى
إنه من شئت غيره ولك الحكـ | ـم ومنا الرضى بغير نزاع
إنه الضن والاباء وما ليـ | ـس بمستهل ولا مستطاع
إنه السيد البعيد مدى الهمـ | ـة والايد الطويل الباع
إنه المصلح الذى براب الأمـ | ـر إذا هم صدعه باتساع
إنه الشارح الذى يجمع الخيـ | ـر برأى يغنى عن الاجماع
إنه المرشد المسدد لامر | شد أولى منه بحسن اتباع
إنه ذلك الحكيم الذى أبـ | ـرأ مرضى النهى من الأوجاع
أنه ذلك الملهم الذى أبـ | ـدع فى القول أيما إبداع
يابراع الامام أينك تسـ | ـتل ذليقا تفل كل براع
فلك الموت إذ طواه وكنت الـ | ـموت يطوى الشجاع بعد الشجاع
فى جهاد حمى به بيضة الديـ | ـن لدن رامها ذوو الأطماع
كر والقوم يمنعون فرارا | خيفة الموت فى ظلال القراع
فرمى الدارعين منه بعزم | ظل يفرى سوابغ الأدراع
فابذعروا بهم كلوم تفرى | عن مراق يروى ظماء البقاع

كرة بعد كرة وصراع … للامام الهمام بعد صراع
يتنحى واحدا يشيعه بأ … س شديد يغني عن الأشياع
شكر الله منه حسن بلاء … خير شكر يبقى بغير انقطاع

* * *

يابنى الشرق والمصيبة ساوت … فيه بين الجليد والمجزاع
خبرونى أتعرفون له ندا (م) فاني جم عليه التياعى
إننى خفت أن تضلوا فلا يد … عوكم بعده إلى الرشد داع
إننى خفت أن يضيع دين … كان يأوى منه الى خير راع
أين أنداده الذين يرجيـ … ـهم إذا ناب مفظع لدفاع
أين حساده الذين أضاعو … ه ولو شاء عوقبوا بالضياع
كف عنهم ولم يكن بالذى يو … لعه بالاذاة لؤم الطباع
كان فى المحفظات هضبة حلم … ومكان الهضاب فوق التلاع
عجبا للحمام كيف طواه … غير ما هائب ولا مرتاع
إنه كان ذا جلال يرد العين … حسرى عن مشرق ذى شعاع
واباء ما كان يترك خطبا … ذا اباء بغير ما اخضاع
أطواه بأمره فهو ذو الأمر … الذى لم نجده غير مطاع
سار عزريل إذ دعاه اليه … مطرقا من تأدب واتضاع
مغدقا دونه القناع وما عو (م) د قبل الإمام لبس القناع
عالج الروح جازعا مستقيلا … فلحاه فغالها بانتزاع
حملوه وكان من قبل بالأ … ثقال إما تظاهرت ذا اضطلاع
ثم ساروا به إلى حيث لا يطـ … ـمع منه ذو خلة فى ارتجاع

كادت الأرض يوم ذلك تنش (٠) ق فتهوى بنا إلى شر قاع
لست أرجو له من الأرض صقعا فهو ثاو فى أشرف الأصقاع
إنما تشرف البقاع بمن فيـ ها وعى ذاك منذ آدم واع
ودعوا فيه أمة وبلادا آذنت بالذهاب قبل الوداع
صاح ما بالنا نغر بدنيا أخذتنا بزخرف وخداع
فتنتنا خضراؤها فانتجمنا ها وانا من الردى فى انتجاع
وازدهانا متاعها وهو لو فكـ رت فى منتهاه شر متاع
ما انتفعنا به وما طلب الشى ء لغير استفادة وانتفاع
قل لمبتاعه غبنت فهل تر غب فيما يطيب للمبتاع
خير حرث الفتى عفاف وتقوى واصطناع للخير بعد اصطناع
صاح ان التآمنا لالى بيـ ن يعنّى نفوسنا وانصداع
راحل بعد راحل ومذاع من حديث المنون بعد مذاع
يوشك الدمع أن يخون المآقى بعد طول التهمال والتهماع
ويكاد الأسى المبرح أن يعـ وز قرح الأكباد والأضلاع
ان بؤس الحياة فيما بدالى لـكثير الألوان والأنواع
فهى فيما تحوكه من أذاها وأفانين كيدها كالصناع
شاقنى مضجعى بحيث ثوى الصحـ ب فياربِّ هل يؤون اضطجاعى
إنما هذه الحياة جهام مؤذن كل ساعة بانقشاع
إنما نحن كالفرائس نلهو والمنايا من حولنا كالسباع
أكلت قبلنا الشعوب وغالتـ نا وما إن تبيت غير جياع
يا إمام الهدى عليك سلام ما نعى هالكا من الناس ناعى

وقال العالم الفاضل « ح . ر » من سوريا

ما الصبر ملكا لمن كأس الاسى كرعوا ولا الخطوب إذا ما أشرعت شرع
وهل لنا غير حس مائل قلق يديره الدهر إذا تأتى به البدع
من الأولى صبروا فى كل حادثة وما استفزوا لما يعلى وما يضع
من الأولى زعموا أن الخطوب وأن مقدارها جل لايعروهم الجزع
يارب صدمة رزء لاينوء بها قوم ولا الارض من وجد لهم تسع
ألم تروا كيف أهل الله حين قضى (محمد عبده) من حزنهم وجموا
وهم هم القوم لا للمشتهى انبسطوا ولاهمو لسوى ذا الخطب قد كنعوا
أقدامهم وهى تلك الثابتات غدت لذاك ترجف والالباب تنخلع
وأى شعب من الاسلام ماصدعت هذى الرزية أى فيه مافجعوا
لقد قضى اليوم مفتى مصر وأسفا فقدت ياشرق فردا فيه ترتفع
قضى الذى نهج النهج السوى وقد فاز الذين لهذا النهج قد تبعوا
قضى الذين لم شمل القوم من شمث وروق الدين مما رنق الشيع
قضى الامام الذى كان منتصراً للحق يصدع بالبرهان لايرع
والناس فى غفلة لايعرفون سوى الـ موروث والناس للآباء تتبع
عوائد أخذوها عن معاشرهم وقدسوها جميعا بئس ماصنعوا
فانظر وقد قام عبد الله ينذرهم من التقاليد عقباها ليرتفعوا
وانظر لشخص وحيد قام فى ملأ يدعو لغير الذى فيه قد انطبعوا
هذا هو الفرد بل هذا هو العلم السا (م) مى الذى حزبه فى نوره سطعوا
هذا الامام الحكيم الشهم ناصحنا هذا العليم الذى يحلو به الولع
إني لأعجب من قوم وقد عرفوا مقداره كيف يوما بعده هجعوا

لادر در المنايا انها نصبت للناس اشراكها كل بها يقع
والموت تجلبه هذه الحياة كما قد قال ذو حكم أقواله بدع
ولو فدى منه مره لافتدى زمر هذا الامام ولا تلقى بهم قرع
فلنحزنن عليه مانعيش وان لم يجدنا بعده فى عمرنا الهلع
ولتبكه أربع بالعلم عمرها وليأسفن له من أرضنا الربع
أيا حكيما فقدناه ففارقنا حلم وكنا به من قبل ندرع
بثثت فى الشرق نور العلم فارتشدت بنوه حتى سبيل الارتقا شرعوا
خلدت ذكرا جميلا ليس ينسخه الحسا(م) د مهما لارواح لهم بجعوا
سقى ضريحك غيث الفضل ممتزجا بالجود رب له أهل النهى خضعوا
ولا تزال بعليين مبتهجا بالقدس نم وبالاملاك مجتمع

الخطب العظيم

للاديب الفاضل عباس أفندى المصفى اللبنانى نزيل الاسكندرية

لقد حل فى مصر المصاب المفجع فأى فؤاد منه لا يتصدع
قضى عالم الشرق الامام محمد ومنه خلا ذاك المقام الممنع
أهاب به داعى المنون فأوشكت كبود المعالى بعده تتقطع
لئن تك مصر قد بكت وتوجعت فحق علينا ذا البكا والتوجع
فما نابها رزء كرزء محمد ولا هالها خطب أشد وأوقع
على حين قل المرشدون إلى الهدى وقد يقظ الاعداء والقوم هجع
فكم كانت الآمال تزهو بسعيه فأظلمت الآمال والغى معزع
وكم ذب عن دين البلاد وحقها وذاد أذى لولاه ما كان يدفع

وأنهضها من كبوة بعد كبوة … وحاذران يسرى إليها التضيع
فأسلمه الدهر الذميم إلى الردى … وان الردى بالحازم الحر مولع
ففى كل يوم للمنية صيحة … وفى كل يوم للفضيلة مصرع
قضى رجل لو قيض الله مثله … لمصر لكانت بالمنى تتمتع
فمن بعده للجد والعلم مأتم … وللفضل والعليا اسى وتفجع
فيا وحشة الدنيا لغيبة مرشد … الى فضله تمشو وما هو يرجع
فقدنا اماماً نابغا نسيج وحده … له فى هدى العلم الصحيح تضلع
ومولى سديد الرأى مكتمل النهى … وندبا رشيدا لم يشبه التصنع
وقد كان فى الدنيا وفى الدين مرشدا … وبينهما آياته تتضوع
فقدناهماما كان للشرق حجة … على الغرب فى عصر به الشرق يخدع
فقدنا بليغا يعلم الكون انه … خطيب جرىء راجح القول مصقع
وقد كانت الأقلام طوع بنانه … يحوك بها وشى الكلام ويبدع
تقلد فى مصر المناصب فاعتلى … به العدل لما كان يقضى ويشرع
وكم عالج الداء الدفين بمعطن … غدا فيه للغرب المسيطر مطمع
وأوجد فيه نهضة حيوية … طريق الهدى منها إلى النجح مهيع
ومهد فى مصر السبيل إلى العلى … فهل يحصد الاهلون ماكان يزرع
وآثاره فى الدين والشرع والهدى … لها فى بلاد العالمين توزع
إلا أيها المولى المجاور ربه … لقد شهدت فى فضلك الناس أجمع
بعدت عن الدنيا ولو ردك القضا … لكنت ترى ماقيل فيك وتسمع
كأن الورى من قبل موتك مادروا … بأنك من أهل الترفع أرفع
فلما أحلتك المنية فى الثرى … وأضحى عماد المكرمات يزعزع

أصابهم الخطب الجسيم وهالهم ممالك حتى سيد القوم موجع
فناح عليك العلم وانبت عقده وشتت من أهليه شمل مجمع
وكان رجاء القطر ان تبتنى له من العلم مغنى منه للنجح مطلع
وان ترشد الشعب الكثير إلى الهدى * فيعقد منهم للتناصر مجمع
وان تنجد القوم المجدين نجدة تصح لهم فيها المساعى وتنفع
لقد عظم الحزن الذى أنت تارك بمصر وليس الحزن بعدك يردع
وسار إلى الشام النعى فهالها مصاب وأضحت بالأسى تتلفع
وتلك بلاد فى مناصب مجدها رجال على اجلال قدرك أجمعوا
فلم تنس أرض الشام قط محمداً ولم ينس أهل الشام ماكان يصنع
فبعدك للقطرين حزن وحسرة لأن على القطرين فضلك يسطع
فما مقلة فى مصر إلا ومثلها بسورية أخرى من الحزن تدمع
عليك سلام الله ياعلم الهدى ويابدر علم كان فى الشرق يطلع
ستموت علوا فى الحياة وإنما مقرك فى الفردوس أعلى وأوسع
رحلت عن الدنيا وغادرت أهلها ينوحون ذاراث وذك مودع
وأبقيت بين الناس ذاكرا كأنه على هامة التاريخ تاج مرصع

وقال أحد علماء تونس وقد نشرت فى جريدة الصواب التونسية الغراء

أحق نصير الدين قد عز مرجعه وسار به من مأهل الموت مسرعه
وصدق يقال مات عالم ديننا ومن كان فى الاسلام يشكوه مبدعه
توفى مريد الخير للدين والورى ومات ولم يعتد فى الناس مشرعه
توفى عن الاسلام وهى رزية وما بعده للدين رزء فيفجعه
فقل لطروس العلم شقى جيوبك فلا كاتب للطرس من بعد يرفعه

وقل لمنار الدين ينقص نوره حداداً على من كان للعلم يجمعه
فمن لكتاب الله يكمل شرحه ومن لصلاح القوم مذعز مترعه
ومن للدروس والخطابة بعد ما قم العلم والتقرير قد غار منبعه
ومن لنوادى العلم بعد رئيسها والخير والتحقيق إذ مات مبدعه
فصبراً نرى الاستاذ يودع فى الثرى ويلبس ثوب البعد ثم تودعه
دعا (عبده) الرحمن إذ كان داعيا فأصبح ذاك الطود يحويه مضجعه
فحق على الأيام تبكى عليهما وتسأل للاسلام خلفا فينفعه
وإلا فذو التقليد مبدع دينه يسير بما يهواه والخلق تتبعه
وأف لدهر لايغادر عالما حريصاً على الاسلام يعنيه مشرعه
وتعسا لهذا الموت ان كان دائما يخير خير الناس فينا فيصرعه
ولكن هى الأيام ليست بواقيا فبينا تعيد القلب ريان توجعه
ومامات (عبده) فى القلوب وانما يعيش على التحقيق مادام متبعه

ونظم الفاضل محمد أمين أفندى عبد الرحمن بالقصر العينى مرثية طويلة مطلعها
خطب ألم وعم الكون مصرعه والقلب ذاب فلا وصل يرجعه

(ومنها)

قد كان بحر علوم راق مورده وفضله فى صدور الخلق موضعه
قد كان روح حياة فى مشارقنا ومن تزود منه كان ينفعه
وإذ توسد تربا كيف نطمع فى تلك الحياة وهذا الروح نودعه
قد كان غوث رجال فى غوامضهم وفى صعاب أمور الدين تسمعه

(وقال فى ختامها)

أبكيك طول حياتى والورى عضدى بكاء منقطع الآمال تولعه

وان جفنك دموعى بعد شحتها فذاك نظم بياقوت أرصعه
وهاك تاريخه وجد يكمله خطب ألم وعم السكون مصرعه
١٣ ٦١١ ٧١ ١١٦ ١٠٧ ٤٠٥

﴿ حرف الفاء ﴾

﴿ رثاء الامام فقيد القطر ﴾

من مراثى الفاضل محمد افندى أبو طالب الاسكندرى

دهتك الليالى بالذى تتخوف فصرك قاع فى الممالك صفصف
مضى واحد الشرق الذى كان يرتجى لنشر علوم من مجانيه تقطف
ولم يك إن عد الرجال بواحد ولكن بآلاف ومن عد منصف
فديتك هل فيمن تقادم عهدهم إمام بهاتيك الفضائل يوصف
وقد كان ذاك العصر عصر حضارة لأبناء هذا الشرق فيه التصرف
فكيف وقد كدنا نموت جهالة وبتنا بأغلال التقاليد نرسف
فضاعت أمانينا وقل رجاؤنا وليس لنا إلا الأسى والتأسف
ولما رأينا منه عزما وهمة ونفسا على أسنى المقاصد تشرف
تبعنا هداه واقتفينا طريقه لنيل المعالى وهو بالطرق أعرف
فأسس للاسلام جمعية بها يعز ذليل فى البلاد ويشرف
وأصلح حال الأزهر بين بعدما تصدى له فى ذلك المتعسف
واعرض عن قول السفيه تكرما فعاد على أعتابه يتزلف
ورد (هنوتو) حين شط به الهوى وصال بسيف الحق والسيف مرهف
فكان لدين الله أعظم آية بها طرف أعداء الهداية يطرف

وفسر آيات الكتاب على هدى ... فتفسيره بين التفاسير مصحف
وكم بدع فى الناس أبطل حكمها ... وكانت سيولا للشريعة تجرف
وكم من ضلالات سعى فأزالها ... ليظهر للاسلام نور وزخرف
وما كان جود الشيخ قط بعلمه ... ولكنه قد كاد بالمال يسرف
فقل لاناس حاولوا الجرى خلفه ... رويدكم ما فى السجايا تكلف
فان الذى كنتم سعيتم لكيده ... أبرّ بدين الله منكم وارأف
ولو شاء رب العرش للقطر رفعة ... لما مات حتى يبصر الحق مرجف
ولكن شقاء من قديم مسطر ... وليس لنا عما قضى الله مصرف
فليس الذى قدمات بالامس مثلكم ... ولكنه موسى وعيسى و يوسف
وليس الذى شيعتموه امامنا ... ولكنه لقمان داود آصف
وليس الذى فوق السرير محمداً ... ولكنه المجد الاثيل يرفرف
(وليس فتيق المسك ريح حنوطه ... ولكنه ذاك الثناء المخلف)
(وليس صرير النعش ما تسمعونه ... ولكنه اصلاب قوم تقصف)

﴿ حرف القاف ﴾

﴿ رثاء الاستاذ الحكيم ﴾

جاء فى جريدة الصواب التونسية تحت هذا العنوان ما يأتى :

وردت لنا القصيدة الآتية من بنات أفكار فاضل علامة فى رثاء فقيد الاسلام والمسلمين الشيخ محمد عبده ولرقة معانيها وجزالة مبانيها اثبتناها بحروفها وهاك هى :

نعى الأستاذ ناعى الشرق فينا ... فيالله من قلب يمزق
احقا ايها الناعى احقا ... أليس الموت من علياه يفرق
لعمر للامام وليس هونا ... نكاد من الجلالة لا نصدق

فمن للدين ان ضاقت رجال فأعيا فكرها ما ليس تلحق
ومن للمصلحين يكون رأسا لنهضتهم إلى شرف محقق
لقد كانوا به كالعقد حسنا فها بوفاته عقد تفرق
فان يهلك فكم أمل تقضى وكم فوز لامتنا تعوق
فقل للشامتين مقال صدق افيقوا ان جمعكم تفرق
لقد اصليتمو كبدا شريفا فكان على تأخركم يحرق
فان يسأل غدا عن حزب سوء يعارض نصحه مهما تحقق
فسوف يقول انى رمت جمعا ولكن شاط غيظهم ففرق
مضى الأستاذ فليك يوم حشر لان الشمس قد غربت بمشرق
تذكر يومه العلماء دوما فتوشك كل نفس منه تزهق
لقد جبست بنا عبرات حزن فكانت كالشجا الحلق تشرق
فليت لنا لسانا شاعريا فندأب فى رثا الأستاذ ننطق

﴿ حرف الكاف ﴾

مرثية لمحب مستخف إخلاصا فننشر معظمها

بكت الانام دما وحق لها البكا وشكوا مصابتهم وحق المشتكى
يا راحلا أدمى القلوب رحيله لو كنت تصبر برهة ما ضركا
سارعت كى تلتقى الآله وطالما سارعت فى الخيرات ترجو ربكا
ورضيت من لقيا الآله وطالما رضى الآله وقد رأى أعمالكا
فالبر والتقوى ونافلة الدجى والنصح والدين المبين بكينكا
من للحيارى والسكارى من لهم والليل اقتم ليس فيه ضياؤكا

كانت تنير لك الظلام قريحة وقادة تنبى بها أنباؤكا
جاهدت أعوان الضلال بهمة قعساء لم تعرف سواك وغيركا
وخطرت فى ميدان كل كريهة أخطارها عن خوضها لم تثنكا
ودفعت عن دين النبى مخاوفا لولا اجتهادك فى الدفاع لا وشكا
وهديتنا ولأنت أفضل مرشد والنجم فى الظلمات يفعل فعلكا
والناس ان يبكوك يبكوا وارثا علم النبى وهل يرون مثيلكا
والله ان ابك الامام فقد بكى كل الأنام وإن شكوت فقد شكا

﴿حرم اللام﴾

قال العالم النحرير والكاتب البليغ الشهير ابراهيم بك اللقانى المحامى :

جدع المقدور أنف الحيل وقضى المولى مناط الامل
فاتنا وهو يعانى رشدنا ماترى عنه لنا من بدل
عقم الازهر عن ثان له وثنى العقم مصاب الشكل
فعلينا ـ ولو العيش لنا ـ لا عليه انقض عادى الاجل
كان مفخورا بنا الدين فعا د به يفخر كل الملل
أى وربى انه كان كما يرتجى من وارث للرسل
كان للدين وللدنيا وما كان فيه مغمز للقول
ان بكاه منصب الفتيا فقد كان كالفاروق فيه وعلى
أمة الفطرة كانت همه لم يكن عنها له من شغل
كان لا يهنيه الا ان يرا ها على متن علاها الأول
نهج القصد لهذا جهده وهو جهد لم يكن فى رجل

نهجه كان كتاب الله حيـ ث كتاب الله خير السبل
ولكم جاهد فى هذا السبيـ ل وكم أبلى بلاء البطل
وسرت دعوته تجتث غر س الاساطير ومرعى الزلل
وترقى الفطرة الغراء لا شيء فيهامن غواشى الخطل
وجرى فى الناس روح لم يكن جريان الحس بعد الشلل
ودروا منزلة العقل وقد كان هرآً فى الحضيض الاسفل
وانتهى للحجة الحكم وصا ر على العلم مدار العمل
هذه آثاره سيان فيـ ها ضرير وحديد المقل
قدس الله له روحاً غدا عند ذى العرش كريم المنزل

﴿ رثاء المرحوم المفتى ﴾

للشاعر الأديب الشيخ حسين محمد الجمل المدرس بالمدارس الأهلية

مصاب عظيم وخطب جلل وللصبر بينهما مرتجل
ورزء به انقض ركن الهنا وقوض قوى صروح الجذل
وسهم أساب صميم المنى وقد حل عقد مكين الأمل
وبؤس محا شرفات النهى واصمى القلوب وادمى المقل
لقدغاض فيض الهدى وذوت غصون السداد وساد الخطل
وأظلمت الاوض بل والسما وغطى الكوا كب سترالخجل
وطاح من الدهر برهانه وأصبح كف الزمان أشل
هو الموت لايتقى بالقوى وتدفع صولته بالحيل
طوى صحف الامم الغابرين وأنشب أظفاره فى الدول

ولكن يعجل بالأمثلين ونهلهم بالكؤوس الاول
وما راعنا منه يا ويحه سوى فقد هذا الامام الأجل
إمام الأئمة فى عصره وأعلمهم بأصول الملل
وأعرفهم بشؤون الحياة وأبعدهم عن مناط الزلل
وأحسنهم فى ضروب البيان وأتقنهم لجيد العمل
وأرفعهم قدراً وأنفذ فكرا وأسير فى ذكره مثل
وقد كان اخطب أهل النهى وأجمعهم لفنون الجدل
يسل سخائم غل القلوب وينزع منها خفى الدخل
يصور سامعه كيف شاء وينزل منه بأعلى محل
فان ناصحا كان أو زاجرا فاما شفاه وإما قتل
وأبرع أهل اليراع حجا وأعملهم فى احترام الوجل
فان يراعته فى الطروس أدق شبا من سنان الأسل
وإن براهينه القاطعات أمد ظبا من حسام البطل
وأقدر أهل العقائد فى وجوه الدفاع وقمع العذل
فكم شبهة قد محا ليلها وعقدة مشكلة منه حل
وكم صد عن دينه عابثا وكلل حملته بالفشل
أعز بنى المجد فى حزمه وعن منتهى عزمه لا تسل
سمى المراد ذكى الفؤاد فى رأيه للهدى محتفل
ومن فكره تستضىء الغيوب ويلهم سر ضمير الأزل
أمفتى مصر ونبراسها عصيب فراقك لا يحتمل
فيالك من طود فضل هوى ويالك من بدر هدى أفل

فلو كنت تفدى لكنا الفدا ولكن لكل حياة أجل
فمن للسياسة أو للكيا سة أو يستشار لدفع الغيل
ومن للعزائم أو للمظا ثم من يستخار إذا الخطب جل
ومن للعناية بالبائسي ن يدرأ عنهم جيوش الملل
ومن يغرس الفضل فى فتية لهم من حلى العلوم عطل
لتبك عليك عيون العصور لأنك إنسان تلك المقل
وهمتك المنتهى شأوها الى أمد تسترق الأمل
لتبك لفقدك نشأة جد بها قد صدعت فؤاد الكسل
نفحت فتى القطر سر النجاح وروح النشاط وحب العمل
وكم لك فى المسلمين يد يرى البحر من دونها كالوشل
لقد كان بدر سماء العلى فكيف عليه التراب اشتمل
وقد وسع الدهر فى علمه فكيف بهذا المضيق نزل
أيا قبره الممتلى حكمة ليحسدك اليوم برج الحمل
سلام عليك وليس السلام سوى رنة من أنين الملل
سلام الذى ليس يخشى الخطو ب وكيف يخاف الغريق البلل

﴿ رثاء العلامة الشيخ محمد عبده ﴾

وقال العلامة الأديب (عبدالله أفندى الأنصارى) المدرس فى المدارس الأميرية العالية

كل حى الى الزوال مآله قل أوجل فى الحياة اتصاله
رب سار فى رفعة كالثريا تطأ الهام والأنوف نعاله
وإمام يريك ماضمنته أسطر العلم والوجود خياله

وحكيم يصارع الجهل حتى ... صرع الجهل بالسداد قتاله
وعزيز على النفوس مفدى ... جلل الفضل والعلاء جلاله
وهمام إذا الخطب تصدى ... صدع الدهر أو يجاب مقاله
وكريم يجيب كل كريم ... قبل ما يجتديه منه سؤاله
بات والناس فى المقال سواء ... كان أعماله وكان خصاله
هكذا مفتى الديار غدونا ... حين خاب الرجا وبتت حباله
وبدا النعش يستقل كبرج ... سطعت شمسه وغاب هلاله
ورجال الزمان خلف امام ... كمليك فى الانهزام رجاله
طالما سدد الأمور برأى ... يرأب النقص فى سواه كماله
من لنشر العلوم والخير والعد ... ل ومن دأبه الهدى وخلاله
لهف نفس على جليل تولى ... عطل الفكر والعقول انتقاله
ليس خطب الامام إلا كغيث ... أقشعت سحبه وجفت سجاله
حسدته على الكمال أناس ... وسعتهم فيوضه وظلاله
أنصف الناس فى المروءة طرا ... تلك إخوانه وتلك عياله
فسقى الله قبره وحباه ... من نعيم لا يعتريه زواله

رثاء فقيد مصر وعلامة العصر المغفور له الاستاذ الحكيم الشيخ
محمد عبده مفتى الديار المصرية رحمه الله

من نظم الأديب محمد افندى محمود الرافعى من كتاب ديوان الأوقاف

أيسلو فؤادى والأسى متواصل ... ويثلج صدرى والهموم شواغل

(إلى أن قال)

ألم تر خير الناس علماً وحكمة ... وحلماً تردته الخطوب النوازل

امام براه الله من صيغة التقى سجيته علم وحزم ونائل
امام جليل لا يقادر قدره وبحر علوم فضله متكامل
لقد هد للاسلام ركن ومسه لفقدانه خطب على الدهر شامل
لقد كان معوان العفاة ورائد الـ ـهداة وصمصاما على من يجادل
وما كنت أدرى ما فضائل علمه على الناس حتى غيبته الجنادل
فان تـكن الأيام أفنته والقضا فما اندرست آثاره والفضائل
ذروا أدمع الباكين تدمى لفقده وكل جنان بعده يتواكل
وألقوا مقاليد المكارم والتقى فليس لنا من بعده ما نطاول
لئن كان محمود السريرة ماجدا لقد كان محسود النهى لا يماثل
أخو عزمات لو تقسم بعضها على أهل هذا الدهر ما بات خامل
مضى ومضت أيامه وتقطعت لمن يهتدى منه العرى والوسائل
وما كنت لولا الصبر تنفد لوعتى وأسلوك حتى ما تغول الغوائل
كأن بنى مصر غداة وفاته وفود الاولى حول النبى حوافل
فليت الدرارى الزهر أمست لفقده تهاوى وليت الراسيات نزايل
عليك سلام الله ما ذر شارق وما حدثت عنك العلى والفواضل

﴿ كلمة فى رثاء فقيد الشرقيين مفتى الديار المصرية ﴾

للشاعر حسن الذكى حسن افندى شاكر الدمياطى ننشر نا معظمها

خطب أصاب المشرقين جليلا بغداة أضحى النيل ينعى النيلا
أودى عميدهما وشمس فضائل أفلت فلما تنو بعد قفولا
وتنزلت علياؤه وسط الثرى من كان يأنف بالسماك حلولا

تلمس الفتوى سراجا بعده ... حق نرى من لا يفيد فتيلا
هل تعلمين غداة سار إلى النوى ... أى المكارم والهدى المحمولا
قولى لدهر بالنوائب مفجع ... أن قد أصاب بخطبنا التنزيلا
قولى له والخطب أهول مايرى ... صل كيف شئت فما نخاف مهولا
كنا نخافك فى معال خولست ... ومعالم درست وفضل غيلا
فالآن آمن رغم آناف جرى ... كنا نرجى الخوف منه بديلا
كانت حياتك يامحمد رحمة ... لقى الحسود عذابها مخذولا
قالوا وكل فاتح شدقيه لا ... لتلمس التحقيق بل ليقولا
فئة رأت منك الهداية ضلة ... عميا وأخرى تنتحى التضليلا
كانوا وكنت فحين نجمك آفل ... نبذوا العداء ورتلوا التبجيلا
برح الخفاء إذن وأذعن جمعهم ... للفضل يدعى من سواك فضولا
كنت الغريب مكانه وهو هوى ... فمن الغريب وقد رحلت رحيلا
كنت الأسد محجة دينية ... فمن الذى يهدى الأنام سبيلا
يا أيها المولى الذى آثاره ... سحبت على هام النجوم ذيولا
هاتيك نفثة شاعر شجنية ... لولا الأسى ماكان قط قؤولا
الله يرحم أعظما هى منتهى ... مجد العظامى أن يرمه أثيلا
والله أكبر إذ توفى عبده ... أن يمنح الصبر الجزيل جميلا

رثاء الامام فقيد القطر

مرثية محمد أفندى أبى طالب اللامية :

ألمّ بألباب الأنام ذهول ... وحزن على فقد الامام يطول
وأصبح بال الحاسدين منعما ... وران على قلب المحب خمول

وأمست مغانى العلم للجهل مرتعا ... يكر عليها جيشه ويصول
وظل أولو الحاجات يسأل بعضهم ... أما لإمام المحسنين قفول
وكاد يفيض النيل هما ولوعة ... وأوشكت الاهرام عنه تزول
وأضحى الورى اكفاء بعد مضيه ... فكلُّ كريم بيننا وبخيل
ولا عالم يرجى لتفسير آية ... بلى قد تساوى عالم وجهول
عدمتكمو يامبغضية آمالكم ... قلوب عن الحقد القديم تحول
لقد كنت والأستاذ حى أرى لكم ... من العذر مايرجى إليه قبول
أما والهدى قد غاب عنكم بموته ... وأدرك بدر المصلحين أفول
فإن بقاء الغل فيكم ضلالة ... وقولكم زورا عليه ثقيل
فكفوا عن الأستاذ إن طريقه ... طريق سوى ليس عنه نميل
وإن كنتمو تبغون للدين رفعة ... وللقطر خيرا فالمراد جميل
هلموا أرونا كيف يصلح حاله ... وكيف يعز الشعب وهو ذليل
وكيف نرى فى المسلمين توددا ... فيبدو على صدق القلوب دليل
وكيف نربى الناشئين ومالنا ... مدارس فيها للرشاد سبيل
وكيف نرى فى الأزهر العلم حافلا ... كما كان قبلا والهداة قليل
وكيف نرى كف الشحيح سحابة ... لها فوق هام المعوزين هطول
وكيف نحاكى أهل ذا العصر همة ... إذا قرعت للفائزين طبول
هنالك يدعو الدين إن محمدا ... له غرض فى المسلمين جليل
ويعرف فضل الشيخ من كان جاحداً ... ويؤمن طوعاً جاحد وذهول

ونظم الناشىء الذكى محمد فؤاد افندى نجل حسن وهبى بك الازرجانلى مرثية نختار منها هذه الأبيات

هلا بكيت بكاء الخائف الوجل ... على امام همام سيد بطل
على المروءة والاقدام مع كرم ... على التقى والنقا والعلم والعمل
على الذى كان لا تثنيه ثانية ... عن المعالى ولا يرضى عن الكسل
على الذى كان فخرا دائما أبدا ... لمصر والشرق فى حل ومرتحل
على الذى خدم الإسلام مجتهدا ... على الذى فضله كالشمس فى الحمل
على الذى أنشدت فتواه قائلة ... (اصالة الرأى صانتنى عن الخطل)
يا ليت شعرى وقلب الناس منفطر ... والعين جادت لهم بالمدمع الهطل
هل ينبغ الدهر مقداما لنا عوضا ... وعاقلا مفردا يغنى عن الجمل
يا ويح مصر بها الآذان فى صمم ... والعين فى ديم والقلب فى شغل
تبكى على يتمها إذ مات كافلها ... محمد عبده ذو الحزم والرتل
غوثاه غوثاه من رزء ألم بنا ... هل من عزاء لنا فى رزئنا الجلل
لكن عزانا بأن الله قربه ... منه فنال لديه غاية الأمل

وأرسل الينا الفاضل محمد نجيب افندى سرى مرثية نختار منها الأبيات الآتية

أقمت فؤادى أم مقامك ارقال ... وعينى بخلت أم جودك إعوال
وهل بعد موت للامام محمد ... يروعك خطب أو لدمعك إهلال
فكنت كشمس حجبتها سحابة ... وللجهل فى أفق القرائح آصال
وما فل هذا منك عزما وصارما ... فلله أعمام نموك وأخوال
هززت عروش المالكين وقدغدت ... بها يا مقيم الدين صدع واخلال
وعزمك لم يشهد قناة ولم يقد ... جيوشا وقد حارت لبطشك ابطال

ومن يك متن الفرقدين ركابه وأضحى على مهد المجرة يختال
فما الناس إلا غابطون وطلع وما الناس إلا حاسدون وعذال
دفنتم على يا آل مصر بتربها ومصر على دفن الفضيلة تحتال
فلا الدين مشدود ولا الرشد عامل ولا الملك محفوظ ولا نحس الفال
عليك سلام الله يا خير راحل وفى النفس معنى من رحيلك قتال

ونظمت الأديبة البارعة نبوية موسى من تلميذات المدرسة السنية هذه المرثية

لقد مال ركن الدين وانهدم الفضل وأقوت ديار العلم وار تحل العدل
وغالت يد المقدار نفس محمد فكان نصيب الفقه من بعده الثكل
فهلا قضى العافون حزنا لفقده ومادت رواسى الأرض وانطبق السهل
وهلا فديناه بخير هداتنا فليس له فى علمه منهم مثل
وكان سراجا وسط قوم وجلهم أخو رمد أو حاسد صده الزحل
وغيثا على الصوان كان هبوطه وهل تخصب الصما وان هطل الوبل
وما كان إلا رحمة الله للورى فجار بهم عن شكر نعمته الجهل
وسيفا لنصر الحق جرده الحجا فأجلى العمى وارتد فى غمده النصل
قضى عمره فى خدمة الدين جاهدا وكان له فى نصره الباع والحول
ذكى تقى زين العلم فعله بحسن اجتهاد لم يكن شيم من قبل
كريم لكل الناس فيه مآرب فللأغنيا علم وللسوقة النيل
تجمل شمل المكرمات حياله وغاب عن الأحياء فانصدع الشمل
رحلت وللاحسان إثرك لوعة وللحكم والتفسير من بعدك الويل
وفى الخلد اخلاف الذى قد بذلته من العمل المبرور لا يبخس الكيل
سهرت وجاهدت الضلال وأهله وساعدت أهل الرشد حتى انجلى الليل

وبانت كضوء الشمس كل حقيقة فما ضل عن تحصيلها من له
فان جحد الجهال فضلك والنهى فقد كذبت بالافك من قبلك الرسل
مصابك قد ساء المعالى وأهلها كما كان يرضيهم فعالك والقول
ولولا الذى خلفته من معارف لضاقت بنا الدنيا و زاد بنا الهول
وفى بعض مادونته خير ملجأ كما كان قبل الموت فى ر بعك الظل
فصبراً جميلا معشر الشيخ للقضا وهل من مقيم لايشد له رحل

﴿ حرف الميم ﴾

﴿ الخطب الفادح ﴾

لحضرة الفاضل صاحب التوقيع

خطب هوت من وقعه الأعلام طاشت له الآراء والأفهام
وانحل عقد نظام أرباب النهى والنيرات انتابهن قتام
مابال عين الدهر تنقد فى الورى حتى انتقت من دأبه الاقدام
مفتى الانام امام هذا العصر من لمصابه عظمت بنا الأسقام
فلذات أكباد الورى قد فتتت حزناً عليه وعمت الآلام
العلم يبكيه ويندبه التقى والفضل والايمان والاسلام
والأزهر الزاهى توارى نوره وغدت مزلزلة به الأقدام
مقل المحابر قد نضبن من البكا لما بكت لرثائه الأقلام
تفسير آى الله أحكم وضعه حتى أضيئت للورى الأحكام
وأبان غامضه بأوضح حجة عقلية دهشت لها الأحلام
كم قد جلا عن عين أحمد شبهة حارت لها علماؤنا الأعلام

وأماط أستار الضلال عن النهى من بعد ماضلت بها الأفهام
(هانونو) بالبرهان خطأ وهمه وأصاخ حتى مالديه كلام
أمحمد قد عافنى نظمى فلم أوف الرثاء وما على ملام
لم أستطع تعداد فضلك سيدى ولك المآثر كلهن جسام
آل النهى ألهمتم صبرا على هذا المصاب وهكذا الأيام
فامامكم فى الخلد أضحى ثاويا قد سره الاجلال والاكرام
ولسان حال الحور يهتف قائلا اليوم قد حل النعيم إمام

احمد ابراهيم ناظر مدرسة المعاقب بفارسكور

مرثيـة لحضرة الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم مولانا الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية .

من نظم الشاعر الأديب صاحب التوقيع

رويدك أيها الناعى الحكيما نعيت الحزم والخلق العظيما
رويدك أيها الناعى لتدرى بأنك قد نعيت به العلوما
لعلك قد نعيت وأنت ساه فعد فعسى الذى تنعى سليما
وليتك بالشفاء أتيت تشدو فننظم فى مدائحك النجوما
بعيشك هل رأيت مصاب قوم كمثل مصابنا جللا أليما
بعيشك هل رأيت مصاب نفس أضاع بوقعه الشرف الصميما
أجل فمحمد ما مات إلا ليصدع موته الدين القويما
ففكر ما أردت فلست تلقى كريما ينشد الفعل الكريما
ولست بواجد فى مصر إلا مبيدا للمكارم أو مليما

أغرك أن ترى فيها رجالا يرون أن لايروا منهم زعيما
قضى وكأنما الاسلام طفل غدا بذهاب والده يتيما
أأبكيه وأندب حظ جم من الايتام كان بهم رحيما
أأبكيه أم المعروف مالت دعائمه وكان لها مقيما
أأبكيه أم العلم اكفهرت أسرته وكان به وسيما
محمد انما الدنيا أرتنا بموتك ذلك الخطب الجسيما
فان تذهب فما فى العيش خير وهل للخير بعدك أن يقيما
كأن العلم جسم فارقته بفقدك روحه فغدا رميما
كأن مغارس الخيرات روض أتاح له الردى ريحا سموما
لبثت دريئة الاسلام حينا ترد بفضل حكمتك الخصوما
وقمت معضدا للعلم حتى رأينا شأن طالبه عظيما
وقلدت المناصب فاستعزت وكنت بها أبا الامل المروما
فما أغضبت من صلف تقيا ولا أرضيت عن ملق ظلوما
وما أقدمت فى أمر تراه وعدت بغير غايته نديما
ولا فلت عزيمتك الليالى فعارت حسن منطقك الوجوما
ولكن فى قضاه الله سر أضل بكنهه الفطن العليما
دعاك وكلنا أمل لتبقى فترأب بالهدى صدعا عقيما
فياجدثا حويت المجد غضا أراك وقد غدوت به نعيما
فلا زالت تحييك الغوادى ودام بجنة المأوى مقيما

بقلم أحمد جوده بابيار غربية

﴿ رثاء المغفور له فضيلة الأستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده ﴾

من نظم الشاعر المشهور أحمد أفندى نسيم وطبعت يوم الوفاة ووزعت

أخنى الحمام على أبر إمام   فكأنه أخنى على الاسلام
فزعت من الخطب المناسك وانثنت   تبكى بأربعة عليه سجام
كان المغيث إذا دعاه مسهد   ناجى الأسى وكوارث الايام
كان الرباب إذا همى شؤبوبه   والخلق من منقشع وجهام
لم ينأ عن هذى القلوب وانما   ترك القلوب عليه ذات ضرام
شلت يد رمت الامام ولم تخب   فأصابت الدنيا بغير سهام
خطب بمحرك من جبال يلملم   وجوى يفتت من جبال شمام
لاتجزعى يانفس من موت فقد   صمت بما لا تعهدين صمام
موت يدب إلى ابن آدم خلسة   خير من الآلام والاسقام
والنفس ترغب فى البقاء وانما   خرجت إلى الدنيا ليوم حمام
لبيك يا هادى العباد إلى الهدى   لبيك تحت مجادل ورجام
خلت البرية خلف نعشك أمة   بعثت من الدنيا ليوم زحام
حملوا سريرك والخلائق حوله   وضعوا الرؤوس مواضع الاقدام
وكانما فوق العباد عصابة   للطير من دهش ومن اعظام
والناس حيرى ليس تعقل من أسى   دهم النفوس بخفة الاحلام
يمشون حولك مطرقين وكلهم   من سجد لك هيبة وقيام
من للشريعة من يبين لقومها   حكمى حلال بينهم وحرام
من للتقى وقد رآك هلاله   ان شك فى فطر له وصيام
دفنوك فى ترب ولست بناقص   فالتبر يوجد فى ثرى ورغام

يا ليتهم قد غسلوك بمدمع طهر كشؤبوب السحابة هام
أو كفنوك بمصحف فسرته من غامض الآيات والأحكام
أو أنزلوك من الفرادس جنة لا حفرة صفرت من الاكرام
أو ليتهم حفروا لجسمك درة لا مرقدا يقتات بالاجسام
أو ليتهم حملوك فوق أريكة حدباء قد صنعت من الاقلام
أوليتنى قد مت قبلك تاركا مدحى بما أوليته ونظامى
ثم آمنا تحت الثرى مع معشر لا يلهجون بشرة وخصام
وارحل عن الأولى وحليتك التقى وانزل من الأخرى بدار مقام
عذراً إذا قصرت فيك محمد فالرزء أفنى فى رثاك كلامى
صلى عليك الله ماسح الحيا وهمى على مثواك صوب غمام

وقال الفاضل (ح. ش) من أدباء المسلمين فى سوريا

واصلى الأحزان يا أم العلا قد فقدت السيد البر الرحيم
لن تلاقى عوضاً عنه ولا أنت من أمثاله إلا عقيم

* * *

قد خلا بيتك لما ان قضى من بهاء معه فيه قد سكن
فاشبعى بعد ابتهاج مضضاً وارتوى بعد الصفا من ذا الحزن
ويح قوم خيرهم عنهم مضى ولديهم أعظم الغم عدن
عنهم قد سار بدر كلا يالخطاب فادح صعب جسيم
ذاك بدر العلم لا حول ولا قوة إلا بذى العرش العظيم

* * *

ويحنا قد عاجلت أيدى المنون شمسنا حتى توارت فى الحجاب

والفرد جمعت فيه الفنون وأتاه من غير حساب
جاء نوراً كاشفاً كل دجون ومبيناً للملا نهج الصواب
ثم عن ذى الغير الدنيا خلا وأتى الباقى فى قلب سليم
راجيا تلقاه كل عـــلا راجيا فى قربه أبهى نعيم

* * *

إشرقى أيتها الأقـلام فى مدمع منا لقد مدَّ المداد
وادبى ألسن هذه الصحف واشملى الازهر أثواب الحداد
كان هذا الفرد روح الشرف كيف لا يأسى له كل فؤاد
قد محا حاسده لما انجلى عظم الأمر بذا الرزء العظيم
راح ندماناً يعض الأنملا ليته ما كان فى أمر مليم

* * *

يارجال الله قد راح الامام عبده من صاح حيهوا للفلاح
واقتفى سنة مصباح الظلام أحمد الهادى إلى سبل الصلاح
أيكم يسعد فى اسو الكلام بروايات معانيه الصحـــاح
تلكم آثاره دلت على فضـله بعقلها كل فهيم
رحمة الله عليه ما انجلى نور بدر التم فى الليل البهيم

مرثية للمغفور له المرحوم العالم العلامة مولانا الاستاذ العلم الشيخ محمد عبده مفتى مصر طيب الله ثراه

لأحد تلاميذ الامام الأدباء

احقا فارق الدنيا الامام وأغمد فى الثرى ذاك الحسام
وغابت شمس أنوار المعالى وكانت لاتنـال ولا ترام

(ومنها)

لقد فقد الأنام به إماما ألا لله من فقد الأنام
أحامى الدين من يحمى حماه وينصره اذا اشتد الخصام
ويكسر من شكيمة شانئيه إذا ماشبهة منهم تقام
ويوم قد توالى ماتوالى عليه فلاح منك الابتسام
وقفت مناضلا عنه بقلب تأبى أن يقلبه الملام
لقد دافعت جهدك عن علاه دفاع الليث هم به انتقام
عهدناك الشجاع فأنت سهم تصيب اذا تفزعت السهام
اذا اغتنمت مضاربها المواضى فما بسواك يجديها اغتنام
وإن طغت الخطوب أقمت ركنا بعزمك لايهاض ولا يضام
(فهانوتو) جعلت الرعب يقصى أمانيه وقد عز المرام
بقوة حجة صيغت ولكن كلاما لايدانيه كلام
فمن للعلم بعدك ليت شعرى وأنت لكعبة العلم المقام
أقمت تفسر القرآن حينا ولم يمنعك عن نفع سقام
وفى التوحيد إذ تهدى عقولا لك الآيات فى الناس العظام
جعلت تبثه شرقا وغربا ولم تشغلك دعد أو أمام
ألست الواهب الألباب علما تحلى المخلصون به فهاموا
ألست الغيث بالارشاد تروى صدورا كم أضر بها الأوام
سلو الافتاء كم شقت عليه مرارتها فليس بها التئام
سلو علم البلاغة عن خطيب يهيم بحسن منطقه النظام
لتندبه المعارف والمعالى وملء فؤادها الشاكى ضرام

لتندبه السماحة فهى أدرى بأخلاق تعشقها بشام
وتندبه الأرامل واليتامى وتندب ثكلها مصر وشام
الا من للحزين عليك مثلى فقلبى فيك منك به غرام
أقول لمعشرى والدمع يجرى دما من دون صيبه الغمام
صحابى والمصيبة جمعتنا وقد يدعو إلى البلوى اعتصام
أكل الدهر جمع وافتراق أكل الدهر قرب وانفصام؛

(ومنها)

سلام الله بالرضوان يهمى على المفتى يتبعه سلام
على روح المشرف بالمزايا ندى الكف ماضن الجهام
(محمد عبده) من كان شمساً بنور علومه انقشع الظلام
سقى المولى برحمته ثراه شآبيبا يواصله السلام
له الفردوس أضحت دار خلد بمسك قبوله يسمو الختام

وقال الفاضل «ط.ن» من أدباء المسلمين فى سوريا

هكذا هكذا تكون الكلوم قد قضى ذا كم العليم العظيم
قد قضى مفتى مصر رب المعالى فاعترانا لذا المصاب وجوم
لا أرانا من بعده نتسلى فالتسلى عن مثله مذموم
سنة الله لا ترد كما قد كان دوما أن لا حياة تدوم
لكن القلب والخطوب سهام صائبات لوقعها لا يقوم
كيف يقوى للخطب فى فقد بدر شاع فى الكون من سناه علوم
آية الله عبده من اتانا بكتاب ضياه فينا عميم
جاءه الحق والشعوب تمنى خلده لكن الخلود عديم

عدمته مصر بل الشرق طرا اذ دهاه بعد الضياء غيوم
فسلام من الآله عليه فله آب والفؤاد سليم
وسحاب الرضوان يسقى ضريحا حل فيه هذا الامام الكريم

﴿ المراثي الشجية ﴾

(في الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)

للناظم الناثر عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران وقد اختصرناها

مات الامام فمن الى الاسلام وقضى الجواد فمن إلى الايتام
ومن الذى نرجوه للقرآن والا (م) يمان بعد مصحح الاوهام
ومن الذى نرجوه للافتا ومن نرجو لدفع مظالم الظلام
ومن الذى نرجوه للشورى وقد فقدت به ركنا رفيع مقام
ومن الذى نرجوه للاصلاح والد (م) ين الحنيف لحاجة لهام
من للشريعة بعده ليذيعها بين الانام بغاية الاحكام
ومن الذى نرجوه بعد محمد للدين والدنيا وما من حام
إن كان قد فجعت به مصر فقد فجعت به فملا بلاد الشام
والهند تندب واعظا ومدبراً والسند تبكيه بدمع هام
والرزء رزء المسلمين جميعهم والخطب أي والله خطب دام

***

شيخ الجوامع مصدر الدين الحنيف ومرجع التفسير في الاحكام
أولست أنت الازهر السامي البها ومقر دست السادة الاعلام
ماذا دهاك اليوم حتى أظلمت شمس الحقيقة من فناك السامي

قد كنت حتى الأمس مجلى الحق فى الد ين القويم بمرشد قوام
لله أنت وقد فقدت معلما علما يذيع حقائق الالهام
هلا عددت لمن فقدت خليفة ليذيع هذا الدين فى الاقوام
من يفتنا من بعد مالك عصره ويحل معقد طلسم الحكام
ويصون أحكام الشريعة من أذى الـ جهال عند تخاصم الأخصام
ويوزع العدل الصحيح بحكمة بين الوضيع وخصمه المتسامى
ويغل أيدى الطامعين إذا اعتدوا فى مدها يوماً لكسب حرام
جمعية الاسلام ان المسلمـ ـن اليوم قد فقدوا الامام السامى
فلان حزنت على المؤسس انما حزنت عليه مرابع الاسلام
يا مجلس الشورى كانك ذاكر عهد الفقيد وكان عهد كرام
من بعده يقوى على التوفيق ما بين العباد وزمرة الحكام
او ان يقوم بخدمة الاوطان فى وجه الزمان إذا طغى بعقام
يا شرع دين محمد قد قيدو ك وضيقوا فى البحث دون تمام
والاجتهاد لقد قضوا ظلما عليـ ـه ولم يكن فى أصله بحرام
ولذاك ابقوا المسلمين كما همو والناس فى سير الى القدام
فالقلب أزهر فى سنا العمران اما الشرق فهو مقهقر بنظام
حتى أتى الاستاذ يقصد كر إغـ ـلاق القديم بغير ما استسلام
فرموه بالكفران وهو موحد وبدين ربك واسع الالمام
فمن الذى يمشى على آثاره ويسير للعمران بالاسلام

***

يا نابغاً أورى بألباب الورى ناراً قد استعرت وذات ضرام

قد كنت فينا المرشد الهادى الحكيـ ... م ولم نزل فى حاجة لإمام
أسفا عليك إذا علا صوت الطغا ... م على الكرام بمقبل الأعوام
وسطا على الدين الحنيف عداته ... سطواً يبيح عبادة الأصنام
وقضى على الإصلاح أرباب القديـ ... م بمطاق الوسواس والأوهام
جاهدت فى سبل الديانة والتقى ... والخير حسب إرادة العلام
ونشرت دين محمد بين الملا ... وسعيت فى تعضيد كل سلام
وعملت مافوق القوى لهنا الورى ... وأنرت بالتقوى دجى الأفهام
فعليك من أهل الكتاب تحية ... عطرية مشفوعة بسلام
وعلى ضريحك نفحة الرضوان والـ ... غفران والاجلال والاعظام

﴿ دموع الشعر على فقيد العصر ﴾

للشاب الذكى عبد الحميد افندى حمدى نجل ابراهيم حمدى بك

النوم بعدك للعيون حرام ... يا كوكبا غدرت بك الأيام
والعلم بعدك امحلت اصقاعه ... والدين قد لعبت به الأحلام
والأرض باكية عليك مع السما ... والناس بعدك كلهم أيتام
مصر عليك تقطعت أوصالها ... والهند تبكى خطبنا والشام
جزع الأنام عليك يوم أتاهم ... خبر الممات وحارت الأفهام
وبكوا وضج النيران وأظلما ... وبكى النهى وتصدع الاسلام
(أحمد) من ذا تركت لدينا ... والجهل قد رفعت له الأعلام
لو أن فى مصر سواك لكفكفت ... من دمعها واستؤنف الاقدام
لو أن فى مصر سواك لاملت ... خيرا ولم تلعب بها الأوهام

(ومنها)

(محمد) خاب الرجاء فليتنا من قبل خطبك فى القبور نيام
خاب الرجاء فلا هناء يرتجى كلا ولا صفو الحياة يرام
ياليتنا فى الجهل عشنا عمرنا لم ندر كيف تقوم الأقلام
أدنيتنا للعلم ثم تركتنا ولنا اليه هزة وغرام
ياراحلا عنا مقامك عندنا باق ورسمك فى القلوب مقام
كنت السعادة للوجود فغيبت فكأنها وكأنه أحلام

(ومنها فى الختام)

أسفا عليك فقيد مصر ومذهبي ان الأسى الا عليك حرام
أسفا عليك وليتنى كنت الفدا كيما يعيش بعيشك الاسلام
يا جاهلى قدر الامام تصبروا تنبيكوا عن فضله الأيام
لا تسألوا عن قدره جهلاءكم وسلوا نعيم الله كيف ينام
فى جيرة الرحمن ياخير امرىء كانت لهم فى العالمين مهام
تبكى عليك قلوبنا وعيوننا ويحفك الاجلال والاكرام
فعليك منا حسرة لا تنقضى ومن الاله تحية وسلام

وقال العالم الفاضل والكاتب الاجتماعى السيد الشيخ عبد الحميد الزهراوى من علماء حمص (سوريا)

نعى البرق شمس العصر فاستحوذت ظلما وأرعدت الألباب اذ أمطرت غما
توارى بحجب الغيب عنا محمد امام الهدى السامى بحكمته العظمى
وآب يوافى الحق فى القدس (عبده) وغادر هذى الأرض مستخلفاً رسما
وكان يهذى الأرض مفردها الذى بأنواره الحسنى سما قدرها النجما
فياليت شعرى كيف يهدأ روعها وقد أرهق الأقطار هذا النبا صدما

لقد ذاد منه الروح عن فتن هنا ... شهود جمال القدس فى حضرة تما
فما هو إلا فى معارج بهجة ... وما الأرض إلا ناكل فردها الشهما
ومانحن إلا واجدون لفقده ... وان كان حيا عندنا هديه الأسمى
فنذكره فرحى لرفعة شأنه ... وحسرى لهذا الكلم أصعب به كلما
ونذكره كى نستضىء بعلمه ... وأعظم بما أبقى الامام لنا علما

***

محمد لا نأسى لفقد سناك بل ... سناؤك باق بيننا يكشف الظلما
ولكنها الآمال بت عرى لها ... نواك وكنا نرتجى الزيد والإتما
ودولة جمع بعد فرق أقمتها ... نظمت بها الأقوام فى ذا الهدى نظما
فكان بمصر والشآم وفارس ... وفى الهند والأتراك راح لك الدوما
ولكن لأنواع الظهور مراتب ... لها أجل يمنى الظهور إذا حما

***

محمد لا نقلى وان قومنا قلوا ... لنا بلظى الانكار واستسهلوا الاثما
خلفت نور الشرق خير عصابة ... ترى نشر هذا النور مفروضها الحتما
فلبيك لاتأسف وهديك بيننا ... لأنك لم نجل الحنادس للدهما
ورحماك أشرف من علاك عساك أن ... ترى أثر النصح الذى ينهض العزما
وتهنأ اذ يبدو لك الغرس مثمرا ... ونورك مايطفا ونهجك مايعمى

***

محمد روح أنت من أمر ربنا ... لتبرىء باسم الفاطر العمى والصما
ليبصر من أعمته أوهام من خلوا ... ويسمع مره من تخبطهم صما
اتيت فأديت الأمانة رافعا ... منار الهدى والحق فى دامس عما
ورحت إلى القدس الذى قد نزلت من ... حماه لهذى الدار تستنزل النعمى
هنالك زد مجداً تبارك مسرة ... تعاظم بهاء طب مجالى طب بسما

***

إمام الهدى هذا وداع مفجع ... له مهجة فى حبكم تنكر اللوما

تذكر فيه النفس يوم مصابها ... وأعظم به رزءاً وأكبر به خطما
وترفع فيه عهـدها بمحبة ... لحضرة قدس عندها قدرك الاسمى
وقد تأسى ذي النفس والصحب كلهم ... بذى الشمس اما صادفت فى الضحى غيما
فبارك وألق الصبر رب محمد ... علينا وهبنا ربنا كلنا رحمى

وأرسل الينا الفاضل كمال الدين أفندى جودت معاون تفتيش الاوقاف فى المحلة مرثية مطولة اخترنا منها ما يأتى

مصابك يامفتى الديار عظيم ... وخطبك فى كل القلوب أليم
مصاب يدك الطود هول نزوله ... ورزء لكل المسلمين عظيم
أقيمت له فى كل بيت مآتم ... تجدد آلام الأسى وتديم
لقد كنت للاسلام أشفق والد ... فأضحى بهذا الرزء وهو يتيم
وكنت أبا للعائذين فأصبحوا ... وليس لهم فى العالمين رحيم
وللازهر المعمور نبراس أهله ... فأصبح من فقد السراج يهيم
وفى مجلس الشورى شفيقا بأمة ... تود لها كسب العلا وتروم
وهاهى أمسى خبط عشواء سيرها ... حوالى رجاها اليأس بات يحوم
لمن تترك الدين الذى كم خدمته ... تقوم معـوجا له وتقيم
فيا أعظم الاعلام علما وحكمة ... إذا ماتبدى فى الانام حكيم
وياواحدا فى المسلمين بفقده ... غدا أمل الاسلام وهو عديم
ويافيلسوف الشرق بالله فاتئد ... حنانيك لاتهجر فأنت حليم
حنانيك لاتعجل إلى القبر إننا ... كثير علينا أن يموت كريم
فكيف بنا فى فقد واحد قطرنا ... حكيم وبالداء الدفين عليم

﴿ لسان الخاص والعام . فى رثاء فقيد العلم والاسلام ﴾

مرثية طويلة من نظم الفاضل الشيخ محمد حسن التندى بديروط المحطة اختصرناها

آن البكاء فما عليه ملام ... إذ ظل يبكى العلم والاسلام
يبكى أبا المعقول والمنقول ذا ... لكم الامام الأعظم المقدام
بحر لقد جارى الكهول لغاية ... فاجتازهم فى الفضل وهو غلام
ما مبتد أو منته إلا له ... حقا أشار بأن ذاك إمام
جم ولكن فى عيونك مفرد ... رقم وما من بعده أرقام
ذو همة لو انها قسمت على ... كل الرجال لعالت الأقسام
يبكى عليه أولو العقول بأسرهم ... إلا القليل فانهم للئام
أبدى لهم شمس العلى فتكشفوا ... ودعاهم فاذا الجميع نيام
يا غرة الدنيا وزهرتها التى ... ولت عليك مدى الزمان سلام

﴿ الفاجعة المؤلمة ﴾

من نظم الأديب الكاتب الشاعر محمد صادق افندى عنبر (المحرر الآن بجريدة المنبر)

أى رزء يا أمـــه الاسلام ... يتقى بعد موت ذاك الإمام
غير داء كما عهدت جسام ... كلنا منه فى عناء جسام
كامن فى النفوس يفتك فيها ... فوق فتك الخطى والصمصام
نال منا ما لم تنله الليالى ... من بئيس أشفى على الاعدام
إنما الناس فى الحياة نيام ... إن قضوها فما هم بالنيام
واذا جاز فى الحقائق شك ... جاز إلا فى شرب كاس الحمام
والورى بعضهم يمر ويبقى ... خالدا ذكره على الاعوام
اننى أعرف النوابغ فى الشر ... ق قصار الآمال والايام

هم يموتون كالأهلة لم يبـ لغ هلال منها أوان التمام
يا فقيد الاسلام من بعدك اليو م يرجى لنصرة الاسلام
لم يخف فيك ربه القدر المحـ توم اذ جل فيك رزء الكرام
كنت للدين حجة واعتصاما فهو من غير حجة واعتصام
تصرع الوهم دونه حيث تفرى بالبراهين مهجة الاوهام
وترد الظنون بالحق حتى قمت بالدين عن جميع الانام
ورفعت الإسلام أعلى مقام بيراع قد نال أعلى مقام
هو من نور خالق النور والحكـ ـمة لا مثل هذه الاقلام
لو أراد الإله أن يرفع الشر ق لابقى على حياة الإمام
بيد أن المولى اصطفاه فأخلى أمم الشرق من حكيم همام
كلنا للفناء والخلد أبقى من حياة تمر كالأحلام
ولنا بعده شـــقاء مقيم وله بعدنا نعيم المقام

وقال الاستاذ الشيخ محمد مروان مدرس العربية بمدرسة العرب بالزقازيق واختصرناها .

قد حل بالدين القويم الرزء والخطب الجسيم
هدت دعائم شرعنا بعد الصراط المستقيم
زهقت لفقدك روح شر ع الله والدين القويم
للدين كنت معززا بالفكر والذوق السليم
فقت الأئمـــة كلهم فدعيت بالحكم الحكيم
يالوعة الافتاء بعـ ـد محمد العدل العليم
قد كنت بالثقلين يا مولى الورى البر الرحيم

رب البلاغة والعـلا والجاه والخلق العظيم
والخير والاحسان والا (م) نعام والنفع العميم
ناداه مولاه فـأر (م) خ مات مفتينا الكريم
سنة ١٣٢٣ هـ ٤٤١ ٥٨١ ٣٠١

رثاء المغفور له امام العصر وحكيم الشرق مولانا الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية

من نظم الأديب محمد أفندى محمد الموظف بديوان الأوقاف

ألا فليرتد الشرق القتاما ويبد النور فى الدنيا ظلاما
وتنهل الدموع دما وتجرى عيونا قد تفجرت انسجاما
وتنحل الروابط من حياة تذوق بكاسها موتا زؤواما
ويبك الدين خطبا هدمنه بناء كان بالتقوى مقاما
ويبك العلم والعلماء جمعا جليلا سيدا سندا اماما
كبير أئمة الاسلام طرا وأفضلهم وأعلاهم مقاما
وأفصحهم وأبلغهم بيانا وأحفظهم وأرعاهم ذماما
قضى والله يعلم كيف بتنا نعانى الحزن والخطب الجساما
ملمات غدون ورحن شتى وأرزاء تحل بنا دواما
ولكن ما لهذا الخطب مثل يذيب القلب حزنا واضطراما
فيا هذا الجليل وكنت حيا أنادى منك مقداما هماما
لبثت العمر مصباحا مضيئا وللخيرات أرشدت الاناما
وكنت أبا حنيفة فى الفتاوى ودرة حكمة صيغت كلاما

وأمة عزمة تعلو الثريا ودولة همة حسنت نظاما
فكم شاهدت حولك من ألوف ودار العلم ترتج ازدحاما
ليشهد من تولته شكوك بدين الله من رفع اللثاما

* * *

ويانعش الجليل عظمت قدرا وقد حملته أبهى وساما
وسرت به الأمام مع الهوينا ومن عرف الإمام مشى أماما
لعمرك لم يرعنى فى بلادى سوى أنى أرى فيها لثاما
اذا ماجئتهم والشمس ظهرا عموا واستبدلوا منها غماما
وقد رضعوا لبان الحقد دهرا فما كبروا ولا بلغوا الفطاما
وكم هز الدليل لهم رؤسا ليوقظهم وما برحوا نياما
ولكن سوف تأتيهم ليال تحاسبهم بتدقيق على ما
رسول الحكمة الغراء ذرهم إلى مالا ترى فيها خصاما
إلى جنات عدن حيث تلقى طوائفها تحييك السلاما
تهلل إذ رأتك بها هلالا وتلقاها وتلقاك ابتساما
فقد رضى الاآــه على امام يقول الحق لا يخشى ملاما
تولانى قنوط من حياتى ولم أبلغ من الدنيا مراما
حياة تلك عقباها ودنيا يكون مصابها هذا ختاما
حياة كلها بؤس وأولى لحبل مودة الدنيا انصراما
فبعد ذهاب هذا الفضل منها أرى عيش الأديب بها حراما

وجاءتنا هذه المرثية من الأديبة البارعة « ملك » ناصف كريمة حفنى بك ناصف المتخرجة فى القسم العالى من المدرسة السنية

ليبكك العلم والاسلام ما سلما ... وليذرفا الدمع أو فليمزجاه دما
وليبعث الفضل فى منعاك روح أسى ... كما بعثت إلى تحصيله الأمما
غالتك غائلة الموت التى صدعت ... من الهدى علما تمشو له العلما
مددت للعلم فى مصر جداوله ... فلم تدع فى نفوس الواردين ظما
والدين طهرته من بدعة عرضت ... عليه فى سالف العصر الذى انصرما
والعلم والدين للجنسين مطلب ... فليس يختص جنس منهما بهما
فنحن فى الحزن شاطرنا الرجال كما ... فى الاستفادة شاطرناهم قدما
لهفى على طرق الاصلاح قد تركت ... بلا منار وأمسى نورها ظلما
ياحجة الدين من يبنى دعائمه ... للمسلمين إذا بنيانه انهدما
عدت عليك عوادى الدهر فاقتلعت ... من بيننا برداك العلم والكرما
واحسرتاه على العافين من لهم ... يسد اعوازهم ان حادث دهما
إذا شكا معدم يوما خصاصته ... بسطت كفا له بالمكرمات همى
نشرت فى الأزهر الاصلاح منتصرا ... للحق معتضدا بالله معتصما
رددت (هانوتو) والقوم الذين نحوا ... منحاه عن فرية فى ديننا زعما
حملت من خطط الأعمال أصعبها ... إن العظائم فى الدنيا لمن عظما
عاجلت ياموت مولانا وسيدنا ... تبت يداك لقد أورثتنا العدما
كلامه الدر إلا أنه حكم ... فهل سمعت بدر ينتج الحكما
لو لم يدبج سوى التفسير منطقه ... لجل قدرا كما تهوى العلا وسما
إذا علا منبراً فاضت بلاغته ... بالموعظات نسيت العرب والعجما

لاغرو إن كان بالاصلاح مضطلعا فانه عاشق الاصلاح مذ فطما
من للمحاكم والفتيا ينظمها ومن لمجلس شورانا إذا التأما
ومن لجمعية العافين يسعفهم إذا الزمان بهم لم يبق غير دما
محمد ضاعت الآمال وارتجعت إلى الوراء أمانى سرت أمما
غاض الوفاق كما فاض الشقاق وقد زاد النفاق فأما الحق فاهتضما
والدهر آلى فلا حول ولا حيل أن لايراعى لنا إلا ولا ذمما
وقد قضى الله أن نبقى بمنخفض نرى على هامنا من غيرنا قدما
يا أيها الحاسدوه ضل سعيكم أما نهاكم ضمير عن أذاه أما
كفاكم ما رميتم قبل مصرعه شلت يمين فتى بعد الممات رمى
إن المنايا لاقوام الورى شرع من رام فى دهره خلدا فقدوها
رقت شعوب من العليا ذؤابتها فاستأصلتها فبات المجد منفصما
إن السحاب يصيب الأرض ماطره و يسلم الكل فيها ماخلا القمما
وفى الكواكب لايعرو الكسوف سوى شمس وأحسن مافى الروض ما رجما
كفاك من هذه الدنيا متاعبها لا يدرك النور من فى مقلتيه عمى
ولا يلذ بأنغام توقعها ذو عاهة يشتكى فى أذنه صمما
أحلك الله دار الخلد دانية قطوفها وسقاك الدائم الديما

وقال الأصولى البارع والشاعر المجيد نصر الدين أفندى زغلول المحامى الشهير:

خطب ألم فآلم الاسلاما فالاما نحس المسلمين إلاما
يا أيها القدر المطل على الورى أقضيت أن نبقى الزمان يتامى
خطب تصدعت القلوب لهوله وسقى النفوس من المرارة جاما
خطب تذوب له الجوانح لوعة وعلى الاسى ضم الحشا آلاما

خطب تخر الشامخات لذكره ... مات الامام فهل ترون إماما
مات الذى لو مد فى أيامه ... لأمد دين محمد وأقاما
فى الله عمر قد طواه مجاهدا ... بدعا لقوم قلدوا الأوهاما
قوال صدق مظهراً لحقائق ... تعيى العقول وتعجز الأفهاما
حتى تنفس فضله وتنافست ... فيه البلاد وأوطأته الهاما
متنقلا كالنيرات لضوئه ... تعشو عقول تشتكى الاظلاما
كم حل من بلد فاعدد أهله ... منهم سويداء القلوب مقاما
يتزاحمون على موارد فضله ... حتى أعل وانهل الأحلاما
فاضت عليهم من غمائم علمه ... ديم عليها كم حسدنا الشاما
أضحى لمصر عليه وجه عابس ... بالأمس كان به لنا بساما
شقت عليه جيوبها ولطالما ... لبست به حللا زهت ووساما
واستعبرت عيناً عليه قريحة ... حزنا وكم قرت به أعواما
واستنكرت شمس النهار مضيئة ... وتخيلت بدر الضياء ظلاما
فكأنما ثكلت بنيها كلهم ... وبنت لهم بين التراب رجاما
يامصر إيه ان خطبك فاجع ... فيه العزاء يجدد الايلاما
مات الذى بكت المعالى فقده ... وغدت لذاك المكرمات أيامى
مات الذى قد كان مطلع حكمة ... فى الشرق يبهر نورها الاقواما
غربت فليس لها طلوع بعده ... ما كان أبهى نورها أياما
مرت فما مر الحياة بمنقض ... حتى نلاقى بين ذاك حماما
استودع العبرات طرفاً كلما ... قلبته خال الانام نياما
لاهمة ترجى وليس مروءة ... ماتا ومات أبوهما فسلاما

أمحمد ان ضم لحدك أعظما — فلك الجوانح ضمت الإعظاما
أو وسدوك من التراب فأنت فى — كل النفوس موسد إكراما
أو سنمو قبراً غربت خلاله — فلك المظاهر غاربا وسناما
أو غاب شخصك فى الثرى متحجبا — فمناله بين المآثر قاما
هم أسلموك إلى التراب وأغمدوا — فى القبر منك الصارم الصمصاما
ثم انثنوا يبكون فيك مناقبا — عنها تقاصر من بنى الاهراما
بأس يزيل الراسيات ثباته — وعزيمة فوق السماك مراما
رأى كأن الصبح بعض سنائه — وكأن طى ضميرك الالهاما
لسن يصوغ النيرات بيانه — حججا يمزق نورها الابهاما
قلم يروع الحادثات صريفه — ان جال تخشاه الصروف خصاما
فى حكمة سقراط يصغر دونها — تأبى لغيرك ان تميط لثاما
أمحمد طوقت دين محمد — مناً تقبلها الآله جساما
فنصرته وخذلت (هانوتو) وما — أعلنت حرباً أو أخفت سلاما
ورميت عن قوس براه محمد — فرشقت مهجة عائبيه سهاما
وكشفت للدينين سر حقائق — فكشفت عيباً أكنوه وذاما

⁂

تبكيك آيات الكتاب وكم بكت — لله ممن ضللوا الافهاما
عرفتك تدرى للنبى مكانة — عرفتك تدرى للاله مقاما
فجلت لك الأستار عن أسرارها — واستخلصتك على الهدى قواما
فجلوت أحكام الكتاب على النهى — وأريتنا الاعجاز والاحكاما
يبكيك علم قد رفعت مناره — ونشرت فى عليائه الأعلاما

جددته وأقمت منه معالما كانت تقسمها البلى أقساما
أمست تتيه على الزمان صروحه إذ أرغمت أنف العدى إرغاما
غادرته فرمت شوامخ عزه نوب يصير لها المشيد رغاما
فكأنه وكأن أمسا لم يكن وكأنما رأت العيون مناما

* * *

أمحمد قد قمت بين عشيرة كمحمد فى قومه إذ قاما
تدعو إلى النهج القويم وتبتغى بالخاملين إلى الرقى قياما
فتحملوا الأوزار فيك وسودوا منها صحائف دينهم أرقاما
ما أنقصوا فضلا يزيدك رفعة كلا ولا خلنا الكلام كلاما
إن الفضائل إن طهرن عظائما لقى العظ بقدرهن خصاما
أمحمد ناديت كل محمد فوجدت بعدك من دعوت نياما
أدعو الوفا أدعو المروءة لا أرى بالدار بعدك فى الحلال كراما
من للأرامل بعد برك عائلا برعى و يكفل جوده الأيتاما
مازاقهن ندى يديك هنيهة حتى أرقن لك الدموع سجاما
ضاعت رغائب أمة خلفتها نبذاً فلم يسق النبات غماما
ماتت لموتك وانطوت آمالها وغدت كما مد الكرى أحلاما
ياليت نفسى قد فدتك وعندها ذمم لفضلك أو تفيك ذماما
تبكيك عين كنت فى إنسانها فرداً جمعت العالمين تماما
مامثل خطبك فى الخطوب فإنه خطب غدا للفاجعات ختاما
أمحمد حول الضريح معاشر نثروا الدموع وابنوك قياما
وقفوا أمامك خشعا أبصارهم بين الجلال مطأطين الهاما

سكنوا وقد سكن الوجيف قلوبهم في موقف قد زلزل الاقداما
كبر الرثاء عن القريض وأصبحت فيك المحابر تفضل الاقلاما
ماذا يعدد شاعر أو ناثر ولك الخلال الساميات مقاما
استودع الرحمن منك شمائلا ضربت بأفنية النعيم خياما
طلعت على الدنيا فملت أهلها فتخيرت دار الكريم مقاما
فعليك من رضوان ربك دائما غيث تصبب رحمة وسلاما

﴿ تعزية وتأبين ورثاء ﴾

جاءتنا رسالة في ذلك من الفاضل الاديب محمد توفيق أفندى العطار فرأينا أن نختصرها وننشر المختصر بين حرفي الميم والنون من المراثي لأنه أليق بها وهو

سيدى الرشيد ذا المنار

أخط بسواد الفؤاد . آيات الحداد ، فيضطرم الفكر ويختلج الذكر . فلا أجد من الاقتدار ، ما أصل به إلى غير الاعتذار . فواصلت الجد ، بقلب غير مستعد ، حيث ترتجف الكف ، وتتولى جيوش الافكار عن الزحف لاقوم بواجب الرثاء ، وأجعل الذكرى عين العزاء . حتى أمكنني الاستمرار وساعدتني الأقدار . فسطرت هذه الأبيات فمنوا بقبولها أدام الله لنا بكم خلفا لخير سلف ورحم الله من بالحق اعترف ، فقد عظمت لفقيد هذا الدين المنة ، بحماية الكتاب والسنة . وأنتم أحسن تلامذته الاحرار ، تنادون بنصرته على أعلا منار . مد الله أيامكم ورفع على المنار أعلامكم .

فقد الإمام من المصاب أمام ... كانت تسر حديثه الأيام
رزء له كل الشؤون تعطلت ... الآن يندب فقده الإسلام

نعم إنه كان من المصائب كبارا . أجرى الدموع أنهارا . وأصمى الأفئدة والضمائر . وأبلى العقول والسرائر . فوجمت القلوب والأبصار . وارتجت القرى والأمصار . فتجلى الحداد . واستعصم السداد . وظهر رزء العواصم من البدع . وأغمد سيف القواصم من الجزع .

هل للحوادث والخطوب قلوب ... فيبثها شجو الأسى المكروب
أم هل لهذا الدهر بعض تدبر ... فنقول أو يصغى لنا فيجيب
كم للزمان على الأنام جنـاية ... كبرت فيمقتها العلا ويصيب
تمدو بوادره فيقـــدم أنسها ... فلباسها يوم النكير قشيب
يوم أبان البرق نعي محمـد ... يوم على أهل القلوب عصيب

(ومنها)

عز العزاء على العلوم فأصبحت ... بالـكتم طرس حياتها مخضوب
من للسياحة والتدبر والحجا ... من للـكياسة والخصوب ضروب
من للحقائق أن تحجب كنهها ... ليزول عنها الستر والتحجيب
من للشريعة كي يرد أصولهـا ... لكتابها بالجد فهو رقيب
من للتمدن والعـلوم يجيدها ... ويجيدها من صنعه المطلوب
من للبلاد وقد تزايد خطبها ... ما عاد فيها منشيء وخطيب
فهو الإمام لنا العزاء بفقده ... ولفقده الدين الحنيف غريب

نعم زلت أقدام الآمال . وساء بهذا الرزء المـآل . فعز العزاء . وتكاثرت الأرزاء . وجف المداد . وساد الحداد . وانطلق لسان اليراع

وامتد . و بئس فؤاده واحتد . فعدد من حسنات هذا الإمام ما علم . ليقيم ميزان الأعمال بالكلم . فارفع أيها الرشيد على منارك هذه العلامة . لتقوم معا بالواجب لهذا العلامة . وهاك رثائى ذاك الأستاذ الإمام . لتردده القلوب واجمة مدى الأيام أحسن الله عزاء المسلمين فيه والإسلام . ما تليت آيات حكمته فى كل مقام .

كف الأمان بدت بغير بنان ... وصياحه أمسى بغير بيان
ولدى الحناجر من أليم مصابها ... بلغت قلوب ثواقب الأذهان
لو كان يفدى بالألوف رأيتنا ... نفدى امام الفضل والعرفان
نفدى الإمام الفرد فى أطواره ... نفدى الخبير بمعجز القرآن
نفدى الذى كانت ثواقب فكره ... تهوى المحاسن فى حلىّ البرهان
كالآى تتلى فى الخطوب وكالرقى ... يشفى بها اللاهى عن الإحسان
آى لها السحر الحلال مسخر ... يقضى اليراع به على الثعبان
هل ثم منكر فضل قول محمد ... عبد الاله وقوله كمثانى

(ومنها)

وسعى بتقدير العليم مجاهدا ... ومهاجرا كالسابق الأفغانى
فرأى من الآيات فى ترحاله ... حكما تعرفها من الأكوان
نظر هو النظر المجيد لقوله ... عين البصيرة ليس بالوسنان
يدعو إلى الدين الحنيف بعروة ... وثقى كشمس فى سماء معان
هو ذا الحكيم فلا يجىء مثاله ... أبدا وليس يصح فى الامكان
فرحت بلاد الغال حين بدا بها ... قمرا يضىء لها بكل مكان
عرفوا به الاسلام بعد تجهم ... فأباح منه معاقل الكتمان

فرأوه سمحا لا يصح بغيره — نيل التمدن عند كل معاني
فأفاد بالترحال ضعف مقامه — وأتى به الاصلاح بعد زمان

(ومنها بعد ذكر الافتاء وثوران الحسد عليه واصلاحه للمحاكم والأزهر)

ودروسه درست طرائق غيره — لوضوحها للعقل بالبرهان
(فدلائل الاعجاز) تشهد انه — سباق حلبتها مع الجرجاني
وله (بأسرار البلاغة) خبرة — كانت مطيته إلى الاتقان
وأقام للتفسير سوق عوارف — من هديه القاضي برشد الداني
من حيث محض شرعة الاسلام بالـ — محاه في قول وخير بيان
ما كان يرضى أن يكون مقلدا — لو قلدوه قلائد العقيان
كالشافعي ولا أقول مجازفا — في رأيه يدعو الى الفرقان

(وقال بعد بضعة وعشرين بيتا)

يا يوم مشهده وذكرى فقده — اصميت قلب المجد ياذا الجاني
ما ان لنا سلوى ويح نداؤنا — فنسينا ذكرى لذي اشجان
ألمثله سلوى وقد دفنت به — آمال ذي الاصلاح بالقرآن
اليوم يرتصد المقلد وثبة — ليثل عرش العلم بالوثبان
اليوم ينتشر الضلال ويقتدي — بذويه قوم «والرشيد» يعاني
اليوم يرتقب «المنار» وقوله — صدق يصححه لنا الشيخان
أفقيد هذا الدين طال بكاؤنا — وتقرحت من سهدنا الجفنان
أفقيد هذا الدين من ذاك الذي — يسعى بنا في حلبة الاقران
في الله نحتسب المصاب فانه — فرط لنا في العرض والميزان
هبوا نميط عن الضمائر ذا القذى — لنسير للحسنى بغير توان

هبوا لنرقى بالنفوس إلى العلا من وهدة الاخلاد والادماد
هبوا لننفع ذا الزمان بعلمه لا تهجروا المثلى رجاء دهان
ما كان يرضى أن تسوء فعالكم أوأن يسوئها بلا كتمان
ودعوا التطرف إنكم لستم هنا وهناك ترضى حكمة الديان
فأمامنا فى الخلد وهو امامنا ولنعم ما يلقى من المنان
نرضاه مجتهدا ونسلك سبله ونجد للتحقيق والاحسان
رضى الآله وكل صالح خلقه عن ذا الامام على مدى الازمان

حرف النون

قال الاستاذ الفاضل الشيخ خليل عثمان الايوبى عضو محكمة مديرية اسوان الشرعية

قفا نبك الفضائل أجمعينا وتندب حظ دين المسلمينا
عليه الدهر جرو ما اتخذنا لرد سهامه درعا تقينا
أمات ملاذنا شيخ الفتاوى وقائد ساسة المتفكرينا
وجار على أبر الناس فعلا وأوفاهم به للمعوزينا
أقام لناشئهم دور علم وكان لمثلهم كهفا حصينا
أناخ بنا كلاكله وأخنى على رجل الهدى والفضل فينا
محمد من أبان بكل علم حقائق فوق فهم الواضعينا
أعز منارة الاسلام شأنا ورد جماح بغى العابثينا
وأظهر حكمة التكليف عقلا بشكل دونه فكر ابن سينا
فكم حجج له بهرت عقولا تخر لها عقول الملحدينا
بعيد الشأو والمرمى ولكن بمعنى فوق وصف الواصفينا

فقد فقـدت بموته مزايا ونهضة أمة دنيا ودينا
وأمست وحدة الاسلام جسما بلا روح تحركه يمينـا
ولو أن البكاء عليه يجدى لزمناه وقمنـا به سنينا
ففقدك يا محمد نقص دين وخسران ألم بنـا شئينا
ولو أن المنية أنصفتنـا لمـا عبثت بأفضل قائدينا
وفارقنا حيارى فى ظـلام بلا رشـد يقود الناهجينا
فللاسـلام قيض يارحيما دعاة من خيار المخلصينا
وقابل شيبه برضـاك عنه وأرفق وفـده بالمرسلينا
وعم جميعنا بالفضـل وارحم وعاملنـا بلطفك اجمعينا

رثاء أستاذنا الامام الحكيم فقيد العلم والاسلام المغفور له الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية

من نظم الشاعر الأديب عبد العليم أفندى صالح المحامى بمصر

من بعد يومك والحياة شجون كل الخطوب ولو تجل تهون
رزء دها الاسلام فى انسانه من هوله ظلت تفيض عيون
ياواحد العقلاء يتمت النهى فمن الوصى على العقول يكون
لو قامت الحكماء تبكيك الحجا أفنى عليك الدمع أفلاطون
يامفرد العلماء قد خلفتنا نغشى شكوك الفهم وهو يقين
قدعطلت حلقات درسك فى الهدى وانهد ركن للعلوم ركين
قد كنت فيها والمدارك حولها كفؤا بحل المعضلات قمين
ياضيعة الطلاب بعد (محمد) وقد اعترتهم حيرة وسكون

وقفوا عليك ولوعة تنتابهم ... وجوى يلمُّ وعبرة وأنين
ان كان لم يجزع عليك أخو هوى ... فلقد بكى شرع الآله ودين
أولم يكن يرثيك فينا شاعر ... جهد القريض به فليس يلين
(نهج البلاغة) فيك يشرح حزنه ... (ودلائل الاعجاز) فيه متون
علمتنا فن اليراع فكلنا ... بازاء خطبك فى الرثاء فنون
ياحجة الاسلام أفحمت الذى ... بالقول فى دين الآله يمين
أرجعته للحق معتذرا بما ... زعم الوزير بأنه سيشين
لو عاد (هانوتو) وجدد بحثه ... ياليت شعرى هل تصول يمين
ومن ذا الذى يعطى الجواب مسددا ... ومن ذا الذى جعل الخصوم تدين
ومن الذى يبدى الرشاد بقوله ... ومن الحقيقة طبها وغضون
أمضيت فى (بوذا) الدليل و (برهمن) ... فأبنت للوثني كيف يدين
ورميت دهرى الانام بحجة ... الهند تعرف قدرها والصين
وتركت فى كل البلاد مآثرا ... الشرق معترف بها ومدين
فكر يوحد فى العقيدة قوله ... ذرب بأسلوب الجدال رصين
صرحت بالرأى الصحيح لأمة ... فتخيلته الغث وهو ثمين
ونطقت بالحكم الصواب وأنت ذو ... ثقة على الدين الحنيف أمين
فتقولوا بالغيب فيك وأولوا ... ص الكتاب وانه لمبين
عكس القضايا فى الزمان وأهله ... داء مقيم فى النفوس كمين
كيف استوت فيك المشارب نزعة ... جزعا عليك وكلها تأبين
ماذاك إلا أن عهدك دلها ... أن الكريم الحر ليس يخون
ياواحد الفصحاء فى تبيانه ... بالغث فى المثوى فلست تبين

انى احتجبت عن المصالح وانطوى — فيك الرجا وأنت منه مكين
ان البلاد وما علمت بأهلها — يرجوك عونا فى الصلاح تعين
خففت ويلات الحياة على الأولى — أعيتهموا الحاجات وهى شؤون
من للأيامى المعدمات وبائس — حر يعانى العيش وهو حزين
يطوى على الآلام نفسا عزها — أبدا على ذل الحياة رهين
عجبا يظل الحر عبد زمانه — فى عيشه طول الحياة غبين
لا تعجبى يانفس ان زماننا — فى قسمة للأكرمين ضنين
يا منصب الفتيا وفيك مساند — لا تغمضن لها الزمان جفون
هلا استعضت عن الامام بمثله — حر لعز المكرمات يهون
قسما بفضلك يا حكيم وأنه — للصادقين مدى العصور يمين
ماعوضوا يوم الكريهة كاملا — يوم النضال ويوم عز قرين
يوم الدفاع عن الحقيقة والردى — يهتاضها والنفس منك تصون
كالليث يحمى فى الفلاة عرينه — ولك الحقيقة فى البلاد عرين
همم تعير الدهر فضلة بأسها — وهوى لفعل الصالحات متين
عزم تهاب العاديات لقاءه — ثبت على مر الخطوب رزين
ان الحياة لمن أجل فخارها — أثر يخلد للرجال ثمين
والمرء ان لم يدركنه حياته — سيان حى فى الورى ودفين
ياراحلا والطيبات تحفه — فى جنة تاقت اليه وعين
هذى الدنا ولأنت أعلم أنها — نوب تمر على الفتى وشجون
غادرتها فالروح تسعد فى العلى — ورضى الاله يخصها ويزين
يسقى الغمام ضريح جسمك غاديا — ويعده بالغيث وهو هتون

﴿ رثاء أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبده ﴾

لحضرة الفاضل صاحب الامضاء

دهر بالقسوة يفجعنا وزمان الغدر يروعنا
وصروف عداوته فينا تودى بالعلم وتصرعنا
وظروف حياة مظلمة ظلما لهموم تدفعنا
مات المفتى ولا عوض فالخطب شديد يفزعنا
برهان الدين وحجته وامام الشرق وأنفعنا
ووحيد العصر بلا جدل وعماد الفضل وأبرعنا
ذهب العلامة مرشدنا فاسود يقينا طالعنا
قبر العرفان بمدفنه والرشد أراه يودعنا
أمل كنا نرجوه مضى وضروب اليأس تزعزعنا
وقنوط اليوم يدوم بنا حتى نتلاشى أجمعنا
رحماك الهى قد وهنت من هول الحادث أضلعنا
تبكيه عيون قد هطلت وانهالت منها ادمعنا
فالله تعالى يرحمه وبه فى الجنة يجمعنا

على محب بالأوقاف

﴿ رثاء الامام فقيد القطر الشيخ محمد عبده مفتى مصر ﴾

من مراثى الفاضل محمد افندى ابو طالب الاسكندرى

غادرتنا لصروف لدهر تغشانا من بعد ما كانت الآساد تخشانا
فمن لقومك يغضى عن اساءتهم ويبذل النصح يا موسى بن عمرانا
أوذيت منهم على جهل ومعرفة وما تعمدت بالايذاء انسانا

سلكت فيها سبيل المصلحين ولم تعبأ بما قيل ارجافاً وبهتانا
وكدت توردهم خير الموارد لا ترجو من القوم فيما رمت شكرانا
يا آية الله كانت في الورى سطعت تزيد من يطلب التوحيد إيمانا
فمن أقمت على اصلاح أمتنا وما نرى في رجال الدين يقظانا
وأنت تعرفهم ! ما في ضمائرهم الا سفاسف في المعطوف أوكانا
كأن ذا الدين خصم للحضارة لم يحفظ أرائك في الماضي وتيجانا
كأنه ليس أصلا للتمدن في ممالك الغرب قد عزت به شانا
والله لولاه كان الغرب في ظلل من الجهالة يلقى الضنك ألوانا
ومن يماري فانى لا أكلفه الا مراجعة التاريخ برهانا
أليس من عجب أن الأولى كفروا بالقول لم يرفضوا بالفعل إذعانا
باللب من أدب الدين الحنيف غدوا مستمسكين فنالوا منه سلطانا
وكان حظ بني الاسلام ان لهم منه القشور فما أغبى وأشقانا
قد أغفلوا فهم آيات الكتاب تحوى الاحاديث ارشادا وتبيانا
كأنما العلم لا يدعو إلى عمل أوان هذى الدنا ليست بدنيانا
كأنما الدين يرضى عن تكاسلهم وعن تحاسدهم بغيا وعدوانا
فهل هدتهم تعاليم الرسول إلى هذا التباغض إذ يجنون أضغانا
كلا وفي الخلفاء الراشدين لهم قام الدليل على ان الهدى بانا
اذ استقاموا على تلك الطريقة لا يرضون غير كتاب الله ميزانا
فأزهرت بهم الدنيا وقد ملكوا أهل البسيطة أعجاما وعربانا
وجاء من بعدهم من لاخلاق لهم فأورثونا بهذا الجهل خسرانا
وشوهوا وجه هذا الدين واتبعوا أهواءهم فأزال الله بنيانا

حتى بعدنا عن الدين القويم ولم يعد لنا منه غير الاسم عنوانا
ومذ شعرت بهذا قمت ترشدنا عسى يعز الذى بالجهل قد هانا
أسست جمعية ثم انثنيت إلى تلك المساجد والتدريس أزمانا
وكنت طوراً أخا علم وآونة أخا سخاء وفى التبيان سحبانا
وجت فى كل باب فيه منفعة للمسلمين وما قصرت إحسانا
فحين جاءك أمر الله وانقطعت أيدى الرجاء وفيك الطب أعيانا
عدنا إلى حالة قد كنت تعرفها الجهل أثمر والتقليد أعمانا
فان بكينا فما تبكى سوى أمم كنت الحياة لها دينا وعرفانا
كل المصائب فيها للسلو يد إلا مصيبة هذا الحبر مولانا

وقال الفاضل صاحب الامضاء من مرثية بعد أبيات فى الدهر وأخرى فى الموت ما يأتى بعد اختصار

وانتقى بدرا خبيرا زاهياً كان نبراسا لنا دنيا ودين
شيخنا المفتى عنوان الهدى كعبة الخيرات غوث البائسين
مات فارتاعت له مصر ولو كان يفتدى لافتدى بالمسلمين
قد بكاه العلم والآى التى كان فى تفسيرها نعم الأمين
ان تكن ياموت فينا حاكما فاعتدل فالله يجزى الظالمين
مافقدنا مثله حبرا وان مات منا كل يوم بالمئين
كان عذب القول منطبقا إذا جادل الأحبار خروا ساجدين
مارس المعقول والمنقول فى كل فن ثم فاق الأولين
كان فى الافتاء بحرا زاخراً صائب الرأى صدوقا لا يمين
كان فرداً عاملا اسكنه فى مقام الناس طراً أجمعين

أدهشت أحكامه أهل الحجى — وأرى الحكام فضل العادلين
كان للاسلام درعا مانعا — بل سهاما فى قلوب الملحدين
ذاد عنه مذ رماهم جهلهم — واستطالوا فيه بالقول المهين
سل هنو تو عنه والقوم الاولى — ردهم عنا فباءوا خاسئين
أذعنوا للحق لما أن رأوا — قوة البرهان والقول المتين
لم يعقه الموت اشفاقا بنا — عن تأس قاله للحاضرين
رب هب للدين بعدى مرشدا — حاميا عن حوضه السامى المعين
رحمة الله عليه كلما — خط حرف من يراع الكاتبين

محمد فتحى مدرس بالزقازيق

﴿ مرثية الفقيد ﴾

جاءتنا من الفاضل صاحب الامضاء

رميت يا موت سهما فى نواحينا — فأقصد العلم والآداب والدنيا
كل السهام إذا ما عولجت نزعت — الا سهامك أعيتنا وتعيينا
وكل رزء بجيش الصبر نهزمه — إلا مصاب امام الدين مفتينا
كم قد أضاء لنا نهجاً وخاض بنا — لجا واقنع بالحق المعادينا
وكم حمى الدين من ضر ومن بدع — وأفعم الصحف قصد الخير تدوينا
وكم أغاث من الاخطار ذا لهف — وكم أقال من العدم المساكينا
وألف الكتب يرجو أن يقوم بها — من هوة الجهل قاصينا ودانينا
سما به الشرق فى علم وفلسفة — وهابه الغرب لما قام يحمينا
هل فى الديار سوى باك عليه دما — أو شاعر مادح أعماله فينا

أو نادب حظنا من بعد موتته   من يا ترى بعده يسعى ويعلينا
من ذا يدافع عن دين الآله اذا   قامت تمارضنا فيه أعادينا
من ذا يدافع عن حق البلاد وعن   حق العباد وبالأنفاس يفدينا
من ذا يقول هداة المصلحين لقد   عز الدواء علينا من يداوينا
لو كان خطب سوى هذا ألم بنا   اقمت أطلب صبرا من أهالينا
لكن ذلك خطب لا يعادله   خطب لذلك جودى يا ما آقينا
جودى ببعض الذى جاد الامام به   على البلاد عسى نوفى له دينا
محمد يافقيد الدين ذكرك لن   يمحى وان كان يشجينا ويبكينا
إن كنت فى الترب قد أمسيت محتجبا   فشمس هديك تزهو بين أيدينا
وإن موتك هذا ليس يمنعنا   أن نرتجى من سناها العلم والدينا

مصطفى الشورنجى بمحلة مرحوم غربية

وقال الشاعر الأديب مصطفى أفندى صادق الرافعى

سكت وقد ضجت لك الثقلان   وأغضيت والابصار فى رجفان
فويحى متى تصغى الى مناجياً   وويحى إذا ادعوك كيف ترانى
أمانٍ وآمال ودين وحكمة   ذهبت بها عنا ببضع ثوان
ضبطت عنان الحادثات فامسكت   مخلفتها تجرى بغير عنان
وكنت أمان الرأى من عثرة الهوى   فمن ذا له من بعدها بأمان
وكنت لنا فى أمة الشرق أمة   فياضعفها كفين تنفردان
وكنت رجاء الدين فالدين ساكن   ولكنه قد عاد للخفقان
سنعرف أن مد المدى عم تنجلى   وغى فقدت من راحتيك يمانى

ونسمع ان طار الجدال بفتنة عن الصارخ الهذى بغير بيان
ونبصر اما غيم الشك مرة بوارق أفكار بلا لمعان
ولابد منها أنها النار أطفئت وما بعد طفء النار غير دخان

***

(محمد) قد هيلت لمصرعك الورى أقاصيهم فوق الثرى وأدان
ولو انه يوم تدجى ظلامه لكشفه عن افقنا القمران
ولكنها من ظلمة الحزن والأسى وذل لمن أسعدتهم وهوان
فقد كنت من عين الزمان وسمعه بحيث غدا يخشاك ذان وذان
حفظت لجنى الفؤاد فماله تفلق عنه بعدك الصدفان
وكنت الدهرى جدة فساؤه وإصباحه من بعدها خلقان
وكانت علوم الدين فى الناس والدنا كحبل ومنه عندك الطرفان
فهل تتغانى بعد فقدك أمة على فقرها لما نجد لك ثانى
بكائى على فكر خفضت جناحه على الموت حتى عى بالطيران
بكائي على تلك الخواطر قد هوى بها فلك الدنيا من الدوران
بكائى على ذاك اليراع ممددا وكم خط عنه لفظه الملكان
تفرد بالآيات عن كل كاتب ولم يشترك فى زهره غصنان
ولهفى من داء يغيض به الهدى وكيف يجف البحر (للسرطان)
على أنها الدنيا تجر إلى الردى فمن عجل فيها ومن متوان

﴿حرف الهاء والواو والياء﴾

﴿لوفاء بعد الوفاة﴾

للاستاذ الفاضل الشيخ حمزه الفتحي الجنبيهي

عيوني في الدجاتهمي دماها ... وروحي بالجوى عدمت قواها
ومن فقد الامام رأيت مالا ... يطيق الصبر لو يؤذى أذاها
وفي شرع الوفا يوحى إليها ... إذا ماروعت عشقت وفاها
فيانفس اندبي رجلا أبيا ... كريما كان للاسلام جاها
يشيد مجده ويذود عنه ... إذا نار الجدال ذكا لظاها
فقد حل المعمى من حديث ... وآيات الكتاب لنا جلاها
(وهانوتو) تقهقر ثم ولى ... وحرب القول قد دارت رحاها
وأي سهما يفوق الليث بأسا ... يصون الدار أو يحمي حماها
ولو طـــال البقاء دامت بعز ... ولولا موته بلغت مناها
فيامصر اندبيه أبا رحيما ... إذا ماربية شابت أباها
وياقوم امنحوا مصرا عزاء ... فمصر قد دهاها مادهاها
فيا أسفي عليه من تقي ... حكيم فيلسوف لايضاهي
فكم من أمة بليت بجهل ... فحول رشدها حتى هداها
وكم من حرة منيت بفقد ... فأغناها وما هتكت خباها
وأقوام شكت جهلا قديما ... وبالعلم الحديث لقد شفاها
وبدد بالقضا جورا وعسفا ... وحاجات لمهضوم قضاها
ومد يد المنافع في اناس ... يعيش بنفعها أمم سواها
نشا والنفس يكنفها وقار ... وما ألهاه عن حد صباها

وشبت روحه تهوى المعالى فاجهدها ونالت مبتغاها
أما والحق ما مالت لشين وما يحدو بها إلا اتقاها
وأقسم بالسجايا الغر منها لأنت امام مصر ومجتباها
وأنت سواد مقلتها المفدى فيالهفي وقد فقدت ضياها
تباهينا به شرقا وغربا وما يوما على عظم تباهى
وكان بسره للدهر أمر ولـكن المنون أرته فاها
وما قصد الامام سوى ديار تعز بأهلها ويرى ارتقاها
يئن العلم أنة مستضام من القوم التى سبلت لحاها
أماتوا الدين مذ حظروا عليه أيا للدين من جهل عراها
وقبل الموت كانت فى ائتلاف وبعد الموت قدشقت عصاها
وكان نظامها فى كل أمر فولى الشيخ وانحلت عراها
جدير بالقلوب تذوب حزنا واعذر كل عين فى بكاها
محمد كنت فينا خير حبر إذا ما شبهة عرضت محاها
وللدين القويم منار فضل إذ أحكامه فقدت صواها
فقدنا الشاه والقدح المعلى فقل للرخ يمرح فى ذراهـا
فقدنا اليوم أعزرها علوما ومن بالحزم يكسوها رواها
فلاتعجب وخلف النعش ناس تسد الطرق أو تملا فضاها
وواروه التراب وكان بحرا وبرا للتي تشكو طواها
وخافتـه الملوك فأنكرته فمال بعزة التقوى وتاها
وتخشاه الأسود فلو بماها يريد عرينها هجرت شراها
ورثت العلم عن خير البرايا إمام المرسلين ومتقاها

وأقسم كنت للفتوى زعيما وبالاقناع ترمى من رماها
فأموا تربة طهرت وطابت وبات أبو الأرامل فى ثراها
بها الأملاك تهبط كل وقت على روح تقدس من براها
وأبرزها لتظهر آى ربى فمذ قامت بواجبها دعاها
ففاضت والمفاخر فى حداد وافق الشرق قدأفلت ذكاها
وخلف أمة تبكي عليه وما بلغت قصارى منتهاها
وأعقب أمة ورثت علوما ورباها وما جهلت أباها
وقابل ربه بجميل صنع ففاز بقربه وجوار طاها
فعظم أجرها وارحم قواها وجمل فى مصائبها عزاها

(وقال ولم نحذف منها إلا قليلا)

أقسمت بالقدمات العرف والجدوى ودك طود العلا والمجد والتقوى
وانهال بيت الهدى وانحط قائمه وقد هوى صرحه فالربع قدأقوى
والعلم أضحى رهين القبرمنجدلا ياضيعة الدين والتحرير والفتوى
لم يبق للشرع من يجليه من شبه قد عاش من يدعى لايثبت الدعوى
من للحوالك يجلوها إذا احتدمت بعد الامام ومن للبأس واللأوى
من للغوامض من للمشكلات ومن للحل والعقد من للغارة الشعوا
هى المنابر تبكيه وتندبه تلك المحافل تنعى الفارس الألوى
فى رحمة الله روح كنت أعهدها تهوى المعالى فما طاشت بها الأهوا
ياطالب المجد سر في نهج سيرته ان المكارم عن أمثاله تروى
ضدان ياشيخنا من بعدك اجتمعا فى مهجتى لهب ، من مقلتي أنوا
عز السلو فيا حزنى على رجل يغذوك تقريره لا المن والسلوى

قد بث روح المنافى قومه زمناً لكنه لم يصل للغاية القصوى
أخنى على قصده دهر تخرله هام الاثير ومايبقى على رضوى
يمحى الزمان وما تمحى عوارفه تطوى الليالى وما آثاره تطوى
لم يفقهوا كنه ماكانت سياسته نعا بها ظالع لم يبلغ الشأوا
عوجوا على قبره حجوا لتربته هذا الضريح يضاهي جنة المأوى
يا عصبة الدين هل فيكم مماثله ان حل خطب اليه نرفع الشكوى
يا أطيب الناس فى قول وفى عمل أرضيت ربك فى سر وفى نجوى
دم فى نعيمك واتركنا على كمد نستعذب المر لاصبر ولاسلوى

وقال حضرة الفاضل مراد أفندى فرج المحامى في الاستئناف الأهلى وأحد أدباء الاسرائيليين من قصيدة طويلة مؤثرة

الا من للمعانى والاحاجى ومن للشعر بعدك والروىّ
أتيح له الثبات فلم يخنه وقاوم كل ذى شأن علىّ
ألا يا موت انك من قديم خؤون لست عمرك بالوفىّ
أنخت بعالم حبر كبير يفيد الناس بالعلم النقىّ
يجيء المرء فى الدنيا ويمضى وهل قد جاء الا للصفىّ

مرثية لفقيد الاسلام والمسلمين والعلم والادب مولانا الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده تغمده الله برحمته آمين

لحضرة الفاضل الشيخ مصطفى على أبو على من أعيان دمشق (وقد اختصرناها)

مالى أرى الاسلام أصبح باكيا والعلم حب الدمع أحمر قانيا
والمجد شق الجيب مملوءاً أسي فأثار لى حزناً أذاب فؤاديا

والنيل أظلم بعد نور ساطع — والشرق صار من المفاخر خالياً
أقضى امام العصر مصباح الهدى — من كان للاسلام حصناً وافياً
(أحمد) كيف انقيادك للردى — وأراك أجدر أن تكون الآبيا
هلا حماك حكيم رأيك والنهى — من أن تغادرك المنية فانيا
هلا وقاك الفكر يسمو دائما — فوق السماك منازلا ومراقيا
قد كنت ذا عزم يخاف الدهر من — صولاته ويراه حتما قاضياً
من قبل هذا اليوم من ذا قد رأي — بحرا غدا تحت الثري متواريا
من قبل هذا اليوم من ذا قد رأى — رسما يضم البدر ازهر زاهياً
من قبل هذا اليوم من ذا قد رأى — جدثاً حوى شمساً تضيء دياجياً
هذا مصاب ليس يلقى مثله — دين البشير مصائباً ودواهياً
هذا مصاب ساه كل موحد — بل كل ذى عقل يحوز معالياً
من للمحابر والمنابر بعده — من يشرح القرآن شرحا وافياً
من للسماحة والمروءة والندى — من يملأ الالباب نوراً شافياً
لولا الكتاب أتى بنص واضح — قال الورى هذا ختام الانبيا

خاتمة المراثى

لامير الادباء وأشعر الشعراء صاحب السعادة اسماعيل باشا صبرى وكيل نظارة الحقانية

تدفق دموعا أو دماً أو قوافياً — مآتم أولى الناس بالحزن هاهيا
أيجمل أن تنعي الفضائل للورى — ولم تك فى الباكين ويحك باكيا
أغرك من بعض الليالى سكونها — فبت قريرا ناعم البال لاهيا

لقد سكنت لكن لترهف للوغى — دقائق من ساعاتها وثوانيا
ألا ان بين الكأس والفم فرجة — لركض عظيمات تشيب النواصيا
فنبه رقيباً من حذارك كلما — رأيت بأطراف الفؤاد أمانيا

***

محمد دور العلم كانت اواهلا — بفضلك مابين الانام زواهيا
فصبحها الا من الحزن والاسى — عليك القضاء المستبد خواليا
أما للردى لابارك الله فى الردى — أحال بشير الامس فى الكون ناعيا
برغم الحجى والمجد أن مسك البلى — بسوء فأضحى عودك الصلب ذاويا
وأن أقفل الباب الذى كنت عنده — تقابل ملهوفا وترصد شاكيا
محمد من للدين يحرس حوضه — ويدرأ بين الناس عنه العواديا
تعرض قوم للكتاب وانحنوا — صراحته شرحا عن القصد نائيا
فأرسلت فيه نظرة نفذت الى — صميم مراد الله اذ كنت هاديا
ووفقت بين الشرع والعقل بعدما — قد اعتقد الإلفان أن لا تلاقيا
ورب أناس حاربوا دين احمد — فثرت عليهم ثورة الليث عاديا
وقفت وأقلام الغواية شرع — وأقلام أهل الحق ترنو سواهيا
وأفحمت بالبرهان كل مناضل — لو انك لم تغضب لزاد تماديا
ففاءوا الى الحسنى ولو لم تحجهم — لعادت زئيرا صيحة القوم داويا
هنيئاً لهم فليحملوا حملاتهم — فقد أصبح الميدان بعدك خاليا
محمد وفيت المروآت حتها — وقمت اليها فى حياتك داعيا
وعلمت أهل العرف فى العرف أوجها — لها غرر مشهورة ومعانيا
وعالجت أمراض القلوب بحكمة — ترى ظاهراً من خلفها البرء خافيا

وأودعت فى الطلاب أجزاء مهجة ترى العلم ان لم يعل بالمرء هاذيا
مناقب ان عدت تضوع بيننا كأنا اتخذنا ساحة الروض ناديا
ألا نم مع الابرار فى الخلد ناعماً فكم بت فينا ساهر العزم عانيا
جزيت عن الاسلام ما أنت أهله فقد كنت سيفاً فى يد الحق ماضيا

يقول جامع الكتاب

هذا ما اخترنا نشره من المراثى التى وردت الينا من هذا القطر وغيره ولعل مالم يرد الينا أكثر فقد مكثت جريدة الظاهر زمناً طويلا تنشر المراثى و بلغنا انه لم ينشر فيها كل ما أرسل اليها ونحن لم ننقل منها شيئاً ولكننا نعلم ان بعض ما جاءنا نشر فيها أيضاً .

أهملنا بعض القصائد التى كتم مرسلوها أسماءهم وبعضا لضعف النظم وبعضها لتأخر ورودها الينا . واختصرنا بعض ما نشرنا لمجرد الاختصار ، و بعضه للتأويل فيه بذم الدهر ومعاتبة الموت والشكوى من الزمان ، و بعضه لضعف النظم ، وبعضه لسبق مثله مكرراً كذكر الجمعية الخيرية والاصلاح فى الازهر والشورى والمحاكم والرد على هانوتو .

وكان ينبغى ان نحذف أكثر مما حذفنا لولا أن غرضنا بيان أن هذه المزايا والفضائل ثابتة للاستاذ الامام بالتواتر الحقيقى وان الناس لم يمنحوه لقب «الإمام» الا عن شعور مستفيض ، قد انطقهم عن اعتقاد لا عن تواطؤ ولا تقليد .

﴿ ملحق بالتعازى ﴾

صورة التعزية المرسلة من رئاسة مجلس شورى القوانين لحضرة حمودة بك عبده وباقى عائلة الفقيد رحمه الله بتاريخ أول أغسطس سنة ١٩٠٥ نمرة ٥٩٢

إنه بجلسة مجلس شورى القوانين المنعقدة فى يومنا هذا أبدت الهيئة مزيد أسفها وشديد حزنها وكدرها بالنسبة لوفاة المرحوم العلامة الأستاذ الشيخ محمد عبده أحد الأعضاء وذلك لما له فى المجلس من الخدم الكثيرة الجليلة والأعمال النافعة الوافرة التى تذكر فتشكر وما كان عليه تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته من الفضل والعلم والحزم والأخلاق الطيبة الفاضلة وما له من المكانة فى القلوب مقدرة ما شمل الجميع من الحزن تلقاء تلك المآثر الغراء حق قدره وقررت أن يكتب لحضرتكم بالاعراب عن هذه الإحساسات فنبلغكم ذلك مشفوعا بمزيد تأثرنا الشخصى والله المسئول فى أن يلهمنا وإياكم الصبر ليضاعف لنا ولكم الأجر ؟

(التوقيع)

ما كتبه حمودة بك عبده ابن الفقيد بالتربية وأخوه بالنسب إلى بعض المعزين

﴿ صورة ما كتبه إلى سعادة رئيس مجلس الشورى ﴾

سيدى المفضال سعادتلو أفندم

شرفنا ليلة الأمس خطاب سعادتكم الشامل لجميل عواطفكم ولقد غمرتمونا فيه بجزيل فضلكم بما شاركتمونا فيه مع حضرات الأعضاء فى مصابنا العظيم وأظهرتموه من المنة فى حسن الذكرى لفقيدنا الكريم وأوليتمونا فيه عزاء وافراً ومنحتمونا ولاء عاطراً لاحرمنا الله منكم تلك الإحساسات العالية والمودة الصافية وإننى أدعو الله أن يطيل بقاءكم وبقاء حضرات الأعضاء ممتعين بالنعم الجزيلة والحياة السعيدة آمين ؟

حموده عبده

﴿ صورة ما كتبه إلى سعادة رئيس الاستئناف الأهلى ﴾

سيدى المفضال سعادتلو أفندم

تشرفت بكتاب سعادتكم وقد أوليتمونا فضلا جزيلا بمشاركتكم لنا بالحزن على فقيدنا المرحوم الشيخ محمد عبده وإيقافكم جلسة المحكمة صباح وفاته حداداً عليه وتشييعه مع حضرات الأفاضل قضاة المحكمتين نحمدنا لكم هذه المنة الكبرى التي حفظتم بها لفقيدنا حسن الذكرى ، ولا غرو فان هذا أثر من كمال وفائكم وعاطر ولائكم وقد كان لنا أكبر العزاء من إحساسات رجال الفضل وأهل القضاء وإنى بالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن أعضاء أسرتى أرفع إلى سعادتكم خالص الشكر الوافر وإلى جميع حضرات مستشارى المحكمة وقضاتها الأفاضل ونسأل الله تعالى أن يقيكم شر المصائب والأحزان ويبقيكم ذخرا للأوطان أفندم ؟

صورة ما كتبه الى العلامة المسترادوارد براون

سيدى الصديق الجليل

شرفنا بالأمس خطابكم . الشامل لحسن عزائكم . وفصيح بيانكم . وشريف احساسكم . وعاطر إخلاصكم . ولقد أوليتمونى به فضلا جزيلا . وغمرتمونى به ولاء عظيما . بما أوضحتموه من فائق الاخلاصات وعاطر الكمالات فى وصف فقيدنا المرحوم وتعداد فضائله فى الامة والأمم ولا غرو فان هذا من ساطع وفائكم ووافر ولائكم . وقد كان لى أكبر عزاء أحفظه فى مودتكم . واذكره فى محبتكم أما ترجمة حياة الفقيد فقد قرر إخوانى هنا أن تكتب بتفصيلها وأن تنشر معها مقالاته وأعماله التى عملها فى تقدم الأمة عندنا وستطبع معها صورته أيضا وننشر وعند اتمام الترجمة سأرسل لحضرتكم نسخة لتختاروا منها ما تشاؤنه واننى أشكر حضرتكم عن الامة على اشتغالكم بأمر تاريخه لان هذا مما يعزينا وينفعنا كما أكرر آية شكرى لكم على تلك العواطف الجليلة والاخلاق الكريمة وأدعو الله تعالى أن يطيل لى بقاكم ويحفظ لى ودادكم آمين ؟ حموده عبده

﴿ ملحق آخر ﴾

نستدرك به على قسم تأبين العلماء والفضلاء ما جاء فى تقرير اللورد كرومر وتقرير المستشار القضائي عن سنة ١٩٠٥ قال جناب اللورد فى الفصل السابع من تقريره

الشيخ محمد عبده

اختطفت المنية فى السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر أريد به الشيخ محمد عبده فأحببت أن أسطر هنا رأيي الراسخ فى ذهني وهو أن مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المغضوب عليهم لأنه كان من كبار الزعماء فى الحركة العرابيه . غير أن المغفور له الخديوى السابق صفح عنه طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا فى المحاكم الأهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفى سنة ١٨٩٩ رقى إلى منصب الافتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته فى هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الاسلامى مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثالا على نفع عمله الفتوى التى أفتاها فى ما إذا كان يحل للمسلمين تثمير أموالهم فى صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تثمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي فى شيء

أما الفئة التى ينتمي الشيخ محمد عبده إليها من رجال الاصلاح فى الاسلام فمعروفة فى الهند أكثر مما هى معروفة فى مصر ومنها الشيخ الجليل السيد أحمد الشهير الذى أنشأ مدرسة كلية فى عليكده بالهند منذ ثلاثين عاما . والغاية العظمى التى يقصدها رجال هذه الفئة هى اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزعوا أركان الدين الاسلامى أو يتركوا الشعائر التى لا تخلو من أساس دينى . فعملهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية فى النقد ويقصد آخرون قضاء أغراضهم وحك حزازات فى صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

أما مريدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فموصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة الجير وندست فى الثورة الفرنسوية فالمسلمون المتنطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيرون بهم فى سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين ، وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين كما هى حال كل حزب سياسى متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين إذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدرى إلا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التى كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذى يظهر ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولا . وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالى الأيام إذ لا ريب عندى في أن السبيل القويم الذى أرشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل . الذى يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملتهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين . ولعلهم يجدون بعض التنشيط من نقلى قولا لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التى لقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفا والطريقة التى تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ما وصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين فى الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أو خمسين سنة قال « وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين فى تعلم العلوم العالية غير أنهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضاً ومتحسرين على العلوم التى أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفى بالتشكي والتذمر ويقتصر على اللوم والتعنيف بل إنهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضاً فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذى قضى العمر مجاهدا فى سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايتها العظمى البحث عن وجوه الاعتراض التى يعترض بها المسلمون على التعليم الذى تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفة التعليم الذى يرجون استبداله به . فاتضح لهم أن الرجوع إلى أساليب التعليم التى

كانت متبعة فى الشرق قديما أضحى ضربا من المحال . ورأوا على ما بهم من الاكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التى توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذى يرق قومهم إلى درجة تلائم التمدن المحيط بهم و يردهم إلى مقام يشعر فيه بنفوذهم وتأثيرهم انما هو التعليم المبنى على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ، المحبب إلى المتعلم كل أمر بديع عجيب فى علوم البلدان الأخرى وآدابها وفلسفتها فكانت هذه السعة منهم فى العقل والاصالة فى الرأى أعظم خطر على مشروعهم فى بادىء الأمر لأنهم لو دعوا جموع المسلمين إلى قبول رأيهم المبنى على مبادىء لا تخالف الدين الإسلامى بالذات بل تخالف التفاسير التى يفسره بها أكثر المتدينين به لاستفزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة وأقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لانتظارها الفوز فى النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئاً فشيئاً أمام شجاعة المصلحين وثباتهم . ثم أيدهم رجال خطيرو الشأن مثل المرحوم السير سالار جنك تأييداً ماديا من جهة ومعنويا من أخرى فى اعتبار الذين يعدون الاسم العظيم ضماناً عظيما . وكان أعضاء هذه الجمعية متخلقين بأخلاق تجلهم وتنزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا ألدّ خصومهم الى أشد الانصار غيرة عليهم . وقد مضى ثلاثة عشر عاما [1] على اجتماع الجمعية لوضع مشروعها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالا فى نجاح مسعاها لم يكونوا يتصورون انها تنجح النجاح السريع الذى عاشوا حتى شاهدوه » اه

أقول : فى تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس و بلوخستان و بلاد العرب وأوغندة وموريتيوس ومستعمرة الرأس و يقيني انه لو قصدها الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

(وقال فى أواخر الفصل الذى تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه :

(١) هذا كتب منذ أعوام

« هذا وانى أوافق السر ملكولم مكلريث على ما قاله عن الضربة الثقيلة التى أصابت الاصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد عبده فقد أشرت إلى خدمات ذلك الرجل الجليل فى فصل آخر من هذا التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضاً ان الذين كانوا يشاركونه فى آرائه لاتخور عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم لذكراه أحسن إظهار بترقية المقاصد التى كان يرمى اليها فى حياته » اه

أما ما أشار اليه اللورد من كلام السر ملكولم مكلريث المستشار القضائى فى تقريره عن المحاكم فها هو بنصه :

« ولا يسعنى ختم ملاحظاتى على سير المحاكم الشرعية في العام الماضى بغير أن أتكلم عن وفاة مفتى الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده فى شهر يوليه الفائت وأن أبدى شديد أسفى على الخسارة العظيمة التى أصابت هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق بالشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيراً للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام فى المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة فى الفكر، كثيراً ما كانت خير معوان لهذه النظارة فى عملها . وفوق ذلك فقد قام لنا بخدم جزيلة لا تقدر فى مجلس شورى القوانين فى معظم ما أحدثناه أخيراً من الاصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية إذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضى الفريقين كما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظراً لسمو مداركه وسعة اطلاعه وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التى اكتسبها أثناء توظفه فى محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوربا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد أن تكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فانه يتعذر وجود أحد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلكل هذه الأسباب أخشى ان نظارة الحقانية ستظل زمناً طويلا تشعر بخسارتها بفقده اه كلام المستشار

فرحم الله الاستاذ الامام الذى اعترف بفضله الوطنى والأجنبى وأثنى عليه الموافق والمخالف ولازال ذكره حيا فى الآخرين ، وسيرته أسوة حسنة الى يوم الدين ،

تمت الطبعة الثانية فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٦٧ هجرية

